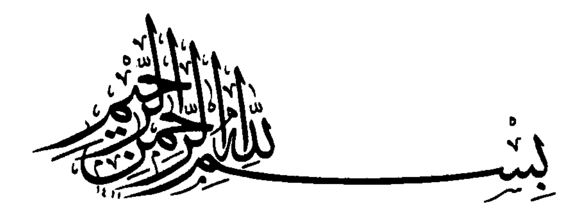
الفِكْرُ التَّرْبَوِيُّ عِنْدَ الشَّيْخ عَبْدالرَّحمن السَّعدي

(دراسة تحليلية ناقدة)

تأليف

د. عبدالعزيز بن عبدالله بن محمد الرَّشودي

دار ابن الجوزي


بسم الله الرحمن الرحيم


الفكر التربوي
عند
الشيخ عبد الرحمن السعدي
(دراسة تحليلية ناقدة)

ⓒ دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الرشودي، عبد العزيز بن عبد الله

الفكر التربوي عند السعدي. ـ الرياض.

٥٤٧ص، ١٧×٢٤سم

ردمك: ٤ ـ ١٢ ـ ٧٦٧ ـ ٩٩٦٠

١ ـ التربية الإسلامية ٢ ـ السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، ت١٣٧٦ أ ـ العنوان

ديوي ٣٧٧,١ ٢٠/١٥٢٨

رقم الإيداع: ٢٠/١٥٢٨

ردمك: ٤ ـ ١٢ ـ ٧٦٧ ـ ٩٩٦٠

شوّال ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م



دار ابن الجوزي

للنشر والتوزيع

المملكة العربيّة السعوديّة

الدمّام ـ شارع ابن خلدون ـ ت: ٨٤٢٨١٤٦ ~ ٨٤٦٧٥٨٩ ~ ٨٤٦٧٥٩٣

ص.ب: ٢٩٨٢ ـ الرمز البريدي: ٣١٤٦١ ـ فاكس: ٨٤١٢١٠٠

الإحساء ـ الهفوف ـ شارع الجامعة ـ ت: ٥٨٨٣١٢٢

جدّة: ت: ٦٥١٦٥٤٩

الرياض: ت: ٤٢٦٦٣٣٩

المقدمـة

الحمد لله رب العالمين ، القـائل في كتابـه المبـين : ﴿ يَرْفَـعِ اللَّـهُ الَّذِيـنَ ءَامَنُـوا مِنْكُـمْ وَالَّـذِينَ أُوتُـوا الْعِلْـمَ دَرَجَـاتٍ وَاللَّهُ بِمَـا تَعْمَلُـونَ خَبِـيرٌ ﴾ « سورة المجادلة ، آية ١١ » .

والصلاة والسلام على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم القـائل: « **من سلك طريقاً يطلب فيه علماً ، سلك الله بـه طريقـاً مـن طـرق الجنـة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضىً لطالب العلم ، وإن العالم ليسـتغفر لـه مـن في السموات ومن في الأرض ، والحيتان في جوف الماء ، وإن فضل العالم علـى العابد كفضل القمر ليلة البدر علـى سـائر الكواكـب ، وإن العلمـاء ورثـة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ، وإنما ورثـوا العلـم فمـن أخذه أخذ بحظ وافر** » رواه أبو داود [1] .

أما بعد ..

فهذا قبس من كلامـه صلـى الله عليـه وسـلم في تعريـف أمتـه الكريمـة بمكانة العلم ، وشدة حاجتها إليه ، وتعريفها بقدر العلماء وعلو شـأنهم ، كيما تحرص الأمة علـى الاهتـداء بهديهـم ، والاسـتنارة بعلمهـم ، وخـير العلماء من جمع بين صفتي العلم والعمل فهو عالم يعلـم ، وهـو في الوقـت

(١) أبو داود ، سليمان بن الأشعث ، سـنن أبـي داود ، القـاهرة : دار الحديـث ، د . ت، ج ٣ ص ٣١٦ .

نفسه يعمل الصالحات وفق ما تعلم ، فيدعو الناس بهديه وعمله قبل أن يدعوهم بقوله وعلمه : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ « سورة فصلت ، آية ٣٣ » .

وحياة هؤلاء العلماء يجب أن تجلّى وأن تحلل ، لتبقى آثارهم في القلوب نابضة وأقوالهم في النفوس خالدة ، فيكونوا بهذا قدوة للأجيال على مر العصور .

والعالم الإسلامي المعاصر ، تبين له بعد عناء شديد ، وضياع كبير في محاضن التربية الغربية وجوب العناية التامة والاعتماد المباشر على الأصول الإسلامية في بناء أنظمته التربوية ، ولهذا فالمؤسسات التربوية تجد نفسها أمام ضرورة الاستفادة من آراء علماء المسلمين البارزين ، الذين تمثلوا الدين الإسلامي حقيقة واقعية ، وطبقوه تربية عملية .

ويعتبر الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي ، المولود في عام ١٣٠٧هـ / ١٨٨٧م ، والمتوفى عام ١٣٧٦هـ / ١٩٥٦م ، في عنيزة بنجد ، أحد هؤلاء العلماء العاملين ، والدعاة المربين ، الذين تمثلوا بأفعالهم ما يقولونه بأفواههم من توجيهات إسلامية وآداب تربوية فقد كان له رحمه الله تعالى بالغ الأثر في تلاميذه وأبناء مجتمعه من خلال تعليمه لهم ، واهتمامه بهم .

يقول عنه محمد حامد الفقي : ((لقد ارتضى السعدي العلم له خديناً وأليفاً ، ولم يرق في نظره سوى طبقة العلماء ، فلازمهم ملازمة الظل وأكبَّ على الاغتراف من معين علمهم ، وفضلهم ، وأخلاقهم ، فتغذى

أطيب غذاء وروي أكرم ري)) [١] .

ويصفه عبد الرحمن العدوي بقوله : ((لقد كان الشيخ عبد الرحمن السعدي من الناحية الدينية هو كل شيء في عنيزة ، فقد كان العالم والمعلم والإمام ، والخطيب ، والمفتي ، والواعظ ، والقاضي ، وصاحب مدرسة دينية له فيها تلاميذ منتظمون)) [٢] .

ونقل الطيار عن سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله قوله في السعدي : ((كان رحمه الله كثير الفقه ، والعناية بمعرفة الراجح من المسائل الخلافية بالدليل ، وكان عظيم العناية بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية ، وتلميذه ابن القيم ، وكان يرجح ما قام عليه الدليل ، وكان قليل الكلام إلا في ما يترتب عليه فائدة ، جالسته غير مرة في مكة والرياض ، وكان كلامه قليلاً إلا في مسائل العلم ، وكان متواضعاً، حسن الخلق ومن قرأ كتبه عرف فضله وعلمه وعنايته بالدليل ، فرحمه الله رحمة واسعة)) [٣] .

أما الشيخ عبد الرزاق عفيفي رحمه الله تعالى فيقول عن السعدي : ((إن من قرأ مصنفات السعدي وتتبع مؤلفاته ، وخالطه وسبر حاله أيام

---

(١) الفقي ، محمد حامد ، سيرة العلامة عبد الرحمن السعدي ، القاهرة : مطبعة السنة المحمدية، د . ت ، ص ٧ .

(٢) العدوي ، عبد الرحمن . « الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي » . الجامعة الإسلامية ، العدد الرابع (عام ١٣٩٩هـ) ص ٢٠٧ .

(٣) الطيار ، عبد الله محمد ، صفحات من حياة علامة القصيم السعدي ، الطبعة الأولى ، الدمام : دار ابن الجوزي ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م ص ٩٩ .

حياته ، عرف منه الدأب في خدمة العلم اطلاعاً وتعليماً))[١] .

ويصف محمد القاضي شيخه السعدي بقوله : ((كان واسع الاطلاع في فنون عديدة ، ففي كل فن يخوض فيه تقول هذا فنه المختص به وهذه مؤلفاته أكبر شاهد على ما ذكرته))[٢] .

ويقول عنه الشيخ محمد بن صالح العثيمين أحد تلاميذه البارزين : ((... إن الرجل قل أن يوجد مثله في عصره في عبادته وعلمه وأخلاقه، حيث كان يعامل كلاً من الصغير والكبير بحسب ما يليق بحاله ويتفقد الفقراء فيوصل إليهم مايسد حاجتهم بنفسه ، وكان صبوراً على ما يلم به من أذى الناس ، وكان يحب العذر ممن حصلت منه هفوة يوجهها توجيهاً يحصل به عذر من هفا)) كما ذكره الطيار[٣] .

ولما سئل تلميذه الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام عنه قال: ((لقد كان للشيخ عبد الرحمن السعدي أثر كبير ، ودور بارز ، في تخريج أفواج كثيرة من طلبة العلم ، حيث جلس للتدريس وإفادة الطلاب أكثر من نصف قرن من الزمان ، وكان في زمانه هو مرجع أهل البلاد في التدريس والوعظ والتوجيه والخطابة ، والإمامة والفتوى، والمشاورات وكان محرر الوثائق والمبايعات ، والتوثيقات، والوصايا وغير ذلك ، وكان يمتاز بكرم

---

(١) الطيار . صفحات من حياة السعدي . ص ٩٧ / ٩٨ . (مرجع سابق)
(٢) القاضي ، محمد بن عثمان ، روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين، القاهرة : مطبعة الحلبي ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، ج ١ ص ٢٢١ / ٢٢٢ .
(٣) الطيار ، صفحات من حياة السعدي ، ص ٩٨ . (مرجع سابق)

النفس ، وحسن الخلق والبشاشة والطلاقة ، وكان محبوباً من العامة والخاصة)) ذكره العباد [١] .

وقال عنه الشيخ عبد الرحمن بن عبد العزيز الزامل فيما نقله القاضي :

دع عنك ذكر الهوى واذكر أخا ثقةٍ
يدعو إلى العلم لم يقعد به الضجرُ
شمس العلوم ومن بالفضل متصفُ
مفتاح خير إلى الطاعات مبتكِرُ
بحر من العلم نال العلم في صِغَرٍ
مع التقى حيث ذاك الفوز والظَفَرُ
نال العلا يافعاً تعلو مراتِبُه
ففضله عند كل الناس مشتَهِرُ
بالفقه في الدين نال الخيرَ أَجْمَعَهُ
والفقهُ في الدين غُصْنٌ كلُه ثمرُ) [٢]

هذه الأقوال في السعدي غيض من فيض ، تشير لمكانته العلمية والاجتماعية إبَّان حياته رحمه الله تعالى وبعد مماته .

وإن القارئ ليزداد إعجاباً بهذه الشخصية كلما طالع تراثه الفكري

---

(١) العباد ، عبد الرزاق بن عبد المحسن ، الشيخ عبد الرحمن السعدي وجهوده في توضيح العقيدة ، الرياض : مكتبة الرشد ، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م ، ص ٥٩/٦٠ .

(٢) القاضي ، روضة الناظرين ، ج١ ص ٢٢٧ . (مرجع سابق)

الذي خلفه ، ويدرك أن السعدي ليس عالماً فقط في الفقه والعقيدة ، أو النحو واللغة بل إن له من الأفكار التربوية التي ينبغي أن تظهر للقراء عامة، وطلاب التربية على وجه الخصوص ، حتى يفيدوا منها في التربية والتعليم .

ولبيان كمال التربية الإسلامية وأنها تتجلى في عبادة الإنسان لخالقه عز وجل والانقياد له سبحانه بتوحيده والاستسلام لأوامره ونواهيه ، يقول السعدي في قوله تعالى : ﴿ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ(٧١) ﴾ « سورة الأنعام ، آية ٧١ » : ((بأن ننقاد لتوحيده ونستسلم لأوامره ونواهيه ، وندخل تحت عبوديته ، فإن هذا أفضل نعمة أنعم الله بها على العباد ، وأكمل تربية أوصلها إليهم))[١].

وفي التربية الإسلامية تبرز مكانة ذلك الإنسان من بين سائر المخلوقات بقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي ءَادَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ «سورة الإسراء ، آية ٧٠ » .

ففي معنى هذه الآية يقول السعدي : ((وهذا من كرمه عليهم ، وإحسانه الذي لا يقادر قدره ، حيث كرم بني آدم بجميع وجوه الإكرام، فكرمهم بالعلم والعقل ، وإرسال الرسل ، وإنزال الكتب)) [٢] .

---

(١) السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان – المجموعة الكاملة / التفسير ، عنيزة : مركز صالح بن صالح الثقافي ، ط ٢ ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م ، ج ٢ ص ٤٢١ .

(٢) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج٤ ص٣٠١ .

ويشير السعدي إلى وسائل التعليم بقوله : ((فإذا فسدت عقولهم ، وأسماعهم وأبصارهم ، التي هي الطرق الموصلة إلى العلم ومعرفة الحقائق، فأين الطريق الموصل لهم إلى الحق)) [١] .

إن التربية الإسلامية تنادي بالشمول والتوازن في حياة المسلم ، ولكن : ما هي جهود السعدي التربوية المستنبطة من القرآن والسنة والتي تستحق الدراسة والبحث ؟

إن للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي بجانب جهوده في العقيدة ، والفقه ، والحديث ، والنحو ، عبارات وإشارات ذات دلالات تربوية فمثلاً في بيانه لأثر التربية القرآنية يقول : ((بالقرآن العظيم بلغ الصحابة رضى الله عنهم مبلغاً عظيماً ، وتغيرت أخلاقهم وطبائعهم ، وانتقلوا إلى أخلاق وعوائد وأعمال فاقوا بها الأولين والآخرين ، وكان أعلى وأولى لمن بعدهم أن يتربوا بعلومه - القرآن - ويتخلقوا بأخلاقه ويستضيئوا بنوره في ظلمات الجهل والغي ، ويجعلوه إمامهم في جميع الحالات ، وبذلك تستقيم أمورهم الدينية والدنيوية)) [٢] .

وفي مقام آخر من تفسيره يبين السعدي بعض المعالم التي تندرج تحت مفهوم التزكية كما جاءت في القرآن الكريم فيقول : ((﴿ وَيُزَكِّيكُمْ ﴾ أي يطهر أخلاقكم ونفوسكم بتربيتها على الأخلاق الجميلة ، وتنزيهها

---

(١) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج٤ ص٣٥٧ .

(٢) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، الكاملة/ التفسير ، ج٤ ص٢٤٢ . (مرجع سابق)

عن الأخلاق الرذيلة ، وذلك كتزكيتهم من الشرك إلى التوحيد ومن الرياء إلى الإخلاص ، ومن الكذب إلى الصدق ومن الخيانة إلى الأمانة ، ومن الكبر إلى التواضع ومن سوء الخلق إلى حسن الخلق ، ومن التباغض والتهاجر والتقاطع إلى التحابب والتواصل والتوادد وغير ذلك من أنواع التزكية)) [١] .

ويتكلم السعدي عن آداب وصفات المعلم ، وسيأتي بيان ذلك في ثنايا الفصل الخامس من هذا البحث تحت مبحث : مقومات المعلم ، كما تكلم السعدي عن آداب المتعلم الذاتية والعلمية وسوف يأتي تفصيل ذلك في المبحث الخامس من الفصل الخامس من هذا البحث .

وتلك النصوص التربوية الواردة في مؤلفات السعدي توحي للباحث بأن للسعدي اهتماماته التربوية والتعليمية لهذا كان من الواجب اخراجها لتثري واقع العملية التربوية والتعليمية .

(١) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج١ ص ١٧٣ .

الباب الأول

الفصل الأول: المدخل إلى الدراسة

١ ـ موضوع الدراسة .

٢ ـ أهمية الدراسة ودوافعها .

٣ ـ تساؤلات الدراسة .

٤ ـ مصطلحات الدراسة .

٥ ـ الدراسات السابقة .



موضوع الدراسة

بعد اطلاع الباحث على مؤلفات السعدي رحمه الله ، والتي تزيد على الأربعين مؤلفاً ، يجد بين دفاتها مقاطع وعبارات ذات دلالات تربوية واضحة ، وما النماذج التي وردت في المقدمة ، إلا مؤكدات على ذلك ، وأن لهذا الإمام العالم فكراً تربوياً تطرق فيه لقضايا تربوية عديدة :

١- ففي كتابه " وجوب التعاون بين المسلمين " تكلم عن أركان التربية والتعليم ، موضحاً أهم الأسس التي يجب أن يقوم التعليم عليها [(١)] .

٢- وفي كتابه " الجهاد في سبيل الله " أفاض في الحديث عن شباب الأمة، ووجوب الاهتمام بتربيتهم ، وبين أثر ذلك على مستقبل الأمة الإسلامية جمعاء .[(٢)]

٣- وفي كتابه " الرياض الناضرة والحدائق الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة " .

تكلم عن الوسائل والطرق الواجب على المعلمين اتباعها في تعليمهم

---

(١) السعدي ،عبد الرحمن بن ناصر ، وجوب التعاون بين المسلمين- المجموعة الكاملة / الثقافة الإسلامية ،عنيزة : مركز صالح بن صالح الثقافي ، ط٢ ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م ، ج ١ ص ٢٠٠ .

(٢) السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر ، الجهاد في سبيل الله- المجموعة الكاملة / الثقافة الإسلامية ، عنيزة : مركز صالح ابن صالح الثقافي ، ط٢، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م ، ج ١ ص ١٧٣ .

لعامة الناس على اختلاف طبقاتهم - وأن منها استغلال التجمعات العامة في المساجد والنوادي والمناسبات الأخرى [١] .

٤- وفي كتابه " بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار " .

أشار إلى أصول ((العشرة الزوجية وبيان الآداب التي يجب أن يتحلى بها كل من الزوجين تجاه الآخر ، وأكد على تربية النفس وتوطينها على ما يرد عليها من عموم المعاشرين ، مما يخالف رغبة الإنسان ، وأن ذلك مدعاة لحسن الخلق)) [٢] .

٥- وفي كتابه " المناظرات الفقهية "

بين السعدي في مقدمته أهمية المناظرة في باب التعليم ، وأنها ذات فوائد هامة يحسن بطالب العلم إدراكها ومعرفتها ، ليعظم أثر المناظرة في نفسه [٣] ولأجل بلورة موضوع البحث :

---

(١) السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر ، الرياض الناضرة والحدائق الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة - المجموعة الكاملة / الثقافة الإسلامية ، عنيزة : مركز صالح بن صالح الثقافي ، ط٢ ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م ، ج ١ ص ٤٣٨ .

(٢) السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر ، بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار - المجموعة الكاملة / الحديث ، عنيزة : مركز صالح بن صالح الثقافي ط٢، ١٤١٢هـ ،/ ١٩٩٢م ، ص ١٠٣ .

(٣) السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر ، المناظرات الفقهية (الفقه)- المجموعة الكاملة / الفقه ، عنيزة : مركز صالح بن صالح الثقافي ، ط٢ ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م ، ج٢ ص ١٩٤ .

أقول بأن هذه الأقوال التي ذكرتها والمقتبسة من مؤلفاته ، لها نظائر مثلها وأكثر ، وتدل بمجموعها على فكر تربوي ، ولكنها تحتاج إلى جمعها من بطون مؤلفاته ، ونظمها في بحث واحد لاكتشاف الجوانب التربوية عند السعدي .

أهمية الدراسة

إذا كان البحث في تراثنا الإسلامي له أهمية بصفة عامة ، فإن الكتابة في المجال التربوي له أهميته الخاصة ، نظراً للحاجة الماسة لتأصيل التربية عندنا وأن يقوم بناؤها على أساس من القرآن ، والسنة من أجل أن يتخرج أجيال المسلمين تحت مظلة تربوية إسلامية ، تعرفهم بحقوقهم وواجباتهم تجاه خالقهم أولاً ، ثم مع أنفسهم والناس ثانياً ، وتبرز أهمية هذه الدراسة من خلال العوامل التالية :

أولاً : مكانة الكتابة في التاريخ الفكري ، فعلم التراجم أحد العلوم التي سبق بها المسلمون غيرهم ، وتعتبر دراسة تاريخ علماء المسلمين جزء من التاريخ الفكري الإسلامي الذي لا ينكر وحيث أن هناك صفات وخصوصيات يمتاز بها كلُ مربٍ عن الآخر يمكن ربطها بملابسات عصره ، وسيذكر الباحث بعض ذلك ، مع الإشارة للصفات العامة التي يشترك فيها السعدي مع غيره من المربين ، وهذا مما يفيد منه الطالب في تعليمه باقتدائه بالسعدي في التعليم والتربية .

ثانياً : اشتهار السعدي بمؤلفاته العلمية القيمة ، التي تحوي الكثير من الأفكار التربوية ، وخاصة تفسيره المسمى بـ " تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان " .

وكتابه المسمى بـ " الفتاوى السعدية " حيث ألحق بنهايته رسالة خاصة بعنوان " فائدة تشتمل على نُبذ من آداب المعلمين

والمتعلمـين".

وكتاب " وجـوب التعـاون بـين المسـلمين " وكتـاب " الريـاض الناضرة " وكتاب " المناظرات الفقهية " وكتاب " الجهـاد في سـبيل الله " وكتاب " الدين الصحيح يحل جميع المشاكل " حيـث عـرض في الأخير تباين وجهات نظر الناس في بعض القضايـا الكـبرى ، ثـم يعقب أخيراً بهدي الإسلام لحل هذه القضايا .

ثالثاً : أن السعدي اشتغل بالتعليم والتدريس لمدة نصف قرن ، فلم يكتف بالتأليف ، فهـو مـرب قديـر تتلمـذ علـى يديـه عـدد مـن العلمـاء البارزين والذين يشغلون مناصب تعليمية عالية في المملكـة العربيـة السعودية ، ولهم مكانتهم العلمية ، وتوجيهاتهم التربوية في البلاد، فكان من الأولى الكتابة في فكر شـيخهم الـتربوي ، ومعرفـة أهـم الأطر المؤثرة فيه ، ليتسنى لمن بعده أخذ القدوة منه .

رابعاً : كثرة الدراسات العلمية ، والكتب المؤلفة في جوانب فكرالسـعدي مما يدل على مكانتـه العلميـة ، وكونـه ميدانـاً خصبـاً للعديـد مـن الدراسات العلمية المتعمقة في مجالات : العقيـدة التفسـير ، والدعـوة إلى الله ، والفقه وأصوله .

وهذه الدراسة الحالية تحاول تجلية الجانب التربوي في شخصية ذلك العالم الجليل نظراً لأن هذا الجانب من فكر السعدي لم تتصد له حتى الآن أي دراسة علمية مستقلة حسب إطلاع الباحث .

خامساً : الكتابة في فكـر السـعدي الـتربوي مما يسـهم في تـأصيل التربيـة

الإسلامية حيث أن ذلك العالم استقى علمه من معين القرآن والسنة، وعلَّم تلاميذه وربَّاهم على ذلك ، وظهرت ثمرات تعليمه في تلاميذه ومؤلفاته الكثيرة .

سادساً : إن جمع أفكار السعدي التربوية ، من بطون مؤلفاته ، ونظمها في مؤلف واحد مما يساعد على نشر فكره التربوي والإفادة منه في مجال التربية والتعليم ، فالمعلم يستفيد مما لدى السعدي من جوانب تعليمية وتربوية في سبيل تطوير العملية التعليمية ، وكذلك المتعلم فإنه يأخذ بالآداب والمعايير التي دعى السعدي طلاب العلم للأخذ بها والعمل بمقتضاها حتى يتسنى لهم تحصيل العلم النافع .

سابعاً : هذه الدراسة تلفت النظر إلى طريقة التربية والتعليم التي سلكها السعدي مع تلاميذه ، وخالف فيها معاصريه من المعلمين الآخرين مما يشجع على الأخذ بطريقة السعدي في التربية والتعليم لتطوير أساليب التعليم السائدة في مدارسنا المعاصرة .

تساؤلات الدراسة

تحاول هذه الدراسة أن تقدم إجابات مفصلة للأسئلة التالية :

س : ما هي أهم الأطر المؤثرة في فكر السعدي ؟

س: ما هي مقومات حياة السعدي الشخصية والعلمية والاجتماعية ؟

س: ما هي الأسس التي تقوم عليها التربية عند السعدي ؟

س: ما أهم الأهداف التي تسعى التربية لتحقيقها في النفس والمجتمع كما يراها السعدي ؟

س: بيان الميادين التي تقوم التربية فيها عند السعدي .

س: توضيح أهم الأساليب التربوية التي يسلكها المربي مع تلاميذه .

س: ما هي أهم المبادئ التربوية التي نادى بها السعدي في مؤلفاته ؟

س: ما هي مكانة العلم والتعليم في نظر السعدي ؟

س: ما أهداف التعليم عند السعدي ؟

س: ما الأساليب التعليمية التي دعى إليها السعدي ؟

س: ما هي ركائز شخصية المعلم الناجح عند السعدي ؟

س: ما الآداب الواجب على المتعلم الأخذ بها كما يراها السعدي ؟

مصطلحات الدراسة

أولاً : حيث إن كثيراً من المراجع الـواردة في هـذه الدراسـة مـن مؤلفـات السعدي وغيره تتميز بالعناوين الطويلة ، لهذا قـام البـاحث بإيرادهـا كمـا هي في المرة الأولى من ورودها ثم بعد ذلك يشير إليها البـاحث باختصـار لعنوانها حسب ما يؤدي الغرض لمعرفة المرجع ، وذلك لأجـل الاختصـار في هوامش الدراسة .

ثانياً : اعتمد الباحث في دراسته هذه على مؤلفات السعدي ، والتي طبعها مركز صالح بن صالح الثقافي بعنيزة تحت مسمى المجموعة الكاملة لمؤلفـات السعدي رحمه الله ؛ والتي تم تنسيقها حسب فنونها العلمية كما يلي :

١- قسم التفسير : ويشتمل على الكتب التالية :

أ- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان .

ب- القواعد الحسان لتفسير القرآن .

ج- تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن .

٢- قسم الحديث : ويشتمل على الكتب التالية :

أ- بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الإخيار في شرح جوامع الأخبار .

٣- قسم العقيدة : ويشتمل على الكتب التالية :

أ- القول السديد في مقاصد التوحيد .

ب- سؤال وجواب في أهم المهمات .

ج- التوضيح والبيان لشجرة الإيمان .

د- الدرة البهية شرح القصيدة التائية في المشكلة القدرية .

هـ- الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية .

و- توضيح الكافية الشافية .

٤- قسم الفقه : ويشتمل على الكتب التالية :

أ- رسالة لطيفة جامعة في أصول الفقه المهمة .

ب- القواعد والأصول الجامعة والفروق والتقاسيم البديعة النافعة .

ج- رسالة في القواعد الفقهية .

د- منهج السالكين وتوضيح الفقه في الدين .

هـ- المختارات الجلية من المسائل الفقهية .

و- الإرشاد إلى معرفة الأحكام .

٥- قسم الثقافة الإسلامية : ويشتمل على الكتب التالية :

أ- المواهب الربانية من الآيات القرآنية .

ب- فوائد مستنبطة من قصة يوسف .

ج- الجهاد في سبيل الله أو واجب المسلمين .

د- وجوب التعاون بين المسلمين وموضوع الجهاد الديني .

هـ- الدلائل القرآنية في أن العلوم والأعمال النافعة العصرية داخل في الدين الإسلامي .

و- الدرة المختصرة في محاسن الإسلام .

ز- الدين الصحيح يحل جميع المشاكل .

ح- الرياض الناضرة والحدائق الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة .

ط- طريق الوصول إلى العلم المأمول بمعرفة القواعد واضوابط والأصول .

ي- الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين .

ك- إنتصار الحق .

ل- تنزيه الدين وحملته ورجاله مما افتراه القصيمي في « أغلاله » .

م- الوسائل المفيدة للحياة السعيدة .

٦- قسم الخطب : ويشتمل على الكتب التالية :

أ- الخطب المنبرية على المناسبات .

ب- الفواكه الشهية في الخطب المنبرية .

ج- مجموع خطب الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي في المواضيع النافعة .

٧- قسم الفتاوى : ويشتمل على الكتب التالية :

أ- الفتاوى السعدية .

ب- حكم شرب الدخان .

الدراسات السابقة

قام الباحث بالمراجعة والاستقصاء في العديد من قوائم الرسائل الجامعية، ومراكز البحث العلمي : «كمركز البحوث التربوية والنفسية بجامعة أم القرى » و « مركز البحث العلمي بمدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية بالرياض » و« مركز مؤسسة الملك فيصل الخيرية للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض » و« المكتبة المركزية في جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض » و « المكتبة المركزية في جامعة أم القرى بمكة المكرمة » وذلك لأجل العثور على الدراسات أوالبحوث أوالمقالات التي تطرقت لتحليل الجانب التربوي عند السعدي ، فلم يجد الباحث دراسة علمية تختص بالفكر التربوي عند السعدي علماً بأنه كانت هناك عدد من الدراسات العلمية والكتب المؤلفة عن السعدي في جوانب العقيدة والدعوة والفقه عند السعدي وهي كما يلي :

أولاً : الدراسات العلمية عن الشيخ عبد الرحمن السعدي :

١- الدراسة الأولى :

وهي بعنوان " الشيخ عبد الرحمن السعدي حياته ، علمه ، منهجه في الدعوة إلى الله "، رسالة ماجستير مقدمه للمعهد العالي للدعوة الإسلامية بجامعه الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض - تقدم بها الطالب " عبد الله بن سعود العمار " عام ١٤٠٥/ ١٤٠٦هـ .

ويدور موضوعها في الجانب الدعوي عند السعدي ، مع الإشارة إلى

مؤلفاته وحياته الشخصية ، وقد قام الباحث باستنباط القضايا الدعوية عند الشيخ من خلال كتابه : « تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان » ولم يعرض لما في كتب الشيخ الأخرى .

٢- الدراسة الثانية :

وهي بعنوان " الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي مفسراً " ، رسالة ماجستير مقدمة لقسم القرآن وعلومه بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض عام ١٤٠٦/ ١٤٠٧هـ . قدمها الطالب " عبد الله بن سابح الطيار " .

وموضوع هذه الدراسة : تفسير السعدي " تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان " ودراسته دراسةً علمية لمعرفة مقدار الجهد الذي بذله فيه مؤلفه مع بيان ما أودع فيه مؤلفه من بيان لأسرار حكمة التشريع .

وقد أشار الطيار إلى أن دراسته تلك تهدف إلى :

[أ] إبراز ما للسعدي من أثر في خدمة كتاب الله .

[ب] دراسة حياة السعدي ومؤلفاته .

[ج] دراسة تفسيره على وجه الخصوص .

٣- الدراسة الثالثة :

وهي بعنوان : " الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي وجهوده في توضيح العقيدة " ، رسالة ماجستير مقدمة لقسم العقيدة بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة لعام ١٤٠٧ هـ ، قدمها الطالب " عبد الرزاق بن عبد المحسن العبّاد " .

وهذه الدراسة لبيان جهود السعدي في توضيح العقيدة الإسلامية وشدة عنايته بهذا الأمر ، وبيان " منهجه " في ذلك ، وأن رائده في كل أقواله وردوده إنما هي النصوص الصحيحة الصريحة من القرآن والسنة .

٤- الدراسة الرابعة :

وعنوانها " الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي منهجه وأثره في الدعوة إلى الله " بحث مكمل لنيل درجة الماجستير ، مقدم لقسم الدعوة والاحتساب بكلية الدعوة بفرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالمدينة المنورة، عام ١٤١٤هـ. قدمه الطالب " عبدالله بن محمد الرميان".

وجاءت هذه الدراسة لبيان ودراسة الجانب الدعوي في حياة السعدي، واستنباط الدروس والعبر من حياة الشيخ في الدعوة إلى الله عز وجل .

ثانياً : المؤلفات الخاصة عن السعدي :

السعدي شخصية علمية فذة ، ولهذا فقد كثرت فيه وحوله المؤلفات إضافة إلى الدراسات العلمية الآنفة الذكر .

وفيما يلي بيان بالكتب المؤلفة عن الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي:

١- الكتاب الأول :

" سيرة العلامة الشيخ عبد الرحمن الناصر السعدي " جمع وتقديم : محمد حامد الفقي - ط١- د . ت - مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة .

وهذا الكتاب عبارة عن مجموعة من المقالات لبعض العلماء والأدباء في وصف حياة السعدي العلمية والشخصية .

٢- الكتاب الثاني :

" أثر علامة القصيم الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي على الحركة العلمية المعاصرة " تأليف : عبد الله بن محمد الطيار - ط١ - ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م - دار ابن الجوزي - الدمام

تدور مباحث هذا الكتاب في بيان آثار السعدي على الحركة العلمية المعاصرة وهذه الآثار تتمثل في مؤلفاته وتلاميذه من بعده .

٣- الكتاب الثالث :

"صفحات من حياة علامة القصيم الشيخ عبد الرحمن الناصر السعدي" تأليف : عبد الله بن محمد الطيار - ط١- ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م - دار ابن الجوزي - الدمام .

تدور مباحث هذا الكتاب في وصف حياة الشيخ الشخصية ، والعلمية، وذكر ثناء العلماء عليه ، وما رُثي به من قصائد ، وغيرها .

الفصل الثاني

الأطر المؤثرة في فكر السعدي

المبحث الأول : الإطار الثقافي .

المبحث الثاني : الإطار السياسي .

المبحث الثالث: الإطار الاجتماعي .

المبحث الرابع : الإطار الاقتصادي .



المبحث الأول

الإطـــــار الثقـــــافي

الإطار لغـةً :

عرف الفيومي لفظة (الإطار) بقوله : ((الإطـار مثـل كتـاب ، لكـل شيء ما أحاط به ، وإطار الشفة اللحم المحيط بها)) [١] .

وفي القاموس المحيط : ((اتخاذ الإطار للبيت هو كالمنطقة حولـه ، ومـا أحاط بالظفر من اللحم ، والإطار ككتاب : الحلقة من النـاس ، وقضبـان الكَرْمِ تلتوي للتعريش وما يفصل بين الشفة وشعيرات الشارب ، وكل ما أحاط بشيء)) [٢] . يتضح مما سبق ذكره بأن الإطار يطلـق ويـراد بـه في المعنى اللغوي : المحيط بالشيء .

ويقصد به الباحث هنا : " ماأحاط بالسـعدي " مـن ثقافـة وماهـا مـن تأثير بيِّن في فكره ، وعلمه ،منذ نعومة أظفاره .

---

(١) الفيومي أحمد محمد ، المصباح المنير ، بيروت : ملك تبـة لبنـان ، ١٩٨٧م ، ص٧، مادة (أطر) .

(٢) الفيروز أبادي ، محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط ، بيروت ، مؤسسـة الرسـالة ، ط٢ ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧ م ، ص ٤٣٨ ، مادة (أطر) .

التعريف اللغوي للثقافة :

الثقافة في اللغة :

جاء في لسان العرب : ((ثقف الشيء ثقفاً وثقافاً وثقوفة : حذقه ، ورجل ثقِف ثقُف ، ثقْف : حاذق فهم ، ويقال : ثقِف الشيء وهو سرعة التعلم)) [١] .

وفي المصباح : ((ثَقِفْتُ الشيء ثقفاً من باب (تعب) أخذته ، وثقفت الرجل في الحرب أدركته ، وثقفته ظفرت به ، وثقفت الحديث فهمته بسرعة)) [٢] .

وفي التنزيل قوله تعالى : ﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ « سورة الأنفال ، الآية : ٥٧ » .

قال القرطبي : ((يقال : ثقفته أثقفه ثقفاً : أي وجدته ، وفلان ثقِف لقِف أي سريع الوجود لما يحاوله ويطلبه)) [٣] .

وعند قوله تعالى : ﴿ إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ

---

(١) ابن منظور ، محمد بن مكرم ، لسان العرب ، بيروت : دار صادر ، د . ت ، ج٩، ص١٩ ، (مادة ثقف)

(٢) الفيومي ، المصباح المنير ، ص ٣٢ (مادة ثقف) . (مرجع سابق)

(٣) القرطبي ، محمد بن أحمد الأنصاري ، الجامع لأحكام القرآن ، بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، ج ٨ ، ص ٣٠ .

أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴾ «سورة الممتحنة، الآية٢»، قال القرطبي : ((﴿ إِنْ يَثْقَفُوكُمْ ﴾ يلقوكم ويصادفوكم ، ومنه المثاقفة أي طلب مصادفة الغرة في المسايفة وشبهها ، وقيل : ﴿ يَثْقَفُوكُمْ ﴾ يظفروا بكم ويتمكنوا منكم)) [١] .

وبهذا فالثقافة تطلق ويراد بها في اللغة عدة معانٍ منها : الحذق والفهم وسرعة التعلم والفهم للشيء ، كما يراد بها سرعة العثورعلى الشيء والظفر به والتمكن من الشيء .

التعريف الإصطلاحي :

أما معنى الثقافة اصطلاحاً فإنها تطلق ويراد بها ((الكلُّ المركبُ الذي يتضمن المعارف والعقائد والفنون والأخلاق والقوانين)) [٢] .

ويعرفها أحمد شلبي بقوله : ((هي الرقي في الأفكار النظرية ، وذلك يشمل الرقي في القانون والسياسة ، والإحاطة بقضايا التاريخ المهمة ، والرقي كذلك في الأخلاق أو السلوك)) [٣] .

كما يعرفها الخطيب بأنها : ((مجموعة من " الصفات الخلقية " ،

---

(١) القرطبي ، (المرجع السابق) ، ج ١٨ ، ص ٥٤ .

(٢) العمري ، ناديه شريف ، أضواء على الثقافة الإسلامية ، بيروت ، مؤسسة الرسالة، الخامسة ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م ، ص ١٤ .

(٣) شلبي ، أحمد محمد ، موسوعة النظم والحضارة الإسلامية - الفكر الإسلامي ، القاهرة : مكتبة النهضة ، ط٦ ، ١٩٧٨م ، ج٢ ص ١٩ .

" والقيم الاجتماعية " التي يتلقاها الفرد منذ ولادته كرأس مال أوّلي في الوسط الذي ولد فيه ، والثقافة على هذا هي " المحيط " الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته)) [١] ، فالثقافة تعني ما يتلقاه الإنسان ، ويحيط به في مجتمعه الذي ولد فيه من قيم وآداب اجتماعية وأخلاقية وقد تكون نابعة من عقيدته ودينه الذي عليه نشأ ، وفي محيطه تربى ، وقد تكون من عادات قومه .

فالثقافة تعتبر ((نظرية في (السلوك) أكثر من أن تكون نظرية في المعرفة)) [٢] .

فمضمون الثقافة يعني أنها ، تعديل السلوك ، فهي تتعلق بالجانب الذاتي للإنسان في جوانبه الخلقية ، والنفسية والإجتماعية .

والثقافة الإسلامية هي التي ترتكز على عقيدة الإيمان با لله ربا ً ، وبالإسلام ديناً وشريعةً ، وبمحمد صلى ا لله عليه وسلم نبياً ورسولاً ، فهي محفوظة باقية لحفظ ا لله لهذه العقيدة كما قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ « سورة الحجر ، الآية: ٩ »، فالثقافة الإسلامية تتركب من عنصرين مهمين هما :

---

(١) الخطيب ، عمر عودة ، لمحات في الثقافة الإسلامية ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ط١٢ ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م ، ص٤٨ .

(٢) زرزور ، عدنان ، بصائر في الثقافة والحضارة ، بيروت : المكتب الإسلامي ، الثانية ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢م ، ج ١ ص ٢٠ .

((عنصر اللغة العربية باعتبارها وعاء هذه الثقافة ، والمعبرة عنها ، وعنصر الإسلام باعتباره المضمون الفكري ، والمعيار التقويمي لهذه الثقافة)) [(١)] .

فالثقافة الإسلامية تقوم على عقيدة التوحيد ، وشريعة الإسلام ، فهي بذلك تمتاز عن ماسواها من الثقافات الأخرى بمميزات من أهمها :

١- الربانية في مصدرها : فهي تقوم على القرآن والسنة ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ « سورة البقرة الآية : ٢١ » فصفة الربانية تكسبها الخلود والبقاء حتى قيام الساعة قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ « سورة الحجر ، الآية : ٩ » .

٢- الثبات وعدم التغير والتبدل مع إمكانية التجدد داخل الإطار الشرعي: ((إن الثقافة الإسلامية بقابليتها للتجدد ضمن إطار الثوابت التي ثبتها القرآن والسنة ، وبتفاعلها مع الأحداث العالمية ، والمشكلات الإنسانية المعاصرة يمكن أن تسهم إسهاماً كبيراً في تقديم نماذج إنسانية مثالية ، وفي تغذية الحضارات والثقافات الأخرى بنفحة إنسانية أخلاقية إيجابية هي من أهم مميزاتها ، ومن نتائج أسسها

---

(١) المبارك ، محمد ، بين الثقافتين الغربية والإسلامية ، بيروت : دار الفكر ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ، ص ١٣٩ .

العقائدية ومستلزماتها))[١] .

٣- الشمول : فالثقافة الإسلامية تمتاز بالشمول في الاعتقاد وهوالذي يتمثل ببيان حقيقة التوحيد الذي يعطي الموحد التفسير المفهوم الواضح لوجود هذا الكون ابتداءً ، ولكل حركة فيه ، كما يعطينا التفسير الواضح الوافي لكل ظاهرة من ظواهر الحياة ونشوئها وتكوينها ، وتكوين الإنسان من عقل وجسم وروح [٢] .

٤- التوازن : إن كل مجالات الثقافة الإسلامية المبنية على عقيدة التوحيد تحكي التوازن في مجال الإيمان بالغيب ، والإيمان بعالم الشهادة ، والتوازن يكون في الجمع بين الدين والدنيا ويصور السعدي ذلك التوازن بقوله : ((ما جاء به الدين الإسلامي الذي هذب العقائد عن الشرك والوثنيات وهذب الأخلاق عن كل خلق رذيل ، وهذب الأعمال والآداب حتى استقامت بها الأمور، وصلحت بها الأحوال، وجمعت بين الدين والدنيا ، وبين تقويم المعنويات النافعة والماديات المعينة عليها)) [٣].

---

(١) المبارك ، (المرجع السابق) ، ص ١٤٤ .

(٢) العمري ، اضواء على الثقافة الإسلامية ، ص ٣٠ . (مرجع سابق)

(٣) السعدي عبد الرحمن بن ناصر ، الدلائل القرآنية في أن العلوم والأعمال النافعة العصرية داخل في الدين الإسلامي -المجموعة الكاملة / الثقافة الإسلامية ، عنيزة: مركز صالح بن صالح الثقافي ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م ، ج١ ص ٢٩٧ ، ٢٩٨ .

والثقافة الإسلامية محدودة في إطار إخلاص العبادة لله تعالى وتحقيق المتابعة التامة للرسول محمد صلى الله عليه وسلم في القول والعمل ، فما كان جائزاً أو واجباً في الإسلام فهو من مقومات الثقافة الإسلامية ، وما كان مكروهاً أو محرماً في الإسلام فهو ليس من مقومات الثقافة الإسلامية.

ففي الإسلام لايمكن إباحة الحرام باسم الثقافة ، فالحدود الشرعية ، والأحكام الإلهية هي الأطر التي تقوم من داخلها الثقافة الإسلامية التي هذبت العقائد عن الشركيات ، وهذبت الأخلاق عن الرذائل ، وهذبت الأعمال والآداب حتى استقامت بها الأمور .

والشارع يبين المفهوم الشامل للدين والذي عليه تنبني الثقافة الإسلامية، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « **ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً وعلى كتفي الصراط سوران ، فيهما أبواب مفتحة وعلى الأبواب ستور مرخاة وعند الصراط داع يدعو يقول: أيها الناس اسلكوا الصراط جميعاً ولا تعوَّجوا ، وداع يدعو على الصراط ، فإذا أراد أحدكم فتح شيء من تلك الأبواب قال : ويلك لا تفتحه ، فإنك إن تفتحه تلجه فالصراط الإسلام ، والستور حدود الله ، والأبواب المفتحة محارم الله والداعي الذي على رأس الصراط كتاب الله ، والداعي من فوق واعظ الله يذكر في قلب كل مسلم** » رواه الحاكم

في مستدركه ، وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجه [١] .

فالثقافة الإسلامية تتقيد في نطاق المباح المشروع إيجابياً بفعله ، والمكروه المحرم سلبياً بتركه ، مما يقوي الصلة بين الخالق والمخلوق ، وإحسان العلاقة بين العبد وربه ، وبين الإنسان وبني جنسه ، وبهذا تتوحد " وجهة " الثقافة في الإسلام في سبيل توثيق عرى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ، حلوه ومره .

وبهذا التوّحد للثقافة الإسلامية في مجالات الإنسان النفسية والاجتماعية والأخلاقية ، يسلم ذلك الإنسان من غائلة التناقض والتنافر ، فينشأ الفرد المسلم في ظل ثقافة الإسلام مطمئن النفس، هادئ الضمير ، لا تلتبس عليه القضايا ، ولا تتنازعه المواقف المتضاربة في توجهاتها .

ولقد وجه الإسلام الثقافة في سبيل إصلاح أفراد المجتمع الإسلامي عبر المجالات التالية :

أولاً : الثقافة الروحية :

اهتم الإسلام بتزكية النفس وتربية الروح على دوام المراقبة لأوامر الله عز وجل والوقوف عند نواهيه وحدوده ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا

---

(١) الحاكم ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله ، المستدرك على الصحيحين، بتحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، بيروت : دار الكتب العلمية ، الأولى ، ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م ، ج ١ ص ١٤٥ .

لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولا﴾ « سورة الإسراء ، الآية : ٣٦ » ، وقوام هذه الثقافة الإتيان بشعائر التعبد من صلاة وصيام ، وأذكار ، وتلاوة للقرآن ، ففي الحث على مداومة الوضوء ، وكثرة إفشاء السلام مع الناس ، وأهل البيت ، وتأدية ركعتي الضحى ، والرحمة بالصغير ، والتوقير والاحترام للكبير تتزكى النفس المسلمة وتسمو، قال أنس بن مالك ﷺ : أوصاني رسول الله ﷺ قال : « **يا أنس ، أسبغ الوضوء يزد في عمرك ، وسلم على من لقيت من أمتي تكثر حسناتك ، وإذا دخلت بيتك فسلم على أهل بيتك يكثر خير بيتك ، وصل صلاة الضحى ، فإنها صلاة الأوابين ، وارحم الصغير ، ووقر الكبير تكن من رفقائي يوم القيامة** » رواه الطبراني [(١)] ، وفي فضل الصلاة يقول الرسول ﷺ : « **لايوطئن أحدكم المساجد للصلاة إلا تبشبش الله به من حيث يخرج من بيته كما يتبشبش اهل الغائب بغائبهم إذا قدم عليهم** » رواه الحاكم، وقال : صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه [(٢)] ، وقال عليه الصلاة والسلام : « **من حين يخرج**

---

(١) الطبراني ، أبو القاسم سليمان بن أحمد ، المعجم الأوسط ، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني ، القاهرة : دار الحرمين ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م ، ج ٥ ص ٣٢٨ .

(٢) الحاكم ، المستدرك على الصحيحين ، ج ١ ص ٣٣٢ . (مرجع سابق)

أحدكم من منزله إلى مسجده فرجل تكتب حسنة وأخرى تمحو سيئة » رواه الحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجه [١] ، فهذه النصوص من أحاديث المصطفى عليه الصلاة والسلام تربي ضمير المسلم على دوام مراقبة الله عز وجل في كثرة المجيء للمساجد تعبداً لله عز وجل ، والإكثار من الصلوات المفروضة والتطوع منها بقصد طلب الثواب وكثرة القيام بالصلوات المفروضة والنافلة لأجل التقلل من الذنوب حيث إنها تمحو عن المسلم مع خطواته إلى المساجد فبقدر ما يكثر من ذهابه للمساجد يكثر المحو لهذه الذنوب كما ورد في الحديث ، ومتى ماتربى المسلم على مراقبة الله عز وجل في كل ما يأتي وما يذر ، عند ذلك تعتدل سيرته وتستقيم سريرته ، فيعيش حياته على وفق طاعة الله ومرضاته، وبذلك تسمو " ثقافة المسلم " الروحية فتصبح معيناً لا ينضب، بها يتقوَّم سلوكه الظاهر وشعوره الباطن ، فتنقلب حركاته وسكناته وخطراته كلها وفق طاعة الله ومرضاته .

ولأهمية هذه الثقافة الروحية في الإسلام ، فالشارع الحكيم جعل مدار صلاح الأعمال وفسادها مبنياً على ما تكنه الضمائر من إخلاص لله وحده كما قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ

---

(١) الحاكم ، (المرجع السابق) ، ج١ ص ٣٣٨ .

رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ « سورة الكهف ، الآية : ١١٠ » .

وقال رسول ﷺ : « **من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة** » رواه البخاري [١] ، فإصلاح المقاصد والأعمال من أهم المزكيات للروح ، ومدار الأعمال من حيث القبول والرد على حسب مقصود هذا الحديث.

فالثقافة الروحية قوامها تصحيح المقاصد ، وتصحيح العبادات القولية والعملية ، وبذلك تنموالثقافة الروحية وتتزكى ، ولهذا اهتم علماء المسلمين بهذه الثقافة الروحية ، وعقدوا الدروس واللقاءات الثقافية لبيان أهميتها ومكانتها في حياة المسلم .

ثانياً : الثقافة الفكرية :

تهدف الثقافة الفكرية في الإسلام إلى تعويد الفكر الإنساني على أساليب التفكير والتدبر والتبصر في آيات القرآن الكريم ، وأحاديث الرسول الكريم ﷺ ، حتى يتسنى للمسلم السير وفق مرادات ا لله ورسوله من ذلك الإنسان ، فيلبي حاجات نفسه ومجتمعه ، كما ورد في القرآن والسنَّة ، فيقوم المسلم بإعمال فكره في آيات ا لله في الآفاق والأنفس حتى يستجلي بذلك التفكير المنهج الإسلامي المناسب لمتطلبات عصره ، وحل مشكلات مجتمعه بشرط أن يكون ذلك الاستنباط الفكري

(١) البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل ، صحيح البخاري بحاشية السندي ، بيروت : دار المعرفة ، د . ت ، ج ١ ص ٣٧ .

مبنياً على الفهم الصحيح لنصوص القرآن والسنة مع الإسترشاد بأقوال وأراء السلف من علماء هذه الأمة وأن يكون ذلك " الفهم والتدبر " متوافقاً مع المدلول اللغوي لهذه الآيات والأحاديث فلا يستقل المفكر المسلم بفكره بعيداً عن فهم السلف الصالح للآيات والأحاديث ، كما لا يستقل بفكره عن المعنى اللغوي للكلمة الواردة في القرآن والسنّة فاللغة العربية هي المحكم عند التنازع في فهم المعنى المقصود من هذه الآية ، أو ذاك الحديث ، إذا لم يرد في القرآن والسنة ما يفسرها .

وهذه الثقافة الفكرية يتولد منها ، وينتج عنها ، الإدراك الصحيح لمعنى العبودية لله وحده ، بمعرفة آثار هذه العبودية على حياة الناس بحيث تنقل الفرد المسلم من حيز التواكل والخمول والسلبية إلى حيز التوكل على ا الله والإستعانة به ، وبذل الجهد والطاقة في سبيل الصلاح والإستصلاح ، كما تنقل المسلم من ضيق التقليد والتبعية الفكرية ، إلى سعة الإبداع والتفكير والاستنباط والإبتكار ، فهذا مضمون الثقافة الصحيحة ، والتهذيب النافع الذي جاء به الإسلام كما ذكره السعدي [1].

ثالثاً : الثقافة العامة :

الإسلام أوجد القنوات الثقافية الاجتماعية الثابتة من أجل القيام بواجب التثقيف العام لأبناء المجتمع الإسلامي عامة ، بحيث ينال كل فرد في المجتمع حظه من تلك الثقافة من خلال ما تقوم به المساجد من تثقيف

---

(١) السعدي ، الدلائل القرآنية ، الكاملة/ الثقافة ، ج ١ ص ٢٩٧ . (مرجع سابق)

هادف عام ، فهذه المساجد : فيها تقام الصلوات المفروضة عينياً " الفجر ، الظهر ، العصر ، المغرب ، العشاء " كما تقام الصلوات المفروضة فرضاً كفائياً " صلاتي العيدين ، صلاة الاستسقاء ، صلاة الكسوف " وهذه الصلوات لا بد فيها من قراءة القرآن الكريم بخشوع وتدبر حيث فيه العلم الشرعي كله، فالمسلم يتدبر ويتذكر ويتعلم في هذه الصلوات، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْءَانُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ « سورة الأعراف ، الآية : ٢٠٤ » وقال تعالى : ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ « سورة الإسراء الآية : ٧٨ » ، ويتخلل هذه الصلوات الأحاديث ، والمواعظ القبلية والبعدية ، والتي يقوم بها الإمام والناس من حوله يستمعون ، تلك المواعظ والأحاديث تكون غالباً شاملة لكافة النواحي المفيدة للمسلم في حياته ، ومعاده ، وهناك الخطب المنبرية التي يُلقيها الخطيب على المنبر ، حيث يراه جمهور المصلين ، ويسمعونه ، نظراً لبروز وعلو مكانه " المنبر " ، وقد بين الرسول ﷺ الغاية من وضع المنبر ، ففي الحديث الذي يرويه مسلم في صحيحه : « **أن نفراً جاءوا إلى سهل ابن سعد قد تماروا في المنبر من أي عود هو فقال : أما وا الله إني لأعرف من أي عود هو ومن عمله ، ورأيت رسول ا الله ﷺ أول يوم جلس عليه ، قال فقلت له : يا أبا عباس فحدثنا ، قال : أرسل رسول ا الله ﷺ إلى امرأة – قال أبو حازم : إنه ليسميها يومئذ – انظري غلامك النجار يعمل لي أعواداً أكلم الناس عليها ، فعمل هذه الثلاث**

درجات ثم أمر بها رسول الله ﷺ فوضعت هذا الموضع فهي من طرفاء الغابة ، ولقد رأيت رسول الله ﷺ قام عليه فكبر وكبر الناس وراءه وهوعلى المنبر ثم رفع فنزل القهقرى حتى سجد في أصل المنبر ثم عاد حتىفرغ من آخر صلاته ثم أقبل على الناس فقال : ياأيها الناس إني إنما صنعت هذا لتأتموا بي ولتعلّموا صلاتي » [(١)] ، فالمنبر الغاية منه تبليغ الناس المواعظ والأحكام بالقول والفعل كما فعل الرسول ﷺ ، والمسلم مأمور بالإنصات في الاستماع لهذه الخطب ، فلا يتكلم مع أحد أبداً كما قال رسول الله ﷺ : « **من غسل واغتسل ثم غدا وابتكر فجلس من الإمام قريباً فاستمع وأنصت كان له بكل خطوة أجر سنة صيامها وقيامها** » رواه الحاكم ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه [(٢)] ، فإذا صعد الإمام المنبر وبدأ خطبته وجب على عموم المصلين تمام الإنصات والخشوع حتى يتسنى لهم الاستفادة التامة من الخطبة حيث يلقي الخطيب من خلالها الدروس العلمية والمواعظ الدينية ، فتارةيتكلم عن التربية العقدية من وجوب الإيمان با لله وحده رباً، والتصديق بملائكته ورسله وكتبه واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره ، كما جاء في الحديث « **قال فأخبرني عن الإيمان ، قال : أن تؤمن با لله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره** »

---

(١) مسلم ، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، صحيح مسلم بشرح النووي ، بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ط١ ، ١٣٤٧هـ / ١٩٢٩م ، ج ٥ ص ٣٤، ٣٥ .

(٢) الحاكم ، المستدرك على الصحيحين ، ج ١ ص ٤١٨ . (مرجع سابق)

رواه مسلم [١] ، وتارة يتكلم عن التربية الاجتماعية من وجوب صلة الأرحام وبذل الخير للغير ، والتعاون على البر والتقوى كما قال رسول الله ﷺ : « **مامن يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقاً خلفاً ، ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكاً تلفاً** » رواه مسلم [٢] وقوله عليه السلام : « **على كل مسلم صدقة . قيل أرأيت إن لم يجد ؟ قال : يعتمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق . قال : قيل : أرأيت إن لم يستطع؟ قال : يعين ذا الحاجة الملهوف . قال : قيل له : أرأيت إن لم يستطع ؟ قال : يأمر بالمعروف أو الخير قال : أرأيت إن لم يفعل ؟ قال : يمسك عن الشر فإنها صدقة** » [٣] ، وتارة يتكلم في التربية الصحيَّة ، حيث يتكلم عن أهمية الوضوء ، والدعوة إلى النظافة والاهتمام بها ، والأمر بالاقتصاد والنهي عن التبذير ، وهكذا تكون خطب الجمعة بمثابة مواطن الإشعاع الثقافي لعامة أفراد المجتمع الذين يحضرون هذه الخطب من الذكور والإناث ، والصغار والكبار ، ((وفي خطبةٍ نجلس إليها منصتين فنتعلم ، ومفتاح العلم يؤدي للاستزادة منه ، فيطلب العلم بعد ذلك فيجد بابه مفتوحاً في مواعظ المساجد ودروسها ، وفي سؤال الإمام وجوابه ، فإذا تعلم العلم النافع فانقاد إليه تحسن سلوكه، وترشد في عمله واعتقاده ، فإذا أحب ذلك نقل العلم إلى بيته فعلَّمه

---

(١) مسلم ، صحيح مسلم بشرح النووي ، ج ١ ص ١٦٥ . (مرجع سابق)

(٢) مسلم ، (المرجع السابق) ، ج ٧ ص ٩٥ .

(٣) مسلم ، (المرجع السابق) ، ج ٧ ص ٩٤ .

زوجه وولده))[١] ، بهذه الصفة يؤدي المسجد عمله في المجتمع الإسلامي، ويقوم بتثقيف أبناء المجتمع الذين يحضرون للمساجد وجوباً وإلزاماً من الشارع الحكيم لتأدية الصلوات المفروضة ، فيحضرون الخطب والمواعظ والدروس التي تمنحهم الثقافة الإسلامية بكافة جوانبها الفكرية والروحية والعامة ، وبعد ذلك يخرجون من المساجد بهذا القدر الكبير من الثقافة الإسلامية الإلزامية ، وفي الإسلام منذ بلوغ الطفل العاشرة وهو ملزم بحضور المساجد وأداء الصلاة جماعة مع المسلمين فيها قال عليه الصلاة والسلام : « **مروا الصبيان بالصلاة لسبع سنين ، واضربوهم عليها في عشر سنين ، وفرقوا بينهم في المضاجع** » رواه الحاكم[٢] ، فمنذ بلوغه سن العاشرة من عمره وهو مطالب بإقامة الصلاة جماعة مع المسلمين في المساجد ، ومن ثم التثقف من مواردها العلمية في الخطب ، والمواعظ ، والدروس ، فيخرج الصغير والكبير ، والرجل والمرأة بالثقافة الإسلامية من كافة جوانبها الروحية والفكرية والعامة .

والشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ولد عام ١٣٠٧هـ بمدينة عنيزة في مقاطعة القصيم بنجد [٣] .

نهل من معين هذه الثقافة بكافة جوانبها الروحية والفكرية والعامة ،

---

(١) نور الدين ، محمد صفوت ، « الأسرة والمسجد » ، مجلة التوحيد ، عدد ٥ ، ١٤١٧هـ ، ص ٤ .

(٢) الحاكم ، المستدرك على الصحيحين ، ج١ ص٣١٢ . (مرجع سابق)

(٣) القاضي ، روضة الناظرين ، ج١ ص٢٢٠ . (مرجع سابق)

عبر المساجد التي تقوم بذلك الدور الاجتماعي بكل نشاط ، حيث الدروس تعقد في هذه المساجد قبل الصلوات ، وبعدها فهناك دروس تقام بعد صلا ة الفجر والعصر والمغرب وهناك دروس تقام قبل صلاة العشاء .

ومن هذه الدروس ما هو خاص بفئة طلبة العلم البارزين الذين نذروا أوقاتهم لطلب العلم وتحصيله ، ومن هذه الدروس ما هو عام في المواعظ والآداب والأحكام ويحضره عامة الناس كما في الدروس المقامة قبل صلاة العشاء ، وبعد صلاة العصر ، فالسعدي نشأ على هذه الثقافة الإسلامية المقامة في المساجد والتي كانت مستمرة استمرار الصلوات الخمس في تلك المساجد ، ولاتتوقف إلا لعذر طارئ للشيخ الذي يتولى التدريس فيها ، ونظراً لأن بلاد نجد لم تدنسها قدم المستعمر كما سيتضح ذلك في مبحث لاحق إن شاء الله ، حيث لم تتدنس بدخول الاستعمار إليها ، لهذا ظلت ثقافة تلك البلاد طاهرة نقية بعيدة عن الشوائب التي خالطت الثقافة الإسلامية في البلدان الأخرى.

وهناك مؤثرات ثقافية أخرى كان لها تأثير على السعدي ، مما كون لديه ذلك التوجه العلمي منذ حداثة سنه ، ومن هذه المؤثرات ما يلي :

المؤثر الأول : بيئته الأسرية :

الأسرة تعتبر المحضن الأول للمولود ، ومنها يستقي توجهاته وتصوراته عن كل ما حوله ، قال عليه الصلاة والسلام : « **ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ، ثم يقول أبو هريرة** ﵁ :

فطرة الله التي فطر الناس عليها » رواه البخاري ومسلم واللفظ للبخاري [١].

((فوالد السعدي وهو الشيخ ناصر بن عبد الله السعدي ، ولد في عنيزة عام ١٢٤٤هـ وبها توفي عام ١٣١٤هـ ، حفظ القرآن وطلب العلم على علماء بلده وتولى إمامة أحد المساجد ، وكان كاتباً للوثائق وعقود الأنكحة)) [٢] وكذلك هناك الأخ الأكبر للسعدي هو حمد ، والذي قام برعاية أخيه عبد الرحمن ، ويصف القاضي حمد السعدي بقوله : ((كان رجلاً صالحاً ، صاحب عبادة واستقامة ، وهو الذي قام برعاية أخيه عبد الرحمن منذ صغره ، وقد عمر حمد طويلاً حيث توفي عام ١٣٨٨هـ ، وقد قارب المائة)) [٣] ، فهذه أسرته المحيطة به ، والتي عاش بين أفرادها، وتأثر بأخلاقهم وآدابهم وأعمالهم ، فللأسرة في الابن الأثر البالغ ، والله عز وجل يحفظ الابن ويصلحه لوالده الصالح ، حتى ولوعاش ذلك الابن يتيماً ، مصداق ذلك قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾ «سورة الكهف ، الآية : ٨٢ » .

---

(١) البخاري ، صحيح البخاري بحاشية السندي ، ج ١ ص ٢٣٥. (مرجع سابق)

(٢) القاضي ، روضة الناظرين ، ج ٢ ص ٣٦٩ . (مرجع سابق)

(٣) القاضي ، (المرجع السابق) ، ج ٢ ص ٣٧٠ .

المؤثر الثاني : مشايخه :

السعدي تتلمذ على ثلة من العلماء البارزين في شتى العلـوم الشـرعية ، والذين لم يكتفوا بالعلوم التي حصلوها في بـلاد نجد علـى أيـدي علمائهـا المنتشرين في مساجدها ، بل قاموا بالرحلة في طلب العلم والتزود منه ، في بلاد الشام ، ومصر ، والهنـد ، والعـراق ، والكويـت ، فكـان أن أخـذوا العلـم علـى أيـدي علمـاء تلـك البـلاد ثـم عـادوا إلى بلادهـــم ، وقـــاموا بالتدريس في مساجدها وقد أخذ الشيخ عبد الرحمن السعدي العلم عنهم، واستفاد من علومهم التي رحلـوا في تحصيلهـا وتلـك نعمـة الله عـز وجـل على السعدي خصوصاً حيث هيـأ لـه مـن يجلـب لـه علـوم تلـك البلـدان ويعلمها إياه دون مشقة السفر وعنـاء الرحلـة في طلـب العلـم وتحصيلـه ، حيث كان هؤلاء العلماء يلقون دروسهم في المساجد وكان الواحد منهـم لا يقتصر على تدريس فن واحد من فنون العلم بل إن أقلهم الذي يـدرس ثلاثة فنون ، وهـذا يعطـي انطباعـاً واضحـاً عـن شموليـة العلـم ، وتكـامل فنونه، ما كان منها في المقاصد كعلم الفقه والتوحيـد والحديـث والتفسـير وماكان منها في الوسائل كعلم النحو والأدب ومصطلح الحديث وأصـول الفقه ونحوها ، فالسعدي استفاد من هؤلاء المشايخ الذيـن نقلـوا لـه علـوم تلك البلدان فجدَّ السعدي في طلب العلـم علـى أيديهـم ممـا أثـرى ثقافتـه وتوجهـه العلمي ، وسيـأتي مزيـد بيـان وإيضـاح لمشايـخـه فـي مبحـث « شيوخه » من الفصل الثالث ، المبحث الثالث في هذه الدراسة .

المؤثر الثالث : بيئته الاجتماعية :

الواقع الاجتماعي الذي عاصره السعدي (١٣٠٧هـ - ١٣٧٦هـ) له تأثيره الواضح على سيرة السعدي العلمية .

فالدولة السعودية اقترن قيامها بقيام الدعوة السلفية التي نادى بها الإمام محمد بن عبد الوهاب " ١١١٥هـ - ١٢٠٦هـ / ١٦٩٥م - ١٧٨٦م " حيث تعاهد وتعاقد الإمام محمد بن عبد الوهاب مع الأمير محمد بن سعود عام " ١١٥٧هـ - ١٧٣٧م " على التناصر فيما بينهما ونصرة دين الله وإقامة كيان الدولة السعودية على أساس من التقوى فقام الأمير محمد بن سعود بمناصرة الإمام محمد بن عبد الوهاب ومنذ تلك المناصرة ، أصبح الأمير يلقب بالإمام محمد بن سعود وتوارث أبناؤه ذلك اللقب من بعده عاماً بعد عام ، حيث حرصوا على مناصرة الدعوة السلفية الوهابية ، واعتبارها مرجعية علمية للدولة السعودية في دورها الأول ، وهكذا سار بقية أمراء الدولة السعودية الثانية على ذلك الارتباط والتناصر فيما بينهم وبين هذه الدعوة وعلمائها ، وفي مطلع القرن الرابع عشر الهجري ، قامت الدولة السعودية في دورها الثالث على يد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود سنة ١٣١٩ هـ فسارت على نهج السابقين من الدولة السعودية " الأولى والثانية " في احترام الدعوة السلفية وتقدير علمائها .

فللعلم والعلماء مكانة رفيعة عند الملك عبد العزيز ، ومما يبين ذلك الاهتمام بالعلم والتعليم ، أمره بافتتاح دار التوحيد والتي ((بدأ الإعداد لها عام ١٣٦١هـ ، عندما أرسل الملك عبد العزيز للشيخ محمد بهجة البيطار بالحضور ليؤسس المدرسة ، ولم تسمح له ظروفه بالاستجابة السريعة ثم حضر في حج عام ١٣٦٢هـ ، وقابل في الرياض الملك عبد العزيز وجرت معه المذاكرة في أمر المدرسة ، كما جرت قبلها مذاكرة مع سماحة مفتي المملكة العربية السعودية الشيخ محمد ابن إبراهيم آل الشيخ وكبار العلماء ، حيث أطلعهم الملك عبد العزيز على ما اهتم به وأعد العدة له)) [(١)] ، فافتتاح هذه المدرسة تحت ذلك الإسم " دار التوحيد " يوضح مدى إهتمام وإلتزام الملك عبد العزيز بذلك المسمى وهو "التوحيد" فإن ((اسم هذه المؤسسة العلمية يقترن بعقيدة التوحيد ، الأمر الذي يدل على أنه المشروع الضروري بعد عملية توحيد المملكة وذلك لخدمة الدعوة والنهوض بها على المستوى العام المتداخل مع أنظمة الدولة ووظائفها تجاه المجتمع ، كما كانت سمة الإعداد التعليمي لطلاب " دار التوحيد " سمة دينية جاءت لخدمة الدين واللغة كإعداد قضاة ومدرسين للعلوم الدينية والعربية ، وهذا ماتحقق ونلمسه في القاعدة العريضة من خريجي الدار في : هيئة كبار العلماء ، ومجلس القضاء الأعلى ، وهيئات

---

(١) الصيني ، عثمان بن محمد وآخرون ، « خمسون عاماً على تأسيس دار التوحيد »، مجلة الدارة عدد ٣ (١٤٠٦هـ) ص ١٤٣ ، ١٤٤ .

التمييز ، والمحاكم الشرعية ، والجامعات ، والمدارس ، وسائر القطاعات الحكومية والأهلية)) [(١)] .

كما اهتم الملك عبد العزيز اهتماماً خاصاً بطبع الكتب وتوزيعها مجاناً ، خصوصاً الكتب التي تهتم بالتوحيد ، أو ألفها علماء الدعوة السلفية النجدية يقول الشيخ حمد الجاسر : ((إن عناية الملك عبد العزيز – رحمه الله – بنشرالكتب المتعلقة بإيضاح الدعوة السلفية والرد على معارضيها بدأت في عهد مبكر من حكمه حين كانت صلة نجد " بالهند " أقوى من صلتها بغيرها من البلاد التي توجد بها مطابع ، ولذلك كانت أولى مطبوعاته تطبع في الهند)) [(٢)] ومن الكتب التي قام الملك عبدالعزيز بطبعها في مطبعة المنار بالقاهرة ما يذكره الشيخ حمد الجاسر بقوله : ((إنه في عام ١٣٤٠هـ بَدْأُ طبع الكتب في القاهرة على نفقة الإمام عبد العزيز – رحمه الله – في مطبعة المنار ، وأن ذلك استمر فترة من الزمن تم في أثنائها طبع مجموعة من أشهر المؤلفات : كتفسير ابن جرير الطبري ، وتفسير البغوي ، وكتاب المغني في الفقه ، وكتاب الشرح الكبير لابن قدامة المقدسي ، وكتب أخرى في الحديث والتوحيد » [(٣)] ، وعندما طبع الملك عبد العزيز كتاب " المغني ، والشرح الكبير " طبعته الأولى ، كتب

---

(١) الصيني ، (المرجع السابق) ، ص ١٧٧ .

(٢) الرفاعي ، عبد العزيز بن أحمد ، « عناية الملك عبد العزيز بنشر الكتب » ، مجلة الدارة ، عدد ٤ ، (١٤٠٦ هـ) ص ٦٥ .

(٣) الرفاعي ، (المرجع السابق)، ص ٦٧ .

صاحب دار الطباعة وهو الشيخ محمد رشيد رضا تقريظاً في خاتمة الكتاب يثني فيه على الملك عبد العزيز بقوله : ((ولا يسعنا إلا أن نعود في هذه الخاتمة إلى الثناء على مسدي هذا الخير العظيم إلى الأمة الإسلامية بالأمر بطبعه ، والإنفاق عليه من ماله الخاص به ، إمام السنة ومحيي عدل الخلفاء وعلوم الأئمة ، مؤسس المملكتين ، وخادم الحرمين الشريفين عبد العزيز ابن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ملك الحجاز ونجد ، وعاهل العرب في كل غور ونجد))[1] ، وبتتبع أسماء الكتب التي أمر الملك عبد العزيز بطباعتها نجد أنها تقارب " ١٠٠ " مائة كتاب ، عدا الرسائل الصغيرة ، وهذه الكتب المطبوعة شاملة لأغلب الفنون العلمية (التوحيد ـ الحديث ـ التفسير ـ الفقه ـ السير والتراجم ـ الأخلاق والآداب) .

والشيخ عبد الرحمن السعدي عاش وعاصر تلك الحركة العلمية النشطة في مجتمعه وتأثر بها كثيراً ، بل إنه حظي بالدعم والثناء الشخصي من الملك عبد العزيز حيث قال له : ((إننا نعتبرك في القصيم من العلماء الربانيين))[2].

وكذلك فالمدينة التي ولد فيها السعدي وعاش حياته بين أهلها – مدينة عنيزة – تميزت بالانفتاح على العالم الخارجي والاتصال به ، نظراً لما كان عليه أهلها من التبادل التجاري مع الدول الإسلامية كالهند والشام

(١) الرفاعي ، (المرجع السابق) ، ص ٦٨ .
(٢) محمد القاضي ، روضة الناظرين ، ج ١ ص ٢٢٢ . (مرجع سابق)

والباكستان ومصر والعراق ، فلقد كان لأهل عنيزة البيوت التجارية الكبيرة في تلك البلدان ، وقد كان أبناء عنيزة يسافرون لإدارة تجاراتهم هناك ثم يعودون لمدينة عنيزة لزيارة أهلهم ، وينقلون معهم أخبار ما استجد في تلك البلدان من مخترعات أو بحوث علمية ، ونظراً لما كان يتحلى به السعدي رحمه الله من مكانة اجتماعية بين أهل بلدته « عنيزة » فإنهم جميعاً يوافونه بكل جديد وطريف في العلوم والمخترعات مما أورث لدى السعدي الثقافة الواسعة عن مستجدات العصر ، والسعدي كان يزن تلك المعلومات والمخترعات الواردة إليه من تلك البلدان يزنها بميزان الشرع فما وافق نصوص الشريعة أخذ به وحث عليه ، وما خالفها نبذه وهذا التواصل الثقافي بين السعدي وبين مجتمعات تلك البلدان عبر هذه الفئة من التجار والطلاب من أبناء عنيزة ، كان ذلك التواصل متاحاً للسعدي منذ صغره وحتى نهاية حياته ، فهو بمثابة القناة الإعلامية للسعدي عن مستجدات ذلك العصر ، ولقد كان لذلك أثر ظاهر على فكر السعدي حيث برزت معالم ذلك الانفتاح الثقافي في مؤلفاته وفتاويه وأحاديثه الخاصة والعامة ، ومن ذلك مثلاً فتواه في ((جواز أخذ جزء من جسد الإنسان وتركيبه في إنسان آخر مضطر إليه برضا من أخذ منه)) [١] وهي مسألة نقل الأعضاء من إنسان سليم إلى

---

(١) السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر ، الإرشاد إلى معرفة الأحكام - المجموعة الكاملة / الفقه ، عنيزة : مركز صالح بن صالح الثقافي ، ط٢ ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م ، ج٢ ص٢٩٠ .

آخر مريض ، حيث أفتى في هذه المسألة في زمان لم يكن ببلاده أدنى عملية أو بحث في هذا الموضوع ، ولكنه استفاد معرفة ذلك من خلال لقاءه بأولئك المثقفين من أبناء بلاده الذين سافروا خارج الجزيرة العربية ونقلوا له أخبار تلك الدول ، وما يستجد فيها من علوم ومعارف .

فهذا الانفتاح الثقافي لأهل عنيزة ، كان له أثره الواضح على فكر السعدي وتفتح ذهنه على المستجدات في عصره .

المؤثر الرابع : مؤلفات ابن تيمية وابن القيم :

استفاد الشيخ عبد الرحمن السعدي من مؤلفات الشيخين ابن تيمية [١]، وابن القيم [٢]، حيث ((كان أعظم اشتغاله وانتفاعه بكتب شيخ الإسلام

---

(١) هو الإمام العلامة شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني ، وهو أشهر من يعرف ، ولد في حران سنة ٦٦١ هـ ، وطلب العلم وصرف أوقاته كلها له حتى صار من أكابر علماء الأمة ، وجاهد في سبيل الله باليد واللسان والسنان ، وخلف عدداً عظيماً من المؤلفات القيمة ، قال الذهبي : لو جمعت فتاواه لبلغت أكثر من ثلاثمائة مجلد ، وقد أوذي في سبيل الله ، وسجن ومات في السجن بالقلعة بدمشق سنة ٧٢٨ هـ فرحمه الله رحمة واسعة . (تذكرة الحفاظ للسيوطي . ص ٥١٦) .

(٢) هو الإمام العلامة محمد بن أبي بكر الدمشقي الشهير بابن قيم الجوزية ولد سنة ٦٩١ هـ ولازم شيخ الإسلام ابن تيمية حتى صار من أشهر تلاميذه ، وكان كثير التأليف كشيخه ، وقد سجن وأوذي مع شيخه ، توفي رحمه الله سنة ٧٥١ هـ بدمشق . (البداية والنهاية لابن كثير ١٤ / ٢٤٦) .

ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ، وحصل له خير كثير بسببهما في علم الأصول ، والتوحيد والتفسير والفقه ، وغيرها من العلوم النافعة ، وبسبب إستنارته بكتب الشيخين : صار لا يتقيد بالمذهب الحنبلي ، بل يرجح ما ترجح عنده بالدليل الشرعي)) [١] ، فأقبل على مؤلفات ابن تيمية وابن القيم إقبالاً منقطع النظير من حيث القراءة والاختصار، والشرح والتعليق، والاستدراك والتصحيح ، والجمع والترجيح ، ويظهر تأثر السعدي ذلك من خلال ما يلي:

١- ثناؤه وإعجابه بابن تيمية ومؤلفاته حيث يقول : ((ولا يخفى لطف الباري في وجود شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في أثناء قرون هذه الأمة ، وتبيين الله به وبتلامذته من الخير الكثير ، والعلم الغزير ، وجهاد أهل البدع والتعطيل والكفر ، ثم انتشار كتبه في هذه الأوقات ، فلا شك أن هذا من لطف الله لمن انتفع بها ، وأنه يتوقف خير كثير على وجودها ، فلله الحمد والمنة والفضل)) [٢] .

وفي مقام آخر يوضح السعدي السمة الغالبة على مؤلفات ابن تيمية فيقول : ((جمعت جميع الفنون النافعة والعلوم الصحيحة ، جمعت علوم الأصول والفروع وعلوم النقل والعقل ، وعلوم الأخلاق والآداب الظاهرة

---

(١) الفقي ، سيرة العلامة السعدي ، ص ٢١ . (مرجع سابق)

(٢) السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر ، المواهب الربانية من الآيات القرآنية – المجموعة الكاملة / الثقافة الإسلامية ، عنيزة : مركز صالح بن صالح الثقافي ، ط٢ ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م ، ج ١ ص ٩٦ .

والباطنة ، جمعت بين المقاصد والوسائل ، وبين المسائل والدلائل ، وبين الأحكام وبيان حكمها وأسرارها ، وبين تقرير مذاهب الحق والرد على جميع المبطلين ، وامتازت على جميع الكتب المصنفة بغزارة علمها ، وكثرته ، وقوته ، وجودته وتحقيقه ، بحيث يجزم من له اطلاع عليها وعلى غيرها أنه لا يوجد لها نظير يساويها أو يقاربها ، وقد منَّ الله بنشرها في هذه الأوقات ، ونفع الله بها النفع العظيم ، وصار كل مصلح منها يستمد وعليها يعتمد)) (١) .

ويثني السعدي على ابن القيم ، ويبين مكانته من شيخه ابن تيمية فيقول : ((ولما كان أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية قد سلك مسلك شيخه المذكور بالتحقيق للعلوم الأصولية والفروعية والظاهرة والباطنة ، وكان أعظم من انتفع بشيخ الإسلام وأقومهم بعلومه وأوسعهم في العلوم النقلية والعقلية)) (٢) .

٢- أخذه بأقوال وترجيحات ابن تيمية وابن القيم في المسائل الخلافية ، ففي كتابه : (المختارات الجلية من المسائل الفقهية) نلمس هذه الترجيحات التي يقول بها بعد ما يورد أنها من اختيار ابن تيمية أو

---

(١) السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر ، طريق الوصول إلى العلم المأمول بمعرفة القوعد والضوابط والأصول - المجموعة الكاملة / الثقافة الإسلامية ، عنيزة : مركز صالح ابن صالح الثقافي ، ط٢، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م ، ج ٢ ص ٥ .

(٢) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج ٢ ص ٢١١ .

ابن القيم أو كليهما ، (كما ورد ذلك في كتابه المذكور آنفاً في الصفحات (٩٨ ، ١٢٤ ، ١٣٥، ١٤٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٨، ١٨٠) وغيرها)[1] ، فهذه العناية التامة ، وذلك الإدراك المتميز لمحتويات مؤلفات ابن تيمية وابن القيم ، يدلان بجلاء على مقدار التأثر البالغ الذي كان عليه السعدي بمؤلفات هذين الشيخين .

إن هذه المؤثرات الثقافية والعلمية التي كانت ذات أثر بالغ في توجه السعدي العلمي ، وبروزه في ذلك الميدان ، ليست هي المؤثرات الوحيدة، بل إن هناك مؤثراً عظيماً قبل ماذكره الباحث وبعده : ألا وهو توفيق الله عز وجل واختياره للسعدي لأن يكون من العلماء الذين قضوا حياتهم في العلم والتعليم قال تعالى : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ « سورة القصص ، الآية : ٦٨ » .

فاختيار الله له ، وتوفيقه له ، وتسديده ، وإعانته ، هذا هو أس المؤثرات وجماعها ، فلله الحمد والمنة .

(١) السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر ، المختارات الجلية من المسائل الفقهية – المجموعة الكاملة / الفقه ، عنيزة : مركز صالح بن صالح الثقافي ، ط٢، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م ، ج٢ الصفحات المذكورة بالأصل .

المبحث الثاني
الإطار السياسي

بالنظر إلى أحوال العالم الإسلامي السياسية في مطلع القرن الرابع عشر الهجري ندرك أن الاستعمار الغربي أحكم القبضة على كافة أقطار العالم الإسلامي عدا منطقة " نجد والحجاز " في الجزيرة العربية ، لحفظ الله تعالى لبيته وحمايته عن أوضار المشركين ، وخوف المستعمر من غضبة جمهور المسلمين وتحركهم لإنقاذ مقدساتهم ، وكذلك لقلة مواردها الاقتصادية وضعف تأثيرها السياسي آنذاك ، ولذلك ظلت هذه البقعة من العالم الإسلامي نقية لم تدنسها قدم المستعمر .

ومما تجدر الإشارة إليه ما حظيت به رقعة الجزيرة العربية من الدعوة التجديدية على يد الإمام محمد بن عبد الوهاب التميمي (١١١٥هـ - ١٢٠٦هـ / ١٧٠٣م - ١٧٩١م) ، تلك الدعوة الإسلامية السلفية التي قامت في حوالي عام (١١٥٧هـ - ١٧٤٤م) بقصد إعادة الناس إلى دينهم الصحيح ، ونبذ ما انتشر بينهم من شركيات وبدع وضلالات ، ((ويعتبر الإمام محمد بن عبد الوهاب بحق هو المجدد لهذا القرن - الثاني عشر الهجري - باتفاق كثير من العلماء)) [١] .

---

(١) العبود ، صالح بن عبدالله ، عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها على العالم الإسلامي ، بيروت : دار إحياء التراث الإسلامي ، ط١ ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨م) ص ١٠ ، ١١ .

((وتعتبر دعوة ابن عبد الوهاب امتداداً لدعوة الإمام ابن تيمية (٦٦١ هـ - ٧٢٨هـ / ١٢٦٢ م - ١٣٢٧ م) المجدد في القرن السابع الهجري، وهي نفس الدعوة التي امتحن وأوذي في سبيلها إمام أهل السنة والجماعة في زمانه أحمد بن حنبل (١٦٤هـ - ٢٤١هـ / ٧٨٠ م - ٨٥٥ م) رحمه الله تعالى في القرن الثالث الهجري ، وهي تعني باختصار الرجوع إلى دين الإسلام كما أنزله الله على رسوله محمد ﷺ ، وفهمه صحابته الكرام ، وتابعوهم ، ومن تبعهم بإحسان من أهل القرون المفضلة عقيدة وشريعة وسلوكاً))(١) .

إذاً فدعوة محمد بن عبد الوهاب أعادت للبلاد النجدية أصالتها وعقيدتها بإعادتها إلى المنبع الأصلي لدينها ، حيث نادت هذه الدعوة بضرورة تجريد التوحيد لله تعالى بإخلاص العبادة له سبحانه وتعالى ، وتجريد المتابعة لرسوله محمد ﷺ ، واعتبرت ذلك قوام الشريعة الإسلامية ولبها وهذا هو خلاصة البعد الشرعي لهذه الدعوة السلفية الوهابية .

أما عن البعد التاريخي لها فإنها ((قد قامت دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب بتعاونه وتعاهده مع الأمير محمد بن سعود أمير الدرعية ، وذلك عام (١١٥٧هـ - ١٧٤٤ م) حيث تعاهدا وتعاقدا على نصرة

---

(١) الزهراني ، علي بن بخيت ، الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين وأثارهما في حياة الأمة ، مكة المكرمة : دار الرسالة ، د . ت ، ص ٩٨٠ -٩٨١ .

دين الله والجهاد في سبيله ، وإقامة شرائع الإسلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)) [١] ، وانطلاقاً من هذه المعاهدة التاريخية بين الإمامين محمد بن عبد الوهاب ومحمد بن سعود ، قامت الدولة السعودية الأولى بمدينة الدرعية ، بحيث صارت الأمور السياسية في هذه الدولة الجديدة لمحمد بن سعود وذريته من بعده ، وصارت الأمور الدينية لمحمد بن عبدالوهاب وأبنائه إلى يومنا الحاضر [٢] .

ومنذ نشأت الدولة السعودية الأولى عام (١١٥٧هـ - ١٧٤٤م) وحتى يومنا هذا (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م) فقد مرت هذه الدولة بأدوار سياسية ثلاثة هي :

١- **الدور الأول** : وهي الدولة السعودية الأولى وقامت سنة (١١٥٧هـ - ١٧٤٤م) واستمر قيامها ، وامتد نفوذها لمدن ومناطق الجزيرة العربية، حتى تم إسقاطها بسقوط الدرعية سنة (١٢٣٣هـ - ١٨١٧م) على يد القائد إبراهيم بن محمد علي باشا (١٢٠٤ هـ - ١٢٦٤هـ / ١٧٩٠م - ١٨٤٨م) الذي شدد الحصار على الدرعية ، مما اضطر الإمام عبد الله بن سعود إلى أن يخرج إلى إبراهيم باشا ليفاوضه حول إنهاء الحرب ، واتفق الطرفان على ذلك وباستسلامه انتهت آخر حلقة من حلقات الدفاع

---

(١) النجدي ، عثمان بن بشر ، عنوان المجد في تاريخ نجد ، الرياض : مكتبة الرياض الحديثة ، د . ت) ج ١ ص ١٢ .

(٢) العثيمين، عبد الله بن صالح ، تاريخ المملكة العربية السعودية ، ط٦ ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م ، ج ١ ص ٨٦ .

البطولي الذي قام به السعوديون ، وانتهت دولتهم الأولى [١] .

٢- **الدور الثاني** : ((وهي الدولة السعودية الثانية ، وقامت سنة (١٢٤٠هـ - ١٨٢٤م) على يد الأمير(تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود) (١٢٤٩هـ - ١٨٣٣م) حيث كان استيلاء تركي بن عبد الله على الرياض في مستهل ذلك العام (١٢٤٠هـ) ومنذ ذلك العام أصبحت الرياض مقراً للحكم السعودي ، وكان جلاء القوات الغازية عن نجد إيذاناً بقيام الدولة السعودية الثانية)) [٢] ، ((واستمرت هذه الدولة قائمة بين مد وجزر حتى سنة (١٣٠٩هـ - ١٨٩١م) عندما التقى الطرفان جيش الإمام عبد الرحمن بن فيصل بن تركي (١٣٤٦هـ / ١٩٢٧م) وجيش الأمير محمد بن رشيد عند بلدة حريملاء ، فانهزم عبد الرحمن بن فيصل وأتباعه وعاد للإقامة مع قبيلة العجمان ، وكانت هذه المعركة آخر معركة قادها أئمة الدولة السعودية الثانية ، كما كانت بمثابة الإعلان بنهاية تلك الدولة)) [٣] .

٣- **الدور الثالث** : ((وهي الدولة السعودية الثالثة وقامت على يد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل (١٢٩٧هـ - ١٣٧٣هـ) الموافق

---

(١) العثيمين ، (المرجع السابق) ، ج ١ ص٢٠٦ .

(٢) العثيمين ، (المرجع السابق) ، ج ١ ص ٢٢٤ .

(٣) العثيمين ، (المرجع السابق) ، ج ١ ص٣١٢ .

(١٨٨٠م - ١٩٥٣م) عندما أعلن افتتاح الرياض سنة (١٣١٩هـ - ١٩٠٢م) حيث استعادها الملك عبد العزيز في (٥ شوال سنة ١٣١٩هـ الموافق ١٥ يناير ١٩٠٢م))[1] ، وبعد سقوط الرياض ، بدأت مدن ومناطق الجزيرة العربية تدخل تحت حكم الملك عبد العزيز الواحدة تلو الأخرى في مدة لا تزيد على ربع قرن من السنوات ، ففي ((٥ محرم ١٣٢٢هـ الموافق ٢٣ مارس ١٩٠٤م) استعاد عنيزة بالقصيم وكان عمر الشيخ عبد الرحمن السعدي آنذاك (١٥) سنة، وفي (١ ربيع أول ١٣٢٢هـ الموافق ١٦ مايو ١٩٠٤م) استعاد البكيرية بالقصيم وفي (٢٠ ربيع ثان ١٣٢٦هـ الموافق ٢٣ مايو الموافق ٢٣ مايو ١٩٠٨م) استعاد بريدة عاصمة القصيم حالياً ، وفي (٥ جماد أول ١٣٣١هـ الموافق ١٣ إبريل ١٩١٣م) استعاد الأحساء في المنطقة الشرقية ، وفي (شوال ١٣٣٨هـ الموافق يوليو ١٩٢٠م) استعاد عسير بجنوب الجزيرة العربية ، وفي (٢٩ صفر ١٣٤٠هـ الموافق ٢ نوفمبر ١٩٢١م) استعاد حائل ، وفي (٧ صفر ١٣٤٣هـ الموافق ٧ سبتمبر ١٩٢٤م) استعاد الطائف بالمنطقة الغربية ، وفي (١٨ ربيع أول ١٣٤٣هـ الموافق ١٨ اكتوبر ١٩٢٤م) استعاد مكة المكرمة وفي (١٩ جماد أول ١٣٤٤هـ الموافق ٥

---

(١) الريحاني ، أمين ، تاريخ نجد الحديث وملحقاته ، بيروت : دار ريحاني للطباعة والنشر، ط٢، ١٩٥٤م ، ص ٤٣١ .

ديسمبر ١٩٢٥م) استعاد المدينة المنورة وفي (٦ جماد ثاني ١٣٤٤ الموافق ٢٢ ديسمبر ١٩٢٥م) استعاد جدة آخر مدن المنطقة الغربية خضوعاً للحكم السعودي)) [١] .

وهذه الحروب لتوحيد الجزيرة العربية لم يكن النصر فيها بمحض الصدفة أو الحظ ، ولكن المتتبع لأحوال المقاتلين فيها من جنود الملك عبد العزيز إنما كان هدفهم من تلك الحروب نصرة دين الله عز وجل ، والعمل على تصحيح عقائد الناس ، وتطهير بلدانهم من علائق الشرك ، ومظاهر البدع والضلال ، التي كانت منتشرة حال معاداتها لدعوة محمد ابن عبد الوهاب السلفية .

كما أن من أسباب هذه الانتصارات ماكانت عليه الدولة العثمانية من الترف والبذخ عند أمرائها فلقد ((انصرف أولياء أمورها والقابضون على زمامها إلى البذخ والترف والانغماس في الشهوات والملذات ، وارتكاب الموبقات ، وعدم إقامة العدل ، وفشو الرشوة في محاكم الدولة العثمانية ، وهذه الأمور منذرة بالخراب ، سائقة إلى مهاوي الهلكة والدمار)) [٢] كما قال تعالى : ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾ « سورة الإسراء الآية : ١٦ » .

---

(١) الريحاني ، (المرجع السابق) ، ص ٤٣١ .

(٢) القاضي ، روضة الناظرين ، ج ٢ ص ٢٣٥ . (مرجع سابق)

وإن من نصر الله عز وجل لدعاة التوحيد أتباع الدولة السعودية ، أن الله عز وجل هيأ لهم الأوضاع والأحوال الخارجية بحيث تواكبت حركة التوحيد هذه داخل الجزيرة العربية ، تواكبت مع انشغال الأعداء الخارجيين ، من الدول الاستعمارية الكبرى الحلفاء وهي : بريطانيا إيطاليا ، فرنسا ، إسبانيا البرتغال وهولندا ، تلك الدول التي انشغلت بأحداث الحربين العالميتين الأولى والثانية ، وما تبع هاتين الحربين من حركة استعمارية لبلدان العالم الإسلامي في آسيا ، وأفريقيا .

فالخلاصة أن هذه الفترة الزمنية من تاريخ الأمة الإسلامية (مطلع القرن الهجري الرابع عشر) تعتبر فترة استعمار أجنبي لدول العالم الإسلامي إبَّان سقوط الدولة العثمانية (الخلافة الإسلامية) والتي كانت بمثابة الرمز للتجمع الإسلامي ، وتوحيد كلمة المسلمين ، وبسقوط ذلك الرمز ، أصبح المسلمون عامة ، والعرب خاصة شذر مذر ، مزقتهم سياسة المستعمر القائمة على مبدأ (فرّق تسُد) فساد عليهم عدوهم ، واستباح ديارهم وثرواتهم ، وتفرقوا وذهبت ريحهم مصداقاً لقول الله تعالى : ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ « سورة الأنفال ، الآية ٤٦ » .

وفي ظل هذه الظروف السياسية الحرجة داخلياً وخارجياً ولد الشيخ « عبد الرحمن بن ناصر ابن عبد الله السعدي عام ١٣٠٧هـ الموافق

١٨٨٨م بمدينة عنيزة بالقصيم) [١] ، فالسعدي ولـد وعـاش وسـط هـذه الأحداث التي تشغل البال وتصرف الذهن عن طلب العلم والجد فيه عند كثير من الناس ، إلا أن السعدي بما وهبه الله تعالى من حافظة قوية ، ونفس عالية أبية ، اتجه بكليته لطلب العلم وتحصيله حيث ((جمع أمره ، وعقد عزمه على أن يقف حياته على العلم وحده ، فتراه في وادٍ وأغلب ناشئة عصره في وادٍ آخر ، فقد ارتضى العلم والمعرفة خديناً ، ولم يرق في نظره إلا طبقة العلماء فلازمهم ملازمة الظل ، وأكب على الإغتراف من معين فضْلِهِمْ وعلمهم ، فتغذى أطيب غذاء ، وروي أكرم ري)) [٢] ، فكان موقفه من هذه الحروب ، الاعتزال بجسده لا بعلمه حيث إنه سخر علمه وقلمه لبيان فضل الجهاد والمجاهدين في سبيل الله الذين يدفعون غائلة العدو الكافر ، ويحمون دينهم وأعراضهم وأموالهم ، فلقد عايش رحمه الله هذه الأحداث السياسية الخارجية ، فكتب عن التحذير من المستعمرين الأجانب ودعوة المسلمين لاستعادة حقوقهم وأراضيهم وفي ذلك يقول : ((قد عُلم من قواعد الدين أن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، وأن الوسائل لها أحكام المقاصد ، ولا يخفى أنه لا يتم التحرز من أضرار الأمم الأجنبية والتوقي لشرورها إلا بالوقوف على مقاصدهم ،

---

(١) البسام ، عبدالله بن عبد الرحمن علماء نجد خلال ستة قرون ، مكة المكرمة : مكتبة النهضة ، ط١ ، ١٣٩٨هـ، ج ٢ ص ٤٢٢ .

(٢) الفقي ، سيرة العلامة السعدي ، ص ٧ . (مرجع سابق)

ودرس أحوالهم وسياساتهم ، وخصوصاً السياسة الموجهة منهم للمسلمين، فإن السياسة الدولية قد أسست على المكر والخداع وعدم الوفاء واستعباد الأمم الضعيفة بكل وسائل الاستعباد)) [١] .

وفي تحريض أبناء الأمة الإسلامية على جهاد الكفار ، والذب عن ديار الإسلام والمسلمين ، وبيان مكانة وأهمية الجهاد في سبيل ا لله تعالى يقول السعدي :

((وقد أمر ا لله بالجهاد بالنفس والمال والأقوال والأفعال وبالمباشرة ، وإعانة المباشرين بالمال والدعوة والتشجيع والتحريض فكل من لم يغز و لم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق كما صح الحديث بذلك[٢]، فأهل الحل والعقد ، والرياسة من الملوك والأمراء والوزراء ورجال الدول الإسلامية عليهم أن يسعوا أحث السعي لتحصيل القوتين ، القوة المعنوية ، والقوة المادية ، بإزالة جميع الحواجز ، والموانع التي حالت بين المسلمين وبين اتفاقهم واجتماع كلمتهم وتآلف قلوبهم وأن يفهموا الأسباب التي فرقتهم من الأغراض الشخصية والمطامع والأغراض الردية ، والأيدي الأجنبية ، فإنهم متى فهموها حق الفهم عرفوا أنها تنافي

---

(١) السعدي ، وجوب التعاون بين المسلمين - المجموعة الكاملة/ الثقافة الإسلامية ، ج ١ ص ١٩٥ (مرجع سابق)

(٢) لفظ الحديث : ((**من مات ولم يغزو ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من نفاق**)) رواه مسلم صحيح مسلم بشرح النووي، ج١٣ ص٥٦(مرجع سابق)

مصالحهم الدينية والدنيوية ، ومنافعهم الكلية ، وتنافي ما يحث عليه العقل والحزم من وجوب تقديم المصالح العامة على الأغراض الخاصة)) [١] ، فالسعدي بتوجهه لطلب العلم لم يكن موقفه سلبياً تجاه تلك الأحداث السياسية ، بل إنه سخر قلمه وعلمه من أجل بذل نصحه وتوجيهه لأبناء الأمة الإسلامية تجاه ما هم فيه من مآزق سياسية وبهذا الأسلوب يقدم السعدي مثلاً يحتذى في كيفية التعامل مع أحداث وقضايا الأمة الإسلامية في كافة أقطارها ، بحيث إن طالب العلم يستمر على طلبه للعلم والتزود منه ، ومع طلبه للعلم ينبغي له أن يزكي علمه هذا ببذله للناس عامة ، في التدريس مرة ، والتأليف مرة ، وإسداء الرأي والتوجيه مرة أخرى ، بحيث يكون ذلك الطالب للعلم مباركاً أينما كان ، وحيثما حل ، ولا يتخذ من طلب العلم عذراً في اعتزال الواقع ، وعدم تفهم أحوال الأمة الإسلامية ، بل إنه يخالط الناس ويسدي لهم التوجيه والنصح ، ويصبر على ما يرده منهم من أذى ومشقة ، كل ذلك طلباً لمرضاة الله وثوابه ، تحقيقاً لقوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ « سورة التوبة ، الآية : ١٢٢ » .

---

(١) السعدي ، الجهاد في سبيل الله – الكاملة/ الثقافة الإسلامية ، ج ١ ص ١٦٧ (مرجع سابق)

المبحث الثالث

الإطــار الاجتمــاعي

عاشت البلاد النجدية واقعاً سيئاً مــن الفقـر والعـوز الـذي عـم أرجـاء البـلاد كلهـا، وهـذا مهـد لأن تكـون عمليـات الغـزو والسـلب والنهـب معروفة عند الناس غير مستنكرة ، وإن كانت قليلة بين أهل القرى والمدن من الحضر ، إمــا لقلـة ضرورتهـم الماديـة ، أو لمـا يتسـمون بـه مـن العلـم الشـرعي الـذي يردعهـم عـن سـلوك ذلـك المبـدأ الجـاهلي ، أمـا المجتمـع البـدوي، فإنـه مـع مسـيس الحاجـة للطعـام والـزاد ومـع اهتمـامهم بــأمر الشـجاعة ، واعتبـار عمليـات النهـب والسـلب مـن علامـات الشــجاعة والرجولة ، فلهذا كانوا يقومون بذلك في وضح النهــار مـن بـاب اطـلاع الآخرين على شجاعتهم وبسالتهم ، هذه الظروف القاسية لم تكن لتقــف حجر عثرة أمام طموح وتطلعات الشيخ عبدالرحمن السعدي الذي ((نشأ يتيماً طموحاً إلى مراقي العلم ، في عصرٍ يســوده الإضطـراب ، والفوضـى وانشغال الأذهان عن تحصيل الكمالات فمضى في طريقه إلى الأمام حتــى أصبح من أئمة العلم والدين)) [١] .

وبالعلم وحده حاز السعدي المكانــة الاجتماعيـة العاليـة فلقـد ((صـار مرجع بلاده وعمدتهم في جميع أحوالهم وشئوونهم فهو مـدرس للطـلاب،

---

(١) الفقي ، سيرة العلامة السعدي ، ص ٩ . (مرجع سابق)

وواعظ للعامة، وإمام الجامع وخطيبه، ومفتي البلاد، وكاتب الوثائق، ومحرر الأوقاف، والوصايا، وعاقد الأنكحة ومستشارهم في كل ما يهمهم وكان لا ينقطع عن زيارتهم في بيوتهم ومشاركتهم في مجتمعاتهم)) [١] .

فالواقع الاجتماعي يعطي للعالم مكانته اللائقة به نظراً لما له من نفع متعدٍ إلى عامة الناس ، ومن خلال معرفة مكانة العلماء الاجتماعية ندرك ما كان عليه أبناء ذلك المجتمع (النجدي) من تحرير ولائهم لله وحده ، فالناس لا يحبون ويقدرون العالم أو القاضي إلا لما يتحلى به من علم شرعي يكون دليلاً لهم إلى صراط ا لله المستقيم ، والسعدي من العلماء الذين قدّموا كافة طاقاتهم العلمية والجسمية في سبيل خدمة الناس ، وقضاء حوائجهم الخاصة والعامة ، ولهذا ((كان المسافرون للحج يرغبون في صحبته للاستفادة منه في شئون دينهم)) [٢] .

وهذه المحبة وذلك الولاء الاجتماعي للشيخ إنما هو نابع من تحرير ولاءهم لله وحده ، انطلاقاً من قول الرسول ﷺ : « **من أعطى لله تعالى ومنع لله تعالى وأحب لله تعالى ، وأبغض لله تعالى وأنكح لله تعالى فقد استكمل إيمانه** » ، رواه أحمد [٣].

---

(١) البسام ، علماء نجد خلال ستة قرون ، ج٢ ص ٤٢٤ . (مرجع سابق)

(٢) القاضي ، روضة الناظرين ، ج١ ص٢٢٤ . (مرجع سابق)

(٣) الإمام أحمد ، أحمد بن حنبل ، المسند ، بيروت : دار صادر ، د . ت ، ج٣ ص٤٣٨ .

المبحث الرابع

الإطار الاقتصادي

الاقتصاد هو عصب الحياة ، وبه تعمر البلاد ، وتتهيأ الأرض للعيش الإنساني وقد أمر الله عز وجل بني الإنسان بالمشي في نواحي الأرض المذللة من أجل كسب الرزق ، وتوسيع دائرة الاقتصاد فقال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ « سورة الملك ، الآية : ١٥ » قال القرطبي : ((أشار إلى التمكن من الزرع والغرس وشق العيون والأنهار وحفر الآبار)) [١] .

وحيث إن بلاد نجد يسودها المناخ القاري الصحراوي ، فلهذا كان عامة هل هذه البلاد يعتمدون في اقتصادهم على الجوانب الثلاثة التالية :

الجانب الأول : الزراعة وتتمثل في زراعة النخيل بأنواعها ، والحبوب بأنواعها والبقول القليلة وهذه حرفة أهل المدن والقرى من (الحضر) .

الجانب الثاني : الرعي ، وتتمثل الثروة الحيوانية بالإبل والغنم والماعز ((وينتقل أهل هذه المهنة من مكان لآخر تبعاً لوجود المطر والكلأ الذي

---

(١) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ١٨ ص ٢١٥ . (مرجع سابق)

تعيش منه مواشيهم ، وهذه حرفة أهل الصحراء من البدو)) [١] .

الجانب الثالث : التجارة : كان النشاط التجاري في نجد في تلك الفترة قائماً على الزراعة والرعي وجوداً وعدماً ، فمعظم العمل التجاري ينحصر في بيع المنتجات الزراعية من الحبوب والثمار ، وكذلك منتجات الثروة الحيوانية كبيع السمن والألبان المجففة المتمثلة في الأقط والزبد وكذلك بيع الجلود ، والصوف ، والوبر ، فالحركة التجارية مرتبطة بمصدري الزراعة والرعي ، وعليهما تقوم ، أما دخل الفرد فليس هناك دخل شهري محدود ، وإنما يزيد وينقص حسب الأحوال الاقتصادية العامة للبلاد ، لذلك أصبح عامة الناس وأغلبهم يكدحون طوال نهارهم من أجل تحصيل قوت يومهم لهم ولأبنائهم ، وفي هذا المجتمع ، وتلك الأحوال الاقتصادية نشأ الشيخ السعدي في أسرة فقيرة ، حيث كان والده فقيراً ، ومع ذلك فقد ((ماتت والدته ، وهو صغير له من العمر أربع سنوات ، وتوفي والده وله من العمر سبع سنوات)) [٢] ((وقد أوصى به والده أخاه الأكبر حمد الذي هيأ الجو لأخيه الشيخ عبد الرحمن بالنفقة عليه ، ودفعه لحلقات العلم ولهذا صار همه الأكبر منصرفاً لطلب العلم حيث كفاه أخوه الأكبر (حمد) أمر المعيشة وتحصيلها ، وهكذا تكون

---

(١) السوبداء ، نجد في الأمس القريب ، ص ٢٠ ، ٢٣ . (مرجع سابق)

(٢) الفقي ، سيرة العلامة السعدي ، ص٩ . (مرجع سابق)

ثمار التعاون على البر والتقوى ، بحيث أخرج الله هذا الابن اليتيم ليتسنم أعلى مراتب العلم والتعليم في بلاده ، بفضل الله ثم بفضل تهيئة الجو المناسب له من قبل أخيه رحمه الله تعالى)) [١] .

وليس خافياً على المطلع على سيرة السعدي بأنه ذو عبقرية فذّة ونفس أبيَّة ، حيث جد واجتهد في طلب العلم وتحصيله ، مع الفقر واليتم مما تضيق به النفس ويصير به المرء موزعاً في أودية من الهموم والأفكار ، إلا أن السعدي لم يلتفت لذلك بل إنه ((استرعى الأنظار منذ حداثة سنه ببره وفطنته وذكائه ، وبرغبته الشديدة في تحصيل العلوم)) [٢] .

---

(١) الطيار ، صفحات من حياة علامة القصيم السعدي ، ص ٤١ . (مرجع سابق)

(٢) الفقي ، سيرة العلامة السعدي ، ص ٩ . (مرجع سابق)

الفصل الثالث

حياته الشخصية والعلمية

المبحث الأول : حياته الشخصية .

المبحث الثاني : عقيدته ومذهبه .

المبحث الثالث : شيوخه وتلاميذه .

المبحث الرابع : جهوده العلمية ومشاركاته الاجتماعية .

تمهيد

إن أي فكر بصورة عامة يعتبر نتاجاً للمؤثرات الاجتماعية ، والثقافية ، والاقتصادية ، والسياسية ، فالفكر إنما هو ثمرة لهذه المؤثرات الخارجية ، إلا أن الفكر الناضج القائم على أساس قويم من العقيدة السليمة تجاه الخالق والكون والحياة ، إن ذلك الفكر بمقدوره أن يشب عن طوق تلك المؤثرات العاملة فيه ، لينقلب عاملاً مؤثراً فيها ، وموجهاً لكثير من قيمها واتجاهاتها ومن هذا المنطلق تأتي قيمة العالِم عندما تتوفر لديه القدرة التامة على التوجيه والتأثير في مجتمعه ويأتي هذا الفصل لإيضاح مايتحلى به السعدي من معالم شخصية ذاتية ، ومعالم علمية عملية كان لهما دورهما البارز في التوجيه العلمي ، والتأثير الاجتماعي من خلال المباحث التالية :

المبحث الأول :حياته الشخصية .

المبحث الثاني : عقيدته ومذهبه .

المبحث الثالث : شيوخه وتلاميذه .

المبحث الرابع : جهوده العلمية ، ومشاركاته الاجتماعية .

المبحث الأول

حياته الشخصية

أولاً : اسمه ونسبه :

هو الشيخ ((عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي ، من بني عمرو المنتمية إلى تميم)) [١] .

والأصل في وجود أسرته بعنيزة هو أنه ((قدمت أسرة آل سعدي من بلدة المستجدة أحد البلدان المجاورة لحائل عاصمة المقاطعة الشمالية من بلدان نجد وقدمت حوالي عام (١١٢٠هـ / ١٧٠٨م) إلى عنيزة))[٢] .

أما نسبه من جهة أمه ((فهي من آل عثيمين فالعثيمين أخواله ، وهم من آل مقبل من آل زاخر البطن الثاني من الوهبة نسبة إلى محمد بن علوي بن وهيب ، ومحمد هذا الجد الجامع لبطون الوهبة جميعاً ، وآل عثيمين كانوا في بلدة أشيقر الموطن الأول لجميع الوهبة ونزحوا منها إلى شقراء فجاء جد آل عثيمين الموجودين في عنيزة من شقراء إلى عنيزة وسكنها وهو سليمان آل عثيمين ، وهو جد السعدي لأمه)) [٣] .

---

(١) البسام ، علماء نجد خلال ستة قرون ، ج٢ ص٤٢٢ . (مرجع سابق)

(٢) البسام ، علماء نجد خلال ستة قرون ، ج٢ ص٤٢٢ . (مرجع سابق)

(٣) البسام ، (المرجع السابق) ، ج٢ ص٤٢٢ .

ثانياً : مولده ونشأته :

((ولد في عنيزة من مقاطعة القصيم بنجد ، وذلك في اليوم الثاني عشر من شهر المحرم عام (١٣٠٧هـ الموافق ١٨٨٨م) ، وتوفيت والدته وهو صغير له من العمر أربع سنوات ، كما توفي والده عام ١٣١٣هـ وله من العمر سبع سنوات)) [١] ، فنشأ لطيماً بفقده لأبويه جميعاً ، وهكذا أراد الله أن ينشأ يتيم الأب والأم " لطيماً " وبالملاحظة وُجد أن من تكون هذه حاله كثيراً ما يكتب له النبوغ والتفوق متى ما وجد الكفالة والرعاية والمتابعة والعناية ، وقد يسر الله له ((زوجة أبيه فكفلته ، وأحبته أكثر من أولادها ، فصار عندها موضع العناية والرعاية ، فلما شبَّ صار في بيت أخيه الأكبر حمد بن ناصر السعدي ، فنشأ نشأة صالحة كريمة وعرف منذ حداثته بالصلاح والتقى ، فأقبل على العلم بجد ونشاط وهمة وعزيمة ، فحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب قبل أن يتجاوز الثانية عشرة من عمره ، واشتغل بالعلم على علماء بلده والبلاد المجاورة)) [٢] .

فالسعدي نشأ في بيت علم وأدب ودين ، فوالده ((ناصر بن عبد الله السعدي كان عالماً ، حفظ القرآن غيباً ، وشرع في طلب العلم بهمة عالية ونشاط ، فقرأ على علماء عنيزة ومن أبرزهم قاضي عنيزة الشيخ محمد الراشد لازمه سنين طويلة وهو أكثر مشايخه نفعاً وملازمة له كما

---

(١) الفقي ، سيرة العلامة السعدي ، ص٩ .

(٢) البسام ، علماء نجد خلال ستة قرون ، ج٢ ص٤٢٣ . (مرجع سابق)

قرأ على مفتي نجد في زمانه وقاضي عنيزة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بابطين وغيرهم من العلماء)) [١] ، أما أخوه الأكبر ((حمد بن ناصر بن عبد الله السعدي فهو الوصي عليه وهو من المعمرين ، ومن أعمدة المسجد ، تجرد للعبادة والتلاوة وكان من حملة القرآن ، توفي عام (١٣٨٨هـ الموافق ١٩٦٨م))) [٢] .

فهذه البيئة الصالحة لها أكبر الأثر في توجهه العلمي ، حيث حظي بالعناية والرعاية من زوجة أبيه ومن أخيه الأكبر الوصي عليه ، لهذا كان السعدي : ((كل همه في حياته الإفادة العلمية ، والاستفادة الخلقية والعملية فكانت نفسه وقفاً على العلم ، وعلى العلم وحده ، مع العبادة)) [٣] .

ثالثاً : صفاته الخَلْقية والخُلُقية :

أما عن صفاته الخَلْقية فإنه ((كان قصير القامة ممتلئ الجسم أبيض اللون مشرباً بحمرة ، مدور الوجه طلقه ، كثيف اللحية ، وقد ابيضت مع رأسه وهو صغير)) [٤] .

---

(١) القاضي ، روضة الناظرين ، ج ٢ ، ص ٣٦٩ . (مرجع سابق)
(٢) القاضي، (المرجع السابق) ، ج ٢ ص ٣٧٠ .
(٣) الفقي ، سيرة العلامة السعدي ، ص ١١ . (مرجع سابق)
(٤) القاضي ، روضة الناظرين ، ج ١ ص ٢٢٦ . (مرجع سابق)

أما صفاته الخُلُقيه ((فإن له أخلاقاً أرق من النسيم وأعذب من السلسبيل ، لا يعاتب على الهفوة ولا يؤاخذ بالجفوة ، يتودد ويتحبب إلى البعيد والقريب ، يقابل بالبشاشة ويحيي باللطافة ، ويعاشر بالحسنى ويجالس بالمنادمة ، ويجاذب أطراف أحاديث الأنس والود ، ويعطف على الفقير والصغير ، ويبذل طاقاته ووسعه ويساعد بماله وجاهه وعلمه ورأيه ومشورته ونصحه ، بلسان صادق وقلب خالص وسر مكتوم)) [١] ، هكذا وصفه أحد تلاميذه الذين خالطوه ، وتعلموا من أدبه وخلقه قبل أن يتعلموا من علمه وتعليمه .

رابعاً : عباداته وعلمه :

(أ) عبادته :

من صفات العلماء العاملين ، الجد في العبادة وتقويمها حسب مراد ا لله عز وجل بأن ترتكز على أصلين ثابتين هما : الإخلاص لله وحده في فعلها ، ومتابعة رسوله ﷺ في هيئتها وعددها ، ومن يمعن النظر وينعم البصر في أحوال العلماء الربانيين من سلف هذه الأمة يجد أمراً عجباً في جدّهم واجتهادهم في عبوديتهم لله عز وجل ، وبمفهوم العبادة الشامل الكامل كانت عبادة السعدي لربه عز وجل ، فإنه لم يقصر العبادة على شعائر التعبد فحسب ، بل جعلها في كل ما كان مُوصلاً إلى ا لله والدار الآخرة ، فإنه يعمله تعبداً لله عز وجل ، ففي مقام الصلاة نجده يحافظ

---

(١) البسام ، علماء نجد خلال ستة قرون ، ج٢ ص ٤٢٩ . (مرجع سابق)

عليها جداً ، لدرجة أنه ((خرج من بيته لأداء صلاة الفجر جماعة في المسجد في الليلة التي كان فيها استيلاء آل السليم لعنيزة مدينته والناس قد تحصنوا بمنازلهم ، بينما هو خرج من بيته لأداء الصلاة)) [١] وما ذلك إلا لما في قلبه من محبة لها واهتمامه بأمرها .

وفي مجال صيام النفل نجد أنه يلازم ((صيام الأيام البيض من كل شهر)) [٢] .

وقد كان ((كثير الحج تنفلاً ، زاهداً عفيفاً عزيز النفس مع قلة ذات يده ، متواضعاً يسلم على الصغير والكبير ، ويجيب الدعوة ، ويزور المرضى ويشيع الجنائز)) [٣] ، ونظراً لما يبذله السعدي من خدمات لأبناء المجتمع بغية مرضاة الله فإن ذلك أورثه محبة القلوب له، وثقة النفوس به، ((فأجمعت البلاد على وده ، واتفقت على تقديمه ، فصار له زعامة شعبية، فإشارته نافذة ، وكلمته مسموعة ، وأمره مطاع)) [٤] .

(ب) علمه :

طلب العلم سنة ماضية ، وشريعة باقية ، ففي القرآن الكريم الأمر بذلك قال تعالى : ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ « سورة طه ، آية ١١٤» والرسول ﷺ يقول : « **لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالاً فسلطه**

(١) القاضي ، روضة الناظرين ، ج ١ ص ٢٢٠ . (مرجع سابق)
(٢) القاضي ، (المرجع السابق) ، ج ١ ص ٢٢٥ .
(٣) القاضي ، (المرجع السابق) ، ج١ ص٢٢٤ .
(٤) البسام ، علماء نجد خلال ستة قرون ، ج ٢ ص ٤٢٩ . (مرجع سابق)

ا لله على هلكته في الحق ، ورجل آتاه ا لله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها » متفق عليه [١] فطلب العلم مأمور به شرعاً وفاضت الآيات والأحاديث في فضل ذلك والحث عليه وللسعدي قدم راسخة في طلب العلم حيث أنه ((أقبل على العلم بجد ونشاط وهمة وعزيمة ، فحفظ القرآن عن ظهر قلب قبل أن يتجاوز الثانية عشرة من عمره ، واشتغل بالعلم على علماء بلده والبلاد المجاورة لها ومن يرد إلى بلده من العلماء ، وانقطع للعلم حفظاً وفهماً ودراسةً ومراجعةً واستذكاراً حتى أدرك في صباه ما لا يدركه غيره في زمن طويل) [٢] . وقد تميز رحمه ا لله بفرط الذكاء والنبل والاستقامة ، ومما يدل على قوة حفظه أنه ((كان يحفظ من المتون العلمية الكثير ، وإذا استشهد بها رأيته يهذها هذاً لأنه كان يتعاهدها دائماً)) [٣] . ولتميزه العلمي نجد أنه جلس لتعليم زملاءه في الدراسة وذلك ((لمّا رأوا تفوقه عليهم ونبوغه تتلمذوا عليه وصاروا يأخذون عنه العلم وهو في سن البلوغ ، فصار في هذا الشباب المبكر متعلماً ومعلماً)) [٤] ، فهو يسير في خطين متوازيين ، بحيث يتلقى العلوم من مشايخه ثم يعلمها لزملاءه ، ولا شك أن تعليمه لهم وهو في هذه السن

---

(١) البخاري ، صحيح البخاري بحاشية السندي ، ج١ ص٢٤، ٢٥. (مرجع سابق)

(٢) البسام ، علماء نجد خلال ستة قرون ، ج ٢ ص ٤٢٣ . (مرجع سابق)

(٣) القاضي ، روضة الناظرين ، ج ١ ص ٢٢١ . (مرجع سابق)

(٤) البسام ، علماء نجد خلال ستة قرون ، ج ٢ ص ٤٢٣ . (مرجع سابق)

المبكرة علامة على نبوغه وتفوقه وجدارته وهذه الطريقة التي سلكها في طلب العلم ثم القيام بتعليمه مباشرة تثبت ذلك العلم في نفسه، وتجعله يزداد فهماً لهذا العلم فالمعروف أنه لا يستطيع أحد أن يدَّرِّس شيئاً لا يتقنه ولا يحيط به علماً .

و لم يكتف بطلب العلم على علماء بلده وما جاورها بل إنه أدمن القراءة لكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم واشتد تأثره بمؤلفاتهما ، ((فلقد أقبل على مؤلفات هذين الإمامين الجليلين إقبالاً منقطع النظير ، فاستوعب ما حوته كتبهما من التحقيق العظيم في علوم السلف ، وحسن التوجيه والإرشاد وحصل له بذلك سعة علم خاصة في علم الأصول والتوحيد، والتفسير والفقه، وسواها من العلوم النافعة))[١] .

ولعظم تأثره بمؤلفات ابن تيمية يقول عنها : ((جمعت جميع الفنون النافعة، والعلوم الصحيحة جمعت علوم الأصول والفروع ، وعلوم النقل والعقل ، وعلوم الأخلاق ، والآداب الظاهرة والباطنة ، وجمعت بين المقاصد والوسائل وبين المسائل والدلائل وبين الأحكام وبيان حكمها وأسرارها ، وبين تقرير مذاهب الحق والرد على جميع المبطلين ... ـ ثم يقول عنها ـ ... ومن أعظم ما فاقت به غيرها وأهمِّه ، وتفردت على سواها أن مؤلفها رحمه الله يعتني غاية الإعتناء بالتنبيه على القواعد الكلية

---

(١) الفقي ، سيرة العلامة السعدي ، ص ١٠ . (مرجع سابق)

والأصول[١] الجامعة ، والضوابط المحيطة في كل فن من الفنون التي تكلم بها))[٢] .

ويصف ابن القيم بأنه : ((كان من أعظم من انتفع بشيخ الإسلام، وأقومهم بعلومه، وأوسعهم في العلوم العقلية والنقلية))[٣].

ومن شدة هضمه لمؤلفات هذين الإمامين العظيمين نجده قام بالجمع تارة ، والاختصار تارة والاستنباط تارة أخرى لما في بطون مؤلفاتهما ، وأهم مؤلفاته الدالة على ذلك كتاب : (طريق الوصول إلى العلم المأمول بمعرفة القواعد والضوابط والأصول) وعن محتوى هذا الكتاب يقول السعدي : ((وقد يسر ا لله الوقوف على كتبه - يقصد ابن تيمية - الموجودة فتتبعت ماوجدته في كتب هذا الإمام من الأصول والقواعد والضوابط النافعه وأثبتها في هذا المجموع ، ونقلتها بعبارات مؤلفها إلا شيئاً يسيراً منها أوجب تغيير بعض الألفاظ إذا كانت القاعدة والأصل متفرقاً في كلامه غير متصل بعضه ببعض ، فجمعته من متفرقات كلامه

---

(١) الأصول : (جمع أصل وهو في اللغة : عبارة عما يفتقر إليه ، ولا يفتقر هو إلى غيره ، وهو في الشرع : عبارة عما ينبي عليه غيره ، ولا ينبي هو على غيره) ، الجرجاني ، علي محمد ، التعريفات ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، ص٢٨ .

(٢) السعدي ، طريق الوصول إلى العلم المأمول - الكاملة / الثقافة ، ج ٢ ص ٥ . (مرجع سابق)

(٣) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج ٢ ص ٢١١ .

في موضع واحد ونضطر فيه إلى التغيير اليسير الذي يوضح المعنى ولا يغيره)) [١] .

ولعظم مقدار ما يكنه السعدي لهذين العالمين من حب وتقدير لعلمهما، ولما لمؤلفاتهما من فائدة فإنه مدحهما بقوله :

يا طالباً لعلوم الشرع مُجتهداً
يبغي انكشافَ الحقِ والعرفانِ

إِحرصْ على كُتْبِ الإمَامَينِ اللذيـ
ـنِ هُمَا المَحَكُ لهَذِه الأزمانِ

العَالِمَين العَامِلَين الحَافِظَين
المعرضينِ عنِ الُحطَامِ الفانِي

.....

أَعْني بِهِ شيخُ الوَرى وإِمَامُهم
يُعْزَى إلى تَيميةَ الحرَّاني

والآخَرَ المدعوَ بابن القّيِمِ
بَحرَ العُلُومِ العَالِمِ الرَبَّاني

فَهُمَا اللذَانِ قَدْ أَودعا في كُتْبِهم
غُرَرَ العُلُومِ كثيرةَ الأَلوانِ

فيها الفوائدُ والمسائلُ جُمِّعت.....
من كلِ فَاكهةٍ بِهَا زوجانِ......

وهكذا جدَّ السعدي ((واجتهد في طلب العلم ، وواصل الليالي

(١) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج ٢ ص٦ .

بالأيام، ومضى في تعليمه قُدماً ، لا يلوي على شيء غير العلم ، ولا يريد شيئاً سوى تحصيله، حتى نال الحظ الأوفر من كل علم من العلوم))[١]، في التوحيد ، والحديث ، والفقه وأصوله ، والنحو وقواعده ، والتفسير وعلومه ، وقام بواجب تعليم هذه الفنون للطلاب قرابة نصف قرن من الزمان ، حيث صار من عام (١٣٥٠هـ الموافق ١٩٣١م) وحتى وفاته عام (١٣٧٦هـ الموافق ١٩٥٧م) هو المرجع للتدريس والإفتاء في بلده وما حولها من البلدان .

خامساً : مرضه ووفاته :

القيام بالأعمال ذات النفع المتعدي ، لا بد للقائم بها من مخالطة الناس، لتحقيق مطالبهم ، وحلِّ مشكلاتهم ، وإرشادهم ، وبذل النصح لهم بتعريفهم بأوامر دينهم ، ونواهيه ، فالسعدي تستوقفه الأرملة والعجوز ، والطفل الصغير ، فيقضي لهما حاجتهما ببشر وطلاقة وجه يستسهل المتاعب والمصاعب في اكتساب الأجر والثواب من الله عز وجل ، يقوم بهذه الأعمال إضافة إلى جهوده في سبيل تعليم الناس ، وتأليف الكتب ، يقوم بذلك كله مقتدياً بفعل المصطفى ﷺ ومتمثلاً لقول المصطفى ﷺ : « **المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم** » رواه الترمذي وأحمد وابن ماجه

(١) الفقي ، سيرة العلامة السعدي ، ص١٠ . (مرجع سابق)

والبخاري في الأدب المفرد [١] ، قال الألباني : حسن الإسناد .

ولكثرة مخالطة السعدي للناس ، وبذله نفسه في سبيل خدمتهم ، توالت عليه الأمراض ، فأصبح كالشمعة تضيء للآخرين على حساب إحراق نفسها ، وفي تصوير ذلك يقول الأستاذ مزيد الخطيب في رثاءه للسعدي:

فأنت كشمعة ضاءت وذابت
كثير الغيث تلتهب التهاباً
أذبت دماغك الخصب احتساباً
أذبت العمر أفنيت الشبابا

فلقد ((أصيب السعدي قبل وفاته بأربع سنين بارتفاع الضغط فسافر عام (١٣٧٣هـ الموافق ١٩٥٣م) إلى بيروت للمعالجة ، وبعثته الحكومة السعودية بطائرة خاصة تنقله إلى هناك للعلاج ، وفيها طبيبان صحباه ، وبقي في بيروت أربعين يوماً تحت العلاج حتى شفاه الله وعافاه ، ورجع إلى عنيزة واستمر في تدريسه كعادته ، رغم نهي الأطباء له ، ويقول : إن راحتي في مزاولة عملي بالنفع المتعدي ، وصار الضغط يعاوده كل عام ثلاثة أيام ثم يشفى ، ولا يصده عن الخروج ، ويحدث معه رِعدة وسكتة لا يقدر على الكلام ، وتبقى معه دقيقة ثم تزول بدون تألم سوى برْد يتلوه عَرَق)) [٢] وظل هذا المرض ملازماً له ويعاوده بين الحين

---

(١) البخاري ، محمد بن إسماعيل ، صحيح الأدب المفرد ، بتحقيق محمد ناصر الدين الألباني ، الجبيل : دار الصديق ، ط٢ ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م) ص ١٥٣ .

(٢) القاضي ، روضة الناظرين ، ج ١ ص ٢٢٦ . (مرجع سابق)

والآخر لمدة ثلاث سنوات أي من عام ١٣٧٣هـ وحتى عام ١٣٧٦هـ الموافق (١٩٥٣م / ١٩٥٧ م) ، سنة وفاته ، ((ففي شهر جماد الأخير عام (١٣٧٦هـ الموافق ١٩٥٧م) صلى الشيخ بجماعته ليلة الأربعاء ٢٢/ ٦ / ١٣٧٦هـ ، وبعد سلامه أحس الشيخ بثقل وضعف حركة فلم يتمكن من المشي ، فأشار إلى أحد تلاميذه بأن يمسك يده إلى منزله فلما وصل بيته أغمي عليه ثم أفاق من إغمائه فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله وتكلم مع أهله وقال : إنني بحمد الله بعافية ، وأسندوه وحادثهم محادثة حسنة طيَّب بها قلوبهم ، ثم سكت وعاد الإغماء عليه المطبق و لم يفق بعدها ، فاستدعوا الطبيب له فقرر بأن معه نزيفاً في المخ خطراً إن لم يُتدارك فأبرقوا للملك ولابنه ، فبعث الملك طبيباً خاصاً للمخ لإسعافه بما يحتاجه ، وأقلعت الطائرة من الرياض وكان الجو ملبداً بالغيوم والضباب وفيه مطر ، فلم يساعد الجو على هبوطها ورجعت من حيث أتت ، ثم رجعت من الغد صباح الخميس لمحاولة الهبوط فتلقت المكالمة وهي في الجو بوفاة الشيخ ، فرجعت من حيث أتت ، وكانت وفاته فجر الخميس٢٣ / ٦ / ١٣٧٦هـ الموافق ٢٤ / ٢ / ١٩٥٧ م ، عن تسع وستين سنة قضاها في العلم تعلماً وتعليماًوإفتاءاً وتأليفاً ، وانصدع الناس لموته ، وحزنوا حزناً شديداً ، وبكته العيون)) [١] ، وبموته ((أصاب الناس في " عنيزة " وما جاورها من المدن والقرى ذهول عظيم وحزن عميق ، شمل عامة الناس الصغار والكبار والرجال والنساء ، وأقيمت عليه صلاة الجنازة بعد صلاة

---

(١) القاضي ، (المرجع السابق) ، ج ١ ص ٢٢٧ .

الظهر من يوم الخميس ٢٣/ ٦ / ١٣٧٦هـ، في تجمع عظيم لم تشهد بلدته له مثيلاً من قبل ، ولم تكن المصيبة بفقده في أهل بلده وحدهم بل قد شملت كل من عرفه أو عرف فضله وغزارة علمه في مشارق الأرض ومغاربها ممن انتفعوا بكتبه)) [1] فرحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جنته .

سادساً : رثاؤه :

إن وفاة العلامة السعدي خسارة كبرى ، لا على أهل بلده فحسب ، ولكن على العالم الإسلامي أجمع ، فبفقده فقدت الأمة الإسلامية أحد ألمع علمائها الذين قضوا حياتهم في جهاد الكلمة ، علماً وتعليماً ، حيث تسنم منبر التعليم لمدة تزيد على نصف قرن من الزمان ، فمنذ عام (١٣٢٢هـ الموافق ١٩٠٤م) وحتى وفاته عام (١٣٧٦هـ الموافق ١٩٥٥م) وهو يتعلم ويُعلم ، إضافة إلى التأليف في العلوم الشرعية ، ولقد تركت وفاته فراغاً كبيراً في بلده خاصة ، والعالم الإسلامي عامة ، يقول عنه تلميذه البسام : ((والحقيقة أن عنيزة منذ تأسست لم تصب بمصيبة عامة مثل مصيبتها به)) [2] .

وقد رثاه كثير من العلماء والأدباء ، نختار بعض تلك المراثي :

١- رثاه الدكتور عبد الله بن صالح العثيمين بقوله :

---

(١) الفقي ، سيرة العلامة السعدي ، ص١٥ . (مرجع سابق)

(٢) البسام ، علماء نجد خلال ستة قرون ، ج ٢ ص ٤٣٠ . (مرجع سابق)

مهـج تـذوب وأنفـس تـتحسـر
ولظـى على كل القلوب يسعر
الحزن أضرم في الجوانح والأسى
يصلي المشاعر باللهيب ويصهر
ماذا أقول عن المصاب ومهجتي
ألـمـاً تغـص وعـبرتي تتكسـر
مـاذا أقـول عـن الـمصاب وإننـي
عمـا أحـاول عاجـز ومقصر
كيف التحدث عن مصاب فادح
أكبـادنا مـن هـوله تـتفـطـر

إلى آخر القصيدة وتقارب ثلاثين بيتاً [١] .

كما رثاه الشيخ صالح بن عبد العزيز العثيمين بقصيدة مطلعها :

رزء عظيم أثار الحزن والأسفا
فالدمع فيه على الخدين قد وكفا
رزء أصيب به الإسلام قاطبة
كادت تُفتت من أكبادنا ما اكتنفا
في كل وقت ترى الأخيار قد ذهبت
لا خير في العيش لي حتى وإن عطفا
حبر فحبر نظم سلكه قطعت
إذا تبين بدر قيل قد كسفا

---

(١) البسام ، (المرجع السابق) ، ج ٢ ص ٤٣٠ .

هم أعين الدين والإسلام إن ذهبت

تلك العيون ترى كل الضيا سدفا

اليوم حقاً فقدنا للهدى علماً

اليوم حقاً فقدنا الزهد والشرفا

إلى آخر القصيدة وتقارب خمسة عشر بيتاً (١) .

خاتمة المبحث :

إن حياة العلماء يجب أن تجلى وتحلل لتبقى آثارهم في النفوس صافية ، وسيرتهم في القلوب ثابتة ، فالعلماء زينة الأرض كما الكواكب زينة السماء والعلماء الربانيون هم أولئك الذين جمعوا بين العلم والعمل ، فهم يعلمون الناس بصغار العلم قبل كباره وهم يهدون الناس الطريق المستقيم بأقوالهم وأفعالهم ، فحياتهم تربية وتدريب للأمة ، وموتهم إنما هو ثلم في جدار الأمة.

لقد عاش السعدي متحملاً تعب التكليف والعبادة ، حتى صارت له لذةً وعادة ثم أصبح في عِداد السادة .

رحم الله السعدي الذي عاش بالعلم وللعلم ومع العلم ، فمنذ حداثة سنه ورغبته بتحصيل العلوم شديدة .

ويمكن الخروج من دراسة حياته الشخصية بالدروس التالية :

---

(١) القاضي ، روضة الناظرين ، ج ١ ص ٢٢٩ . (مرجع سابق)

١- إن مكانة العلم والعلماء في الأمة ينبغي أن تكون في الذروة ، فهم مصابيح الدجى ، ومشاعل الهدى وبنورهم يستضاء ويهتدى .

٢- العلم يَنقادُ لمن بذل نفسه ووقته وجهده في طلبه وتحصيله ، وأما مجرد الأماني فإنها لا تسمن ولا تغني من جوع .

٣- إن خير سياج يتقي به المسلم أخطار الشكوك والشبهات والشهوات، إنما هو سياج العلم المثمر للعمل .

٤- علماء الأمة المحمدية إنما هم حلقات ضمن سلسلة الهدى أولاها تبدأ بالمصطفى ﷺ ، وأُخراها مرتبطة بنفس آخر مؤمن منهم على قيد هذه الحياة .

٥- سيرة العلماء العاملين إنما هي نبراس للمؤمنين منها يستلهمون العبر ويستخلصون الدروس فهم قدوة الأمة وأسوتها .

٦- بصبر المسلم على طاعة الله ، وصبره عن معاصي الله ، وقوة يقينه بموعود الله تكون عاقبته أن يكون إماماً لأهل زمانه ، فبالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين .

٧- للإخلاص ثمرات عظيمة ، فمنها القبول التام في الحياة ، وبعد الممات ، والنفع العام للقريب والبعيد ، وبذلك تتسع للعالم دائرة الثناء ، ويعظم له عند الناس الدعاء .

٨- إن في سير علمائنا السابقين واللاحقين ما يكفي الجيل الجديد من أجل تحديد مسيرتهم ، وتقويم إعوجاجهم .

٩- ضرب السعدي المثل الأعلى في قوة ومكانة التعليم الإسلامي التقليدي وأنه ليس فقط يستطيع مجاراة علوم الحاضر ، بل إنه يفوقها ويتولى قيادها بكل قوة وثبات واقتدار ، وما مؤلفات السعدي ، وتلاميذه من بعده إلا أكبر شاهد ودليل لكل منصف على صحة ذلك الكلام .

١٠- السعدي كانت ثمرات تعليمه يانعة عندما خرج بتعليمه عن طرق التعليم التي كانت عليها معظم حلقات التعليم في زمانه ، فهو لم يكتف بتعليمه لتلاميذه بمجرد حشو المعلومات وإلقائها ، بل إنه كان ((يهتم بعقد المناظرات بين تلاميذه المحصلين لشحذ أفكارهم، ويجعل الجعل لمن يحفظ بعض المتون ، وكل من حفظ أعطاه الجعل ، ولا يحرم منه أحداً ، ويتشاور مع تلاميذه في اختيار الأنفع من كتب الدراسة ، ويرجح ما عليه رغبة أكثرهم ، ومع التساوي يكون هو الحكم))[١] . فهو بهذا يعلم تلاميذه على :

[أ] إتقان أسلوب الحوار والمناقشة والاستنباط في المناظرات .

[ب] يهتم بالثواب كدافع ثانوي من دوافع التعلم ، وذلك بتخصيص الجعل لمن يحفظ المتن العلمي .

[ج] تلقين التلاميذ درساً عملياً في أهمية الوفاء بالوعد .

---

(١) الفقي ، سيرة السعدي ، ص ٢٠ . (مرجع سابق)

[د] توقير التلاميذ واحترام وجهات نظرهم والأخذ باقتراحاتهم في تحديد النافع من كتب الدراسة لهم .

فرحمه الله تعالى رحمة واسعة ونفعنا بعلمه .

المبحث الثاني
عقيدته ومذهبه

أولاً : عقيدته :

اليقين با لله عز وجل تمام اليقين يعني التصديق الجازم بما جاء عن الله سبحانه وتعالى من الهدى ودين الحق الموافق لصحيح المنقول وصريح المعقول فهذا اليقين والتصديق إنما هو أسُّ الدين وجِمَاع الخير ، وبه وعليه يقوم كيان الدين الصحيح وترتفع أركانه ، وهو ما يطلق عليه بعض العلماء ((الاعتقاد)) وهو : ((مصدر اعتقد ، ومعناه آمن : اعتقد با لله بمعنى آمن با لله والاعتقاد با لله بمعنى الإيمان به)) [1] ، والعقيدة تعني : ((الإيمان الجازم الذي لا يتطرق إليه شك لدى معتقده ، والإيمان المقصود هنا هو الإيمان با لله تعالى ، وما يجب له من التوحيد والطاعة ، وبملائكته، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، والقدر ، وسائر ما ثبت من أمور الغيب)) [2] .

---

(١) العدناني ، محمد ، معجم الأخطاء الشائعة ، بيروت : مكتبة لبنان ، ط٢ ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م ، ص ١٧٥ .

(٢) عبد الغني ، سيد سعيد ، العقيدة الصافية للفرقة الناجية ، ط١ ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م ، ص ١٩، ٢٠ .

والعقيدة الصحيحة هي نقطة البداية في مسيرة الإصلاح الإسلامي فبصلاح العقيدة وصفائها تصلح أحوال الأمة وتستقيم أعمالها ، كما كان عليه الصدر الأول من سلف هذه الأمة ، فقد كانت لهم الريادة والسيادة والتمكين والرفعة في الأرض بسبب صفاء معتقدهم وسلامته من الشبهات والبدع ، قال تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ « سورة النور ، الآية : ٥٥ » .

فالصلاح والإصلاح مقرون بصحة الاعتقاد ، كما أن السقوط والانحطاط مرهون بانحراف العقيدة ، وتبديل صفائها بالكدر قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ « سورة الكهف ، الآية ١١٠ » .

وتنبع أهمية العقيدة من أسباب كثيرة منها : (١)

١- أنها الوظيفة الأولى لكل نبي ورسول قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ « سورة النحل،

---

(١) القحطاني ، محمد سعيد ، مسائل هامة في توحيد العبادة ، الرياض : دار الوطن ، ط٢ ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م) ص ٩ .

الآية : ٣٦ » .

٢- أنها حق ا لله الذي أوجبه على العباد قال ﷺ : « **حق ا لله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً** » رواه البخاري ومسلم ، وهذا لفظ البخاري [١] .

٣- أنها سبب النجاة من النار كما قال ﷺ : « **من شهد أن لا إله إلا ا لله وأن محمداً رسول ا لله حرم ا لله عليه النار** » رواه مسلم [٢] .

٤- أنها أول ما يجب على الداعية أن يدعو به الناس كما قال ﷺ لمعاذ ابن جبل لمّا بعثه لليمن : « **إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا ا لله وأني رسول ا لله** .... الحديث » رواه مسلم [٣] .

فالعقيدة الصحيحة تعني أصول الدين الراسخة في النفوس المستقرة في القلوب وبقدرما تصح العقيدة لدى الفرد تصح مسيرته في حياته كلها في الأقوال والأعمال بل وحتى الأفكار والخيالات .

إن العقيدة الصحيحة متى ما خالطت بشاشة القلوب غيرتها في التصور والتلقي وفي العمل والتوجيه ، فتصبح العقيدة بذلك قوة فاعلة مؤثرة لا متأثرة ولأهمية جانب العقيدة في مسيرة حياة المسلم ، ولأهمية ذلك في

---

(١) البخاري ، صحيح البخاري بحاشية السندي ، ج ٢ ص ١٤٦ .(مرجع سابق)

(٢) مسلم ، صحيح مسلم بشرح النووي ، ج ١ ص ٢٢٩ . (مرجع سابق)

(٣) مسلم ، (المرجع السابق) ، ج ١ ص ١٩٦ .

البناء التربوي للإنسان ، فإن السعدي أولى عناية خاصة للعقيدة فقد درسها على ثلة من العلماء الذين سيرد ذكرهم في مبحث (مشايخه) حيث تعلم على أيديهم ذلك الأمر ، كما أنه اهتم بدراسة مؤلفات الشيخين ابن تيمية وابن القيم اللذين أوليا جانب الاعتقاد أهمية كبرى في مؤلفاتهما .

كما اهتم السعدي بجانب العقيدة مع تلاميذه ، حيث عقد الدروس وقرر الكتب لتقريرها والإهتمام بها . حيث كانت دروسه في العقيدة محققةً للمعالم التالية :

المعلَم الأول : علاقة الإنسان بخالقه سبحانه :

تقوم هذه العلاقة على تجريد العبادة لله وحده ، وهذه العبادة تستوعب الحياة كلها بل وحتى الممات قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ « سورة الأنعام ، الآيتان : ١٦٢ ، ١٦٣ » فهذه العلاقة علاقة خالق ومخلوق ، ورازق ومرزوق ، وغني وفقير ، وتأسيساً على تلك العلاقة كان لا بد للإنسان من أن يستوحي كافة توجهاته ، وسلوكياته ، وأعماله من خالقه ورازقه الواحد الصمد ((الذي صمدت له المخلوقات بحاجاتها وملماتها الدقيقة والجليلة)) [١] .

---

(١) السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر ، توضيح الكافية الشافية – المجموعة الكاملة / العقيدة ، عنيزة : مركز صالح بن صالح الثقافي ، ١٤١٢هـ /١٩٩٢م ، ص ٣٨.

المعلم الثاني : علاقة الإنسان بالرسول محمد ﷺ :

علاقة تابع ومتبوع ، ومقتدي وقدوة ، وأنه الرحمة المهداة للثقلين الجن والإنس قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ « سورة آل عمران ، آية ٣١ » فهي علاقة قوامها الاتباع الكامل للرسول محمد ﷺ في العسر واليسر والمنشط والمكره .

المَعْلَم الثالث : علاقة الإنسان بالمغيبات :

تقوم هذه العلاقة على تمام اليقين والتصديق بالمغيبات كما ذكرها الله ورسوله لنا ، نؤمن بها وإن لم نرها أو ندركها ، فإن مجرد إخبار الله ورسوله عنها يقتضي وجوب الإيمان والتسليم بها وبهذا الإيمان يحصل التمايز بين المؤمنين وغيرهم من المكذبين قال تعالى : ﴿ الم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ « سورة البقرة ، الآيات : ١ - ٣ » ، وقال تعالى : ﴿ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ﴾ « سورة مريم ، الآية ٦١ » .

المَعْلَم الرابع : علاقة الإنسان ببني جنسه في مجتمعه ومحيطه حيث تقوم هذه العلاقة على روابط وأسس منها :

١- الأمر بالعدل والنهي عن الظلم في أداء الحقوق والواجبات ، سواءٌ

كان ذلك الحق للإنسان أو عليه قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ « سورة الأنعام ، الآية : ١٥٢ » ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ « سورة النساء ، الآية : ٥٨ » .

٢- الأمر بجمع كلمة المسلمين والنهي عن تفريقها ، والقيام بتمام المناصحة فيما بينهم لتصحيح ما يروج بينهم من أخطاء فردية أو جماعية تحقيقاً لأمر الله القائل: ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ « سورة آل عمران ، الآية : ١٠٤ » .

٣- الدعوة لمكارم الأخلاق والأعمال ، والتحذير من مساوئها وسفاسفها قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ « سورة الزمر، الآية ١٨ »، وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ « سورة لقمان ، الآية : ٢٢ » .

فهذه المعالم تقوم بدور التوجيه للفرد والجماعة إلى كل نافع مفيد ،

والتحذير من كل مفسد ضار ، ولا شك أن الكيان التربوي للأمة إذا ما قام على ذلك فإن هذه الأمة ستضمن البقاء والخلود ، والتقدم في هذه الحياة وبعد الممات ، فـ ((الإيمان الحق هو الذي به تتربى الأمة ويعمر الكون ، وبه يبلغ الخلق السعادة في الحياة الدنيا والآخرة)) (١) .

فخلاصة العقيدة الصحيحة كما يراها السعدي تلك التي تتضمن القيام بأصول الدين وفروعه من الأقوال والأعمال والسلوكيات الصالحة ، كما قال تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ « سورة المائدة، الآية ١ » ، وفي معنى هذه الآية يقول السعدي :

(أمرٌ من الله تعالى لعباده المؤمنين ، بما يقتضيه الإيمان بالوفاء بالعقود أي بإكمالها ، وإتمامها ، وعدم نقضها ونقصها ، وهذا شامل للعقود ، التي بين العبد وربه ، من التزام عبوديته والقيام بها أتم قيام ، وعدم الانتقاص من حقوقها شيئاً ، والتي بينه وبين الرسول ﷺ بطاعته واتباعه والتي بينه وبين الوالدين والأقارب ، ببرهم وصلتهم وعدم قطيعتهم ، والتي بينه وبين أصحابه من القيام بحقوق الصحبة في الغنى والفقر ، واليسر والعسر ، والتي بينه وبين الخلق من عقود المعاملات ، كالبيع والإجارة ونحوهما ، وعقود التبرعات كالهبة ونحوها، والقيام بحقوق المسلمين التي عقدها الله بينهم في قوله : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا

---

(١) الحمد ، أحمد بن ناصر ، العقيدة نبع التربية ، مكة المكرمة : دار التراث ، ط١ ، ١٤٠٩هـ ، ص ٣٠ .

بِالْعُقُودِ ﴾ بالتناصر على الحق ، والتعاون عليه ، والتآلف بين المسلمين ، وعدم التقاطع ، فهذا الأمر شامل لأصول الدين وفروعه ، فكلها داخلة في العقود التي أمر ا لله بالقيام بها) [١] .

ثانياً : مذهبه :

ينسب المذهب الحنبلي إلى الإمام أحمد بن محمد بن حنبل (١٦٤هـ - ٢٤١هـ الموافق ٧٧٩م - ٨٥٥م) [٢] .

ويقوم المذهب الحنبلي على تقديم القرآن والسنة ثم قول الصحابي ثم التابعي على من سواهما ، وقد وضح ذلك ابن رجب بقوله :

((وأما فقهاء الحديث العاملون به ، فإن معظم همهم البحث عن معاني كتاب ا لله ، ومايفسره من السنن الصحيحة وكلام الصحابة ، والتابعين لهم بإحسان ، وعن سنة رسول ا لله ﷺ ومعرفة صحيحها وسقيمها ، ثم التفقه فيها وفهمها والوقوف على معانيها ثم معرفة كلام الصحابة والتابعين لهم بإحسان في أنواع العلوم من التفسير والحديث ومسائل الحلال والحرام وأصول السنة والزهد والرقائق وغير ذلك ، وهذا

---

(١) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - المجموعة الكاملة / التفسير، ج ٢ ص ٢٣٣ (مرجع سابق)

(٢) الذهبي ، محمد بن أحمد ، سير أعلام النبلاء ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ط١ ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢م ، ج ١١ص ١٧٧ .

هو طريق الإمام أحمد ومن وافقه من علماء الحديث الربانين)) [١] .

ويعتبر المذهب الحنبلي هو المذهب السائد في البلاد النجدية منذ قيام دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب عام (١١٥٧هـ الموافق ١٧٤٤م) وحتى يومنا الحاضر ، ويرجع السبب في انتشار ذلك المذهب في بلاد نجد إلى ((اتصال نجد إقتصادياً في ذلك الزمن - زمن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - مع الشام أكثر من غيرها فكانت الرحلات التجارية من التجار ، وتصاحبها الرحلات العلمية ، حيث تلقى عدد كبير من العلماء علومهم وإجازاتهم من علماء الحنابلة في الشام ، وصار من هؤلاء التلاميذ النجديين علماء كبار بلغوا في العلم مبلغاً كبيراً ، وانتهت إليهم الرئاسة العلمية في بلدان نجد ، وهم قد اعتنقوا المذهب الحنبلي فأثروا في أهل بلادهم ، فصار جمهور النجديين حنابلة)) [٢] .

والسعدي أحد طلاب العلم الذين تلقو تعليمهم على علماء بلادهم في وسط البلاد النجدية حيث كان مشايخه جلهم يتمذهبون بهذا المذهب ويدرسونه لتلاميذهم ، لهذا فإنه كواحد من التلاميذ أخذ بهذا المذهب في بداية طلبه للعلم ولكنه لما رسخت قدمه في العلم ، وتوسعت مداركه في الفهم ترك التقليد إلى الاجتهاد المقيد وَ ((لا ريب أن كل من أنس من

(١) الحنبلي ، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب ، جامع العلوم والحكم ، بيروت : مؤسسة الكتب الثقافية ، ط١ ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م ، ص ٩٣ .

(٢) البسام ، علماء نجد خلال ستة قرون ، ج ١ ص ١٩، ٢٠ (مرجع سابق)

نفسه فقهاً وسعة علم ، وحسن قصد ، فلا يسعه الالتزام بمذهب واحد في كل أقواله ، لأنه قد تبرهن له صحة مذهب الغير في مسائل ، ولاح له الدليل وقامت عليه الحجة فلا يقلد فيها إمامه ، بل يعمل بما تبرهن ، ويقلد الإمام الآخر بالبرهان لا بالتشهي والغرض)) [١] .

فالسعدي ((خرج عن مألوف بلده من الاهتمام بالفقه الحنبلي فقط إلى الاطلاع على كتب التفسير والحديث والتوحيد ، وكتب شيخ الإسلام ابن تيميه وتلميذه ابن القيم التي فتقت ذهنه ووسعت مداركه فخرج من طور التقليد إلى طور الاجتهاد المقيد ، فصار يرجح من الأقوال ما رجحه الدليل وصدقه التعليل)) [٢] ، وهذه الجسارة من السعدي في خروجه عن مألوف بلده إنما تدل على اهتمامه بالبحث ((عن الدليل الصادق ، والبرهان الوثيق فيمشي وراءه لا يلوي على شيء ، ولا يلقي بالاً لمن يهتفون به ، أو يشغبون عليه من المقلدين المعوقين ، أو من الجبناء الخوافين المجاملين)) [٣] .

وإن انعتاقه من ربقة التقليد لم يكن ليبرر له التشنيع أو التشهير بفقهاء المذهب الحنبلي في أخطائهم باجتهاداتهم الفقهية ، بل إنه ((كان يرجح ما ينبغي ترجيحه بالدليل الشرعي من الكتاب والسنة ، ومع ذلك فما

---

(١) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج ٨ ، ص ٩٣ . (مرجع سابق)
(٢) البسام ، علماء نجد خلال ستة قرون ، ج ٢ ص ٤٢٣ ، ٤٢٤ (مرجع سابق)
(٣) الفقي ، سيرة العلامة السعدي ، ص ٣ (مرجع سابق)

كان يطعن على علماء المذهب ، بل إنه كان يثني عليهم جميعاً كلٌّ على قدر علمه وفهمه ، ومن أصاب منهم فله أجران ، ومن أخطأ فله أجر وله العذر ، إذ هذا مبلغ جهده وعلمه وا لله يغفر للجميع)) [١] .

ولعمر الحق إن ذلك الموقف من السعدي تجاه فقهاء الحنابلة ، إن ذلك دليلٌ أكيدٌ على عظم إنصافه وتواضعه للعلم الذي يحمله بين جنبيه فإن ((المنصف يكاد يجزم بأنه مامن إمام إلا وله أغلاط وأوهام لا سيما المكثرين منهم)) [٢].

وحيث كان للشيخ اجتهاده فإن بعض أصحابه طلبوا منه التأليف فيما يختاره من مسائل الفقه ، فكان تأليفه لكتاب : (المختارات الجلية من المسائل الفقهية) جاء في مقدمته بيان سبب تأليفه بقوله : ((فإنه قد تكرر السؤال من بعض الأصحاب على وضع كتاب في فقه أصحابنا من الحنابلة ، على وجه يتضح به مانختاره ونصححه من المسائل الفقهية ، ونشير إلى شيء من مآخذها وأدلتها)) [٣] .

وفي موضع آخر يبين السعدي الطريقة العلمية التي يجب على طالب

---

(١) الفقي ، (المرجع السابق) ، ص ١١ .

(٢) أبو زيد ، بكر بن عبد ا لله ، حلية طالب العلم ، الدمام : دار ابن الجوزي ، ط٢، د .ت ، ص ٨١ .

(٣) السعدي ، المختارات الجلية من المسائل الفقهية - الكاملة / الفقه ، ج٢ ص٨٧ . (مرجع سابق)

العلم سلوكها عند ترجيح الأقوال في المسائل الفقهية عند التعارض ، بأن الطالب عليه ((أن يجتهد ويحرص في كل مسألة من مسائل الدين والأحكام على تصورها وتحريرها وتفصيلها ، وحدها وتفسيرها ، ثم يسعى في إدراك ما بنيت عليه من الدليل والتعليل الراجح لمعاني الكتاب والسنة وأصولهما)) [١]

ومما سبق بيانه عن مذهب السعدي ، استخلص الباحث النتائج التالية :

النتيجة الأولى :

السعدي كان زمن الطلب متمذهباً بالمذهب الحنبلي حيث إنه لا يزال فكرياً وعلمياً تابعاً لمشايخه ، فليس عنده القدرة العلمية والجسارة النفسية على مخالفة ما اعتادوه من التمذهب بذلك المذهب .

النتيجة الثانية :

إن مرحلة الإنعتاق الفكري ، والتحرر العقلي للشيخ جاءت بعد رسوخ علمه وفهمه ، وقوة استنباطه ، وهذا تقريباً عندما بلغ سن الرابعة والأربعين سنة حوالي عام (١٣٥١هـ) حيث يقول عنه تلميذه القاضي : ((وقد انتهى التدريس إليه في عام ١٣٥١ هـ وكذا الإفتاء ، وكان يميل في فتاويه ومؤلفاته وتدريسه إلى اختيارات ابن تيمية وابن القيم)) [٢] -

---

(١) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج ٢ ص ٨٩ .

(٢) القاضي ، روضة الناظرين ، ج ١ ص ٢٢٣ . (مرجع سابق)

والمعروف أن اختيارات هذين الشيخين كثيراً ما تخالف المذهب الحنبلي معتمدةً الراجح من الأدلة .

النتيجة الثالثة :

إن مؤلفات الشيخ الفقهية قبل بلوغه سن " الأربعين سنة "، كانت وفق المشهور من المذهب الحنبلي ، وهذا كما في منظومته في الفقه حيث ألفها عام (١٣٣٣هـ) ، وأما مؤلفاته بعد سن " الأربعين سنة " فإنها جاءت مقيدة بالدليل والتعليل حسب ما ترجح عند الشيخ ، وهذا كما في كتاب (المختارات الجلية من المسائل الفقهية) حيث ألفه عام (١٣٥٥هـ) وكتاب (الإرشاد إلى معرفة الأحكام) حيث ألفه عام (١٣٥٨هـ) وكتاب (منهج السالكين وتوضيح الفقه في الدين) حيث ألفه تقريباً بعد عام (١٣٧٠ هـ) .

النتيجة الرابعة :

إن معظم مؤلفات السعدي جاءت بعد بلوغه سن الأربعين من عمره ، حيث ألف كتاب (الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين) في عام (١٣٧٢هـ) وكتاب (انتصار الحق) ألفه عام (١٣٦٧هـ) وكتاب (تنزيه الدين وحملته ورجاله مما افتراه القصيمي في أغلاله) ألفه عام (١٣٦٦هـ) وكتاب (الدلائل القرآنية في أن العلوم والأعمال النافعة العصرية داخل في الدين الإسلامي) الفه عام (١٣٧٥هـ)

وكتاب (المواهب الربانية من الآيات القرآنية) حيث بدأ تأليفه عام (١٣٤٧هـ) وكتاب (فوائد مستنبطة من قصة يوسف) في عام (١٣٧٥هـ) ، وهذا التأخر في ظهور مؤلفاته للناس ، وتحريره لهذه المؤلفات يعطي بعداً علمياً لدى السعدي وهو أن التاليف يجب أن يكون بعد التدقيق والتحقيق لهذه المؤلفات ، وبعد أن ترسخ قدم طالب العلم في العلم ، ويصبح من الراسخين في العلم ، وبعد أن ترتفع سنه إلى ما بعد الأربعين حيث اكتمال القوى العقلية ، وبلوغ الأشد .

المبحث الثالث

شيوخه وتلاميذه

أولاً : شيوخه :

لقد أخذ السعدي العلم عن ثلة من العلماء الأفاضل سواء منهم من كان من أهل بلده مقيماً فيها ، أو من كان من الذين مروا على بلده فلبثوا فيها قليلاً ، فاستغل السعدي فرصة وجودهم فطلب العلم على أيديهم ، وقد كان مثار إعجاب مشايخه لما توسموا فيه ، وما لاحظوه عليه من فرط الذكاء وقوة الحفظ ، والنجابة .

ولقد كان رحمه الله عظيم الثناء ، كثير الترحم والدعاء لمشايخه الذين استفاد منهم ، وتعلم على أيديهم ، وما ذلك إلا اعترافاً بحقهم ، وبياناً لفضلهم وعلمهم ، ومن اعترافه ذلك قوله : ((وإني أذكر ، وأتذكر ، كثيراً من الإرشادات التي وصلتني وأتحفني بها بعض إخواني ومشايخي الموجودين والمفقودين ، بعضها من أعوام لا تقل عن خمس وأربعين سنة ، كلما ذكرتها عرفت سعة فضل الله على أولئك المرشدين ، وأن نفس إرشادهم من أجلِّ العبادات ، ثم ما ترتب على آثارها من عبادات متسلسلة ، فجزى الله من وصل إلينا إحسانه القليل والكثير ، أفضل الجزاء ، وتقبل الله سعيهم وضاعف لهم الأجور ، ونحمد الذي أوصل إلينا على أيديهم من الخير والفضل حمداً كثيراً طيباً مباركاً لا يُعد ولا

يُحصى ، فإنه تعالى المنعم المطلق على الجميع ، أنعم بالأسباب ومسبباتها، ونسأله أن يتم النعمة على الجميع)) [١] .

فالشيخ يعترف لأهل الفضل بفضلهم ، فيدعو لهم بظهر الغيب ويشكرهم على إفادتهم وإرشادهم له فيقول : ((رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليَّ وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين ، وأوزعني أن أشكر المحسنين والمرشدين ومن انتفعت بهم مشافهة أو مكاتبة ، أو استفدت من كتبهم ، فإن شكرهم من شكره ، فمن لم يشكر الناس لم يشكر الله)) [٢] .

وفيما يلي أذكر أسماء المشايخ الذين تتلمذ على يديهم ، مع الإشارة قدر المستطاع إلى تخصصاتهم العلمية ، وسوف أذكرهم حسب الترتيب الهجائي وهم :

١- إبراهيم بن حمد بن جاسر :

ولد في مدينة بريدة عام (١٢٤١هـ الموافق ١٨٢٥م) وتعلم فيها على يد علمائها ، ورحل إلى الشام لطلب العلم هناك ، ثم عاد إلى بريدة يحمل مشعلاً من العلم والمعرفة في (الفروع) و (الأصول) خصوصاً في علوم الحديث ومصطلحه ورجاله ، وقد كان يحفظ الصحيحين (صحيح

---

(١) السعدي ، الرياض الناضرة - الكاملة / الثقافة ، ج ١ ص ٤٤٠ (مرجع سابق)

(٢) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج ١ ص ٤٤٠ .

البخاري، وصحيح مسلم) وقد تولى القضاء في عنيزة من عام (١٣١٨هـ حتى عام ١٣٢٣ هـ) الموافق (١٩٠٠ م حتى ١٩٠٥ م) ثم تولى القضاء في بريدة من عام (١٣٢٤هـ حتى عام ١٣٢٦هـ) الموافق لعام (١٩٠٦م حتى ١٩٠٨م) كما تولى القضاء في حائل في آخر حياته ، وتولى الخطابة والتدريس في جامع عنيزة ، وطلب العلم على يديه طائفة كبيرة من طلاب العلم ومن أبرزهم الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي حيث قرأ عليه في الحديث وعلومه ورجاله [١].

وسافر في آخر حياته إلى الكويت للعلاج ، وفي شهر ذي الحجة من عام (١٣٣٨هـ الموافق ١٩١٨م) توفاه الله ودفن في الكويت ، ويعتبر في عداد المعمرين حيث مات وعمره سبع وتسعون سنة رحمه الله تعالى[٢].

٢- إبراهيم بن صالح بن إبراهيم بن عيسى :

ولد هذا العالم في بلدة أوشيقر في شعبان عام (١٢٧٠هـ الموافق ١٨٥٣م) ونشأ نشأة حسنة بتربيةٍ أبويةٍ كريمة حفظ القرآن وجوَّده وشرع بطلب العلم على علماء الوشم ثم رحل إلى سدير فقرأ على

---

(١) طلب السعدي العلم على يدي شيخه إبراهيم بن جاسر ، وكان عمر السعدي يتراوح بين (١١- ١٦) سنة .

(٢) القاضي ، روضة الناظرين ، ج ١ ص ٤١ (مرجع سابق)

البسام ، علماء نجد خلال ستة قرون ، ج١ ص ١٠٢ (مرجع سابق)

علمائها ، ورحل إلى الأحساء فقرأ على أعيان علمائها ، وقد لازم الشيخ عيسى بن عكاس [١] مدة عشر سنين ، ثم رحل إلى الهند فقرأ على علمائه ولازم السيد (صديق حسن خان) [٢] سنتين ، كما قرأ على غيره من علماء الحديث وأُجيز بسند متصل ثم رحل إلى بغداد والبصرة والكوفة ولازم علماءها ، ثم رحل إلى الزبير ولازم العلماء هناك ، ثم رحل إلى الحجاز فقرأ على أعيان علماء المسجد الحرام ، وأخيراً رحل إلى (عنيزة) فاستوطنها وجلس للتعليم فيها بعد رحلاته الكثيرة في طلب العلم ، حيث جد واجتهد وأثمرت رحلاته عن علم غزير قام ببذله وتعليمه للناس ، وقد اشتهر بتعليم علوم العربية والفرائض والحديث ، ولازمه طلبة كثيرون من أبرزهم الشيخ عبد الرحمن بن سعدي ، وعثمان القاضي ، ومحمد السناني ، وآخرين ، وتوفي في عنيزة يوم السبت ٨ من

---

(١) القاضي ، روضة الناظرين ، ج١ ص٤٤ . (مرجع سابق)
البسام ، علماء نجد خلال ستة قرون ، ج١ ص١٧٣ . (مرجع سابق)
آل الشيخ ، عبد الرحمن بن عبد اللطيف ، مشاهير علماء نجد ، الرياض : دار اليمامة ، ط١ ، ١٣٩٢هـ / ص ٢٨٥ .

(٢) هو الإمام أبو الطيب صديق بن حسن بن علي البخاري ، يرجع نسبه إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ولد عام ١٢٤٨هـ في بلدة (بريلي) في الهند ، وطلب العلم على يد علماء الهند ، صاحب مؤلفات كثيرة ، توفي عام (١٣٠٧هـ) (انظر مقدمة كتابه قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر ، بقلم عاصم عبد الله القريوتي ، ص ١١ ، ٢١) .

شهر شوال عام (١٣٤٣هـ الموافق ١٩٢٤م) [1]، وقد كان عمر السعدي عند وفاة شيخه (٣٦) سنة .

٣- صالح بن عثمان بن حمد القاضي :

ولد هذا العالم بمدينة (عنيزة) في شهر ربيع الآخر عام (١٢٨٢هـ الموافق ١٨٦٥م) وقد حفظ القرآن صغيراً ، وأولع في صغره بالشعر ولازم الشيخ عبد الله بن عايض الحربي (العويضي) فقرأ عليه في الشعر والكتابة والحساب والعروض فلازمه ليله ونهاره ، وشرع في طلب العلم بهمة عالية ونشاط ومثابرة فقرأ على علماء عنيزة ، ورحل إلى (بريدة) وتجرد فيها لطلب العلم فلازم علماءها ، وحج عام (١٣٠٧هـ الموافق ١٨٨٩م) - في العام الذي ولد فيه السعدي - وبعدما أتم مناسك الحج سافر إلى مصر فالتحق بالجامع الأزهر ولازم علماءه في علوم الحديث وعلومه ، والتفسير ، وعلوم العربية ، واتصل بالشيخ محمد عبده (١٢٦٦-١٣٢٣هـ) ، ومحمد رشيد رضا (١٢٨٢- ١٣٥٤هـ) ، وثلة من علماء الأزهر ، ثم عاد إلى الحجاز ولازم علماءه ، ومن أبرزهم الشيخ المؤرخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى النجدي (١٢٥٣- ١٣٢٩هـ) والعلامة محمد بن عبد الرحمن الأنصاري الخزرجي وقد أجازه بجميع

---

(١) القاضي ، روضة الناظرين ، ج ١ ص ٤٤ (مرجع سابق)
البسام ، علماء نجد خلال ستة قرون ، ج١ ص ١٧٣ . (مرجع سابق)
آل الشيخ ، مشاهير علماء نجد ، ص ٢٨٥. (مرجع سابق)

مروياته ومن مشايخه العلامة أبو الطيب شمس الحق العظيم آبـادي ، وقـد لبث في مكة المكرمة لطلب العلم حتى عام (١٣٢٤هـ الموافق ١٩٠٦م) وفي شوال من ذلك العام عاد إلى بلده عنيزة وتـولى القضـاء فيهـا - وقـد كـان عمـر السـعدي آنـذاك ١٧ سـنة - كمـا تـولى الإمامــة والخطابـة بجامعها، وانتهى إليه التدريس والإفتاء فيها ، وقد لازمه السـعدي ملازمـة تامة بحيث صار هو الذي يقرأ عليه في الدرس من عام (١٣٣٦هـ الموافـق ١٩١٧م) وحتى وفاته عام (١٣٥١هـ الموافـق ١٩٣٢م) - وقـد كـان عمر السعدي يتراوح بين تسع وعشرين إلى أربع وأربعين سنة فقرأ عليه في الفقه وأصوله ، وكان من أكثر مشايخه نفعاً له واشتهر رحمه الله بحسن التعليم حيث كان يجمع تلاميذه على كتابين أو ثلاثة فقـط وكـان ينهـى تلاميذه عن مطالعة الكتب الخارجة عن بحوث ما يتلقونه مـن دروس لئـلا يحصل عليهم تشويش ، وكان يشـجع طلابـه خصوصـاً المغـتربين منهـم ، ويأمر لهم بمساكن وبما يحتاجونه ليتفرغوا لطلب العلم ، واشتهر رحمـه الله بطبع الكتب فلقد أشار على الملك عبد العزيز بن عبـد الرحمـن آل سـعود بطبع بعض الكتب مثل تفسير ابن كثـير ، وتفسـير البغـوي ، فـأمر الملـك ببعث نسخة منها للشيخ (محمد رشـيد رضـا) فطبعهـا بـأمر الملـك عبـد العزيز له ، وذلك بمطبعة المنار عام (١٣٤٧هــ الموافـق ١٩٢٨م) وكـان مشـهوراً بـالكرم والعطـف علـى الفقـراء والمسـاكين والبـذل والعطـاء والإحسان إليهم توفي في مدينة (عنيزة) يوم الأحد الموافق ٢٥ ربيع ثاني

من عام (١٣٥١هـ الموافق ١٩٣٢م) رحمه الله [١] ، وعند وفاة شيخه القاضي كان عمر السعدي " أربع وأربعون " سنة حيث تولى إمامة المسجد الجامع والإفتاء فيه حتى وفاته عام (١٣٧٦هـ) .

٤- صعب بن عبد الله التويجري :

ولد في مدينة (بريدة) عام (١٢٥٣هـ الموافق ١٨٣٧م) ونشأ فيها نشأة حسنة فرباه والده أحسن تربية ، حفظ القرآن وشرع في طلب العلم بهمة ونشاط فقرأ على علماء (بريدة) الشيخ محمد بن عمر بن سليم ، والشيخ محمد بن عبد الله بن سليم وغيرهم ، ثم سافر إلى الرياض وهناك طلب العلم على يد علمائها ومن أبرزهم العلامة عبد اللطيف ابن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ والشيخ حمد بن عتيق وغيرهم حيث لازمهم مدة من الزمن ثم رجع إلى القصيم وجلس للتعليم في (بريدة) ، وارتحل منها إلى (عنيزة) وسكنها وعقد فيها الدروس للتعليم في أصول الدين وفروعه ، والحديث وعلومه وعلوم العربية وكان حسن التعليم واسع الإطلاع وتتلمذ على يديه العديد من الطلاب من أشهرهم الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي الذي كثيراً ما يثني على شيخه بقوله : إنه من

---

(١) القاضي ، روضة الناظرين ، ج ١ ص ١٥٣ . (مرجع سابق)
البسام ، علماء نجد خلال ستة قرون ، ج١ ص ٣٦٧ . (مرجع سابق)
العمري ، صالح بن سليمان ، علماء آل سليم وتلامذتهم وعلماء القصيم ، الرياض : مطابع الإشعاع ، ط١ ، ١٤٠٥هـ ، ج ٢ ص ٢٦٥ .

خيرة أهل زمانه ، وقد عرض عليه القضاء مراراً فرفض وآثر العافية والسلامة ، وفي آخر حياته عاد إلى بريدة وجلس للتدريس فيها حتى توفي في ٢٥ محرم عام (١٣٣٩هـ الموافق ١٩٢٠م) عن عمر يناهز (٨٦) سنة رحمه الله تعالى [١] ، وكان عمر السعدي آنذاك (إثنى وثلاثون) سنة .

٥- عبد الله بن عايض الحربي :

ولد بمدينة (عنيزة) عام (١٢٤٩ هـ الموافق ١٨٣٣م) ويلقب (بالعويضي) نشأ نشأة حسنة فحفظ القرآن وتعلم القراءة والحساب ومبادئ العلوم في (عنيزة) ، ثم ارتحل منها إلى (مكة المكرمة) لطلب العلم فقرأ على علمائها ، وبعدها ارتحل إلى مصر عام (١٢٨٥هـ الموافق ١٨٦٨م) حيث طلب العلم على علماء الأزهر فنبغ في الفقه وأصوله وعلوم العربية ، واشتهر بحسن الصوت وحسن الخط ، مما جعله يمتهن الكتابة للكسب فينسخ الكتب ويبيعها حتى قيل إنه نسخ ما يقرب من ألف كتاب ، وكان يُضمن الكتب التي ينسخها تعليقاته المفيدة النفيسة ، وعاد إلى (عنيزة) وتولى الإمامة فيها والتدريس بجامع الجوز بعنيزة ، وتولى القضاء فيها من عام (١٣٠٨هـ وحتى عام ١٣١٧هـ الموافق ١٨٩٠م وحتى ١٨٩٩م) وتتلمذ على يديه العديد من التلاميذ من

---

(١) البسام ، علماء نجد خلال ستة قرون ، ج٢ ص ٣٧٩ (مرجع سابق)
القاضي ، روضة الناظرين ، ج ١ ص ١٥١ . (مرجع سابق)
العمري، علماء آل سليم وتلامذتهم وعلماء القصيم ج٢ ص٢٦٧ (مرجع سابق)

أبرزهم الشيخ صالح القاضي ، والشيخ عبد الرحمن السعدي حيث تعلم عليه في الفقه وأصوله ، وعلوم العربية ، واستمر في الإمامة والخطابة والتدريس حتى وافته المنية بسكتة قلبية عام (١٣٢٢هـ الموافق ١٩٠٤م) رحمه الله تعالى [١] ، وكان عمر السعدي آنذاك (١٥) سنة .

٦- علي بن محمد بن إبراهيم السناني :

ولد هذا العالم (بعنيزة) عام (١٢٦٦هـ الموافق ١٨٤٩م) وقيل عام (١٢٦٣هـ الموافق ١٨٤٦م) ونشأ وتعلم في عنيزة على يد علمائها والواردين إليها حتى أدرك في علوم التوحيد والفقه والعربية ، واشتهر بعلم التعبير حيث كان يعبر الرؤى (المنامات) فكان الناس رجالاً ونساءً ينتظرون خروجه من المسجد كل وقت ليعبر لهم رؤاهم ، فكان يقول إذا رآهم : لو أن الناس يسألون عن دينهم جزءاً مما يسألون عن مناماتهم لصاروا فقهاء .

ولقد عُرض عليه القضاء عام (١٣٠٧هـ الموافق ١٨٨٩م) فرفضه ، وعُرض عليه مرة أخرى عام (١٣٢٣هت الموافق ١٩٠٥م) فامتنع إيثاراً للسلامة ، وقد تولى الإمامة والخطابة والتدريس في مسجد أم خمار بعنيزة فطلب العلم على يديه جمع من الطلاب من بينهم الشيخ عبد الرحمن بن

---

(١) القاضي ، روضة الناظرين ، ج ١ ص ٣٤٥. (مرجع سابق)
البسام ، علماء نجد خلال ستة قرون ، ج ٢ ص ٥٦١ . (مرجع سابق)

ناصر السعدي حيث قرأ عليه في التوحيد والفقه . وتوفي بعنيزة عام (١٣٣٩هـ الموافق ١٩٢٠م) رحمه الله [1] .

٧- علي بن ناصر بن محمد أبو وادي :

أصله من بريدة وميلاده في عنيزة عام (١٢٧٣هـ الموافق ١٨٥٦م) عندما نزح والده ناصر من بريدة إلى عنيزة وبها نشأ وقرأعلى علمائها ، كما تتلمذ على علماء بريدة ، ثم سافر لطلب العلم بالرياض وتتلمذ على مشاهير علماءها أمثال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ والشيخ سعد بن عتيق وغيرهم .

وفي عام (١٣٠٥هـ الموافق ١٨٨٧م) رحل إلى (الهند) وشرع في طلب الحديث ومصطلحه على أشهر علماءها أمثال الأمير الشيخ صديق حسن خان (١٢٤٨-١٣٠٧هـ) وعاد في عام (١٣٢٢هـ الموافق ١٩٠٤م) وأدى مناسك الحج وجاور في (مكة) لمدة عامين لطلب العلم وبعدها رجع لبلده (عنيزة) يحمل معه العلوم النافعة ، فتعين إماماً ومدرساً بمسجد الجديدة في (عنيزة) فجلس لتدريس الحديث ورجاله ، والفرائض حيث تتلمذ عليه ثلة من الطلاب منهم الشيخ عبد الرحمن السعدي الذي أفاد منه في الحديث وعلومه والتفسير .

---

(١) البسام ، (المرجع السابق) ، ج ٣ ص ٧٣٣ .
القاضي ، روضة الناظرين ، ج ٢ ص ١٢١ . (مرجع سابق)

وقد استمر في إمامة المسجد والتدريس لمدة سنين طويلة وهو في عداد المعمرين توفي عام (١٣٦١هـ الموافق ١٩٤٢م) بعنيزة وعمره " ثمان وثمانين " سنة قضاها في رحاب العلم والتعليم رحمه الله [(١)] .

٨- محمد الأمين بن محمود الشنقيطي :

وُلد هذا العالم (بموريتانيا) عام (١٢٨٩هـ الموافق ١٨٧٢م) وتعلم ببلاده حتى أجاد علوم العربية ، ثم رحل إلى الحجاز واستقر (بالمدينة المنورة) للعلم والتعليم ، وفي عام (١٣٣٠هـ الموافق ١٩١١م) رحل من (المدينة النبوية) إلى (الزبير بالعراق) مروراً (بعنيزة) فأقام بها أربع سنوات ، وفي مقامه (بعنيزة) استغل السعدي هذه الفرصة فطلب العلم على يديه ولازمه ملازمة تامة حتى أتقن علوم العربية على يديه ، - وكان عمر السعدي " ثلاث وعشرين " سنة وكذلك الحديث والتفسير ، كما أفاد منه في طريقة التدريس القائمة على البحث والمناقشة والاستنباط .

وبعد مرور هذه السنوات الأربع واصل الشنقيطي رحلته إلى (الزبير) في العراق ليتولى الإمامة والخطابة والتدريس في أحد جوامعها وجلس هناك معلماً وخطيباً حتى وافاه الأجل في ١٤ جماد آخر عام (١٣٥١ هـ

---

(١) القاضي ، (المرجع السابق) ، ج ٢ ص ١٢٦ .
البسام ، علماء نجد خلال ستة قرون ، ج ٣ ص ٧٣٨ . (مرجع سابق)

الموافق ١٩٣٢م) أسكنه الله فسيح جناته [١] .

٩- محمد بن عبد العزيز بن محمد بن مانع :

ولد هذا العَلَم في (عنيزة) عام (١٣٠٠هـ الموافق ١٨٨٢م) وبها نشأ وترعرع وتعلم وفي عام (١٣١٨ هـ الموافق ١٩٠٠ م) رحل إلى (بريدة) لطلب العلم على يد علماءها ثم رحل إلى (البصرة بالعراق) ، ثم بغداد حيث قرأ على علمائها في النحو والصرف والفقه والفرائض والمنطق والحساب ، وبعدها رحل إلى (مصر) حيث لازم علماء الأزهر فقرأ عليهم في الفقه والنحو ، ثم ارتحل إلى (دمشق) وهناك التقى بالشيخ جمال الدين القاسمي (١٢٨٣- ١٣٣٢هـ) وأخذ عنه الحديث وعلومه والتفسير ، ثم عاد إلى بغداد ولازم الشيخ محمود شكري الألوسي (١٢٧٣-١٣٤٢هـ) ، وغيره من مشاهير علماء بغداد وقد اشتهر بقوة الحفظ ، فحفظ المتون العلمية في شتى الفنون العلمية خصوصاً متون اللغة العربية .

وفي عام (١٣٢٩هـ الموافق ١٩١١م) عاد إلى عنيزة وقام بالتدريس فيها - وكان عمر السعدي ٢٢سنة - وفي عام (١٣٣١هـ الموافق ١٩١٢م) استدعاه أمير قطر للتدريس والإفتاء والوعظ والقضاء فلبى دعوته وتولى ذلك لمدة سبع وعشرين سنة .

---

(١) آل الشيخ ، مشاهير علماء نجد ، ص ٣٩٢ . (مرجع سابق)
البسام ، (المرجع السابق) ، ج ٢ ص ٣٧١.

وفي عام (١٣٥٨هـ الموافق ١٩٣٩م) دعاه الملك عبد العزيز آل سعود للتدريس في المسجد الحرام ، وولاه رئاسة هيئة التمييز للأحكام الشرعية بمكة ، وهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهيئة الوعظ والإرشاد بالمسجد الحرام ، وفي عام (١٣٦٥هـ الموافق ١٩٤٥م) تم تعيينه مديراً عاماً للمعارف ، ثم أسند إليه رئاسة (دار التوحيد) (بالطائف) ، وفي عام (١٣٧٤هـ الموافق ١٩٥٤م) طلبه أمير قطر مرة أخرى فرحل إلى هناك وقام بالإشراف على سير التعليم وإصلاح مناهجه، فلقد كانت حياته حافلة بالعلم والتعليم ، والتأليف والإشراف والرعاية ، وتتلمذ على يديه تلاميذ كثيرون جداً ومنهم الشيخ عبد الرحمن الناصر السعدي وقد استفاد منه في علوم العربية . وله مؤلفات عديدة منها : مختصر شرح عقيدة السفاريني ، وحاشية على عمدة الفقه، وإرشاد الطلاب إلى فضيلة العلم و الآداب وغيرها من الكتب والرسائل . وفي آخر حياته اشتد عليه المرض فسافر لبيروت للعلاج وتوفي هناك عام (١٣٨٥هـ الموافق ١٩٦٥م) وتم نقل جثمانه إلى قطر حيث دفن هناك رحمه الله وغفر له [١] .

(١) الزركلي ، خير الدين ، الأعلام ، بيروت : دار العلم للملايين ، ط٧ ، ١٩٨٦ ، ج ٦ ص ٢٠٩ .
البسام ، علماء نجد خلال ستة قرون ، ج ٢ ص ٨٢٧ . (مرجع سابق)
القاضي ، روضة الناظرين ، ج ٢ ص ٢٩٧ . (مرجع سابق)
العمري، علماء آل سليم وتلامذتهم وعلماء القصيم، ج٢ ص٤٦٩(مرجع سابق)

١٠- محمد بن عبد الكريم بن إبراهيم الشبل :

ولد هذا الرحالة العالم في (عنيزة) عام (١٢٥٧هـ الموافق ١٨٤١م) وبها نشأ وحفظ القرآن ، وتعلم مبادئ القراءة والحساب ، ثم رحل إلى (مكة المكرمة) للحج وطلب العلم حيث جاور هناك عدة سنين وبعدها رحل إلى (مصر) ودرس على علماء الأزهر كما التقى بعلماء الأمصار الأخرى ، ثم رحل إلى (الشام) ولازم علماءها في الجامع الأموي ، ورحل إلى (العراق) حيث قرأ على علماء الألوسيين كما رحل إلى (الزبير) و(الكوفة) ولازم العلماء هناك ، وبعدها رحل إلى (تركيا) فأقام (بالقسطنطينية) ودرس على علمائها ، ثم ارتحل إلى بلاد (الهند) بقصد لقاء الأمير الشيخ صديق حسن خان لكنه لما وصل (بومباي في الهند) بلغه نبأ وفاة الشيخ صديق حسن خان وذلك عام (١٣٠٧هـ الموافق ١٨٨٩م) فحزن لذلك وعاد إلى بلدته عنيزة حاملاً معه العلم والمعرفة .

وفي عام (١٣١٨هـ الموافق ١٩٠٠م) رُشِح للقضاء فرفضه إيثاراً للعافية والسلامة .

وقد تولى الإمامة والتدريس في أحد مساجد (عنيزة) ، واشتهر بحسن تعليمه وسعة إطلاعه ، وقد درس على يديه الشيخ عبد الرحمن السعدي في علم الفقه وأصوله .

وفي آخر حياته تجرد لتلاوة القرآن والذكر ، ودام على ذلك حتى وافته منيته عام (١٣٤٣هـ الموافق ١٩٢٤م) وعمره " ست وثمانون " سنة رحمه الله [١] ، وكان عمر السعدي " ست وثلاثون " سنة .

الشيخ محمد بن عبد الله بن حمد بن سليم :

ولد هذا العالم (ببريدة) عام (١٢٤٠هـ الموافق ١٨٢٤م) وتعين قاضياً في (بريدة)حتى عام (١٢٩٦هـ الموافق ١٨٧٨م) ، حيث طلب الإعفاء من القضاء فأُعفي ، ورحل إلى (عنيزة) عام (١٢٩٦هـ الموافق ١٨٧٨ م) ، وفي عام (١٣٠٣ هـ الموافق ١٨٨٥ م) تم تعيينه قاضياً (بعنيزة) ، ثم طلبه أمير (بريدة) ليتولى منصب القضاء فعاد وتولاه ، وفي عام (١٣١٨هـ الموافق ١٩٠٠م) نفاه الأمير عبد العزيز بن متعب الرشيد إلى (النبهانية) قرب مدينة (الرس) بالقصيم ، وبعدما افتتح الملك عبد العزيز آل سعود القصيم أعاده للقضاء في (بريدة) وبها توفي عام (١٣٢٣هـ الموافق ١٩٠٥م) ، والمقصود من إيراد هذه النبذة المختصرة جداً عن حياة ذلك العالم لأوضح للقارئ غلط من زعم بأن الشيخ محمد بن عبد الله ابن حمد بن سليم من عداد مشايخ السعدي وهذا الغلط يتضح بما يلي :

---

(١) العمري، علماء آل سليم وتلامذتهم وعلماء القصيم، ج٢ ص٤٦٩(مرجع سابق)
البسام ، علماء نجد خلال ستة قرون ، ج ٣ ص٨٤٣ . (مرجع سابق)
القاضي ، روضة الناظرين ، ج ٢ ص ٢٣٩ . (مرجع سابق)

١- أن ابن سليم ولد عام (١٢٤٠هـ) وتوفي عام (١٣٢٣هـ) والسعدي ولد عام (١٣٠٧هـ) وتوفي عام (١٣٧٦هـ) فعمر السعدي في آخر حياة ابن سليم إنما هو (١٦) سنة .

٢- أن ابن سليم لم يلبث في عنيزة إلا في الفترة من (١٢٩٦هـ) وحتى (١٣٠٣هـ) أو (١٣٠٤هـ) وفي هذه الفترة لم يكن السعدي قد ولد بعد .

٣- أن ابن سليم قضى بقية عمره في النبهانية قرب مدينة الرس لمدة خمس سنوات ، ثم عاد إلى بريدة لمدة سنة أو سنتين ثم توفي .

والسعدي لا يُعرف عنه أنه رحل لطلب العلم خارج مدينة (عنيزة) إلاَّ ما كان من رحلاته للحج والعمرة فقط .

وبهذه المقارنات التاريخية يتضح لي خطأ من قال بأنه من شيوخ السعدي [(١)]

وفي ختام ذكر مشايخ السعدي خرج الباحث بالمعالم التالية :

أولاً : أن كل من شيوخه المذكورين آنفاً قد قاموا بالرحلة في طلب العلم، فمن مقل ومن مستكثر ، ولا شك أن هذه الرحلة تظهر بصماتها على علومهم وعلى طرائق تعليمهم ، حيث أنهم طوفوا

---

(١) ذكره من شيوخ السعدي كل من :

البسام ، علماء نجد خلال ستة قرون ، ج ٣ ص٨٧٢ . (مرجع سابق)

الطيار، صفحات من حياة علامة القصيم ، ص ٦٥ . (مرجع سابق)

البلاد الإسلامية ، فتعددت لديهم المشارب العلمية .

ثانياً : أن لكل من هؤلاء المشايخ تخصصه الذي برز فيه وأجاد ولقد تعددت تخصصاتهم العلمية بتعددهم ، فأفاد السعدي من كل واحد منهم في مجال تخصصه في علم التوحيد ، والفقه وأصوله ، والحديث وعلومه ، والنحو والصرف واللغة ، والتفسير وقواعده ، وهكذا في أصول الدين وفروعه .

ثالثاً : أن رحلات هؤلاء المشايخ قد كفت السعدي مؤونة الرحلة في طلب العلم ، فلقد هيأ الله له هذه الثلة من العلماء الرحالين الذين أفادوه بعلوم العلماء الذين تعلموا على أيديهم وذلك فضل الله سبحانه .

رابعاً: أن من أهم مكتسبات السعدي من مشايخه بعد علمهم أن اكتسب منهم طريقة التعليم التي نقلوها عن معلميهم ومشايخهم في الحجاز والأزهر بمصر ، وسيأتي بيان الفرق بينها وبين طريقة التعليم القديمة التي كانت قائمة مشهورة بنجد في عصره [1] .

---

(١) انظر المبحث الرابع من هذا الفصل .

ثانياً : تلاميذه :

السعدي أحد علماء المسلمين ، ينتظم في سلسلة العلماء المتصلة بعضها ببعض حتى ترتبط مباشرة بالمعلم الأول سيد البشر محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأتباعه أجمعين .

تلك السلسلة المباركة التي تتصل حلقاتها بالنبي المصطفى صلى الله عليه وسلم وتنتهي بنَفَس آخر مؤمن يموت في هذه الدنيا ، فكل عالم ينقل عن السابقين موروثهم النبوي ويوصله للاَّحقين ليقوم العالم بحق بصلة خلف المؤمنين بموصول سلفهم الصالحين .

وما شخصية السعدي إلا حلقة من حلقات العلماء السابقين واللاحقين يقوم بمهمة التبليغ والتعليم ليفوز بجائزة النضارة التي خصها النبي المصطفى ﷺ بفئة الناقلين المبلغين للميراث النبوي الشريف ، فالسعدي وقف نفسه وحياته على طلب العلم وتعليمه كيما يعطي نفسه الأمن الشامل ، والطمأنينة التامة الناتجة عن الانصراف التام للعلم والتعليم ، ومن عظيم حرصه على ذلك أنه في مقتبل عمره وريعان شبابه وهو يطلب العلم على مشايخه كان إذا انتهى من دروسهم ، عقد حلقة تدريس لزملاءه وأقرانه في الدراسة الذين لما رأوا جودته وتميزه عليهم رضوا بالمثول بين يديه متعلمين منه فهو يتعلم ويعلم في نفس الوقت ، فحاله كحال المصباح يضيء بنفسه ، ويضيء للآخرين .

وقد تتلمذ على يديه العديد من الطلاب الذين حملوا من بعده مشعل العلم والتعليم ليبلغوه من وراءهم مُسْتَنِّينَ بنَهْجه ، مُتبِّعين لطريقه في العلم والتعليم وبالنظر إلى التخصصات العلمية ، والمناصب العملية التي كان عليها تلاميذ السعدي يدرك القارئ بأن دروس السعدي إنما كانت بمثابة الجامعة العلمية التي كانت تدرس مختلف التخصصات العلمية الشرعية ، حيث حمل هؤلاء التلاميذ عن شيخهم تلك العلوم ، مشفوعة بحسن طريقة التعليم ، التي تلقوا فيها هذه العلوم عن شيخهم ولذلك رسخت تلك العلوم في أذهانهم ، وتمثلوها واقعاً عملياً مباشراً فكان منهم من تولى التدريس النظامي بالمدارس الحكومية وسيأتي ذكرهم بتراجمهم في هذا المبحث ، ومنهم من تولى التدريس في المساجد دون المدارس ، ومنهم من تقلد منصب القضاء والفتيا للناس ، وكلهم أو جلهم تولوا الإمامة والخطابة في المساجد ، ومنهم من مارس التأليف وتدوين الكتب ، وفيما يلي أشير إلى أشهر من عرف من تلاميذه بالتأليف والتدريس ، ثم أذكر بعد ذلك أسماء تلاميذه مرتبين حسب الترتيب الهجائي :

١- الشيخ محمد بن صالح العثيمين :

أشهر تلاميذ السعدي ، وأكثرهم تأثراً بشيخه حيث يقول : ((إنني تأثرت به كثيراً في طريقة التدريس وعرض العلم وتقريبه للطلبة بالأمثلة والمعاني ، وكذلك تأثرت به من ناحية الأخلاق لأن الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله كان على جانب كبير من الأخلاق الفاضلة وكان

رحمه الله على قدر كبير في العلم والعبادة ، وكان يمازح الصغير ويضحك إلى الكبير وهو ما شاء الله من أحسن من رأيت أخلاقاً)) [١] .

وقد تولى الإمامة والخطابة والتدريس بعد وفاة شيخه السعدي ، ودروسه قائمة في مسجد شيخه بعنيزة إلى يومنا هذا كما أن دروسه في مواسم رمضان والحج تقام في المسجد الحرام بمكة المكرمة ، وله باع طويل في التأليف ومن مؤلفاته ما يلي :

١- فتح رب البرية بتلخيص الحموية ، وهو أول كتاب ألفه الشيخ العثيمين حيث ألفه عام ١٣٨٠هـ .

٢- مجالس رمضان في أحكام الصيام والقيام والزكاة وغيرها .

٣- المنهج لمريد العمرة والحج في بيان مناسك الحج والعمرة .

٤-تسهيل الفرائض .

٥- شرح لمعة الاعتقاد .

٦- شرح العقيدة الواسطية .

٧- أقسام المداينة .

٨- الضياء اللامع من الخطب الجوامع .

٩- المجموع الثمين من فتاوى ابن عثيمين .

١٠- أصول التفسير .

---

(١) العثيمين ، محمد بن صالح ، التعليقات على كشف الشبهات ، بيروت : دار المعالي، ط١ ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م ، ص ١٠ .

١١- تفسير آيات الأحكام .

١٢- الأصول من علم الأصول .

١٣- رسالة في الوضوء والغسل والصلاة .

١٤- تفسير آية الكرسي .

١٥- الأضحية والذكاة .

١٦- القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى .

١٧- عقيدة أهل السنة والجماعة .

١٨- رسائل في : الحجاب - الصلاة وطهارة أهل الأعذار - مواقيت الصلاة - سجود السهو - كفر تارك الصلاة - أحكام الميت وغسله - المسح على الخفين - قصر الصلاة للمبتعثين - الدماء الطبيعية - زكاة الحلي .

١٩- الفتاوى النسائية .

٢٠- المجموع الكبير من الفتاوى .

٢١- حقوق دعت إليها الفطرة وقررتها الشريعة .

٢٢- الخلاف بين العلماء أسبابه وموقفنا منه .

٢٣- من مشكلات الشباب .

٢٤- الإبداع في كمال الشرع وخطر الابتداع .

٢٥- الشرح الممتع على زاد المستقنع .

ويعتبر هذا الكتاب من أكبر مؤلفات الشيخ وأهمها ، وحتى كتابة هذا

البحث وهو لم يخرج منه إلا ثمان مجلدات ، والكتاب في الفقه الحنبلي إلا أن الشيخ يذكر الراجح بدليله وتعليله ولو خالف المذهب وهذه طريقة شيخه السعدي رحمه الله تعالى .

ولم يكتف الشيخ بهذه المؤلفات بل له العدد الكبير من المحاضرات العلمية والدروس العلمية ، والندوات والفتاوى في أشرطة التسجيل الكاسيت ، وهي متداولة بين أيدي المسلمين في كافة بلدان العالم الإسلامي ولله الحمد .

٢- الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسّام :

من تلاميذ السعدي البارزين ، تولى منصب القضاء بمحكمة الطائف ، وفي عام ١٣٩٠هـ تم تعيينه عضواً في هيئة تمييز الأحكام الشرعية بالمنطقة الغربية بمكة المكرمة ، وأحيل للتقاعد بعد توليه رئاسة محكمة التمييز وذلك في منتصف عام ١٤١٧هـ ويقوم بالتدريس في المسجد الحرام حالياً، وله قدرة فائقة في التأليف ، وله من المؤلفات ما يلي [1] :

١- علماء نجد خلال ستة قرون .

٢- تيسير العلام شرح عمدة الأحكام .

٣- توضيح الأحكام من بلوغ المرام .

٤- القول الجلي في زكاة الحلي .

---

(١) تم استيفاء المعلومات مشافهة من الشيخ للباحث .

٥- تنوير ذوي البصائر .

٦- شرح كشف الشبهات .

٧- تقنين الشريعة ومضارها .

٨- القول المختار من فقه الأخيار - مخطوط - .

٩- نيل المآرب شرح عمدة الطالب .

١٠- شرح البيقونية .

١١- تاريخ الجزيرة العربية - مخطوط - .

١٢- نبذة عن أسرة آل بسام - مخطوط - .

فبارك الله في علم الشيخ ومؤلفاته .

وفيما يلي بيان بأسماء تلاميذه مرتبين حسب الحروف الهجائية ، مع الإشارة بقدر الاستطاعة إلى جهودهم العلمية والعملية في المجتمع ، ليدرك بذلك القارئ مكانة معلمهم العلمية ، ويعرف مقدرته التعليمية حيث أصبح لتلاميذه ذلك البروز والتميز المختلف عن تلاميذ المشايخ الآخرين المعاصرين له ، وهؤلاء التلاميذ هم :

١- إبراهيم بن عبد العزيز الغرَيِّر :

ولد في (عنيزة) عام (١٣٢٢هـ الموافق ١٩٠٤م) وطلب العلم بجد واجتهاد فكان واسع الاطلاع في الفقه وأصوله ، والحديث وعلومه ، في عام (١٣٥٦هـ الموافق ١٩٣٧م) تولى إمامة جامع الجديدة في (عنيزة) ، وفي عام (١٣٧١هـ الموافق ١٩٥١م) تعين مدرساً (بالمعهد السعودي)

في (عنيزة) ، وفي عام (١٣٧٣هـ الموافق ١٩٥٣هـ) تعين مدرساً (بمعهد عنيزة العلمي) ، وتوفي في عيد الفطر عام (١٤٠١هـ الموافق ١٩٨١م)[(١)].

٢- إبراهيم بن محمد العمود :

ولد في (عنيزة) عام (١٣٢٣هـ الموافق ١٩٠٥) وطلب العلم بهمة عالية حيث لازم خاله الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي فقرأ عليه في الفقه والحديث ، كما قرأ على غيره من العلماء داخل (عنيزة) وخارجها . وفي عام (١٣٥٤هـ الموافق ١٩٣٥م) ذهب مع شيخه عبد الرحمن بن عقيل للتوعية والإرشاد جنوب المملكة العربية السعودية ، وفي عام (١٣٦٣هـ الموافق ١٩٤٣م) تولى القضاء (بالدمام) ، وفي عام (١٣٨٠هـ الموافق ١٩٦٠م) تولى القضاء (بالرياض) ، وتوفي عام (١٣٩٤هـ الموافق ١٩٧٤م)[(٢)] .

٣- حمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن القاضي :

ولد في (عنيزة) عام (١٣٢٣هـ الموافق ١٩٠٥م) وحفظ القرآن صغيراً وتعلم مبادئ القراءة والكتابة ، ثم بدأ بطلب العلم على علماء (عنيزة)، فقرأ على السعدي في الحديث والفقه والفرائض ولازمه ملازمة

---

(١) القاضي ، روضة الناظرين ، ج١ ص٥٨ . (مرجع سابق)

(٢) البسام ، علماء نجد خلال ستة قرون ، ج٢ ص٤٢٧ . (مرجع سابق)

تامة . وفي عام (١٣٦٧هـ الموافق ١٩٤٧م) عُرِضَ عليه القضاء فرفض، وفي عام (١٣٧٠هـ الموافق ١٩٥٠م) عُين مدرساً ثم مديراً لمدرسة (أم تلعه) (بالبدائع) في القصيم . وفي عام (١٣٧٧هـ الموافق ١٩٥٧م) نُقل لمدرسة أخرى . وفي عام (١٣٧٨هـ الموافق ١٩٥٨م) تم ترشيحه رئيساً لهيئة الأمر بالمعروف فرفض، وفي عام (١٣٨٣هـ الموافق١٩٦٣م) انتقل لمدرسة (الضليعة) (بعنيزة) ،وفي عام (١٣٨٦هـ الموافق ١٩٦٦م) أُحيل إلى التقاعد، فتجرد للتلاوة والعبادة وتوفي في (الرياض) ودفن فيها عام (١٣٩٥هـ الموافق ١٩٧٥م) [(١)] .

٤- حمد بن عثمان الخويطر :

كان كثير الحضور لدروس الشيخ السعدي ، تولى إمامة أحد المساجد في عنيزة ، واشتهر بتدوين الوثائق ، توفي عام (١٤٠٤هـ الموافق ١٩٨٣م) [(٢)] .

٥- حمد بن محمد البسام :

درَّس في (معهد عنيزة العلمي) ، ثم تولى التدريس (بفرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالقصيم) ، وكان هوالقارئ على السعدي في درسه [(٣)] .

---

(١) القاضي ، روضة الناظرين ، ج١ص٩٦ . (مرجع سابق)

(٢) الرميان ، عبد الله بن محمد ، السعدي منهجه وأثره في الدعوة إلى الله ، ص٣٨ . (مرجع سابق) . القاضي ، روضة الناظرين، ج١ ص٢٢٣ (مرجع سابق).

(٣) الطيار، صفحات من حياة علامة القصيم السعدي، ص٦٩ (مرجع سابق) القاضي ، روضة الناظرين ، ج ١ ص ٢٢٢ . (مرجع سابق)

٦- حمد بن محمد المرزوقي :

ولد في (عنيزة) عام (١٣٤٦هـ الموافق ١٩٢٧م) حفظ القرآن وهو صغير ثم شرع بطلب العلم بجد واجتهاد حيث بدأ تعليمه على يد كبار تلاميذ السعدي ، ثم بعد ذلك التحق بدروس شيخه السعدي ، حيث قرأ عليه في الأصول والفروع والحديث والتفسير ، وفي عام (١٣٧٣هـ الموافق ١٩٥٣م) التحق بالدراسة في (معهد عنيزة العلمي) حتى تخرج منه ، ثم التحق (بكلية الشريعة) (بالرياض) عام (١٣٨٠هـ الموافق ١٩٦٠م) وبعد تخرجه تعين مدرساً (بمعهد حائل العلمي) . وفي عام (١٣٨٤هـ الموافق ١٩٦٤م) تعين مدرساً (بمعهد النور) في عنيزة حتى عام (١٤٠٥هـ الموافق ١٩٨٤م) ثم انتقل للتدريس (بمتوسطة فلسطين) (بعنيزة) عام (١٤٠٦هـ الموافق ١٩٨٥م) وبعدها أُحيل إلى التقاعد ، نفع الله به وبعلمه [١] .

٧- سليمان بن إبراهيم البسَّام :

ولد في (عنيزة) عام (١٣٢٨هـ الموافق ١٩١٠م) حفظ القرآن وتعلم مبادئ القراءة والكتابة والحساب ، وفي عام (١٣٤٧هـ الموافق ١٩٢٨م) شرع في طلب العلم بجد ومثابرة فقرأ على مشاهير علماء (عنيزة) ولازم شيخه السعدي سنين طويلة ملازمة تامة ، فقرأ عليه في الحديث وعلومه، والفقه وأصوله ، وفي عام (١٣٥٦هـ الموافق ١٩٣٧م)

---

(١) الطيار ، صفحات من علامة القصيم السعدي ، ص٧٠ . (مرجع سابق)
البسام ، علماء نجد خلال ستة قرون ، ج٢ ص٤٢٧ . (مرجع سابق)

جلس لتعليم الطلاب في الجامع الكبير (بعنيزة) ، واستمر على ذلك ، وفي عام (١٣٧٣هـ الموافق ١٩٥٢م) تم تعيينه مدرساً (بمعهد عنيزة العلمي) ، وكان حسن التعليم قوي الذاكرة ، وفي عام (١٣٧٥هـ الموافق ١٩٥٥م) أُلزم بالقضاء فامتنع تورعاً ، وتوفي عام (١٣٧٧هـ الموافق ١٩٥٧م) [١] .

٨- سليمان بن صالح بن حمد البسام :

من أعيان مدينة (عنيزة) وتجارها ، ومن خواص الشيخ السعدي والمقربين إليه ، له باع طويل في العلوم الشرعية والعربية ، وله دراية تامة بالتاريخ الجاهلي والإسلامي ، وعنده معرفة بأنساب العرب القديمة والحديثة، ويحفظ الشعر، واهتم بالبحث والاطلاع والتعليم والمناقشة [٢] .

٩- سليمان بن صالح الخزيم :

من أهالي (البكيرية) بالقصيم ، تولى قضاء نجران وغيرها سنين حتى أحيل إلى التقاعد ، اشتهر بالزهد والورع ، توفي في (البكيرية) عام (١٤٠٧هـ الموافق ١٩٨٦م) [٣] .

---

(١) القاضي ، روضة الناظرين ، ج ١ ص ١٤٣ . (مرجع سابق)
البسام ، علماء نجد خلال ستة قرون ، ج٢ ص٤٢٦ . (مرجع سابق)
(٢) الطيار، صفحات من حياة علامة القصيم السعدي ، ص٧١. (مرجع سابق)
(٣) الرميان ، السعدي منهجه وأثره في الدعوة إلى الله ، ص ٣٨ . (مرجع سابق)
القاضي ، روضة الناظرين ، ج ٢ ص ٣٣١ ، ٣٣٦ . (مرجع سابق)

١٠- سليمان بن عبد الرحمن الدامغ :

أحد تلاميذ السعدي ، كفيف البصر ، درَّس في المدارس الحكومية حتى تقاعد ، وهو خال للشيخ محمد بن صالح العثيمين ، ويسكن حالياً في الرياض [(١)] .

١١- سليمان بن عبد الله السلمان :

من تلاميذ السعدي الملازمين له ، ويعمل حالياً بالتجارة ، وقد طعن في السن ويسكن حالياً في عنيزة [(٢)] .

١٢- سليمان بن عبد الكريم السناني :

أحد تلاميذ السعدي، تولى قضاء (وادي فاطمة)، ثم قضاء (الدليمية) وكتابة عدل (عنيزة) ، وتوفي عام (١٤٠٩هـ الموافق ١٩٨٨م) [(٣)] .

١٣- سليمان بن محمد الشبل :

ولد في (عنيزة) عام (١٣١٢هـ الموافق ١٨٩٤م) وتربى تربية حسنة في كنف والده

المحدث الفقيه شيخ السعدي : محمد بن عبد الكريم الشبل ، وقد لازم

---

(١) الرميان ، السعدي ومنهجه وأثره في الدعوة إلى الله ، ص ٣٥ . (مرجع سابق)
البسام ، علماء نجد خلال ستة قرون ، ج٢ ص٤٢٧ . (مرجع سابق)

(٢) الرميان ، السعدي منهجه وأثره في الدعوة إلى الله ، ص ٣٥ . (مرجع سابق)

(٣) الرميان ، (المرجع السابق) ، ص ٣٨ .

سليمان شيخه السعدي ملازمة تامة فقرأ عليه في الحديث والفقه ، ورحل لطلب العلم إلى (الحجاز) و(الهند) و(العراق) ، تولى التدريس بإحدى مدارس (الطائف) ، وفي عام (١٣٥٢هـ الموافق ١٩٣٩م) تولى التدريس بالمدرسة (العزيزية بعنيزة) ، وفي عام (١٣٧٧هـ الموافق ١٩٥٧م) تم إحالته للتقاعد فتجرد للعبادة وحضور دروس الشيخ محمد العثيمين أحد تلاميذ السعدي البارزين، وذلك في (الجامع الكبير بعنيزة)، توفي عام (١٣٨٦هـ الموافق ١٩٦٦م) [1] .

١٤- سليمان بن محمد الرهيط :

كفيف البصر ، سليم البصيرة وقوي الحافظة ، تولى إمامة أحد مساجد (عنيزة) ، توفي عام (١٤٠٨هـ الموافق ١٩٨٧م) .

١٥- صالح بن عبد الله الزغيبي :

ولد في (عنيزة) عام (١٣٠٠هـ الموافق ١٨٨٢م) حفظ القرآن وهو صغير ، بدأ بطلب العلم على ثلة من علماء (عنيزة) أمثال صالح العثمان القاضي ، وعلي بن محمد السناني ، وعلي بن ناصر أبو وادي ، وقد أجازه أبو وادي بسنده المتصل ، وكان يجلس مع السعدي والقاضي للمذاكرة ويقول : لقد استفدت من هذه المذاكرة والمراجعة معهما فوائد جمة ، تم ترشيحه للقضاء فامتنع تورعاً ، وفي عام (١٣٤٤هـ الموافق ١٩٢٥م) عينه الملك عبد العزيز آل سعود إماماً وخطيباً للمسجد النبوي الشريف ، واستمر في الإمامة والوعظ حتى توفي (بالمدينة المنورة) عام

(١) القاضي ، روضة الناظرين ، ج ١ ص ١٤٧ . (مرجع سابق)

(١٣٧١هـ الموافق ١٩٥١م) [١] .

١٦- صالح بن عبد الله الجارد :

ولد عام (١٣٢٠هـ الموافق ١٩٠٢م) بقرية (النبهانية) قرب مدينة (الرس) بالقصيم ، حفظ القرآن وهو صغير ، وطلب العلم بنشاط وهمة وطموح على علماء (الرس) محمد بن رشيد ، وإبراهيم الضويان ، ثم رحل إلى (عنيزة) فقرأ على علمائها صالح القاضي وعبد الرحمن السعدي ، ثم رحل إلى (بريدة) فقرأ على علمائها عبد الله بن سليم وعمر بن سليم ، ثم رحل إلى (الرياض) وقرأ على علمائها ومنهم محمد ابن إبراهيم آل الشيخ ، وعبد اللطيف بن إبراهيم آل الشيخ ، اشتهر بالحفظ القوي ، والذاكرة العجيبة ، وهو كفيف البصر تولى قضاء مدينة (شقراء) ، ثم نقل لقضاء مدينة(مرات) ، ثم نقل إلى (أملج) حيث عمل في سلك القضاء لمدة عشر سنوات ، وعمل رئيساً لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتوفي عام (١٣٨٠هـ الموافق١٩٦٠م)[٢].

١٧- صالح بن محمد الزغيبي :

أحد طلاب العلم على يد السعدي ، درَّس (بمكة) وبها سكن وفيها توفي عام (١٤٠٧هـ الموافق ١٩٨٦م) [٣] .

---

(١) القاضي ، (المرجع السابق) ، ج ١ ص ١٨٤ .
البسام ، علماء نجد خلال ستة قرون ، ج٢ ص٤٢٧ . (مرجع سابق)

(٢) القاضي ، روضة الناظرين ، ج ١ ص ١٨٩ . (مرجع سابق)

(٣) الرميان ، السعدي منهجه وأثره في الدعوة إلى الله ، ص ٣٩ . (مرجع سابق)
القاضي ، روضة الناظرين ، ج ١ ص٢٢٣ . (مرجع سابق)

١٨- عبد الرحمن بن حمد الفوزان :

من تلاميذ السعدي ، كتب ترجمة لشيخه عندما توفي ، وذكر فيها أن هدف السعدي من مؤلفاته : نشر العلم ومحاولة تقريبه وحل مشاكل هذا العصر بالحل الديني الصحيح، وقد عمل في (كلية الشريعة) (بالرياض)، كما عمل مستشاراً بإمارة (مكة المكرمة) ، كما تولى رئاسة ديوان المظالم (بالمنطقة الشرقية) توفي عام (١٤١٣هـ الموافق ١٩٩٢م) [١].

١٩- عبد الرحمن بن عبد العزيز بن زامل السليم :

من كبار تلاميذ السعدي سناً ، ومن أعيان مدينة (عنيزة) ، لازم السعدي وجرت بينهما مناقشات ومحاورات علمية ، ومن فرط إعجابه بشيخه السعدي قال يمدحه :

دع عنك ذكر الهوى واذكر أخا ثقة
يدعو إلى العلم لم يقعد به الضجر
شمس العلوم ومن بالفضل متصف
مفتاح خير إلى الطاعات مبتكر
بحر من العلم نال العلم في صغر
مع التقى حيث ذاك الفوز والظفر
نال العلا يافعاً تعلو مراتبه
ففضله عند كل الناس مشتهر

(١) الرميان ، السعدي منهجه وأثره في الدعوة إلى الله ، ص ٣٩ . (مرجع سابق)
الفقي ، سيرة العلامة السعدي ، ص ٣٠ . (مرجع سابق)

بالفقه في الدين نال الخير أجمعه
والفقه في الدين غصن كله ثمر

وقد تميز بالأدب والتاريخ توفي عام (١٤٠٢هـ الموافق ١٩٨١م)[١].

٢٠- عبد الرحمن بن محمد السماعيل :

من تلاميذ السعدي قرأ عليه في الأصول والفروع والحديث والتفسير ، ولما افتتح (معهد عنيزة العلمي) انتسب للدراسة فيه ، ولما حاز على شهادة الثانوية إلتحق (بكلية الشريعة) في (الرياض) انتساباً فتخرج منها عام (١٣٩٢هـ الموافق ١٩٧٢م) ثم درس في (مصر) بمعهد الدراسات الإسلامية وتولى التدريس بمدارس (عنيزة) ، ثم عُين موجهاً للتربية الإسلامية بتعليم (عنيزة)، وتولى الإمامة والخطابة (بجامع الضبط) (بعنيزة) [٢] .

٢١- عبد الرحمن بن محمد المقوشي :

من أفقه تلاميذ السعدي ، تولى القضاء (بالرياض) ، ثم (بالقويعية) غرب مدينة الرياض توفي عام (١٤٠٥هـ الموافق ١٩٨٤م) [٣] .

---

(١) القاضي ، روضة الناظرين ، ج ١ ص٢٢٦ . (مرجع سابق)

(٢) الطيار ، صفحات من حياة علامة القصيم ، ص٧٤ . (مرجع سابق)
البسام ، علماء نجد خلال ستة قرون ، ج٢ ص٤٢٧ . (مرجع سابق)

(٣) الرميان ، السعدي منهجه وأثره في الدعوة إلى الله ، ص ٣٩ (مرجع سابق)
البسام ، علماء نجد خلال ستة قرون ، ج٢ ص٤٢٨ . (مرجع سابق)

٢٢- عبد الرحمن بن عقيل بن عبد ا لله العقيل :

ولد بمدينة (عنيزة) عام (١٣٠٢هـ الموافق ١٨٨٥م) وحفظ القرآن غيباً وشرع في طلب العلم على علماء (بريدة) و(عنيزة) ، وفي عام (١٣٥٣هـ الموافق ١٩٣٤م) عين قاضياً (بجيزان) ، وفي عام (١٣٥٤هـ الموافق ١٩٣٥م) شارك في لجنة ترسيم وإصلاح الحدود مع (اليمن) ، وفي عام (١٣٥٨هـ الموافق ١٩٣٩م) طلب الإعفاء من القضاء فأُعفي ، ورجع لبلدته (عنيزة) وقام بالتدريس والخطابة فيها حتى توفي عام (١٣٧٣هـ الموافق ١٩٥٣م) [١]

٢٣- عبد العزيز بن إبراهيم الغرَيِّر :

درَّس في المدارس الحكومية ، ثم عمل بإدارة التعليم ، وتوفي عام (١٤١٣هـ الموافق ١٩٩٢م) [٢] .

(٢٤) عبد العزيز بن عبد ا لله السبيِّل :

أحد تلاميذ السعدي المتميزين بالفقه ، تولى قضاء (البكيرية) ، وكان السعدي يثني عليه كثيراً بسعة اطلاعه ، تولى التدريس بالمسجد الحرام وهو أخ للشيخ محمد بن عبد ا لله السبيِّل رئيس شؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف حالياً، توفي عام (١٤١٢هـ الموافق١٩٩١م)[٣].

---

(١) القاضي ، روضة الناظرين ، ج ١ ص٢١٢ . (مرجع سابق)
الطيار ، صفحات من حياة علامة القصيم السعدي ، ص٧٥ .(مرجع سابق)
(٢) الرميان ، السعدي منهجه وأثره في الدعوة إلى ا لله ، ص ٣٩ . (مرجع سابق)
(٣) الرميان ، (المرجع السابق) ، ص ٣٩ .
القاضي ، روضة الناظرين ، ج ٢ ص٦ . (مرجع سابق)

٢٥- عبد العزيز بن علي المساعد العبد المنعم :

تخرج من (كلية الشريعة) (بالرياض) عام (١٣٨٠هـ الموافق ١٩٦٠م) ودرَّس بمعهد الرياض العلمي ، ثم انتقل للتدريس (بمعهد عنيزة العلمي) حتى تقاعد، توفي عام (١٤١١هـ الموافق ١٩٩١م) [1] .

٢٦- عبد العزيز بن محمد البسام :

حافظٌ للقرآن ، طلب العلم على يد الشيخ السعدي والقاضي في الفقه والحديث واللغة العربية ، له اهتمام بحفظ واقتناء المخطوطات وكان ينوب عن شيخه في الإمامة والخطابة حال غيابه ، وهو الذي أمَّ الناس بالصلاة على السعدي عند وفاته ، لم يتول أي مناصب حكومية توفي عام (١٤١٣هـ الموافق ١٩٩٢م) [2] .

٢٧- عبد العزيز بن محمد السلمان :

أحد تلاميذ السعدي ، درس (بمعهد إمام الدعوة بالرياض) ، له جهد مشكور في التصنيف والجمع والتأليف ، ومن مؤلفاته : (موارد الظمآن لدروس الزمان) ويقع في ستة مجلدات ، وكتاب (الأسئلة والأجوبة الفقهية) ويقع في سبع مجلدات ، وكتاب : (الكواشف الجلية عن معاني الواسطية) وكتبه وقف لله تعالى توزع مجاناً ، ويسكن حالياً في مدينة

---

(١) الرميان ، السعدي منهجه وأثره في الدعوة إلى الله ، ص ٣٩ . (مرجع سابق)
البسام ، علماء نجد خلال ستة قرون ، ج٢ ص٤٢٧ . (مرجع سابق)

(٢) البسام ، (المرجع السابق) ، ج٢ ص٤٢٦ .
الرميان ، السعدي منهجه وأثره في الدعوة إلى الله ، ص ٣٩ . (مرجع سابق)

(الرياض) [١] .

٢٨- عبد الله بن حسن البريكان :

من تلاميذ السعدي البارزين في الفقه والفرائض والنحو ، تولى التدريس (بمعهد عنيزة العلمي)، وتقاعد في أخر حياته وعمل بالتجارة ، توفي عام (١٤١٠هـ الموافق ١٩٨٩م) [٢] .

٢٩- عبد الله بن سليمان السلمان :

تتلمذ على السعدي مع أبيه ، وتنقل في السلك التعليمي موظفاً ، ثم تعين أخيراً موظفاً بإدارة تعليم (عنيزة) [٣] .

٣٠- عبد الله سليمان القاضي :

أحد تلاميذ السعدي ، عمل بالتجارة حتى توفي عام (١٤٠٦هـ الموافق ١٩٨٥م) [٤] .

٣١- عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح البسَّام :

من تلاميذ السعدي البارزين ، تولى رئاسة محكمة التمييز (بمكة المكرمة) سنين طويلة حتى تقاعد في عام (١٤١٧هـ الموافق ١٩٩٦م) له دروس علمية بالمسجد الحرام قائمة حتى تاريخه كما أن له حضوره

---

(١) الرميان ، (المرجع السابق) ، ص ٣٥ .

(٢) الرميان ، (المرجع السابق) ، ص ٣٩ .

(٣) الرميان ، (المرجع السابق) ، ص ٣٦ .

(٤) الرميان ، (المرجع السابق) ، ص ٣٩ .

الفاعل ومشاركاته العلمية في المؤتمرات والمجالس ، باعه في التأليف طويل، ومن مؤلفاته التي انتفع بها طلاب العلم : (علماء نجد خلال ستة قرون) في السير والتراجم ، وكتابه : (تيسير العلام شرح بلوغ المرام) في الحديث وأحكامه .

وكتاب : (نيل المآرب) في الفقه ، ويسكن في (مكة المكرمة) حالياً .

٣٢- عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد البسَّام :

من أميز تلاميذ السعدي في إعادة الدرس بعد إلقاءه ، وهو أديب مؤرخ توفي عام (١٤٠٨هـ الموافق ١٩٨٧م) [١] .

٣٣- عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد الحماد :

أحد تلاميذ الشيخ ، توفي فجأة بالخطأ حيث ضرب بمرفق يده زناد البندقية معه فأصاب نفسه ، ومات في الحال وذلك في عام (١٣٦٩هـ الموافق ١٩٤٩م) ويعتبر من أفاضل أهل زمانه [٢] .

٣٤- عبد الله بن الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي :

ابن الشيخ له أثر بارز في طبع مؤلفات والده ، وتوزيعها بالمجان ، توفي عام (١٤٠٥هـ الموافق ١٩٨٤م) [٣] .

---

(١) الرميان ، (المرجع السابق) ، ص ٤٠ .

(٢) القاضي ، روضة الناظرين ، ج ٢ ص ٢٧٧ (مرجع سابق)

(٣) الرميان ، السعدي منهجه وأثره في الدعوة إلى الله ، ص ٤٠ . (مرجع سابق)
القاضي ، روضة الناظرين ، ج ٢ ص ٢٢٣ . (مرجع سابق)

٣٥- عبد الله بن عبد العزيز الخضيري :

ولد (بالبكيرية) في القصيم عام (١٣٣٢هـ الموافق ١٩١٣م) حفظ القرآن وبدأ بطلب العلم بهمة عالية ، ومثابرة فقرأ على أعيان علماء القصيم ولازم السعدي ، فقرأعليه في الأصول والفروع والحديث والتفسير واللغة العربية وكان السعدي يثني عليه كثيراً ، وفي عام (١٣٦٤هـ الموافق ١٩٤٤م) تولى القضاء (بعفيف) لمدة سبع سنوات، وفي عام (١٣٧٢هـ الموافق ١٩٥٢م) أُعفي من القضاء ، وعُين في التدريس (بمعهد الرياض العلمي) ، وفي عام (١٣٧٣هـ الموافق ١٩٥٣م) انتقل إلى التعليم (بمعهد شقراء العلمي) لمدة عامين ، وفي عام (١٣٧٥هـ الموافق ١٩٥٥م) انتقل للتدريس (بمعهد بريدة العلمي) ولازم دروس الشيخ ابن حميد (ببريدة) ، ثم انتقل للتدريس (بمعهد المدينة المنورة العلمي) ، وهناك لازم دروس الشيخ عبد العزيز بن عبدا لله ابن باز ، والشيخ محمد الأمين الشنقيطي حيث أجازه بسند متصل ولازم دروس التعليم (بالمدينة المنورة) حتى توفي عام (١٣٩٣هـ الموافق ١٩٧٣م) [١] .

٣٦- عبد الله بن عبد العزيز الشبيلي :

ولد (بعنيزة) عام (١٣٣٨هـ الموافق ١٩١٩م) ونشا نشأة صالحة فحفظ القرآن ، وأحب العلم وأهله فانضم إلى حلقة الشيخ عبد الرحمن السعدي ولازمه ملازمة تامة ، فقرأ عليه في الأصول والفروع والحديث

(١) القاضي ، روضة الناظرين ، ج ٢ ص٤٦ . (مرجع سابق)

والتفسير واللغة العربية ، ورشح للتدريس (بمعهد عنيزة العلمي) عام (١٣٧٦هـ الموافق ١٩٦٥م) واستمر بالتدريس حتى تقاعد عام (١٤٠٤هـ الموافق ١٩٨٣م) ولا يزال إمام وخطيب لأحد جوامع (عنيزة) [١] .

٣٧- عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل :

من أمثل طلبة السعدي ، وأكثرهم استفادة منه ، تقلب في عدة وظائف قضائية آخرها رئاسة الهيئة الدائمة لمجلس القضاء الأعلى حتى طلب التقاعد ، له اهتمام ظاهر بكل ما يمت لشيخه بصلة ، فيحضر مناقشة الرسائل العلمية الخاصة بشيخه ، ويقدم للكتب المؤلفة عن شيخه، وكذلك كتب شيخه إذا ما أعيد طبعها ، حيث قدم للطبعة الجديدة لتفسير السعدي والتي جمعت مجلدات التفسير السبعة في مجلد واحد يقع في (٨٦٧) صفحة فقط ، وطبعته دار الرسالة ، عام (١٤١٧هـ الموافق ١٩٩٦م) [٢] ، ويسكن حالياً في الرياض .

٣٨- عبد الله بن عبد العزيز المطوع :

ولد في (عنيزة) عام (١٣١٢هـ الموافق ١٨٩٤م) ونشأ نشأة صالحة فتربى على يد أبيه فحفظ القرآن وشرع بطلب العلم بنشاط وعزيمة ، ولازم شيخه عبد الرحمن بن سعدي ملازمة تامة فقرأ عليه في الأصول

---

(١) الطيار ، صفحات من حياة علامة القصيم السعدي ، ص٧٧ .(مرجع سابق)

(٢) الطيار ، (المرجع السابق) ، ص٧٨ .

والفروع ، ورحل في طلب العلم إلى (مكة المكرمة) ، و(الرياض) وغيرها ، وله مواقف مشهورة مع الملك عبد العزيز آل سعود في حروبه لتوحيد الجزيرة العربية وقد توفي عام (١٣٥٤هـ الموافق ١٩٣٥م) [١] .

٣٩- عبد الله بن عمر العمري :

أحد تلاميذ السعدي ، ويعمل بالتجارة ويسكن حالياً في (عنيزة)[٢].

٤٠- عبد الله بن محمد الصيخان :

ولد في (عنيزة) عام (١٣٥٦هـ الموافق ١٩٣٧م) فقد بصره وهو صغير فحفظ القرآن غيباً ، وبدأ بطلب العلم بحضور القراءة على علماء (عنيزة) ومن أبرز مشايخه الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، حيث لازمه سنين طويلة التحق بالدراسة (بمعهد الرياض العلمي) وفي عام (١٣٧١هـ الموافق١٩٥١م) انتقل للدراسة (بمعهد عنيزة العلمي) ، ثم تخرج منه والتحق (بكلية الشريعة بالرياض) ، وكان متفوقاً في دراسته ، وفي عام (١٣٨٠هـ الموافق ١٩٦٠م) تعين قاضياً (بالطائف) ، وفي عام (١٣٨١هـ الموافق ١٩٦١م) تعين مدرساً (بمعهد شقراء العلمي) ، وفي عام (١٣٨٢هـ الموافق١٩٦٢م) انتقل للتدريس (بمعهد الرس العلمي)، وفي عام (١٣٩٢هـ الموافق ١٩٧٢م) انتقل للتعليم (بمعهد عنيزة العلمي)، ثم انتقل للتدريس (بمدرسة تحفيظ القرآن بعنيزة) ، اشتهر بالنبوغ

---

(١) الطيار ، (المرجع السابق) ، ص٧٨ .

(٢) الرميان ، السعدي منهجه وأثره في الدعوة إلى الله ، ص ٣٦ .(مرجع سابق)

والذكاء ، وكان السعدي يسميه بالترمذي ، وقد تميز بحفظ المتون العلمية في الفقه والحديث والعقيدة والنحو ، مرض في آخر حياته وتوفي عام (١٤٠١هـ الموافق ١٩٨٠م) [١] .

٤١- عبد الله بن محمد العوهلي :

أحد تلاميذ الشيخ السعدي ، مارس التدريس في (معهد مكة العلمي)، وله تميز في علم الفرائض والحساب توفي في (الرياض) عام (١٤٠٨هـ الموافق ١٩٨٧م) [٢] .

٤٢- عبد الله بن محمد الفهيد :

ولد (بعنيزة) عام (١٣٢٥هـ الموافق ١٩٠٧م) وتربى على يد أبيه تربية حسنة ، فحفظ القرآن وهو صغير ، شرع بطلب العلم على علماء (عنيزة) و(بريدة) ، ولازم السعدي سنين طويلة ، تولى إمامة (مسجد القاع) (بعنيزة) لمدة (٥٨) سنة لم يتخللها سفر وهذه مرابطة عجيبة على الإمامة ، عمل موظفاً بدار الرعاية الاجتماعية ثم موظفاً بالضمان الاجتماعي ، ودام على وظيفته حتى تقاعد ، فتجرد للذكر والدعوة والإرشاد ، توفي عام (١٣٩٤هـ الموافق ١٩٧٤م) [٣] .

---

(١) القاضي ، روضة الناظرين ، ج ٢ ص ٥٢ . (مرجع سابق)
(٢) الرميان ، السعدي منهجه وأثره في الدعوة إلى الله ، ص٤٠. (مرجع سابق)
(٣) القاضي ، روضة الناظرين ، ج ٢ ص ٤٩ . (مرجع سابق)

٤٣- عبد الله بن محمد المطرودي :

ولد (بعنيزة) عام (١٣١١هـ الموافق ١٨٩٣م) تربى بحجر والده فحفظ القرآن غيباً لفقده بصره وهو صغير ، طلب العلم على علماء بلده فلازم الشيخ عبد الرحمن السعدي في القراءة عليه بالحديث ، والتفسير ، واللغة العربية ، والفقه ثم رحل إلى (بريدة) فحضر دروس العلماء هناك ثم رحل إلى (الرياض) وطلب العلم على أيدي علمائها ، فحفظ صحيح البخاري بأسانيده كحفظه للفاتحة ، توفي عام (١٣٦١هـ الموافق ١٩٤٢م)[١] .

٤٤- عبد الله بن مطلق الفهيد :

ولد بمدينة (الرس) عام (١٣١٢هـ الموافق ١٨٩٤م) تعلم في الكتاتيب حيث حفظ القرآن وتعلم مبادئ الخط والحساب ، وبدأ بطلب العلم على علماء (عنيزة) عندما ارتحل مع أهله إليها عام (١٣٢٢هـ الموافق ١٩٠٤م) ورحل لطلب العلم (بالرياض) ، ثم عاد إلى (عنيزة) فلازم دروس السعدي ، وفي عام (١٣٤٤هـ الموافق ١٩٢٥م) سافر للحج ، وجاور هناك لطلب العلم على علماء المسجد الحرام أمثال محمد العلي التركي ، وعبد الله بن علي بن حميد ، وعبد الله بن حسن ، حيث كانت دروسهم قائمة في المسجد الحرام عمل قاضياً (برأس الخيمة في الأمارات العربية المتحدة) ، ثم عاد إلى (مكة المكرمة) عام

---

(١) القاضي ، (المرجع السابق) ، ج ٢ ص ٧ .

(١٣٥١هـ الموافق ١٩٣٢م) وعمل عضواً بهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، قام بتأليف بعض المقررات لطلاب (المعهد العلمي السعودي بمكة) كمقرر التهذيب والمطالعة ، وله كتاب في القضاء عنوانه : (مزيل الداء عن أصول القضاء) .

وفي عام (١٣٥٥هـ الموافق ١٩٣٦م) تعين مفتشاً بالمعارف في (مكة المكرمة) على المدارس الإبتدائية ، وفي عام (١٣٥٦هـ الموافق ١٩٣٧م) تعين مدرساً في (المدرسة الرحمانية) ، ثم مدرساً (بمدرسة تحضير البعثات) ثم مدرساً (بالمعهد العلمي السعودي) ، ثم مديراً (لمتوسطة بجدة) ، ثم تعين مفتشاً (برئاسة المعاهد العلمية) ، ثم تعين مديراً لدار الرعاية الاجتماعية ، وظل في عمله حتى مرض ومات عام (١٣٧٧هـ الموافق ١٩٥٧هـ) [(١)] .

٤٥- عبد الله بن منصور الزامل :

أحد تلاميذ السعدي ، عمل بالتجارة في (عنيزة) ثم في (المدينة المنورة) ثم انتقل إلى (الرياض) وبها توفي عام (١٣٩٠هـ الموافق ١٩٧٠م) [(٢)] .

---

(١) العمري ، علماء آل سليم وتلامذتهم وعلماء القصيم ، ج٢ ص ٣٨٠ .
(مرجع سابق)
القاضي ، روضة الناظرين ، ج ٢ ص٢٦.   (مرجع سابق)

(٢) الرمیان ، السعدي منهجه وأثره في الدعوة إلى الله ، ص٤١. (مرجع سابق)

٤٦- عبد المحسن بن سليمان الخريدلي :

ولد في (المذنب) في القصيم عام (١٢٩٠هـ الموافق ١٨٧٣م) ونشأ في بيت علم وأدب حيث كان والده من طلاب العلم وحملة القرآن حفظ القرآن وشرع بطلب العلم على خاله الشيخ عبد الله بن محمد الدخيل ، ورحل إلى (عنيزة) واستوطنها ، ولازم علماء عنيزة أمثال الشيخ صالح ابن عثمان القاضي والشيخ علي المحمد السناني ، والشيخ عبد الله بن مانع ، وفي عام (١٣٤٤هـ الموافق ١٩٢٥م) تولى الإمامة والتدريس بمسجد مقيبلة بعنيزة ، وفي عام (١٣٥٨هـ الموافق ١٩٣٩م) تولى القضاء (بنجران) وتوفي عام (١٣٦٠هـ الموافق ١٩٤١م)[1] .

٤٧- عبد المحسن السلمان :

من كبار تلاميذ السعدي سناً، وتوفي عام (١٣٣٧هـ الموافق ١٩١٨م) وهو أحد الثلاثة الذين رثاهم السعدي بقوله :

مات المحب ومات الخل يتبعه

ومات ثالثهم والوقت مقترب

ماتوا جميعاً وما ماتت فضائلهم

بل كان فضلهم للناس يكتسب

كانوا نجوم دياج يستضاء بهم

لهفي على فقدهم من بعد ما ذهبوا[2]

---

(١) القاضي ، روضة الناظرين ، ج ٢ ص ٦٣ . (مرجع سابق)

(٢) القاضي ، (المرجع السابق) ، ج ٢ ص ٢٣٧ .

٤٨- عقيل بن عبد العزيز العقيل :

ولد بمدينة (عنيزة) ، وتربى في حجر والده تربية حسنة ، حيث كان أبوه من أهل العلم والأدب ، بدأ بطلب العلم على علماء (عنيزة) فلازم السعدي بجد ومثابرة ، اشتهر بخطه الحسن ، وله مخطوطات كثيرة .

في عام (١٣٤٦هـ الموافق ١٩٢٧م) حج بيت الله الحرام وهناك جاور ملازماً دروس العلماء لطلب العلم ، وتعين (إماماً لقلعة جياد) ، وفي عام (١٣٤٨هـ الموافق ١٩٢٩م) تعين مرشداً عاماً (بالقنفذة) ، ثم عُين قاضياً (بالعارضية) ، ثم عاد إلى (عنيزة) ، ثم عين قاضياً بقرية (القحمة) قرب (جيزان) ، وفي عام (١٣٦٥هـ الموافق ١٩٤٥م) عاد من الحج إلى (عنيزة) فمرض ومات في آخر ذلك العام [١] .

٤٩- علي بن حمد الصالحي :

من كبار تلاميذ السعدي ، وصاحب مؤسسة النور للطباعة والنشر ، اهتم بنشر مؤلفات شيخه السعدي وهو الذي اقترح على السعدي توسعة مكتبة المسجد وتزويدها بالكتب عن طريق وزير المالية في عصر السعدي الشيخ عبد الله السليمان وتم تزويد المكتبة بذلك ، كما أنه وجه سؤالاً لشيخه عن حكم التدخين ، فأجابه برسالة تامة في بيان أضرار التدخين الصحية والمالية والنفسية والاجتماعية ، وهذه الرسالة ملحقة بكتاب الفتاوى السعدية المطبوع ، وقد كان السعدي يوكل إليه تدريس الصغار

---

(١) القاضي ، (المرجع السابق)، ج ٢ ص ١٠٤ .

عام (١٣٦٠هـ الموافق ١٩٤١م) وقد توفي عام (١٤١٥هـ الموافق ١٩٩٤م) رحمه الله تعالى (١) .

٥٠- علي بن محمد الزامل السليم :

يقال إنه من أعلم أهل نجد بالنحو ، تولى التدريس (بمعهد عنيزة العلمي) ثم في (فرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالقصيم)، وله دروس بالنحو قائمة ويسكن حالياً بعنيزة (٢) .

٥١- محمد بن سليمان العبد العزيز البسام :

من أخص تلاميذ الشيخ السعدي ، ويقيم حالياً (بمكة) ، وكانت له دروس في المسجد الحرام فتوقفت بسبب المرض ، إلا أنه لا تزال دروسه قائمة في منزله ، وله مقدمة لطيفة وترجمة شيقة لشيخه السعدي وذلك في كتاب السعدي الموسوم بـ (التعليق وكشف النقاب على نظم قواعد الإعراب) (٣) .

٥٢- محمد بن صالح الخزيم :

ولد بمدينة (البكيرية) بالقصيم عام (١٣٢٢هـ الموافق ١٩٠٤م) تربى يتيماً وحفظ القرآن وهو صغير ، وبدأ بطلب العلم على علماء بلده

(١) الرميان ، السعدي منهجه وأثره في الدعوة إلى الله ، ص٣٦. (مرجع سابق)
(٢) الرميان ، (المرجع السابق) ، ص ٣٦ .
البسام ، علماء نجد خلال ستة قرون ، ج٢ ص٤٢٦ . (مرجع سابق)
(٣) الرميان ، (المرجع السابق) ، ص ٣٦.

ثم انتقل لطلب العلم في (بريدة) ، وكان يراسل الشيخ السعدي يباحثه ويستفتيه في كثير من المسائل ، ويقول السعدي : إن بحوثه واستفهاماته في الأسئلة تدل على غزارة علمه ، وقد حضر دروس السعدي مراراً ، وفي عام (١٣٦٨هـ الموافق ١٩٤٨م) تولى القضاء (بالرس) ، ثم نقل منها إلى (المذنب) بالقصيم ، فكان فيها يتولى القضاء والتدريس ، وفي عام (١٣٨٣هـ الموافق ١٩٦٣م) تولى قضاء (عنيزة) ، ثم مرض وأعفي من القضاء وأحيل للتقاعد، وتوفي عام (١٣٩٤هـ الموافق ١٩٧٤م)[١].

٥٣- محمد العبد الله العفيسان الصغير :

أحد تلاميذ السعدي من أهل مدينة (الرس) ، تقلب في مناصب القضاء ويشغل الآن قاضي تمييز في محاكم القصيم في بريدة[٢] .

٥٤- محمد بن صالح العثيمين :

من أبرز وأشهر تلاميذ السعدي الذين حملوا علمه من بعده ، تولى التدريس والإمامة والخطابة بعد وفاة شيخه ، عضو بهيئة كبار العلماء بالمملكة ، و(أستاذ مشارك بفرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالقصيم) ، دروسه قائمة حتى الآن في (الجامع الكبير بعنيزة) له مشاركات علمية بالمحاضرات العامة ، والمؤتمرات والندوات العلمية ، تقام

---

(١) القاضي ، روضة الناظرين ، ج ٢ ص ٣٢٩ . (مرجع سابق)

(٢) القاضي ، (المرجع السابق) ، ج ٢ ص ٢٢٢ .

دروسه في الحرم المكي في مواسم رمضان والحج من كل عام ، له مؤلفات كثيرة في العقيدة والفقه والحديث والفتاوى [1] .

٥٥- محمد بن صالح الفضلي :

أحد تلاميذ السعدي تولى قضاء مدينة (تيما) قرب (المدينة المنورة)[2].

٥٦- محمد بن عبد الرحمن حنطي :

ولد في مدينة (شقراء) عام (١٣٣٨هـ الموافق ١٩١٩م) ونشأ نشأة صالحة تحت رعاية والده ، وانتقلت أسرته إلى (عنيزة) وفيها حفظ القرآن ، وبدأ بطلب العلم حيث سافر إلى (الرياض) بتشجيع والده له بذلك ، ومكث هناك مدة ست سنوات ، ثم عاد إلى (عنيزة) عام (١٣٦٠هـ الموافق ١٩٤١م) فاتصل بالشيخ عبد الرحمن السعدي ، فأعجبته طريقته في تعليمه فلازمه حتى عام (١٣٦٧هـ الموافق ١٩٤٧م) ثم عاد إلى (الرياض) والتحق (بمعهد الرياض العلمي) عام (١٣٧٢هـ الموافق ١٩٥٢م) ثم تخرج منه والتحق (بكلية الشريعة) هناك وتخرج منها عام (١٣٨٠هـ الموافق ١٩٦٠م) وعُين قاضياً (بالدرعية) حيث مارس القضاء مدة أربع سنين، ثم تحول للتدريس (بمعهد الرياض العلمي) حتى عام (١٣٩٥هـ الموافق ١٩٧٥م) وبعدها أحيل للتقاعد ولا تزال له إسهاماته العلمية المباركة في الدعوة والإرشاد والتعليم ، ويسكن

---

(١) القاضي ، (المرجع السابق) ، ج ٢ ص ٢٢٢ .

(٢) البسام ، علماء نجد خلال ستة قرون ، ج٢ ص ٤٢٧ . (مرجع سابق)

(عنيزة) حالياً [1] .

٥٧- محمد بن عبد الرحمن العبدلي :

من كبار تلاميذ السعدي ، وأحد الثلاثة الذين رثاهم السعدي بعد موتهم عام (١٣٣٧هـ الموافق ١٩١٨م) [2] .

٥٨- محمد بن عبد العزيز المطوع :

ولد (بعنيزة) عام (١٣١٩هـ الموافق ١٩٠١م) وتربى على يد والده تربية حسنة فحفظ القرآن ، وجد بطلب العلم على علماء بلده ، ثم رحل إلى (بريدة) وقرأ على علمائها وعاد إلى (عنيزة) ، وحضر دروس السعدي مستمعاً ثم بعد قناعته بجودتها أصبح من الطلاب المشاركين في فعاليات الدروس حتى صار من أمثل الطلبة ، أجاد علوم العربية ، وأكب على مؤلفات الشيخين ابن تيمية وابن القيم ، فانتفع بهما انتفاعاً عظيماً ، تأهل لتولي القضاء ، سافر إلى (دبي وعُمان) ، ثم رجع إلى (عنيزة) ولازم درس شيخه ليلاً ونهاراً ، أوكل إليه السعدي تدريس صغار الطلاب وذلك في (المكتبة العلمية الوطنية) الملحقة بمسجد الشيخ المعروف بالجامع الكبير بعنيزة ، وفي عام (١٣٦٣هـ الموافق ١٩٤٣م) تعين مدرساً بالمدرسة (العزيزية بعنيزة) ، وفي عام (١٣٧١هـ الموافق ١٩٥١م) تعين قاضياً (بالمجمعة) ، وفي عام (١٣٧٥هـ الموافق

(١) الطيار ، صفحات من حياة علامة القصيم السعدي ، ص٨١ (مرجع سابق)

(٢) القاضي ، روضة الناظرين ، ج ٢ ص ٢٢٣ . (مرجع سابق)

١٩٥٥م) انتقل إلى قضاء (عنيزة) ، وفي عام (١٣٧٨هـ الموافق ١٩٥٨م) انتقل لقضاء (الدلم) ، وفي عام (١٣٨١هـ الموافق ١٩٦١م) طلب الإعفاء من القضاء فأعفي لظروفه الصحية ، وسافر للعلاج (بالرياض) ، ثم سافر (لبيروت) ، ثم إلى (لندن) وهناك مات ودفن بلندن عام (١٣٨٧هـ الموافق ١٩٦٧م) (١).

٥٩- محمد بن عبد الله بن مانع :

ولد في (عنيزة) عام (١٣٠٩هـ الموافق ١٨٩١م) رباه والده التربية الحسنة فحفظ القرآن في صغر ، وشرع في طلب العلم على كبار علماء بلده ، ويعتبر من أحفظ أهل زمانه ، قرأ على السعدي ، وهو قرين للسعدي في الدراسة اخترمته المنية وهو شاب فمات عام (١٣٣٧هـ الموافق ١٩١٨م) فرثاه السعدي مع زميليه وهما محمد العبدلي وعبد المحسن السلمان (٢) .

٦٠- محمد بن عثمان القاضي :

ولد في (عنيزة) عام (١٣٤٦هـ الموافق ١٩٢٧م) وهو حفيد للشيخ صالح بن عثمان القاضي أحد مشايخ السعدي .

---

(١) العمري ، علماء آل سليم وتلامذتهم وعلماء القصيم ، ج٢ ص ٤٦٧ .
(مرجع سابق)

(٢) القاضي ، روضة الناظرين ، ج ٢ ص ٢٣٦ . (مرجع سابق)

(قيم المكتبة الصالحية بعنيزة)، وإمام وخطيب (جامع أم خمـاربعنيزة)، له اهتمام خاص بعلم الأنساب والتـاريخ ، ومـن أشـهر مؤلفاتـه (روضـة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين) تتلمذ علـى عـدة مشـايخ أبرزهم شيخه عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، والشيخ عبد الله بـن عبـد العزيز بن عقيل [1] .

٦١- محمد بن منصور الزامل :

ولـد في (عنـيزة) عـام (١٣٢٥هــ الموافـق ١٩٠٧م) تعلـم مبـادئ القراءة الكتابة ثم حفظ القرآن الكريم ، وبعدها كرَّس جهده لطلب العلم على السعدي فتعلم عليـه في الفقـه والحديـث والتوحيـد والتفسـير واللغـة العربية ، وكانت له عناية باللغـة العربيـة ، قـام بـالتدريس (بمعهـد عنـيزة العلمي) حتى تقاعد وكان السعدي ينيبه عنه في الصـلاة والخطابـة حـال غيابه ، توفي عام (١٤١٤هـ الموافق ١٩٩٣م) [2] .

٦٢- محمد بن ناصر الحناكي :

من أكبر تلاميذ السعدي ولد بمدينة (الرس) عام (١٢٩٣هــ الموافـق ١٨٧٦م) وتربى في كنف والده تربية حسنة ، حيث حفظ القرآن وتعلم مبادئ القراءة والحساب وهو صغير ، ولما شبَّ شرع بطلـب العلـم بهمـة عالية على علماء بلده أمثال صالح بن قرناس وغيره ، وقرأ علـى السـعدي

(١) البسام ، علماء نجد خلال ستة قرون ، ج٢ ص ٤٢٨ . (مرجع سابق)

(٢) الطيار ، صفحات من حياة علامة القصيم السعدي ، ص٨٤ (مرجع سابق)

في الأصول والفروع والحديث والتفسير ، وكان السعدي معجباً بقوة حفظه وسرعة بديهته ، رحل إلى (الرياض) لطلب العلم ومكث هناك (١٢) سنة متجرداً لطلب العلم وفي عام (١٣٤٧هـ الموافق ١٩٢٨م) تولى القضاء بمدينة (الرس) ، وفي عام (١٣٥٠هـ الموافق ١٩٣١م) نقل إلى قضاء (الشبيكية) ولبث فيه سنتين ، ثم طلب الإعفاء من القضاء فأعفي ، ثم عاد إلى (الرس) فجلس لتدريس الطلاب في الفقه والفرائض والحديث واللغة العربية ، فالتف حوله الطلاب من كل مكان لِماَ رأوا من حسن تعليمه ، فحصل له القبول عندهم فتخرج على يديه العدد الكبير من الطلاب ، وفي عام (١٣٦٩هـ الموافق ١٩٤٩م) تولى القضاء في (الخاصرة) إلى عام (١٣٦٩هـ الموافق ١٩٥٤م) حيث نقل إلى قضاء (القويعية) غرب (الرياض) ، وفي عام (١٣٧٥هـ الموافق ١٩٥٥م) أحيل للتقاعد ، واستمرت دروسه قائمة إلى أن توفي عام (١٣٨٧هـ الموافق ١٩٦٧م) وعمره (٩٤) عاماً قضاها في العلم والتعليم [١] .

٦٣- منصور بن صالح بن منصور الضلعان :

ولد في (الرس) عام (١٣٣٠هـ الموافق ١٩١١م) ونشأ برعاية وتربية والده فحفظ القرآن وجوَّده ، وطلب العلم على علماء بلده ، ثم انتقل إلى (عنيزة) فقرأ على علمائها ، ولازم دروس السعدي في الأصول

---

(١) القاضي ، روضة الناظرين ، ج ٢ ص ٣٠٩ . (مرجع سابق)

والفروع ثم رحل إلى (بريدة) وقرأ على علمائها حتى نبغ وظهر علمه ، وتعين قاضياً (بالليث) جنوب (مكة المكرمة) ، ثم نقل لقضاء (القنفذة) ، واستمر في القضاء والتدريس ، واشتهر بحسن تعليمه وسعة اطلاعه ، وله أعمال حميدة كتنظيف المساجد ، وغسل الموتى ، وعقد الأنكحة، وإصلاح ذات البين ، واستمر في التعليم حتى توفي (بالقنفذة) عام (١٣٨٥هـ الموافق ١٩٦٥م) [١] .

٦٤- يوسف بن عبد العزيز بن عبد الله الشبل :

ولد في (عنيزة) عام (١٣٠٨هـ الموافق ١٨٩٠م) تربى يتيماً في رعاية أخيه الأكبر ، ونشأ نشأة حسنة ، حفظ القرآن وشرع في طلب العلم على علماء بلدته ، فقرأ على السعدي ولازمه ودارسه القرآن ، فانتفع من شيخه في تلك المدارسة، وفي عام (١٣٧٠هـ الموافق ١٩٥٠م) تم تعيينه مديراً (للمعهد السعودي) في (عنيزة) لمدة عامين ، وبعدها ألَّم به مرض فطلب الإعفاء فأعفي، توفي عام (١٣٧٥هـ الموافق ١٩٥٥م) [٢] .

٦٥- ناصر بن محمد الحناكي :

ولد بمدينة (الرس) بالقصيم عام (١٣٣٠هـ الموافق ١٩١١م) في بيت شرف وعلم ، حيث كان والده من العلماء ، فوالده أحد طلبة

---

(١) القاضي ، (المرجع السابق) ، ج ٢ ص ٣٦٦ .

(٢) القاضي ، (المرجع السابق) ، ج ٢ ص ٣٩٢ .

السعدي ، وقد حفظ القرآن ، وجدَّ في طلب العلم على علماء بلده ، والده الشيخ محمد بن ناصر الحناكي ، والشيخ علي بن إبراهيم بن ضويان، ثم نزح إلى عنيزة فقرأ على السعدي ، ورحل إلى بريدة وقرأ على علماءها ، ثم رحل إلى الرياض وقرأ على علمائها ، تولى القضاء سنين طويلة ، ثم انتقل للتدريس بمدرسة اليمامة الثانوية بالرياض ، وفي عام (١٣٩٤هـ الموافق ١٩٧٤م) أُحيل للتقاعد فتفرغ للعبادة والتدريس، توفي عام (١٤٠٤هـ الموافق ١٩٨٣م) [١] .

وبهذه الترجمة يختم الباحث ذكر تلاميذ السعدي .

وفي ختام هذا المبحث يخرج الباحث بالمعالم التالية :

أولاً : تبين من خلال هذا السرد لتلاميذ السعدي بأنهم كلهم أو جلهم كانوا يحفظون القرآن قبل شروعهم في طلب العلم ، وهذا ما درج عليه علماء هذه الأمة وسلفها الصالح ، حيث يعتبرون أن حفظ القرآن هو مفتاح العلوم ، وهذا التصور نابع من منهج شرعي أصيل مبني على قول الله عز وجل : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ « سورة البقرة ، الآية ٢٨٢ » وأس التقوى وروحها القرآن الكريم .

ثانياً : تلاميذ السعدي لم يكتفوا بالدراسة على شيخهم السعدي بل إنهم رحلوا في طلب العلم مقتدين بأسلافهم الصالحين من هذه الأمة

(١) القاضي ، (المرجع السابق) ، ج ٢ ص ٤٢٣ .

ومنطلقين من مبدأ شرعي يؤكد أهمية الرحلة في طلب العلم ، حيث قال الرسول ﷺ : « **من خرج في طلب العلم كان في سبيل الله حتى يرجع** » رواه الترمذي والدارمي ، وقال الترمذي: حسن غريب ، واللفظ له [١] .

ثالثاً : الملاحظ على هؤلاء التلاميذ ملازمتهم التامة في حضور دروس شيخهم ، حيث انصرفوا بكليتهم لطلب العلم ، هكذا يجب في حق طالب العلم أن يتجرد من مشاغل الحياة ، وملهياتها ليتجرد لطلب العلم فإذا صار بذلك الخلوص التام لطلب العلم ، عندها تتداعى عليه العلوم والمعارف في كل حين ، بله إذا قارن ذلك مراجعة ومناقشة ومناظرة مع أقرانه الآخرين من طلاب العلم حيث تنشحذ الهمم والأذهان ، وتتوسع المدارك لدى الجميع فتتفتق الأفكار عن العلوم والمعارف الجمَّة .

رابعاً : هؤلاء التلاميذ لم يتوقفوا عند مجرد التعليم والتحصيل بل إنهم مارسوا نشاطهم العملي في القضاء والتدريس والتأليف حيث أنهم يمارسون ما يسمى حديثاً بـ : (التغذية الراجعة) ، وهو من أعظم مثبتات ومقويات العلم في نفوسهم ، فالعلم يزيد بكثرة الإنفاق

---

(١) الترمذي ، محمد بن عيسى بن سورة ، سنن الترمذي ، تحقيق كمال يوسف الحوت ، بيروت : دار الكتب العلمية ، د . ت ، ج ٥ ص ٢٩ .

منه ، وينقص بعدم بذله ونشره وبثه ، عكس ما عليه المال ، فلما مارسوا التعليم والقضاء ازداد علمهم واتسع فضلهم .

خامساً : أن هؤلاء التلاميذ تسنموا المراتب العلمية العالية في المجتمع في التعليم والقضاء ، مما يستدعي نظر الآخرين إليهم بعين الغبطة ، وهذا من شأنه أن يدفع كل فرد من أفراد المجتمع بتقليدهم فيطلب العلم ليكون معلماً مثلهم ، أو حتى يطلب العلم ليكون متعلماً في عداد أهل العلم ، أو فقط يحبهم بنفسه إذا لم يسر على طريقتهم في الطلب والتحصيل . وأضعف الناس الذي إن لم يحمل محبتهم فإنه يكتفي فقط بعدم كراهيته لهم ، وهذا بحد ذاته يعتبر خيراً في نفس صاحبه .

سادساً : بسبر حياة هؤلاء التلاميذ يلاحظ المتدبر لحالهم أنهم لا ينتهون في طلب العلم عند استلام الوظيفة ، أو عند الإقالة منها ، بل إنهم في طريق التعليم سائرون قبل الوظيفة ، ومع وجود الوظيفة وبعد فوات الوظيفة بالإقالة أو غيرها ، فهمهم الأعظم هو نفع الناس وتعليمهم متى توفرت لديهم الصحة والعافية لبذل ذلك وبثه ، وهذا عكس ما عليه تلاميذ الوظائف العلمية المعاصرة ، فالواحد بإقالته من الوظيفة معناه انقطاع حبال العلم والتعليم بينه وبين الآخرين .

فالبون شاسع بين طلاب العلم السابقين الذين اتخذوا من العلم سلماً للتزود بالأعمال الصالحة المقربة إلى الله عز وجل ، وبين

طلاب العلم اللاحقين اللذين اخذوا العلم للتزود به من حظوظ الدنيا فقط دون النظر إلى الدار الآخرة ، ولا شك أن منطلق الفريقين مختلف في طلبهم للعلم ولذلك ظهر الفرق جلياً بين طلاب العلم المحققين لأهدافه العظيمة ، وبين طلاب العلم الذين اتخذوا منه وسيلة للترقي في درجات الوظيفة الدنيوية المحضة ، دون النظر إلى ما يجب به من كسب الحسنات ، ورفع الدرجات عند الله ، وإلا فإن الله عز وجل لم يحرم زينة الحياة الدنيا ، ولم يحرم طرق الكسب الحلال بل أمر بها وحض عليها ، ولكن الممنوع شرعاً أن يتنكب طالب العلم كل حظوظه من الآخرة ويستبدل بها حظوظ الدنيا فقط ، والأصح هو أن يجمع طالب العلم بين حقوق العلم وواجباته فيؤديها ، ويأخذ ما يأتيه من منافع العلم والتعليم الدنيوية والتي لم يتوجه في الأساس بهمته من أجلها ، وإنما جاءت عرضاً فهو ينتظمها ويأخذ بها مع إدامة سيرته ونفعه للمسلمين بعلمه فهذا هو الهدف الأعظم عنده من علمه .

سابعاً : من خلال ذكر طلاب السعدي يتبين أن منهم فئة لم يكونوا من أهل بلده ، بل إنهم وفدوا عليه من بلدان مجاورة رغبة في تحصيل العلم على يديه لما تميزت به دروسه العلمية من قوةٍ وفاعلية، تجعل الطالب حاضر الذهن لما يُلقىَ عليه حيث إن السعدي له تميزه الواضح في كيفية جلب انتباه طلابه إليه من خلال [1] :

(١) الفقي ، سيرة العلامة السعدي ، ص ١٢ ، ٢٠ . (مرجع سابق)

(أ) طرح الأسئلة على الطلاب أثناء الدرس .

(ب) تغليطه لنفسه أثناء الشرح ليتبين المنتبه من الغافل .

(ج) المناقشة عن الدرس الماضي في وقت الدرس اللاحق .

(د) رصد الجوائز العينية والمعنوية للطلاب البارزين الحافظين .

(هـ) عقد المناظرات العلمية بين طلابه المجتهدين لترسيخ معلوماتهم، وشحذ أفكارهم ، وتدريب ألسنتهم ، وتعويدهم على إقامة الحجة والبرهان .

(و) ملاطفة الطلاب لتحبيب العلم إلى نفوسهم .

فحيث كان لدروس الشيخ السعدي ذلك التميز في التعليم ، والتفهيم، صار الطلاب يرحلون إليه ، ويفدون لطلب العلم على يديه ، وبذلك حصل لطلابه البروز التام في ساحة العلم والتعليم ، في وقتنا الحاضر ، فقد استنُّوا بطريقة شيخهم في التعليم والتفهيم ، فجاءت ثمار تعلمهم وتعليمهم طيبة يانعة وبتتبع مسيرة تلاميذ السعدي العملية نجد أن (٢٠٪) منهم تولوا الإمامة والتدريس بالمساجد وأن (٣٥٪) منهم تولوا منصب القضاء والإفتاء ، وأن (٤٠٪) منهم تولوا التدريس بالمدارس الحكومية النظامية ، وأن (١٥٪) منهم قاموا بالتأليف والجمع والتصنيف .

القاضي ، روضة الناظرين ، ج ٢ ص ٤٢٣ ، ٢٢٥ . (مرجع سابق)

وبذلك ندرك أنهم قاموا بمهام علمية وعملية في المجتمع ، رائدهم في ذلك ابتغاء وجه الله تعالى ، وخدمة أبناء مجتمعهم ، وتبليغ ما حصّلوا من علوم للناس ، فخير الناس أنفعهم للناس .

المبحث الرابع
جهوده العلمية ومشاركاته الاجتماعية

للشيخ جهود علمية في مجتمعه ، جاءت هذه الجهود نتيجة لتميزه ونبوغه ونضجه ورسوخه العلمي ، حيث مارس التعليم أيام الطلب ، فكان يتعلم على يد مشايخه ، ثم ينفتل مباشرة بعد نهاية دروس مشايخه فيعقد الدروس لزملائه الطلاب الذين تتلمذوا عليه لمَّا رأوا تفوقه ونبوغه عليهم فأخذوا عنه العلم ، فصار وهو في سن البلوغ يسير بطريقين متوازيين التعلم والتعليم ، ولقد صرف جُلَّ أوقاته في التعليم والتوجيه والإفادة ، فلا يصرفه عن التعليم صارف ، ولما تقدمت به السن قليلاً وازداد نضوجه العلمي ورسوخه الفكري شرع في التأليف ، حيث فسر القرآن وبيَّن قواعد تفسيره ، كما شرح جوامع الكلام النبوي ، ووضح أنواع التوحيد وأقسامه وهذب مسائل الفقه موضحاً الراجح منها بدليله وتعليله ، ورد على الملحدين المخالفين للإسلام وكتب في محاسن الإسلام وثماره وتيسيره ، وأجاب على المستفتين وأفتاهم . وفيما يلي بيان لأهم الملامح العامة لجهود الشيخ العلمية في مجالات التعليم والتأليف والإمامة والخطابة والمشاركات الاجتماعية العملية .

أولاً : التعليم :

عقد السعدي عزمه على وقف حياته على طلب العلم وتعليمه ، وأن يكون لنفسه أمناً وطمأنينة وسكينة خاصة تصل برباطها الوثيق بينه وبين مهمة العلم والتعليم ، فمضى في الجد بتحصيل العلم مواصلاً نهاره بسهر ليله ، ومضى في طريقه ذلك لا يلوي على شيء غير طلب العلم والتزود منه حتى نال بذلك الجد الحظَّ الأوفرَ من العلوم ، فأصبح من أئمة العلم والدين في عصره ومصره .

بدايته في التدريس :

جلس للتعليم وهو في سن البلوغ - الخامسة عشرة من عمره - لما رأى زملاؤه في الدراسة تفوقه عليهم ونبوغه تتلمذوا عليه ، وصاروا يأخذون عنه العلم وهو في سن البلوغ ، فصار في هذا الشباب المبكر متعلماً ومعلماً [١] .

وعندما بلغ عمره أربع وأربعون عاماً في عام (١٣٥١هـ الموافق ١٩٣٢م) صار مرجع التدريس والتعليم إليه في بلاده وأصبح عليه المُعَّول لدى جميع الطلاب في أخذ العلوم في بلده [٢] .

(١) البسام ، علماء نجد خلال ستة قرون ، ج٢ ص ٤٢٣ (مرجع سابق)
(٢) القاضي ، روضة الناظرين ، ج ٢ ص ٤٢٣ (مرجع سابق)
الفقي ، سيرة العلامة السعدي ، ص١٠ (مرجع سابق)

أوقات التدريس :

(كان يصلي الفجر بالناس ثم يجلس لأداء الدرس حتى تطلع الشمس ، ويذهب إلى بيته حتى الضحوة الكبرى- حدود العاشرة صباحاً بالتوقيت الزوالي - فيعود إلى المسجد يعلم الدارسين الفقه والتفسير والحديث والعقيدة والنحو والصرف في دروس منتظمة ، وكتب اختارها لطلابه ويستمر معهم حتى صلاة الظهر فيصلي بالناس ويعود إلى بيته يستريح فيه إلى صلاة العصر ، ثم يذهب إلى المسجد فيصلي العصر بالناس ويعطيهم عقب الصلاة وهم جلوس بعض الأحكام الفقهية في دقائق لا تؤخرهم عن الإنصراف سعياً وراء أرزاقهم ، وعندما تغرب الشمس يصلي بالناس صلاة المغرب ويجلس للدرس حتى يصلي العشاء ، ويتكرر ذلك كل يوم)[١]، فالأوقات التي يجلس فيها للتدريس أربعة أوقات ، فالحصة الأولى (من بعد صلاة الفجر وحتى طلوع الشمس ، يزيد وقتها وينقص حسب فصول السنة) والحصة الثانية (تبدأ بحدود الساعة العاشرة صباحاً بتوقيتنا اليوم وتنتهي بأذان الظهر ، في حدود الثانية عشرة ظهراً بتوقيتنا اليوم).

والحصة الثالثة وهي أقصر الحصص وتكون (بعد صلاة العصر ولدقائق معدودة) ، أما الحصة الأخيرة الرابعة فتأتي (بعد صلاة المغرب وحتى صلاة العشاء في حدود ساعة كاملة تقريباً) .

---

(١) العدوي ، السعدي ، مجلة الجامعة الإسلامية ، ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ (مرجع سابق)

والملاحظ هنا أن زمن هذه الدروس ليس طويلاً ، فهو لا يكاد يتجاوز خمس ساعات يومياً تقريباً ، وبمقارنة ذلك بزمن الحصص اليومية في التعليم العام نجد أن هناك شبه تطابق تام بين الوقتين ، إلا أن زمن التعليم العام يكون في فترة معينة من الصباح إلى الظهر ، أما عند السعدي فإن حصص تعليمه اشتملت على الصبح والظهر والعصر والمغرب ، فهي في أول النهار ، ووسطه ونهايته ، وبداية الليل .

ويرى الباحث بأن هذا التوقيت لحصص التعليم عند السعدي له مزايا منها:

١- أنه يجعل الطالب مستمر التعلق بدراسته ، فكلما انتهى من حصة وأخذ فترة راحة قليلة أعقبتها حصة أخرى وهكذا ، وهذا يفيد الطالب حيث يجعله دائم التعلق بالدروس والتعليم ، وقد أظهرت (الدراسات بأن الممارسة الموزعة تؤدي إلى نتائج أفضل في التعلم من الممارسة المركزة)[1] .

٢- أن ذلك التوزيع في زمن الحصص يعطي الطالب فرصة الاستذكار والمراجعة لما أخذه وما يأخذه من حصص تعليمية .

٣- الجدول بهذه الصفة يلبي حاجات الدارسين ، فالذي لا يتفرغ

---

(١) زيدان ، محمد مصطفى ، علم النفس التربوي ، جدة : دار الشروق ، ط٣ ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م ، ص ٦١ .

للدراسة في الصباح الباكر ، يمكن أن يدرس بعد الظهر ، والذي لا يستطيع الدراسة بعد العصر يمكن أن يدرس بعد المغرب ، فهذا الجدول يلبي رغبات أصحاب التفرغ الجزئي في مجال التعليم .

٤- هذا الجدول متلائم مع أوقات الراحة المهمة للإنسان كوقت الظهيرة، ووقت النوم بعد العشاء ، فهذان الوقتان ليس فيهما دراسة البتة .

طريقته في التدريس :

[أ] كانت الطريقة التقليدية المعهودة في البلاد النجدية للتدريس هي طريقة تسمى بـ طريقة (سم وبركة) ومعناها : أن الطالب يبدأ القراءة ببسم الله ثم يواصل قراءته إلى أن يقول له الشيخ : بركة ، أي يكفي قراءة ، ثم يقرأ الطالب الآخر هكذا حتى ينتهي طلاب الحلقة بهذه الطريقة التي يقول عنها القاضي : (طريقة القدامى " سم بركة " فإن الطالب كالمنبَّت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى) [١] .

وهذه الطريقة القديمة في التعليم يرى الباحث أنها تتميز بالآتي :

١- تصلح للمعلم غير المتبحر في العلم ،ولا يستطيع النقاش والحوار مع طلابه بل يكفيه فقط : بركة القراءة من الكتاب ، ولهذا نعتوها بـ (سم بركة) .

٢- تتناسب هذه الطريقة مع الشيخ أو المعلم المنشغل والذي لا يستطيع

---

(١) القاضي ، روضة الناظرين ، ج ٢ ص ١٣٧ . (مرجع سابق)

التحضير للدروس ، ولكنه متعلق بكتب العلماء ، فيكفيه مجرد الاتصال بهذه الكتب ولو بالقراءة دون المناقشة والتحرير، والاستنباط والترجيح .

٣- تفيد هذه الطريقة من حيث سرعة استعراض الكم الكبير من المؤلفات عكس الطريقة الحديثة المبنية على المناقشة والحوار .

٤- تتفق هذه الطريقة مع إمكانيات الطالب المشغول ، ولكن عنده تعلق بالعلوم وكتب العلماء فيكفيه مجرد القراءة والتصفح دون البحث والتحرير والمناقشة والترجيح بين الأقوال والأراء المختلفة المتعارضة .

٥- هذه الطريقة تعود الطلاب جميعاً على حسن النطق ، خصوصاً إذا كان معلمهم يجيد النحو فيصحح لهم أخطاءهم اللغوية أثناء قراءتهم عليه في الدرس .

٦- لا يشترط في هذه الطريقة مستوى معين للطالب ، إنما من يجيد القراءة ، فإن مستوى القراءة أهم ما يجب أن يتحلى به .

٧- تفيد هذه الطريقة عامة الحضور المستمعين للدرس من العامة الذين لا يقرءون ، ولكنهم يكتفون بمجرد السماع ، فإن هذه الطريقة تفيدهم في التعرف على كتب العلماء وما تحويه من فنون علمية .

٨- لا يمكن أن تتم الفائدة العلمية التامة من هذه الطريقة ، إلا للطالب الحافظ الذي يستطيع حفظ ما يقرأ ويسمع فهذا هو الوحيد الذي يمكن أن يخرج من هذه الطريقة بحصيلة علمية نافعة .

[ب] أما الطريقة الحديثة للتعليم ، والتي سلكها السعدي في تعليمه وقد اكتسبها من مشايخه الذين تعلم على أيديهم ، وهم قد استفادوها من تعلمهم في الحرمين الشريفين ، وفي ذلك يقول القاضي : (وطريقة تدريس (الحجاز) أحسن بكثير للطالب وللمعلم يحصرهم على فنين أو ثلاثة في كل جلساته ، وكل فن يشترك فيه جميع الطلبة ، ولعمري إن هذه الطريقة هي طريقة التحصيل ، ومشى عليها (بعنيزة) الجد صالح ابن عثمان القاضي ، والوالد عثمان ، وشيخنا عبد الرحمن بن سعدي ومن بعدهم) [١] .

وهذه الطريقة التي سلكها السعدي في تدريسه يجليها لنا أحد تلاميذه، فيصف طريقة شيخه في تعليمه لهم فيقول : (وكان من أحسن الناس تعليماً ، وأبلغهم تفهيماً ، مرتباً لأوقات التعليم ، ويعمل المناظرات بين تلاميذه المحصلين لشحذ أفكارهم ، ويجعل الجعل لمن يحفظ المتون وكل من حفظه أعطي الجعل ولا يحرم منه أحداً ، ويتشاور مع تلاميذه في اختيار الأنفع من كتب الدراسة ، ويرجح ما عليه رغبة أكثرهم ، ومع التساوي يكون هوالحكم ، ولا يمل التلاميذ من طول وقت الدراسة إذا طال لأنهم يتلذذون من مجالسته) [٢] .

---

(١) القاضي ، (المرجع السابق) ، ج ١ ص ٣٦٤ .

(٢) السعدي ، الرياض الناضرة - الكاملة /الثقافة ، ج ١ ص٣٦٧ (مرجع سابق)

وهذه الطريقة التي سلكها السعدي في تعليمه إنما استفادها من مشايخه الذين نقلوها عن مشايخهم الذين تعلموا على أيديهم في (الحجاز) و(مصر) ، ولهذا فإن السعدي استفاد ذلك من مشايخه وهم :

١- صالح بن عثمان القاضي :

قال عنه حفيده محمد : (وكانت طريقة (سم بركة) قد تلاشت أو كادت أن تتلاشى فقبل وصول جدي (عثمان بن صالح القاضي) من الحجاز موجودة عندنا - يقصد في (عنيزة) - ولكن الجد رحمه الله ومن بعده سلكوا طريق المدرسين في الحرمين الشريفين ...)[1] .

٢- محمد بن عبد العزيز المانع :

قال عنه القاضي : ((وكان حسن التعليم جداً ، وتدريسه على طريقة الجد ، وشيخنا عبد الرحمن ... وتخرج على يديه خلق لا حصر لعددهم ومن أبرزهم في قطر ... وفي (عنيزة) والدي الشيخ عثمان بن صالح القاضي وشيخنا عبد الرحمن بن ناصر السعدي...))[2] .

٣- محمد بن عبد الكريم الشبل :

قال عنه القاضي : ((وكان حسن التعليم ، واسع الإطلاع في فنون عديدة ، وعلى جانب كبير من الأخلاق العالية والصفات

---

(١) القاضي ، روضة الناظرين ، ج ٢ ص ١٣٧ . (مرجع سابق)

(٢) القاضي ، (المرجع السابق) ، ج٢ ص٢٩٧

الحميدة وكان تعليمه ليس على طريقة القدامى النجديين ، بل على طريقة تعليم (الحجاز) ولعمري إنها الطريقة المثلى لمن يريد الانتفاع والنفع)) [١] .

فالسعدي أخذ بهذه الطريقة من مشايخه ، ونقلها إلى تلاميذه ، فكانت طريقة السعدي في تعليمه تمتاز بما يلي [٢]:

١- يجمع الطلاب على كتاب أوكتابين ، وفي نهاية الدرس يطلب من ثلاثة منهم إعادة ذلك الدرس .

٢- يناقش الطلاب بعد يوم عما مضى تعليمه لهم .

٣- يشجع طلابه على حفظ المتون العلمية ، ويجعل الجُعل لمن يحفظ ذلك.

٤- يعقد المناظرات العلمية بين طلابه المحصلين .

٥- يتباحث ويتشاور مع طلابه .

٦- يتشاور مع طلابه في اختيار الأنفع من كتب الدراسة ، ويرجح ما تختاره الأكثرية منهم ، وعند التساوي يكون صوته هو الحكم الفاصل .

٧- يورد المسائل العلمية مقرونة بأدلتها الشرعية ، ويستطرد في ذكر

---

(١) القاضي ، (المرجع السابق) ، ج٢ ص٢٤١ .

(٢) القاضي ، (المرجع السابق) ، ج٢ ص٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ .
الفقي ، سيرة العلامة السعدي ، ص١٠ (مرجع سابق)

نظائر للمسألة محل النقاش يقول عنه تلميذه محمد العثيمين : ((إنني قد تأثرت به كثيراً في طريقة التدريس ، وعرض العلم وتقريبه للطلبة بالأمثلة والمعاني))[١] .

٨- في مسائل الخلاف يهتم بذكر الأقوال المخالفة مع أدلة القائلين بها ، ثم يقيم نفسه حكماً بين هذه الأقوال فيرجح ما صح دليله عنده .

٩- لا يكثر من تقرير كتب على طلابه ، بل يكتفي بكتابين أو ثلاثة فقط ، ويعلل ذلك بقوله : ((ومن الحكمة أن لا يتلقى المتعلم العلوم المتنوعة التي لا يتحملها ذهنه ، أو يُضيّع بعضها بعضاً ، واتفق أهل المعرفة بطرق التعليم أن هذا ضار ومفوت للعلم ، وأن الطريق الأقرب أن يُجعل للمتعلم من الدروس ما يسهل عليه حفظها وفهمها وعقلها والتفكر التام فيها))[٢] ، وهذا ما أشار إليه ابن خلدون بقوله : ((اعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيداً إذا كان على التدريج شيئاً فشيئاً وقليلاً قليلاً)) وقوله : ((ولا ينبغي للمعلم أن يزيد متعلمه على فهم كتابه الذي أكب على التعلم منه بحسب طاقته))[٣] .

---

(١) ابن عثيمين ، التعليقات على كشف الشبهات ، ص ١٠ (مرجع سابق)

(٢) السعدي ، الرياض الناضرة - الكاملة / الثقافة ، ج ١ ص ٤٣٠ (مرجع سابق)

(٣) ابن خلدون ، عبد الرحمن ، مقدمة ابن خلدون ، بتحقيق خليل شحاده وسهيل زكار ، بيروت : دار الفكر، ط٢ ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨ م) ج ١ ص ٧٣٤ ، ٧٣٥ .

ويمكن القول بأن هذه المميزات لطريقة السعدي في التعليم كانت من أهم أسباب تفوق تلاميذه ، وبروزهم العلمي بحيث تسنموا أرقى المناصب العلمية في المملكة العربية السعودية سابقاً ولاحقاً ، وقد سبق بيان ذلك بشيء من التفصيل في مبحث : تلاميذه من هذا الفصل ،

مميزات طريقة السعدي في التعليم :

١- جمع الطلاب في درس الشيخ على كتب معينة واحد أو اثنين أو ثلاثة فقط ، وهذا الجمع للطلاب يوحد أذهانهم وأفكارهم في فنون علمية معينة مما يورث عندهم حسن الانتباه والمتابعة مع الشيخ في شرحه ، بخلاف الطريقة القديمة والتي يقتصر فيها كل طالب على كتاب وفن معين مما يورث الملل والسأم لدى التلميذ الآخر أثناء قراءة غيره على الشيخ .

٢- تقوم هذه الطريقة على القراءة مع الشرح والمناقشة والبحث مما يحفز الطلاب على التحضير المسبق للدرس ، وكذلك الشيخ فإنه يقوم بالتحضير والإعداد قبل مجيئه للدرس ، وهذا مما يزيد الدرس حيوية ونشاطاً وتفاعلاً فاعلاً بين الشيخ المعلم وتلاميذه .

٣- بهذه الطريقة يُعرف الطالب المجد الباحث ، من الخامل الكسول ، وهذا التمايز بين الطلاب ينشأ عنه عنصر التنافس المؤدي إلى الجد في البحث والاطلاع ، وذلك مما يثري وقت الدرس بالعلم النافع .

٤- قيام الأستاذ مع طلابه بالبحث والمناقشة يؤدي إلى ترسيخ المادة العلمية في أذهانهم ، ويعرف بهذا البحث والمناقشة قدرات الطلاب، ونجابتهم في التعليم ، كما يقول ابو حيان التوحيدي ، (لا تستبان النجابة من الإنسان إلا بالتعلم) [١] .

٥- بهذه الطريقة يكتسب الشيخ القدرة التامة على السبر والتقسيم للأقوال والآراء المتعارضة في المسألة الواحدة ، وبهذا تتقوى ملكة النقد الهادف لدى كلٍ من الشيخ وتلاميذه .

٦- هذه الطريقة تعطي الشيخ وتلاميذه قوة الحجة وعمق الاستدلال ، حيث أنها تحتاج لجمع الأدلة والأقوال ثم تقسيمها درجات حسب صحة أدلتها وقوة دلالتها ثم الخروج (بالنتيجة) بعد ذلك العرض في درس الشيخ .

٧- تشحذ هذه الطريقة الذهن وتقوي استعداد الطالب للدرس قبل الحضور إليه ، عكس الطريقة القديمة التي لا تعدو القراءة على الشيخ للبركة فقط .

٨- هذه الطريقة تحفز الطالب على التوسع في الاطلاع حول القضية محل النقاش طلباً لمعرفة الأقوال المتعارضة في ذلك ثم الموازنة والترجيح

---

(١) أبو العينين، مصطفى خليل ، من أعلام التربية العربية الإسلامية ، (المضامين التربوية في فكر أبو حيان التوحيدي) الرياض : مكتب التربية العربية لدول الخليج، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨ م ، ج ٢ ص ٢٠٨ .

بينها ، وقد اتخذ هذه الطريقة السعدي في تعليمه لتلاميذه ، ونقلها عنه تلاميذه إلى من بعدهم ، وممن سار على هذه الطريقة تلميذه : سليمان بن إبراهيم البسام ، قال عنه القاضي : « كان حسن التعليم قوي الذاكرة ، وكان كثير التشجيع لنا ، والمناقشة والبحث عقب الجلسة ، وإعادة البحوث السابقة معنا ، فانتفعنا منه كثيراً رحمه الله ، وكان مثابراً على التعليم والبحث لا يسأم منه يحب إيصال الفائدة لطلابه بكل ما أمكنه ، واستمر يوالي نشاطه إلى آخر حياته » (١) .

وكذلك تلميذه محمد بن صالح العثيمين سار على خطى وطريقة شيخه في التدريس ، ولا تزال دروسه قائمة في مسجده الجامع الكبير بعنيزة .

ثانياً : الإمامة والخطابة والإفتاء :

تولى السعدي إمامة وخطابة الجامع الكبير في عنيزة وعمره أربع وخمسون سنة وذلك عام عام (١٣٦١هـ الموافق عام ١٩٤٢م) وذلك في غرة شهر رمضان المبارك لهذا العام ، وحتى يوم وفاته في (٢٣/ ٦/ ١٣٧٦هـ الموافق ١٩٥٥م) والخطابة على المنابر لا تقل أهمية في التعليم عن التدريس والإفتاء والتأليف ، بل إن الخطابة تعتبر الوسيلة الأولى للتوجيه الاجتماعي في ذلك العصر ، ولا تزال الخطابة تحتفظ بمكانتها التوجيهية حتى يوم الناس هذا ، ولذلك فإنه غالباً لا يتولاها إلا الكفء

---

(١) القاضي ، روضة الناظرين ، ج ١ ص ١٤٥ (مرجع سابق)

من العلماء وكبار طلبة العلم ، وقد قام السعدي بالخطابة في الجامع الكبير بعنيزة لمدة تزيد على خمس عشرة سنة متوالية ، وكان قبلها يتولى الإمامة والخطابة خليفة عن شيخه صالح بن عثمان القاضي .

فلقد أولى السعدي الخطابة جُلَّ اهتمامه ، حيث جاءت خطب الجُمع عنده ملبية لحاجة الناس في التعليم والوعظ والتذكير وفي مقدمة كتابه عن الخطب يقول السعدي : ((هذه الخطب جمعت بين الوعظ والتعليم والتوجيهات للمنافع ، ودفع المضار الدينية والدنيوية بأساليب متنوعة ، والتفصيلات المضطر إليها كما ستراه ..)) [١] .

وفي مقدمة كتابه الثاني عن الخطب بيَّن السعدي ما كانت عليه خطب الرسول ﷺ فقال : ((وكانت خطبه ﷺ كلها دعوة إلى ا لله وإلى صراطه المستقيم ، وتوضيحاً للأصول النافعة والأعمال الصالحة ، وترغيباً في أصناف الخيرات والإحسان إلى المخلوقات ، وترهيباً من الأعمال الضارة والأخلاق السيئة ، وكان الغالب على خطبه الاختصار والاقتصار على ما يحصل به المقصود ، ويقول : « **إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة من فقهه ، فأطيلوا الصلاة وأقصروا الخطبة** » رواه مسلم [٢] ، ومَئِنَّةُ :

---

(١) السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر ، الفواكه الشهية في الخطب المنبرية – المجموعة الكاملة / الخطب ، عنيزة : مركز صالح ابن صالح الثقافي ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢) ص ٦٥ .

(٢) مسلم ، صحيح مسلم بشرح النووي ، ج ٦ ص ١٥٨ (باب صلاة الجمعة وخطبتها . (مرجع سابق)

(بفتح الميم ثم همزة مكسورة ثم نون مشددة أي علامة [١] .

وكانت مواعظه على نوعين :

١- نوع يعظ الناس وعظاً مطلقاً يرغب بالخير ويرهب من الشر ويشوق إلى ما أعد الله للطائعين من الكرامة ، ويحذرهم ما أعد الله للعاصين من الإهانة ، ليثير في القلوب الإيمان والرغبة في الخير ، والرهبة من الشر .

٢- ونوع من وعظه يفصّل ما يحتاج الناس إلى تفصيله ويوضحه لهم توضيحاً فالنوع الأول : ((وعظ وإيقاظ وتذكير ، والنوع الثاني : تبيين وتعليم وتفصيل ، وكان يراعي في كل وقت وحال ما يحتاج الناس إلى بيانه ، وكان لا يتكلف السجع ولا التعمق)) [٢] .

وقد سار السعدي في خطبه على هذا النسق المحمدي ، حيث جاءت خطبه إما في المواعظ والتذكير ، وإما في التعليم والتفصيل متفقة مع حاجة الناس ، ومراعية لأحوالهم .

((ومن ذلك خطبته عن العدوان الثلاثي على مصر عام (١٣٧٥هـ الموافق ١٩٥٦م) ، فقد هاجمت فرنسا وانجلترا واسرائيل أرض مصر ،

---

(١) مسلم ، (المرجع السابق) ، ج ٦ ، ص ١٥٨ .

(٢) السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر ، مجموع خطب الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي في المواضيع النافعة - المجموعة الكاملة / الخطب ، عنيزة : مركز صالح ابن صالح الثقافي ، ط٢ ، ١٤١٢هـ /١٩٩٢م) ص ١٨٧ ، ١٨٨ .

ولكل دولة منهم دوافعها الخاصة ، وقد عرف الشيخ أبعاد ذلك الهجوم فخطب الناس خطبة الجمعة في هذا الموضوع ، ورفع الناس مع الشيخ أكف الضراعة لله بأن يحمي البلاد الإسلامية ويرد كيد الكافرين)) [(١)] .

ولما عزم الشيخ على عمارة مسجده (الجامع) خطب خطبة في ذلك الموضوع جاء فيها : ((لهذا نذكركم رحمكم الله للمساهمة في بنيان هذا المسجد الذي هو من أفضل المشاريع النافعة ، وأجل الأعمال المدخرة الصالحة ، فكل من يحب المشاركة في الخير فالطريق له مفتوح ...)) [(٢)] .

وهكذا جاءت خطب الشيخ المنبرية لتحقيق هذين الغرضين الهامين اللذين بينهما الشيخ في وصفه لخطب النبي ﷺ .

ثالثاً : التأليف :

كرس السعدي حياته للعلم تعليماً وتأليفاً وإفتاءاً ، هدفه نفع الناس وإرشادهم ، ولهذا فهو يبدي ويعيد في الحث على لزوم كل طريق ذي نفع متعد ، كقوله : ((إن من تعلم علماً فعليه نشره وبثه في العباد ونصيحتهم فيه فإن انتشار العلم عن العالم من بركته وأجره الذي يَنْمِي ، وأما اقتصار العالم على نفسه وعدم دعوته إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، وترك تعليم الجهال ما لايعلمون ، فأي منفعة حصلت للمسلمين منه ؟ وأي نتيجة نتجت من علمه ؟ وغايته أن يموت فيموت

---

(١) العدوي ، السعدي ، ص ٢٠٨ . (مرجع سابق)

(٢) السعدي ، الفواكه الشهية في الخطب المنبرية ، ص ١٧٥ . (مرجع سابق)

علمه وثمرته ، وهذا غاية الحرمان لمن منحه الله علماً وآتاه فهماً)) [١].

لذا فقد بذل نفسه ووقته للعلم تعلماً وتعليماً ، ولما رسخت قدمه في العلم دخل ميدان التأليف ، قال عنه تلميذه البسام : ((فلما بلغ أشده ، ونضج علمه ، ورسخ قدمه ، شرع في التأليف)) [٢] ، وبتتبع مؤلفاته ، وجدت أن أكثرها لم يؤلف إلا بعد بلوغه سن الأربعين ، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك في مبحث (مذهبه) .

ولأهمية التأليف في حياة العالم وبعد وفاته نجد أن السعدي اعتنى عناية خاصة بالتأليف لما فيه من الثواب المستمر ، حيث قال رحمه الله: ((العلم الذي ينتفع به من بعده ، كالعلم الذي علمه الطلبة المستعدين للعلم، والعلم الذي نشره بين الناس ، والكتب التي صنفها في أصناف العلوم النافعة ، وهكذا كل ما تسلسل الانتفاع بتعليمه مباشرة ، أو كتابة ، فإن أجره جار عليه ، فكم من علماء هداة ماتوا من مئات السنين ، وكتبهم مستعملة ، وتلاميذهم قد تسلسل خيرهم وذلك فضل الله)) [٣] .

فالسعدي سار في طريقين متوازيين مهمين هما :

الأول : التعليم وقضاء حوائج الناس ، وحضور اجتماعاتهم .

الثاني : التأليف بكتابة الكتب ، وتدوين الرسائل ، والردود وإجابة

---

(١) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان – الكاملة/ التفسير ، ج ٣ ص ٣١٤ . (مرجع سابق)

(٢) البسام ، علماء نجد خلال ستة قرون ، ج٢ ص ٤٢٤ . (مرجع سابق)

(٣) السعدي ، بهجة قلوب الأبرار – الكاملة / الحديث ، ص ٩٥ (مرجع سابق)

المستفتين تحريرياً وشفوياً .

وقد كتب في مختلف الفنون العلمية ، حيث ألف في التفسير والحديث والعقيدة والفقه ، والآداب والمواعظ والخطب ومؤلفاته تدل بوضوح على غزارة علمه ، وسعة اطلاعه ، وقدرته على التأليف .

ويمكن بيان مميزات مؤلفاته بما يلي :

١- أسلوبه في التأليف :

أسلوبه في التأليف واضح وسلس ، يفيد منه العالم وطالب العلم ومن دونهما ، مثال ذلك قوله عن عقائد القرآن : ((فأما عقائد القرآن فإنها هي العقائد النافعة التي فيها صلاح القلوب ، وحياتها ، وكمالها ، فإنها تملأ القلوب عزة وكرامة ، بشعورها بالتجرد من الذل لمخلوق مثلها ، وشرفها بتخصصها لمحبة الله تعظيماً له وتألهاً وتعبداً وإنابة ، وهذا المعنى هو الذي أوجد الله الخلق لأجله))[١] .

ومن ذلك قوله : ((ومن كان في نيته عمل خير ، ولكنه اشتغل بعمل آخر أفضل منه ، ولا يمكنه الجمع بين الأمرين : فهو أولى أن يكتب الله له ذلك العمل الذي منعه منه عمل أفضل منه ، بل لو اشتغل بنظيره ، وفضل الله تعالى عظيم))[٢] .

---

(١) السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر، القواعد الحسان لتفسير القرآن - المجموعة الكاملة / التفسير ، عنيزة : مركز صالح بن صالح الثقافي ، ط٢، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م ، ج ٨ ص ١٤٦ .

(٢) السعدي ، بهجة قلوب الأبرار - الكاملة / الحديث ، ص ٦٩ (مرجع سابق)

٢- ظهور شخصيته العلمية من خلال مؤلفاته :

يتمتع السعدي بشخصية علمية مستقلة ، حيث أنه يثبت ما يعتقد أن الدليل يثبت صحته ، معرضاً عن ماسواه ، ولو قال به الأكثرون ، ومن ذلك كلامه عن أقسام المياه ، وأنها قسمان لا ثالث لهما كما يقول بالثلاثة كثير من العلماء ، أما هو فيقول : ((والمقصود أن هذا الحديث يدل على أن الماء قسمان : نجس ، وهو ما تغير أحد أوصافه بالنجاسة ، قليلاً كان أو كثيراً ، وطهور ، وهو ماليس كذلك ، وأن إثبات نوع ثالث - لا طهور ولا نجس - بل هو طاهر غير مطهر ، ليس عليه دليل شرعي ، فيبقى على أصل الطهورية)) (١) .

ومن ذلك أيضاً كلامه عن استعمال السواك للصائم قبل الظهر وبعده فيقول : ((ومن الفروق الضعيفة : كراهية السواك للصائم بعد الزوال لا قبله والصحيح : استحباب السواك للصائم قبل الزوال وبعده ، كما هو ظاهر الأحاديث ، ولم يصح حديث في الفرق)) (٢) .

وكذلك مما تتضح به شخصيته العلمية قوله عن الحوالة : ((والصحيح في الحوالة أنها إذا اجتمعت شروطها وإن أوجبنا على صاحب الحق أن

(١) السعدي ، بهجة قلوب الأبرار - الكاملة / الحديث ، ص ٥١ (مرجع سابق)

(٢) السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر، القواعد والأصول الجامعة والفروق والتقاسيم البديعة النافعة - المجموعة الكاملة / الفقه ، عنيزة : مركز صالح بن صالح الثقافي، ط٢، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م ، ج ١ ص ٨٥ .

يستحيل فيها ، فإن الحق لا ينتقل بل إن حصل له الوفاء ممن أُحيل عليه ، وإلا رجع على صاحبه الذي عليه الدين)) [١] .

٣- أهتمامة بالمقدمة التعريفية للكتاب :

فالسعدي يهتم بتدوين مقدمة لكل كتاب ورسالة يبين فيها طريقته في تأليف الكتاب ، والهدف من تأليفه ، مع الإشارة إلى أهم أبوابه وفصوله، وهذا يعطي القارئ التصور العام عن ذلك الكتاب الذي بين يديه ، مما يدعوه إلى الاسترسال في قراءته .

ومن ذلك قوله: « أما بعد: فهذا كتاب يحتوي على مباحث الإيمان التي هي أهم مباحث الدين، وأعظم أصول الحق واليقين ، مستمداً ذلك من كتاب الله الكريم - الكفيل بتحقيق هذه الأصول تحقيقاً لا مزيد عليه - ومن سنة نبيه صلى الله عليه وسلم التي توافق الكتاب وتفسره ، وتعبر عن كثير من مجملاته ، وتفصل كثيراً من مطلقاته ، مبتدئاً بتفسيره ، مثنياً بذكر أصوله ومقوماته ، ومن أي شيء يُستمد ؟ مثلثاً بفوائده وثمراته وما يتبع هذه الأصول » [٢] .

---

(١) السعدي ، المختارات الجلية من المسائل الفقهية - الكاملة/ الفقه ، ج ٢ ص ١٥٣. (مرجع سابق)

(٢) السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر، التوضيح والبيان لشجرة الإيمان - المجموعة الكاملة / العقيدة ، عنيزة : مركز صالح بن صالح الثقافي ، ط٢، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م ، ص ٨٧ .

وفي تقديمه لكتاب آخر يقول : ((أما بعد : فإن راحة القلب وطمأنينته ، وسروره وزوال همومه وغمومه هو المطلب لكل أحد ، وبه تحصل الحياة الطيبة ويتم السرور والابتهاج ، ولذلك أسباب دينية ، وأسباب طبيعية ، وأسباب عملية ، ولا يمكن اجتماعها كلها إلا للمؤمنين، وأما من سواهم فإنها وإن حصلت لهم من وجه وسبب يجاهد عقلائهم عليه ، فاتتهم من وجوه أنفع وأثبت وأحسن حالاً ومآلاً ، ولكني سأذكر برسالتي هذه ما يحضرني من الأسباب لهذا المطلب الأعلى)) [١] .

وفي مقدمته لكتاب : القواعد الحسان يقول : ((أما بعد فهذه أصول وقواعد في تفسير القرآن الكريم ، جليلة المقدار ، عظيمة النفع ، تُعين قارئها ومتأملها على فهم كلام الله ، والاهتداء به ، ومَخْبَرها أجلُّ من وَصْفِها ، فإنها تفتح للعبد من طرق التفاسير ، ومناهج الفهم عن الله ، ما يغني عن كثير من التفاسير الخالية من هذه البحوث النافعة ...)) [٢] .

٤- إهتمامه بجوانب العملية التعليمية :

فالسعدي مارس التدريس قرابة نصف قرن من الزمان ، وكانت معظم أوقاته وجهوده منصرفة إلى العلم تعلماً وتعليماً ، ولأهمية ذلك في نظره

---

(١) السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر ، الوسائل المفيدة للحياة السعيدة - المجموعة الكاملة / الثقافة الإسلامية ، عنيزة : مركز صالح بن صالح الثقافي ، ط٢، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م ، ج ٢ ص ٤٨١ .

(٢) السعدي ، القواعد الحسان - الكاملة / التفسير ، ج ٨ ص ١١ (مرجع سابق)

صار يبدي ويعيد في مؤلفاته في قضية التعليم من حيث المنهج والمعلم والتلميذ ، فهذه أهم أركان العملية التعليمية ، ومن ذلك قوله في بيان الطريقة المثلى في التعليم : ((وينبغي سلوك الطريق النافع عند البحث تعلماً وتعليماً ، فإذا شرع المعلم في مسألة وضحها وأوصلها إلى أفهام المتعلمين بكل ما يقدر عليه من التعبير ، وضرب الأمثال ، والتصوير والتحرير ، ثم لا ينتقل منها إلى غيرها قبل تفهيمها للمتعلمين ، ولا يدع المتعلمين يخرجون من الموضوع الذي لم يتم تعليمه وتقريره إلى موضوع آخر حتى يحكموه ويفهموه » [(١)] .

هذا الكلام للسعدي فيه تركيز واضح على النشاط الذاتي للمعلم وأن نشاطه ينبغي أن يتمثل بما يلي :

أ- أهمية توضيح وتقريب المسائل العلمية ، بما يقدر عليه المعلم .

ب- ضرورة مراعاة المعلم للفروق الفردية بين تلاميذه ، حتى يتسنى لهم جمعياً فهم تلك المسائل .

ج- وجوب مراعاة التدرج في التعليم ، فلا ينتقل المعلم من مسألة إلى غيرها إلا بعد أن يتقن الطلاب المسألة الأولى .

د- الاهتمام باثارة دافعية المتعلم تجاه التعلم .

هـ- أن يحسن المعلم تفهيم تلاميذه ، ويتجنب سرد المعلومات سرداً من غير تقريب لأفهامهم ، فالمعلم واجبه يقتضي التوضيح والتفهيم .

---

(١) السعدي ، الفتاوى السعدية - الكاملة / الفتاوى ، ص ٤٥٤ (مرجع سابق)

و- يشير أخيراً لضرورة تكوين قدرات علمية لدى التلاميذ تجعلهم يملكون بها ناصية العلم .

ولبيان مفاتيح العلوم يقول : ((حسن السؤال ، وحسن الإصغاء ، والتفكر وكثرة التأمل : مفاتيح للعلوم كلها)) [١] .

ز- أن يتحلى المعلم بجوانب التربية العلمية والعملية ، فالمعلم الذي يجمع بين العلم والعمل هو العالم الرباني الذي يقود أمته لكل خير ، ((فمن فضل الله على الأمة أن منَّ عليهم بهؤلاء العلماء الربانيين المربين لهم بنوعين من أنواع التربية العالية : أحدهما التربية العلمية ، يربونهم بصغار العلم قبل كباره ، وبإيصال معاني الكتاب والسنة إلى أذهانهم وعقولهم بالتعليم الشفاهي ، وبتصنيف كتب العلم النافع المتنوعة التي لا يقدر العباد أن يصفوا ما اشتملت عليه من العلوم والفوائد التي لهم اليد البيضاء في استنباطها من الكتاب والسنة وفي ترتيبها وتفصيلها وتقسيمها، وجمع النظائر والمتماثلات والشروط والأركان والموانع ، وتفريق المعاني المتباينة وأصناف الفوائد المتنوعة .

والنوع الثاني : التربية العملية يربون أخلاقهم ويحثونهم على كل خلق حميد ببيان حكمه ومرتبته وما يترتب عليه من الفوائد ، ويبينون لهم الأسباب والطرق التي يكتسبونها به ، والموانع التي تعوقهم عن الإتصاف به ، فهم في الحقيقة غذاء القلوب والأرواح)) [٢] .

(١) السعدي ، الرياض الناضرة – الكاملة / الثقافة ، ج ١ ص ٥٠٥ (مرجع سابق)

(٢) السعدي ، توضيح الكافية الشافية – الكاملة / العقيدة، ص٤٠٩ (مرجع سابق)

٥- الترابط والتكامل في مؤلفاته :

مؤلفاته تحكي الترابط والتكامل المعرفي فيما بينها حيث جاءت جميعها لتخدم قضية تحرير الولاء لله وحده على كافة الأصعدة وبكافة الصور ، ومن ذلك توضيحه لأهم فوائد التوحيد ، بقوله : ((ومن أعظم فضائله - التوحيد - أنه يحرر العبد من رق المخلوقين والتعلق بهم وخوفهم ورجائهم والعمل لأجلهم ، وهذا هو العز الحقيقي والشرف العالي ويكون مع ذلك متألهاً متعبداً لله لا يرجو سواه ، ولا يخشى إلا إياه، ولا ينيب إلا إليه ، وبذلك يتم فلاحه ويتحقق نجاحه)) (١) .

وفي كتاب آخر يبين أهمية تحقيق التوحيد لله وحده فيقول : ((فكل من اتقى ا لله ولازم مرضاته في جميع أحواله فإن ا لله يثيبه في الدنيا والآخرة ، ومن جملة ثوابه أن يجعل له مخرجاً من كل شدة ومشقة)) (٢).

وعن أهمية الإخلاص لله تعالى في العمل يقول : ((الإيمان الصحيح الشامل لأصول الإيمان وحقائقه يتضمن الخضوع الكامل لله والإنابة إليه في كل الأحوال الذي هو غاية صلاح القلوب والأرواح ، فيدخل فيه الإخلاص لله في عبوديته والإحسان المتنوع بكل وجه لله الخالق)) (٣) .

---

(١) السعدي ، القول السديد - الكاملة / العقيدة ، ص ١٢ ، ١٣ (مرجع سابق)
(٢) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - الكاملة / التفسير ، ج ٧ ص ٤١٠ . (مرجع سابق)
(٣) السعدي ، الرياض الناضرة - الكاملة / الثقافة ، ج ١ ص ٣٧٧ (مرجع سابق)

ولبيان أصل الدين وصلاح الأعمال يقول المؤلف : ((إن ا لله جل جلاله من كرمه على عباده ، ويرضى لهم ما فيه مصلحتهم ، وسعادتهم في العاجل والآجل ، وذلك بالقيام بعبادة ا لله وحده لاشريك له ، وإخلاص الدين له بأن يقوم الناس بعقائد الإيمان وأصوله ، وشرائع الإسلام الظاهرة والباطنة ، وبالأعمال الصالحة ، والأخلاق الزاكية ، كل ذلك خالصاً لله موافقاً لمرضاته على سنة نبيه)) [١] .

٦- الشمول والاستيعاب :

تمتاز مؤلفات السعدي بالشمول لغالب فنون العلوم الشرعية : إنطلق المؤلف في مؤلفاته من مبدأ وجوب نشر العلم وبثه بين العباد إستجابة لأمر الرسول ﷺ القائل : « **بلغوا عني ولو آية** ... » الحديث ، (رواه البخاري) [٢] .

فهذا المنهج الشرعي حق لازم في ذمة العالم يجب عليه القيام به حق القيام ولما كانت العلوم في نظره قسمين : مقاصد ، ووسائل لتحقيق هذه المقاصد ، جاءت مؤلفاته كلها أو جلها في علوم المقاصد كما أولى عناية خاصة بالفقه في الدين ، وقال في ذلك : ((ففي هذا فضيلة العلم وخصوصاً الفقه في الدين ، وأنه أهم الأمور ، وأن من تعلم علماً ، فعليه

---

(١) السعدي ، بهجة قلوب الأبرار – الكاملة / الحديث ، ص ١٧٤ ، ١٧٥ .
(مرجع سابق)

(٢) البخاري ، صحيح البخاري بحاشية السندي ، ج٢ ص ٢٥٨ (مرجع سابق)

نشره وبثه في العباد ونصيحتهم فيه)) [١] .

ويقسم السعدي العلم إلى مسائل نافعة ، ودلائل مصيبة كما يقول المؤلف : ((العلم إما مسائل نافعة ، وإما دلائل مصيبة ، فأنفع المسائل المشتملة على الحق ، وأهدى الدلائل وأرشدها ما هدى إلى السبيل ، الموصل إلى المطالب العالية والمراتب السامية ، فالكتاب والسنة كفيلان بهذين الأمرين)) [٢] .

فلما كان العلم النافع منحصراً في ذلك جاءت مؤلفاته مأخوذة من القرآن والسنة في الجوانب التالية :

١- التفسير : (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) .
(القواعد الحسان لتفسير القرآن) .
(تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن)
(المواهب الربانية من الآيات القرآنية) .

٢- الحديث : (بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار) .

٣- العقيدة : (القول السديد في مقاصد التوحيد)
(سؤال وجواب في أهم المهمات)

---

(١) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - الكاملة /التفسير ، ج ٣ ص ٣١٤ . (مرجع سابق)

(٢) السعدي ، المواهب الربانية - الكاملة / الثقافة ، ج ١ ص ٣٦ (مرجع سابق)

(التوضيح والبيان لشجرة الإيمان)
(الدرة البهية شرح القصيدة التائية في حل المشكلة القدرية)
(الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية)
(توضيح الكافية الشافية)
٤- الفقه : (منهج السالكين وتوضيح الفقه في الدين)
(المختارات الجلية من المسائل الفقهية)
(الإرشاد إلى معرفة الأحكام)
(الفتاوى السعدية)
٥- أصول الفقه : (القواعد والأصول الجامعة والفروق والتقاسيم البديعة النافعة)
(رسالة في القواعد الفقهية)
(رسالة لطيفة جامعة في أصول الفقه المهمة)
٦- الخطب : (الخطب المنبرية على المناسبات)
(الفواكه الشهية في الخطب المنبرية)
(مجموع خطب الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي في المواضيع النافعة)
٧- الآداب والأخلاق (الرياض الناضرة والحدائق الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة)

(الدرة المختصرة في محاسن الإسلام)

(إنتصار الحق : محاورة دينية اجتماعية)

(الوسائل المفيدة للحياة السعيدة) .

٨- الثقافة الإسلامية : (طريق الوصول إلى العلم المأمول بمعرفة القواعد والضوابط والأصول)

(الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين)

(تنزيه الدين وحملته ورجاله مما افتراه القصيمي في " أغلاله ")

(الجهاد في سبيل الله)

(وجوب التعاون بين المسلمين)

(فوائد مستنبطة من قصة يوسف)

(الدين الصحيح يحل جميع المشاكل)

ومن خلال قراءة هذه المؤلفات ، يتضح أنها تدور في فلك العلوم الشرعية ، مع بعض الإشارات للفنون العلمية الأخرى .

رابعاً : المشاركات الإجتماعية :

المجتمع بحاجة ماسة إلى العلماء العاملين الذين ينزلون إلى أرض الواقع ويخالطون الناس ، ويعرفون عن كثب أحوال الناس ومشكلاتهم فيكون لهم الجهد المبذول في سبيل تقويم اعوجاج المجتمع ، واستصلاح أفراده ،

والعمل على تحسين أوضاع المجتمع ، وتلك الأعمال الاجتماعية تحتاج إلى صبر ومصابرة ، وطول اجتماع وخلطة بالناس ، حتى يتسنى لذلك المخالط أن يدرك أحوال الناس وأعمالهم عن كثب ، ومِن ثمَّ يكون أثره الإصلاحي في مجتمعه كبيراً ، ولا شك ان القيام بهذه المهمة يعتبر شاقاً على النفوس ، ولكن في سبيل طاعة الله عز وجل يُستسهَلُ الصعب ، ويُستحلى المُرّ ، فالرسول ﷺ قد قرن الخيرية بالصبر والمخالطة للناس فقال: « **المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم ، خير من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم** » رواه الترمذي وابو داود وابن ماجه والبخاري في الأدب المفرد [(١)] .

فمخالطة الناس يترتب عليها الأذى ، قولياً كان أو فعلياً ، قليلاً كان أو كثيراً ولهذا فإن صبر المؤمن على تحمل أذى الناس من علامات خيريته كما أشار إلى ذلك الصادق المصدوق ﷺ ، ولهذا نجد أن كثيراً من العلماء أو الفضلاء يؤثرون السلامة فيعتزلون الناس ويعتزلون مخالطتهم ، فيقصر خيرهم على نفوسهم فقط ، وهذا المسلك خلاف ما يحبذه ويأمر به ويريده الشارع الحكيم ، ومن منطلق بذل الخير للغير ، ومخالطة الناس وتحمل أذاهم : قام الشيخ السعدي بتصدر الناس واستقبالهم وتلبية كافة احتياجاتهم الدينية والدنيوية محتسباً أجره على الله عز وجل ، حيث رفض قبول الأعطيات والوظائف المالية والمادية جزاء ما يقوم به من

---

(١) البخاري ، محمد بن إسماعيل ، الأدب المفرد ، بتحقيق محمد ناصرالدين الألباني ، الجبيل : دار الصدّيق ، ط٢ ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م) ص ١٥٣ ، ٣٠٠ .

أعمال، وآثر الباقي على الفاني رحمه الله تعالى ، قال عنه العدوي : ((بلغنا أن الشيخ عبد الرحمن السعدي قد عُين مشرفاً على المعهد العلمي من الناحية العلمية وكان تعيينه براتب شهري قدره ألف ريال ، ولكن الشيخ أرسل إلى رئاسة المعاهد العلمية أنه على استعداد للإشراف على المعهد حسبة لوجه الله تعالى))[١] .

ومن منطلق حب الخير للغير نجد أن السعدي قد ضرب بسهم في شتى الأعمال الاجتماعية لدرجة أنه أصبح في بلده كل شيء ، فالناس يقصدونه للإستفتاء وللسؤال وللإصلاح وللصلاة معه ولطلب العلم وللإستشارة ، ومن أهم الأعمال الاجتماعية التي كان للسعدي فيها الحضور الفاعل :

أ - الإمامة والخطابة بالجامع الكبير بعنيزة .
ب - تجديد بناء مسجده الجامع مرتين .
جـ - تولي القضاء الشرعي بين المتخاصمين .
د - الإشراف العلمي على معهد عنيزة العلمي .
هـ - منح الاجازات العملية للطلاب البارزين .
و - انشاء المكتبة العلمية العامة .
ز - توزيع الصدقات وقسمة الزكاة على فئة المحتاجين .
ح - البحث والتقصي لأحوال المسلمين .

(١) العدوي ، الشيخ عبدالرحمن السعدي ، مجلة الجامعة الإسلامية ، ص ٢٠٥ . (مرجع سابق)

الباب الثاني

الفصل الرابع: التربية عند السعدي

المبحث الأول : أسس التربية عند السعدي

المبحث الثاني : أهداف التربية عند السعدي

المبحث الثالث : ميادين التربية عند السعدي

المبحث الرابع : أساليب التربية عند السعدي

المبحث الخامس : بعض المبادئ التربوية للسعدي



تمهيد

التربية ثمرة العلم ، والقصد الأسمى منه ، فرسالة العلم الكبرى إنما هي تربية المتعلمين ، ولقد أدرك السعدي - رحمه الله تعالى - أهمية التربية ومكانتها من الحياة فقال : ((فمن فضل الله على الأمة أن منَّ عليهم بهؤلاء العلماء الربانيين المربين لهم بنوعين من أنواع التربية العالية، أحدهما : التربية العلمية ، يربونهم بصغار العلم قبل كباره ... ، والنوع الثاني: التربية العملية يربون أخلاقهم ويحثونهم على كل خلق حميد))(١).

فالتربية في نظر السعدي تقوم على أساسين مهمين هما : العلم ، والعمل ، ولكل أساس قواعد تخصه في بابه ، وهما في النهاية يهدفان لإخراج الإنسان الصالح في نفسه المصلح لغيره ، وبهذه التربية تتحقق في ذلك الإنسان الغاية من وجوده في هذه الحياة ، فالسعدي أجمل ذلك المفهوم للتربية في مواضع من مؤلفاته ، وبين الحاجة الماسة لذلك المفهوم الإسلامي للتربية ، ومتى ما تحقق ذلك المفهوم عن التربية في نفوس المتربين ، فإنهم سيحققون أهداف التربية الإسلامية من وجودهم في هذه الحياة ، وفي هذا الفصل سيتم الكلام عن التربية عند السعدي مفصلاً حسب المباحث التالية :

---

(١) السعدي ، توضيح الكافية الشافية - الكاملة / العقيدة ، ص ٤٠٩ (مرجع سابق)

أ- **المبحث الأول** : أسس التربية عند السعدي

ب- **المبحث الثاني** : أهداف التربية عند السعدي

ج- **المبحث الثالث** : ميادين التربية عند السعدي

د- **المبحث الرابع** : أساليب التربية عند السعدي

هـ- **المبحث الخامس**: بعض المبادئ التربوية للسعدي

أولاً : مدخل تاريخي

التربية من حيث هي ممارسة ترجع إلى بداية الوجود الإنساني على هذه الأرض ، وأول وجود بشري على وجه الأرض إنما كان بنزول آدم وحواء من الجنة إلى الأرض ، كما قال تعالى : ﴿وَقُلْنَا يَاآدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ(٣٥)فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ « سورة البقرة ، آية ٣٥ ، ٣٦ » .

وآدم عليه السلام لم ينزل من الجنة حتى علَّمه الله الأسماء كلها ، أسماء كل شيء قال تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ « سورة البقرة، آية ٣١ » ولبيان المقصود بهذه الأسماء يقول ابن عباس رضي الله عنهما: ((هي هذه الأسماء التي يتعارف الناس بها ، إنسان ودابة وسماء وأرض وسهل وبحر وخيل وحمار وأشباه ذلك من الأمم وغيرها))(١)، وقال مجاهد: ((علمه إسم كل دابة وكل طير وكل شيء)) (٢) وقال ابن كثير : ((والصحيح أنه علمه أسماء الأشياء كلها ذواتها وصفاتها وأفعالها)) (٣) .

---

(١) ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل ، تفسير القرآن العظيم ، بيروت : مؤسسة الريان ، ط٢ ، ١٤١٧هـ /١٩٩٦م ، ج ١ ص ١٠٠ .

(٢) ابن كثير (المرجع السابق) ج١ ص ١٠٠ .

(٣) ابن كثير (المرجع السابق) ج ١ ص ١٠٠ ، ١٠١ .

إن تعليم ا لله لآدم أسماء الأشياء كلها بصفاتها وأفعالها مع أن ا لله جعل لآدم في الأرض المستقر إن ذلك التعليم والإستقرار يعني كمال التربية الإلهية ، حيث أن هذا التعليم يفيد آدم في كيف يحسن التعامل مع هذه الحياة الجديدة على الأرض ، وكان يعلم الملائكة ، ولا بد أنه علم أولاده، فالتربية التي يقدمها آدم إنما هي تعليم من ا لله لآدم فهي قمة التربية الصحيحة ، ومن آدم تناقلها من بعده عن طريق التلقين والقدوة والتعليم ، ولكن كلما تطاولت الأزمان وتناسى الناس هذه التربية الإيمانية بعث ا لله من بني آدم من الأنبياء والمرسلين من يجدد للناس أمر دينهم وتربيتهم ، وهكذا تسلسلت الأمم ترتفع وتنخفض في تربيتها حسب قربها وبعدها من نبيها ورسولها الذي يجدد لها أمر دينها ، فهذه التربية التي عليها آدم وبنوه الأقربون ، إنما هي منحة إلهية بتعليم ا لله له ، وجعل الأرض له مستقراً ، لهذا فإنه من الخطأ أن يأتي من يدونون في تاريخ الفكر التربوي عبر القرون ، فلا يذكرون التربية التي كان عليها أبو البشر آدم عليه السلام ، وكذلك من جاء بعده من الأنبياء والمرسلين ، الذين كانوا بمثابة المجددين لما عليه آدم ومن بعده من الرسل ، وهكذا حتى وصل الدور إلى نبينا محمد ﷺ ، وهذه الحقيقة التاريخية يمكن استخلاصها من قول الرسول ﷺ « ... **والأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد** » متفق عليه، وهذا لفظ البخاري [(١)] فدينهم واحد أي تربيتهم التي عليها يسيرون ،

---

(١) البخاري ، صحيح البخاري بحاشية السندي ، ج٢ ص ٢٥٥ (مرجع سابق)

وبها يعملون إنما هي متحدة ، فكلهم يدعو لتوحيد ا لله وعبادته ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ « سورة النحل ، آية ٣٦ » ، بل إن الرسول ﷺ حصر دعوته كلها في جانب تكميل ما عليه الأنبياء السابقين فقال ﷺ : « **إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق** » رواه ابن أبي شيبة [(١)] .

فهذه هي قصة وجود التربية الإلهية ، أو التربية الإسلامية الآدمية ، فهي راسخة الجذور ، تدعو إلى توحيد ا لله وعبادته وحده لا شريك له ، بهذا الوضوح كانت التربية الأولى على وجه الأرض ، وأما أن يدعي مدع بأن الإنسان الأول همجي بربري لا يحسن لبس الإزار فإن ذلك التصور نابع من الجهل بأصل الإنسان وقصة وجوده على ظهر الأرض ، وللمسلمين وحدهم أن يباهوا سواهم بما جاء في كتابهم القرآن الكريم من البيان الدقيق الواضح لهذا الأمر ولا يلتفتوا لما جاء عن الآخرين من تصورات وأوهام ، فإن الظن لا يغني من الحق شيئاً كما يقول أحدهم : ((لما تعقدت الحياة الإجتماعية عن طريق ما أضافته الأجيال المتعاقبة لمجموعة الأفكار والمهارات ، أصبحت للتربية غاية خضعت لها مطالب الحياة العاجلة ، وفي مثل هذه الظروف لم يكن هناك خط واضح يفصل بين

---

(١) ابن أبي شيبة ، أبو بكر عبد ا لله بن محمد، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، بتحقيق محمد عبد السلام شاهين، بيروت : دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م ، ج ٦ ص ٣٢٨ .

التعليم العابر والتعليم الشكلي)) [١] ، ويصور أحد التربويين بأن التربية التي كان عليها الإنسان الأول إنما هي نابعة من الحاجة بقوله : ((إن الوجود الأول للبشر كان في مجتمع بسيط جداً يبلغ من البساطة حداً لا يقل عن الكيان الأسري المشكل من زوج وزوجته ...)) ثم يقول : ((يكفي أن نتبع سلوكها واستجاباتها في إحدى هذه الحاجات الأولية مثل الحاجة إلى الطعام ، وهي تلك الحاجة التي يدفعها إليها دافع الجوع وحب البقاء والاستمرار كغاية قصوى لغايات الإنسان ...)) [٢] إن مثل هذا التصور الخاطئ عن تربية الإنسان الأول مردود بما عليه الأنبياء والمرسلون من آدم عليه السلام وحتى محمد ﷺ والسعدي يتعجب من الذين يزعمون بأن البشر لم يبلغوا سن الرشد إلا في العصر الحاضر فيقول: ((وهجنوا بعباراتهم المتنوعة كل قديم ليصلوا بذلك للقدح فيما جاءت به الرسل ونزلت به الكتب ،وقالوا : إن البشر لم يبلغوا سن الرشد إلا في هذا الوقت الذي طغت فيه علوم المادة وانحلت فيه الأخلاق ... وهذا من أعجب العجائب ، كيف يكون الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومن اهتدى بهداهم ... لم يبلغوا سن الرشد ، وهم الذين كانوا

---

(١) عبد النور ، فرنسيس ، التربية والمناهج ، القاهرة : دار النهضة ، د . ت ، ص ١٣.

(٢) سلطان، محمود السيد ، مسيرة الفكر التربوي عبر التاريخ ، القاهرة : دار المعارف، د . ت ، ص ١٣ .

على الهدى المطلق ،وبهم هدى ا لله البشر وأرشدهم إلى كل علم نافع صحيح وعمل صالح وخير ورشد وصلاح)) [١] .

ثانياً : مفهوم التربية وأهميتها عند السعدي

التربية عند السعدي تقوم على مبدأ المجاهدة من أجل صلاح الإنسان وإصلاحه في جميع شؤونه الدينية والدنيوية ، ويتضح ذلك من تعريفه لمعنى الجهاد بقوله : ((الجهاد نوعان : جهاد يقصد به صلاح المسلمين وإصلاحهم في عقائدهم وأخلاقهم وآدابهم ، وجميع شؤونهم الدينية والدنيوية ، وفي تربيتهم العلمية والعملية ، وهذا النوع هو أصل الجهاد وقوامه وعليه يتأسس الثاني)) [٢] .

فالتربية العلمية عند السعدي تقوم على أساس العلم النافع ، والتربية العملية تعني سلوك طريق العدل في الأخلاق والأعمال ، وبهاتين التربيتين تخرج النفس الإنسانية من وصف الجهل والظلم إلى وصف الطمأنينة ، وقد أشار السعدي إلى ذلك المفهوم بقوله عن النفس الإنسانية : ((أنها لا تخرج عن هذا الوصف إلا برحمة من ا لله وعناية منه ، لأن النفس ظالمة جاهلة ، والظلم والجهل لا يأتي منهما إلاَّ كل شر ، فإن رحم ا لله العبد

---

(١) السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر ، الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين – المجموعة الكاملة / الثقافة الإسلامية ، عنيزة : مركز صالح بن صالح الثقافي ، ط٢ ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م ، ج ٢ ص ٣١٥ .

(٢) السعدي ، الجهاد في سبيل ا لله ، المجموعة الكاملة / الثقافة الإسلامية ، ج١ ص ١٨٦. (مرجع سابق)

ومنَّ عليه بالعلم النافع وسلوك طريق العدل في أخلاقه وأعماله خرجت نفسه من هذا الوصف ، وصارت مطمئنة إلى طاعة الله وذكره ، ولم تأمر صاحبها إلا بالخير ، ويكون مآلها إلى فضل الله وثوابه)) [(١)] .

فالتربية الإسلامية تقوم بإعداد الإنسان ليقوم بواجب الخلافة في الأرض كما أمره الله بذلك ولا يقوم الإنسان بذلك الدورحق القيام إلا إذا سار وفق منهج الله تعالى لذلك الإنسان والذي جاءت به الرسل جميعاً لأقوامها ، ويشير السعدي إلى ذلك بقوله : ((من حكمة الله ورحمته أنه جعل العباد مفتقرين إلى جلب المنافع الدينية والدنيوية ، وإلى دفع المضار الدينية والدنيوية ، فاقتضت حكمته وسنته التي لا تتبدل أن هذه المنافع المتنوعة لا تحصل إلا بالسعي بأسبابها الموصلة إليها ، وكذلك المضار لا تندفع إلا بالسعي بالأسباب التي تدفعها ، وقد بين في كتابه غاية التبيين هذه الأسباب وأرشد العباد إليها فمن سلكها فاز بالمطلوب ونجا من كل مرهوب)) [(٢)] .

وتتجلى مكانة التربية في الإسلام بذلك الإنقلاب العظيم الذي حدث

---

(١) السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر ، فوائد مستنبطة من قصة يوسف ، المجموعة الكاملة / الثقافة الإسلامية ، عنيزة : مركز صالح بن صالح الثقافي ، ط٢ ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م ، ج١ ص١٣٢ .

(٢) السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر ، تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، المجموعة الكاملة/ التفسير ، عنيزة : مركز صالح بن صالح الثقافي ، ط٢ ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م ، ج٨ ص٤٧٥ .

في حياة العرب بعد الإسلام ، يوضحه السعدي بقوله : ((ولقد خلق الله من العرب الضعفاء القليلين خير أمة أخرجت للناس في كل معاني الحياة العزيزة الكريمة حين فهموا هذا القرآن على وجهه الصحيح وآمنوا به واهتدوا بهداه)) [١] .

فالتربية الإسلامية تنفرد عن التربيات الأخرى بمصدرها الرباني ، ولذلك كان لها حق البقاء والعطاء منذ بدء الحياة البشرية على وجه الأرض ، وحتى يرث الله الأرض ومن عليها ، وتنبع أهمية التربية من حفظها لفطرة المسلم كما خلقها الله عز وجل ، كما تحفظ للمسلم كرامته وعزته ما دام معتصماً بذلك المنهج الرباني المستمد من القرآن والسنة ((فإن سنة الله في هذا الوجود أن الحياة العزيزة لا تكون إلا لمن أكرم نفسه وأعزها ، بحيث يكون الموت أحب إليه من أن يعيش آلاف السنين مهيناً ذليلاً ، لا يعرفه الوجود إلا تابعاً قد تلاشت شخصيته وانماع في متبوعه)) [٢] .

(١) السعدي ، القواعد الحسان ، المجموعة الكاملة / التفسير ، ج٨ ص١٠٨ .
(مرجع سابق)
(٢) السعدي (المرجع السابق) ج ٨ ص ١٠٨ .

المبحث الأول : أسس التربية

الأول : الأساس الفكري :

التربية الإسلامية تقوم على نظرة الإسلام إلى الإنسان من حيث :

١- أنه كائن محترم مكرم قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي ءَادَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ « سورة الإسراء ، آية ٧٠ » .

٢- أنه صاحب فطرة سليمة مؤمنة بخالقها قال تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ «سورة الروم، آية ٣٠» وحقيقة هذه الفطرة هي : (إن جميع أحكام الشرع ، الظاهرة والباطنة قد وضع الله في قلوب الخلق كلهم الميل إليها ، فوضع في قلوبهم محبة الحق ، وإيثار الحق ، وهذه حقيقة الفطرة) [١] ، فالإنسان يولد مفطوراً على معرفة الحق وإيثاره ، ولكن المغيرات الخارجية هي التي تفسد هذه الفطرة كما قال رسول الله ﷺ في الحديث القدسي: « **إني خلقت عبادي**

(١) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، المجموعة الكاملة / التفسير، ج ٦ ص ١٢٦ (مرجع سابق)

حنفاء كلهم ، وأنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم [١] **عن دينهم ..** » رواه مسلم [٢]، وفي الحديث قال رسول الله ﷺ : « **ما من مولود يولد إلا على الملة ، فأبواه يهودانه وينصرانه ويشركانه...** الحديث » رواه مسلم [٣] ونظراً لتأثير هذه المغيرات الخارجية فإنه ((طبيعي أن نقول إن العقائد والأفكار تتفاوت في صحتها ، ومن هنا صح بأن نقول إن للتربية أساساً دينياً ، وحديث الرسول ﷺ : « **ما من مولود** » يقودنا إلى هذه الحقيقة العلمية التربوية)) [٤] ، لقد أشار السعدي إلى أهمية ذلك الأساس في التربية بقوله : ((إن معرفة أحكامه الشرعية على وجهها يزيد في العقل ، وينمو به اللب ، لكون معانيها أجل المعاني ، وآدابها أجل الآداب ، ولأن الجزاء من جنس العمل ، فكما استعمل عقله للعقل عن ربه وللتفكر في آياته التي دعاه إليها ، زاده من ذلك)) [٥] ، وهذا الأساس الفكري يُكون مع الأساس البدني والأخلاقي يكون للإنسان الحياة الطيبة لأن

---

(١) اجتالتهم : أي أزالوهم عما كانوا عليه وجالوا معهم في الباطل ، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٧ ص ١٩٧ (مرجع سابق)

(٢) مسلم ، صحيح مسلم بشرح النووي ، ج ١٧ ص ١٩٧ . (مرجع سابق)

(٣) مسلم ، (المرجع السابق) ج ١٦ ص ٢٠٩ ، ٢١٠ .

(٤) الباني ، عبد الرحمن ، مدخل إلى التربية في ضوء الإسلام ، بيروت : المكتب الإسلامي ، ط٢ ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ص ٣١ .

(٥) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، المجموعة الكاملة / التفسير، ج ٥ ص ٤٤٩ ، ٤٥٠ . (مرجع سابق) .

((كمال الإنسان المقصود منه تقوية بدنه لمزاولة الأعمال المتنوعة،وتكميل أخلاقه ليحيا حياة طيبة مع الله ومع خلقه ، وتحصيل العلوم النافعة الصادقة))[١] ، ولتقوية الفكر وشحذ الذهن لدى الإنسان يضع السعدي ثماني قواعد [٢] وهي :

١- الإشتغال بالعلوم النافعة .

٢- كثرة التفكر بالعلوم النافعة .

٣-الإبتداء بالأسهل من هذه العلوم النافعة على الإنسان .

٤- التدرج في طلب هذه العلوم .

٥- تعويد الذهن على السكون إلى الصحيح الصادق من العلوم .

٦- إبعاد الذهن وذوده عن الفاسد الكاذب من العلوم .

٧- إستدامة التفكير والنظر المعتبر في مخلوقات الله كما حث الله على ذلك ، كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ(١٩٠)الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ «سورة آل عمران، آية١٩٠،١٩١».

٨- تمرين الذهن على كلام الله وكلام رسوله بتدبرهما وتفهم

---

(١) السعدي ، الرياض الناضرة ، المجموعة الكاملة / الثقافة الإسلامية ، ج ١ ص ٤٨٧ . (مرجع سابق)

(٢) السعدي ، (المرجع السابق) ج١ ص٤٨٩-٤٥٠ .

معانيهما [١] ، ويشير السعدي إلى أهمية إعمال الفكر في مجال تقوية الجانب الفكري لدى المسلم ، وشحذ ذهنه فيؤكد على أن ((كثرة تدبر كتاب الله وسنة رسوله أفضل الأمور على الإطلاق ، ويحصل فيها من تفتيح الأذهان، وتوسع الأفكار والمعارف الصحيحة، والعقول الرجيحة، ما لا يمكن الوصول إليه بدون ذلك)) [٢] ، ويعلل السعدي أهمية التفكر في حياة المسلم بأنه : ((من عود نفسه ودربها على كثرة التفكر في السموات والأرض وما يتبعهما ، فلا بد أن تترقى أفكاره ، وتتسع دائرة عقله ، وينشحذ ذهنه)) [٣] ، وإن الغاية من نظر الإعتبار في خلق السموات والأرض ومافيهما من مخلوقات إنما ذلك من أجل أن ((يستدل بها على التوحيد والمعاد والنبوة وبراهين ذلك ، وليستخرج - المتفكر - منها ما فيها من المنافع النافعة للناس في أمور دينهم ودنياهم)) [٤] ، فهذا الأساس الفكري يخدم أهداف التربية الكبرى في الإسلام ألا وهي قضية (التوحيد) و (المعاد) و (النبوة) فقضية التوحيد لأجل تحرير الولاء لله، بتحقيق العبادة له وحده ، وقضية المعاد : تعني الإيمان بالغيب والجزاء على الأعمال في الخير والشر ، وذلك يوم القيامة يوم المعاد ، وهاتين

---

(١) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج ١ ص ٤٨٩ ، ٤٥٠ .

(٢) السعدي ، الرياض الناضرة ، المجموعة الكاملة / الثقافة الإسلامية ، ج ١ ص ٤٩٠. (مرجع سابق)

(٣) السعدي ، (المرجع السابق) ج ١ ص ١٩٠.

(٤) السعدي ، (المرجع السابق) ج ١ ص ١٩٠.

القضيتين لا يمكن معرفتهما إلا عن طريق النبوة والوحي الإلهي بذلك .

ثانياً : الأساس الخُلُقي :

القرآن الكريم والسنة النبوية هما مصدر الأخلاق في الإسلام ففيهما رسم الشارع الحكيم المنهج الأخلاقي الكامل للنفس الإنسانية فقد قال رسول الله ﷺ : « **إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق** » رواه ابن أبي شيبة بسند صحيح [(١)] ، والأخلاق الإسلامية تتميز بأنها ((ثابتة لا تتغير مع الظروف لأن الله سبحانه وتعالى جعلها مناسبة لكل زمان ومكان ، وهي معتدلة لطبيعة الإنسان كما خلقها الله ، وهي شاملة توجه حياة الإنسان كلها)) [(٢)] وتتعرف الأخلاق بأنها ((المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني التي يحددها الوحي لتنظيم حياة الإنسان تنظيماً خيراً على نحو يحقق الغاية من وجوده في هذا العالم على أكمل وجه)) [(٣)] .

فمن الأساس الخلقي تنبع التربية الأخلاقية وهي التي تحفظ على الإنسان والمجتمع ثباته وتوازنه ، ولهذا فإن ((التربية الأخلاقية من أهم وأنجح الوسائل لإزالة الشرور ، والقضاء على الجرائم في المجتمع ، لأن هذه التربية تهدف لبناء الإنسان الخير الذي لا يفعل الشر ولا يرتكب

---

(١) ابن أبي شيبة ، المصنف في الأحاديث والآثار ، ج ٦ ص ٣٢٨ (مرجع سابق)

(٢) التوم ، بشير حاج، تدريس القيم الخلقية ، مكة المكرمة : مركز البحوث التربوية والنفسية ، ١٤٠٣هـ) ص ١٤ .

(٣) ياجلن ، جوانب التربية الإسلامية الأساسية ، ص ٢٨٧ . (مرجع سابق)

الجريمة)) [١] ، فالبعد الأخلاقي يحفظ على الأمة جميعاً توازنها في هذه الحياة ولذلك شدد السعدي على أهمية بناء الأخلاق في النفس الإنسانية وعبر عنها بأنها الدين فقال : ((كل سعي لا يُصلح الأخلاق فهو سفه وخسار ، وإذا ذهب الدين فبأي شيء تفرح ، وإذا خسرت الأخلاق الفاضلة فبأي سلعة تربح)) [٢] ويقسم السعدي حسن الخلق إلى قسمين هما :

أ- حسن الخلق مع ا لله : ((وهو أن تتلقى أحكامه الشرعية والقدرية بالرضى والتسليم لحكمه والأنقياد لشرعه بطمأنينة ورضى ، وشكر لله على ما أنعم به)) [٣] .

ب- حسن الخلق مع الناس : ((وهو بذل الندى ، واحتمال وكف الأذى)) [٤] .

فالإنسان الذي يتحلى بحسن الخلق بنوعيه ، مع ا لله ومع الناس فهذا الإنسان يعتبر بهذا (أخلاقياً) أي متمثلاً للأخلاق الإسلامية بنفسه مع ا لله ومع الناس ، وأهتم السعدي بتحقيق ذلك الأساس الخلقي في نفوس التلاميذ من خلال الجوانب التالية :

---

(١) ياجن ، مقداد ، دور جامعات العالم الإسلامي في مواجهة التحديات المعاصرة ، الرياض : دار عالم الكتب ، ط٢ ، ١٤١١هـ / ١٩٩١م) ص ٢٨ .

(٢) السعدي ، الخطب المنبرية، المجموعة الكاملة / الخطب ، ص ١٣ (مرجع سابق)

(٣) السعدي ، بهجة قلوب الأبرار ، المجموعة الكاملة / الحديث ، ص ١٣٤ ، ١٣٥. (مرجع سابق)

(٤) السعدي ، (المرجع السابق) ، ص ١٣٤ ، ١٣٥ .

١- المحتوى الدراسي

ركز السعدي على ضرورة العناية بمحتوى المواد الدراسية وأن تكون مأخوذة من تعاليم القرآن والسنة فتحيي في قلوب التلاميذ جذوة الأخلاق الإسلامية الحميدة مثل : الصبر والحزم والفتوة والمروءة وتجنب ما ينافي ذلك من الكسل والجبن ، والطمع والجشع ، والهزل والدعة ، فحث المعلمين على ضرورة العناية بتربية التلاميذ على تلك الأخلاق الحميدة من خلال تقديم المحتوى الدراسي الذي يحقق هذه الأخلاق ، فقال إن على المعلمين: ((أن يربوهم تربية عالية ، ويبثوا فيهم روح الدين وأخلاقه الجميلة ، والحزم والعزم ، وجميع مبادئ الرجولة والفتوة والمروءة ، وأن يدربوهم على الصبر وتحمل المشاق ، الذي يفضي إلى النجاح والمثابرة في كل عمل نافع ، ويحذروهم من الجبن والكسل والسير وراء الطمع والمادة، والإنطلاق في المجون والهزل والدعة ، فإن ذلك مدعاة للتأخر الخطير)) [١] .

٢-كفاءة المعلمين

يعتبر المعلم أحد أركان العملية التعليمية المهمة ، وعن طريقه يتم تلقين التلاميذ العلوم والمعارف ، وبصلاح أخلاق المعلم تتقوم وتصلح أخلاق تلاميذه ولذلك فالسعدي يلفت النظر إلى وجوب العناية التامة باختيار المعلمين للقيام بالتدريس في المدارس فقال : ((...وأن يختار لها الأكفاء

---

(١) السعدي ، وجوب التعاون بين المسلمين ، المجموعة الكاملة / الثقافة ، ج ١ ص ١٩٩ . (مرجع سابق)

من المعلمين ، والأساتذة الصالحين الذين يتعلم التلاميذ من أخلاقهم الفاضلة ، قبل ما يتلقون من معلوماتهم العالية)) [١] ، فالمعلم هو القدوة المباشرة للتلميذ ، ولذلك قال الإمام بدر الدين بن جماعة (٦٣٩-٧٣٣هـ) : ((ينبغي للطالب أن يقدم النظر ، ويستخير ا لله فيمن يأخذ العلم عنه ، ويكتسب حسن الأخلاق والآداب منه)) [٢] .

٣- الحذر التام من الغزو الفكري

نظراً لما للمدارس التبشيرية من أضرار على عقائد التلاميذ، وأخلاقهم، فأثرها بارز في هدم أخلاق الناشئين من أبناء المسلمين ،وحيث أن تلك المدارس بدأ انتشارها في عصر السعدي ، فإنه حذر من خطر ابتعاث أبناء المسلمين للدراسة فيها ، موضحاً أضرارها العاجلة والآجلة فقال : ((فأعظم حبائلهم مدارسهم التي لم تؤسس إلا لإضلال الناس ، ولا بنيت إلا لإفساد العقائد والأخلاق فبئس الأساس ، انظروا إلى آثارها ومن يتخرج منها كيف انسلخوا وانحلوا من الدين ، وكيف كان الأستهزاء واحتقار الدين مهنة هؤلاء الأرذلين ، فكم أخرجت هذه المدارس المنحرفة من أبناء المسلمين من كانوا للإسلام أكبر الأعداء ، ... تخرجوا منها منسلخين من أخلاقهم وآدابهم ، وإيمانهم ، متهكمين ومستهزئين ، بأسلافهم وآبائهم وإخوانهم مستبدلين بالأخلاق الجملية كل خلق

---

(١) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج ١ ص ٢٠٠ .

(٢) بن جماعة ، بدرالدين محمد بن إبراهيم ، تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، بتحقيق محمد هاشم الندوي ، حيدر آباد : جمعية دار المعارف ، ١٣٥٣هـ ، ص ٥٨ .

رذيل)) [١] ، فالسعدي يولي الأساس الخلقي اهتمامه ، فالأخلاق قوام الأمم ، ومن عنايته بالجانب الخلقي لدى الإنسان فإنه حث على أهمية التخلق بأخلاق الإسلام وأدابه ، في مؤلفاته [٢] ، وخطبه في الجمع على المنبر [٣] ، ومما لا شك فيه أن التوجيه من خلال المنبر يعم شريحة كبيرة من قطاع المجتمع ، لذلك كانت عناية السعدي بالخطب المنبرية في جوانب التعليم ، والتوجيه ، والوعظ والإرشاد ظاهرة من خلال خطبه ، وهذا الأساس الخلقي قوامه قول ا لله تعالى ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ « سورة الأعراف ، آية ١٩٩ » .

قال ابن العربي : ((قال علماؤنا : هذه الآية من ثلاث كلمات قد تضمنت قواعد الشريعة المأمورات والمنهيات ، حتى لم يبق فيه حسنة إلا

---

(١) السعدي، الخطب المنبرية، المجموعة الكاملة / الخطب، ص١٢،١٣ (مرجع سابق)

(٢) انظر : السعدي ، بهجة قلوب الأبرار ، الكاملة / الحديث ، ص ١٠٤ ، ١٣٤ . (مرجع سابق)
السعدي، الرياض الناضرة، الكاملة/ الثقافة، ج ١ ص٤٢٤، ٥١٥ (مرجع سابق)
السعدي ، القواعد الحسان ، الكاملة / التفسير ، ج ٨ ص ٧٥،٧٦ . (مرجع سابق)

(٣) انظر : السعدي ، الخطب المنبرية على المناسبات ، الكاملة / الخطب ، ص ٣٥ . (مرجع سابق)
السعدي ، الفواكه الشهية في الخطب المنبرية ، الكاملة / الخطب ، ص ١٣٢ . (مرجع سابق)
السعدي ، مجموع خطب السعدي ، الكاملة / الخطب ، ص ٢٠٢ . (مرجع سابق)

أوضحتها ، ولا فضيلة إلا شرحتها ، ولا أكرومة إلا افتتحتها)) [(١)] ، فالتربية الإسلامية تقوم على أساس من الأخلاق الحميدة التي جاء الحث عليها والأمر بها في القرآن والسنة ، واشار علماء المسلمين السابقين واللاحقين إلى أهمية الأساس الخلقي في حياة الإنسان ، فهذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب t يجعل أساس المحبة بينه وبين الآخرين بمقدار حسن الخلق فيقول : ((أحبكم إلينا أحسنكم أخلاقاً)) [(٢)] ، وهذا أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني (٣١٠ – ... هـ) يحث على التخلق بالأخلاق الحميدة بنبذ الأخلاق الذميمة بقوله : ((ومن الفرائض صون اللسان عن الكذب والزور والفحشاء والغيبة والنميمة والباطل كله)) [(٣)] ، وهذا الإمام جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب يقول في وصيته لابنه موسى : ((يابني قل الحق لك وعليك تستشار من بين اقربائك ، كن للقرآن تالياً ، وللسلام فاشياً ، وللمعروف آمراً ، وعن المنكر ناهياً ، ولمن قطعك واصلاً ، ولمن سكت عنك مبتدئاً، ولمن سألك

---

(١) ابن العربي ، أبو بكر محمد بن عبد الله ، أحكام القرآن ، بتحقيق علي محمد البجاوي ، بيروت : دار المعرفة ، د . ت ، ج ٢ ص ٨٢٦ .

(٢) ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ، مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، تحقيق زينب القارط ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، د . ت ، ص ١٩٨ .

(٣) ابن ادريس ، علي، عبد الله بن أبي زيد القيرواني / من أعلام التربية العربية الإسلامية ، الرياض : مكتب التربيةالعربي لدول الخليج ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م ، ج ٢ ص ١٣٧ .

معطياً ، وإياك والنميمة فإنها تزرع الشحناء في القلوب)) [١] ، ويؤكد ابن مسكويه (ت ٤٢١هـ) على أهمية الأخلاق وكيفية اكتسابها ، وأنها تكتسب بطريقين :

[أ] الطريق الداخلي : من ذات الإنسان بالتعلم والتهذيب .

[ب] الطريق الخارجي : من الغير بالنصح والتوجيه .

فيقول : (الأخلاق تكتسب بالتعلم والتهذيب والنصح المستمر حتى تصير ملكة ، فالإنسان مطبوع على قبول الخلق بالتأديب والمواعظ إنْ سريعاً أو بطيئاً) [٢] ، بينما السعدي يوضح أن اكتساب الأخلاق يتم بأكثر من طريق هي :

١- الرغبة الأكيدة وهذا يعني : التهيؤ التام للتخلق .

٢- إدراك قيمة الأخلاق وهذا يعني : الدافعية للتخلق .

٣- مجاهدة النفس في التخلق وهذا يعني التحلي بالفضائل .

٤- نبذ الكبر والخيلاء ، وهذا يعني : التخلية من الرذائل .

٥- تمرين النفس للتخلق .

٦- عدم الإستجابة لداعي الحمق .

فيقول : ((التواضع وحسن الخلق تنال بالرغبة في مكارم الأخلاق ، ومعرفة ما لها من الثمرات الجليلة ، ومعرفة النفس ومجاهدتها وتمرينها على ذلك يدرك به كل خلق جميل ، كما أن إعجاب الإنسان بنفسه وسكر

---

(١) الإمام الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج ٦ ص ٢٦٣ . (م . س)

(٢) الديوه جي ، سعيد ، ابن مسكويه / من أعلام التربية العربية الإسلامية ، الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م ، ج٢ ص٢٣٣ .

الرياسة والحمق جالبات لسوء الخلق)) [١] فاكتساب الأخلاق إنما يكـون بالتدريج والممارسة المتأنية الدائمة ، وإلى ذلك يشير (مرسي) بقوله : ((التـدرج في التربيـة الأخلاقيـة أسـاس مـن الأسـس المعروفـة في التربيـة الإسلامية، فالتربية نفسها عمليـة أخلاقيـة واكتسـاب الأخـلاق بما فيهـا التحلي بالفضائل والترفع عن الرذائل عملية تحتاج إلى وقت حتى يكتسب الإنسان السلوك المطلوب والعادة المرغوبة)) [٢] .

ثالثاً : الأساس الإعتقادي

لا بد لكل أمة من عقيدة راسخة تتحدد على ضوئها تربيتهـا لأفرادهـا وتتحدد الأهداف والمناهج لتحقيق هذه التربية في حياة الأمة .

فلم تخل أمة من فلسفة تدعو لها وتربي الناس عليهـا ، إلا أن التجـارب الواقعية أثبتت أن كل الفلسفات الأرضية البشرية فشـلت في جمـع النـاس على المحبة والتعاون والإخاء ، وذلك الفشل نابع من تبـاين الأهـداف الـتي من أجلها بُنيت تلك الفلسفات البشـرية ، ولقـد نـادى فروبـل فريدريـك Frobel Frederick (١٧٨٢-١٨٥٢م) بـأن مهمـة التربيـة هـي : ((تكوين شعب موحد متآلف متماسك ، وما هدف العائلة والدولة سوى تطوير الجنس البشري كي يحقق حياة اجتماعية نقية وطاهرة)) [٣] ، فهو

(١) السعدي ، الرياض الناضرة ، الكاملة / الثقافة ، ج ١ ص ٥٠٥(مرجع سابق)

(٢) مرسي ، محمد منير ، التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية ، القاهرة: دار عالم الكتب ، د . ت ، ص ٤٣٣ .

(٣) شربل ، موريس ، موسوعة علماء التربية وعلمـاء النفس ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤١١هـ / ١٩٩١م ص ١٨٢ .

نادى بهذا المبدأ في بلاده (ألمانيا) قبل (١٥٠) عاماً تقريباً ، ولم تثبت التجربة والواقع إلا زيادة التفكك في بلاده ، والإختلاف بين شعبه ، رغم ما بذله هو وغيره من التربويين ، والساسة الحاكمين في سبيل تحقيق مثل ذلك الهدف الأسمى فلم ولن يستطيعوا ذلك حيث إن جمع المتفرقين لا يكون إلا بمنهج يوافق رغباتهم أجمعين ، ودين الإسلام أثبت بالتجربة العملية أنه الصالح لكل زمان ومكان ، فتربيته السامية لبني الإنسان إنما صدرت من خالق هذا الإنسان العالم بأسراره وما يصلحه ، ولبيان ذلك يقول السعدي : ((إن دين الإسلام هو الحق ، وماسواه باطل، إن تعاليمه العالية وتربيته السامية في أقصر مدة قد جمعت بين أمم متباينة وطوائف متعادية ، وألفت بين قلوبهم ، وجمعت قاصيهم ودانيهم، حتى صاروا إخواناً متحابين ، وقرناء وأصفياء متعاونين فحملوا بهذا الدين ، وبهذه الروح العظيمة المعنوية التي نفخ فيها الروح هذا القرآن ، على الأمم الضخمة والدول الكبرى والملوك الجبابرة فمزقوا الجميع شر ممزق ، واحتلوا ممالكهم المملوءة بالظلم والعدوان والشرور ، وملأوها بالعدل والرحمة والخير ، فهذا من أعظم براهين القرآن المشاهدة)) [1] .

إن إيراد الباحث هذه المقارنة العاجلة ، ليست من باب معرفة أيهما أصلح ، فلا مقارنة البتة بين المنهج الرباني وبين المناهج البشرية ، ولكن هذا الإيراد إنما هو من باب رد الشارد من أبناء المسلمين إلى أصول تربيته وأنها فيها الهدى والنور ، ودعوته هو وأضرابه إلى وجوب الكف عن

---

(١) السعدي ، وجوب التعاون بين المسلمين ، الكاملة / الثقافة ، ج ١ ص ٢٣٠ .
(مرجع سابق)

التمدح الزائد بهؤلاء المربين الغربيين ، فإن في المعين التربوي الإسلامي ما يشفي ويكفي ويهدي ، لكل زمان ومكان .

ويحق لمن عرف مكانة التربية الإسلامية أن يقول بصوت عالٍ يجب أن ((تصبح التربية الإسلامية مادة رئيسية بكل كليات التربية ومعاهدها ، ويكفي ذلك الزمن الذي مرَّ ، وكانت العناية فيه توجه لدراسة التربية الإغريقية والانجليزية... دون أن نتعرف على التربية الإسلامية التي أقامت عالماً من المعرفة ، في وقت كان الآخرون لا يكتبون أسماءهم)) [١] .

والسعدي في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ « سورة الإسراء ، آية ٩ » ، بين ما تشتمل عليه التربية الإسلامية من كمال فقال : ((هذا الأصل العظيم نص نصاً صريحاً على عموم ذلك ، وعدم تقييد هذا الهدي بحال من الأحوال ، فكل حالة هي أقوم في العقائد والأخلاق ، والأعمال ، والسياسات الكبار والصغار ، والصناعات ، والأعمال الدينية والدنيوية ... فإن القرآن يهدي لها ويرشد إليها ويأمر بها ، ويحث عليها)) [٢] ، ومتى ما قام في نفس المسلم الاعتقاد الصحيح وذلك بـ ((القيام بحق الله وعبوديته التامة ، وعبوديته تعم ما يجب اعتقاده من أصول الإيمان كلها ، وأعمال القلوب والجوارح، وأقوال اللسان من الفروض والنوافل ، بفعل المقدور منها ونية القيام بما

---

(١) شلبي ، أحمد ، موسوعة النظم والحضارة الإسلامية - الفكر التربوي ، القاهرة : مكتبة النهضة ، ط٦ ، ١٩٧٨م ، ج ٢ ص ٣٧ .

(٢) السعدي ، القواعد الحسان ، الكاملة / التفسير ، ج ٨ ص ١٤٦ (مرجع سابق)

يعجز عنه)) [١] فإنه متى ما قام ذلك الأساس الاعتقادي في روع المسلم فإنه بذلك ستستقيم تربيته لنفسه أولاً ، وتربيته لمن تحت يده ثانياً ،فدين الإسلام هو المصلح ((للعقائد الإصلاح الأكبر بمعرفة ا لله معرفة تفصيلية تملأ القلوب تعظيماً وإجلالاً ومحبة وتألهاً لله وإيماناً به ويقيناً وإخلاصاً ، وأصلحت الأخلاق والآداب بأمرها بكل خلق جميل ، كالصبر والعفة والحياء ...)) [٢] .

والعقيدة تعني ((الإيمان الجازم الذي لا يتطرق إليه شك لدى معتقده)) [٣] ، وتصدر عن ذلك الإيمان جميع حركاته وسكناته وفق متطلبات ذلك الإيمان والعقيدة هي بمثابة (الأساس للفكر) فبصحة العقيدة يصح الفكر ، وبفسادها يفسد ، وفي الإسلام نجد أن ((القرآن عندما يدعو إلى الإيمان بمعتقدات معينة ، يلجأ إلى العقل ، فيرشده إلى ما يجب أن يؤمن به، أي أنه يبرهن بأسلوب عقلي حسي على صحة هذا المعتقد ، فيبدأ أولاً بالبرهان على عظمة ا لله ثم يتفرع عن ذلك باقي العقائد ، فالعناصر الإيمانية الصحيحة هي التي تعتمد على برهان عقلي صحيح ، وتقبلها الفطر السليمة ، وينتج عنها توحيد وتناسق بين جميع جوانب الشخصية الإنسانية ، وبين جميع عناصر المجتمع الإنساني ، وبين جميع ظروف الحياة ومتطلباتها الاقتصادية والحضارية ، والعلمية ،

---

(١) السعدي ، الرياض الناضرة ، الكاملة / الثقافة ، ج ١ ص ٣٩٦ (مرجع سابق)
(٢) السعدي ، وجوب التعاون بين المسلمين ، الكاملة / الثقافة ، ج١ ص ٢٤١ .
(مرجع سابق)
(٣) عبد الغني ، العقيدة الصافية ، ص ١٩ . (مرجع سابق)

والسياسية والحيوية)) [(١)] .

ونظراً لهذا التناسق بين عناصر الإيمان الصحيحة في الإسلام وبين جوانب الشخصية الإنسانية صار ذلك الإيمان فطرة فطر ا لله الإنسان عليها، كما قال تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ « سورة الروم ، آية ٣٠ » .

مرتكزات الأساس الإعتقادي :

هذا الأساس يقوم على مرتكزات ودعائم ، سماها العلماء أركان الإيمان أي ما عليها يقوم كيان المسلم الإيماني ، وهذه الأركان جاءت صريحة في حديث جبريل المشهور ، وفيه أن جبريل قال للرسول ﷺ : أخبرني عن الإيمان ، فقال عليه الصلاة والسلام : « **الإيمان أن تؤمن با لله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره ، قال : صدقت** » رواه مسلم [(٢)] فهذا الإيمان با لله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر هذا مجمل ((العقائد الصحيحة النافعة التي تملأ القلوب إيماناً ، وأمناً ويقيناً ونوراً وهداية)) [(٣)] فهذه العقائد تورث لدى المؤمن الإيمان الصادق الذي يبعث في نفس المؤمن ((القوة القلبية التي تتبعها الأعمال البدنية ، وكلما أحاطت به المخاوف كان هذا الإيمان

---

(١) النحلاوي ، عبد الرحمن، أصول التربية الإسلامية وأساليبها ، دمشق : دار الفكر، ط٢ ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، ص ٧٦ .

(٢) مسلم ، صحيح مسلم بشرح النووي ، ج ١ ص ١٥٧ . (مرجع سابق)

(٣) السعدي ، الرياض الناضرة ، الكاملة / الثقافة ، ج ١ ص ٣٧٣ (مرجع سابق)

حصناً حصيناً يلجأ إليه المؤمن فيطمئن قلبه وتسكن نفسه)) [(١)] ، فالإيمان يربي في نفس المؤمن اليقين التام بموعود ا لله والطمأنينة التامة عند حدوث أقدار ا لله المؤلمة ، حيث إن النفس المؤمنة قد صدقت وأيقنت سلفاً بأن ذلك أمر مكتوب مقدر وأن الصبر عليه فيه أجر ، وأن الجزع منه لا يرده أو يهون أمره بل إن الجزع إنما يقتل في النفس الطموح والرضا في المستقبل وهذا الموقف من المؤمن تجاه أقدار ا لله السارة والضارة هو الخير بذاته كما قال رسول ا لله ﷺ : « **عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذاك إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له** » رواه مسلم [(٢)]، فللإيمان با لله تعالى أركان ستة هي:

١- الإيمان با لله .

٢- الإيمان بالملائكة .

٣-الإيمان بالكتب المنزلة من عند ا لله .

٤- الإيمان بالرسل .

٥- الإيمان باليوم الآخر .

٦- الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره .

ولهذه الأركان ثمرات تربوية تتضح في الآتي :

١ - الإيمان با لله

فالإيمان با لله يقتضي تمام الاعتراف ((بتوحيد الباري بكل صفة كمال وجمال وجلال ومجد وحمد وعظمة وكبرياء ، والعمل بمقتضى هذا

---

(١) السعدي ، (المرجع السابق) ج ١ ص ٣٧٤ .

(٢) مسلم ، صحيح مسلم بشرح النووي ، ج ١٨ ص ١٢٥ . (مرجع سابق)

من التعظيم الكامل لله والحب التام والخضوع له وإخلاص العمل له))[١]، ولهذا الإيمان آثار تربوية في نفس المسلم منها :

أ - استشعار عظيم نعم الله عليه في ذات نفسه ، وتسخير مخلوقاته لمصلحته .

ب- تقدير الله حق قدره ،وزيادة محبته لما له سبحانه من إحسان وفضل على عبده .

ج- الشكر الدائم لله على أن أنعم بالعقل على عبده حتى يرى فيه نعم الله وفضائله على عبده

د- إدراك سعة رحمة الله على عباده ، الذي تفضل على عباده بالنعم ولم يقابلوها بالشكر ، ومع ذلك لم يعاجلهم بالعقوبة والعذاب .

هـ- الفرح بولاية الله للمؤمن به ، وأن هذه الولاية تُشبع في نفس المؤمن غريزة حب الانتماء.

و- أن هذا الإيمان سبب لحفظ صاحبه من المكاره والشرور الحسية والمعنوية كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ « سورة الحج ، آية ٣٨ » ، وغيرها من الثمرات .

٢- الإيمان بالملائكة

هو أحد أركان الإيمان الستة ، فالإيمان بالملائكة من الإيمان بالغيب، ويؤمن بأنهم ملائكة كرام ، جعلهم الله عباداً مكرمين ، لا يسبقونه

(١) السعدي، توضيح الكافية الشافية ، الكاملة / العقيدة ، ص ٣٧٦ (مرجع سابق)

بالقول وهم بأمره يعملون ، وأنهم لا يعصون ا لله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون ، وأنه تعالى جعلهم يدبرون بأمره وإذنه أمور الدنيا والآخرة ، فهم أكثر جنود ا لله ، وهم رسله في أحكامه الدينية وأحكامه القدرية ، وأن ا لله جعل للعبد منهم معقبات يحفظونه من أمر ا لله ، ويحفظون عليه أعماله [1] .

فهذا الإيمان بالملائكة يورث لدى المؤمن الآثار التربوية التالية :

أ - أهمية الطاعة ومكانتها في الحياة الإسلامية ، حيث أن الملائكة الكرام يقومون بأعمالهم طاعة لله تعالى ، فاصطفاهم ا لله واختارهم فا لله يحب من يطيعه ، فكذلك المسلم المطيع لأوامر ربه محبوب لله عز وجل ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيم ﴾ « سورة آل عمران ، آية ٣١ » ، فطاعة الملائكة تتمثل في قيامهم بأعمالهم كما قال تعالى : ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ(٢٦)لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾ « سورة الأنبياء ، آية ٢٦، ٢٧ ».

ب- مكانة النظام وأهميته في حياة المسلم اليومية ، فالملائكة على كثرتهم فإنهم يقومون بشؤون هذا الكون العظيم في السموات والأرض وما بينهما ، فأعمالهم مختلفة وكل واحد يؤدي ما أوكل إليه فهناك : ((المَلَكُ الموكل بتصوير ابن آدم ، ومالك خازن النار ، ومَلَكُ الجبال ، والملائكة الذين في كل سماء ، والملائكة الذين ينزلون في السحاب ،

---

(١) السعدي ، المواهب الربانية ، الكاملة / الثقافة ، ج ١ ص ٨٩ . (مرجع سابق)

والملائكة الذين يدخلون البيت المعمور)) [١] .

٣- تربية النفس المسلمة على حب الخير للغير ، فهؤلاء الملائكة يقومون بأعمالهم لصالح المؤمنين فمنهم ((الذين يكتبون الناس يوم الجمعة، وخزنة الجنة ، والملائكة الذين يتعاقبون فينا ... والذين يؤمنون على قراءة المصلي ويقولون ربنا ولك الحمد، ويدعون لمنتظر الصلاة ، ويلعنون من هجرت فراش زوجها)) [٢] .

٤- أن الإيمان بالملائكة يبعث في النفس التواضع وازدراء النفس في جانب طاعة ا لله ومرضاته حيث إن عظم الملائكة وأعمالهم لم يجعلهم يأنفون عن عبادة ربهم بل إنهم قاموا بأوامر ربهم خير قيام فإن منهم ((الأمناء على وحيه ، والحفظة لعباده ، والسدنة لجنابه ، والثابتة في الأرض السفلى أقدامهم ، المارقة من السماء العلياء أعناقهم ، الخارجة عن الأقطار أكتافهم ، الماسة لقوائم العرش أكتافهم)) [٣] .

هـ- الإيمان بالملائكة يطبع في النفس حب النظام وترتيب الأمور ، فالملائكة يقومون بهذه الأعمال الجليلة بترتيب ونظام عجيب .

---

(١) العسقلاني ، أحمد بن علي ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب ، بيروت : دار المعرفة ، د . ت ، ج ٦ ص ٣٠٧.

(٢) العسقلاني ،(المرجع السابق) ، ج ٦ ص ٣٠٧ .

(٣) العسقلاني ، (المرجع السابق) ، ج ٦ ص ٣٠٨ .

٣- الإيمان بالكتب

من الإيمان بالغيب ، إيمان المؤمن بكتب الله المنزلة على رسله ، وهذا الإيمان يقتضي الإيمان بجميع الكتب التي أنزلها الله هداية للعباد على من اجتباهم برسالته [١] ، فيؤمن بهذه الكتب إيماناً مجملاً ، ويؤمن بالقرآن الكريم إيماناً مفصلاً فيؤمن ويصدق بأنه كلام الله ، أنزله مع جبريل عليه السلام على قلب محمد ﷺ بهذا اللسان العربي لينذر الخلق، ويهدي إلى الحق في جميع المطالب ، ويلتزم العبد التزاماً لا تردد فيه تصديق إخباراته كلها ، وامتثال أوامره ، واجتناب نواهيه ، وإحلال حلاله ، وتحريم حرامه [٢] ، وأن هذا القرآن يهدي للتي هي أعدل وأعلى ، من العقائد والأعمال والأخلاق ، فمن اهتدى بما يدعو إليه القرآن ، كان أكمل الناس ، وأقواهم ، وأهداهم في جميع الأمور [٣] .

فالإيمان بالكتب يورث لدى المؤمن الأثار التربوية التالية :

أ- العلم النافع في الدنيا والآخرة مصدره العليم الخبير سبحانه وهذا العلم لا يحصل للعبد إلا بتمام الإيمان بالله ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ « سورة البقرة ، آية ٢٨٢ » .

---

(١) السعدي ، المواهب الربانية ، الكاملة / الثقافة ، ج ١ ص ٨٧ ، ٨٨ . (مرجع سابق)

(٢) السعدي ، (المرجع السابق) ،ج ١ ص ٨٨ .

(٣) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، الكاملة / التفسير ، ج ٤ ص ٢٦٤ . (مرجع سابق)

ب- وردت بعض أساليب التعليم الناجحة في القرآن الكريم مصرحاً بها كقوله تعالى : ﴿ يَاصَاحِبَيِ السِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ « سورة يوسف، آية ٣٩ »، فإن يوسف عليه السلام: ((بدأ بالأهم فالأهم ، وأنه إذا سُئل المفتي ، وكان السائل في حاجة أشد لغير ما سأل عنه ، إنه ينبغي له أن يعلمه ما يحتاج إليه قبل أن يجيب سؤاله ، فإن هذا علامة على نصح المعلم وفطنته ، وحسن إرشاده وتعليمه)) [١] .

ج- إن التخصص في العلوم مبدأ قرآني ، فهذا موسى عليه السلام أعلم من الخضر بـ ((العلوم الإيمانية ، والأصولية لأنه من أولي العزم من المرسلين [٢] ، مع أنه أعطي هذه العلوم ، إلا أن الخضر قد أعطاه ا لله رحمة خاصة ، بها زاد علمه وحسُن عمله ولهذا لما اجتمع به موسى قال له: ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ « سورة الكهف ، آية ٦٦ » ، ومعناها : ((هل أتبعك على أن تعلمني مما علمك ا لله ، مابه أسترشد وأهتدي وأعرف به الحق في تلك القضايا)) [٣] ، فالخضر تخصص في علوم لا يعلمها موسى ، فما كان من موسى إلا أن سافر لطلب هذه العلوم .

د- على ضوء الإيمان المفصل بالقرآن الكريم يتحدد الموقف الصحيح

---

(١) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج ٤ ص ٧٥ .

(٢) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج ٥ ص ٥٧ .

(٣) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، الكاملة / التفسير ، ج ٥ ص ٥٧ . (مرجع سابق)

للمؤمن من تربية القرآن، بحيث يستجيب لإرشادات القرآن وتعليماته، لأن الناس مواقفهم ثلاثة من القرآن هي: الصنف الأول : وهو الصاعد الذي توفرت له تربية ممتازة بفضل استعدادته النفسية والجسدية والعقلية والروحية ، فاستحق رضوان المربي وتزكيته ، وتمتع بما أسبغ عليه من تقدير وتكريم ، أما الصنف الثاني : الذي يقابل الصنف الأول فهو الصنف الهابط الذي رفض أن يتلقى التربية السليمة ، واكتفى بالتمرغ بالحضيض ... أما الصنف الثالث فهو المذبذب بين هذين الصنفين وهو الذي لا يحزم أمره فيرتقي إلى الأسمى ، ولا يبذل جهداً يحول دون ارتطامه بالأدنى)) [(١)] فهذا الكلام يشير إلى الأصناف الثلاثة الواردة في مطلع سورة البقرة وهم : المتقون ، الكافرون ، المنافقون .

هـ- تزكية المشاعر الإيمانية من عدل وخضوع وإحسان ، ويقين ، وخشوع ، ورحمة ، ومودة ونحوها ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ « سورة النحل ، آية ٩٠ » .

٤- الإيمان بالرسل

وهو التصديق التام بأن الله أرسل رسلاً إلى أقوامهم ، أولهم نوح عليه السلام، وآخرهم محمد ﷺ وأن دينهم واحد وهو الدعوة إلى عبادة الله وحده ، وشرائعهم شتى ((وأن ما أتى به محمد ﷺ من أصول الدين

(١) كحالة ، زهير محمد شريف، القرآن الكريم رؤية تربوية ، تدقيق محمود الكيلاني، عمان الأردن : دار الفكر ، ط١ ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م) ص ٧٧ ، ٧٨ .

والشرائع العامة هو ما جاءت به الرسل)) [١] ويؤمن بأن ((جميع الأنبياء قد أختصهم ا لله بوحيه وإرساله ، وجعلهم وسائط بينه وبين خلقه في تبليغ شرعه ودينه ، وأن ا لله أيدهم بالبراهين الدالة على صدقهم ، وصحة ما جاءوا به ، وأنهم أكمل الخلق علماً وعملاً وأصدقهم وأبرهم ، وأكملهم أخلاقاً وأعمالاً ، وأن ا لله خصهم بخصائص ، وفضلهم بفضائل لا يلحقهم فيها أحد ، وأن ا لله برأهم من كل خُلُقٌ رذيل ، وأنهم معصومون في كل ما يبلغونه عن ا لله)) [٢] ، كما يؤمن بأن أصل ((جميع الرسل بشر لا ملائكة)) [٣] ، ويؤمن بأن ((الكتب السابقة والرسل متفقة على الأمر بعبادة ا لله وحده والنهي عن الشرك به، وعلى أن الدين عند ا لله الإسلام)) [٤] .

الآثار التربوية لهذا الركن :

أ- إدراك المربي المسلم أهمية التربية والتعليم ، وأن الرسل هم القدوة في هذا السبيل ، وهو يسير في ركابهم مما يحدوه للأعتزاز بهذا العمل والجد فيه ، وتحمل كافة المشقات التي ترد عليه في سبيله .

ب- دعوة الرسل كلهم واحدة ، وهذا مما يستدعي وجوب تضافر

---

(١) السعدي ، وجوب التعاون بين المسلمين ، الكاملة / الثقافة ، ج ١ ص ٢٤٧ . (مرجع سابق)

(٢) السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر ، الفتاوى السعدية ، المجموعة الكاملة / الفتاوى، عنيزة : مركز صالح بن صالح الثقافي ، ط٢ ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م ، ص ٢١ .

(٣) السعدي ، وجوب التعاون بين المسلمين ، الكاملة / الثقافة ، ج ١ ص ٢٤٧ . (مرجع سابق)

(٤) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج١ ص٢٤٧ .

مناهج التعليم في العالم الإسلامي على تحقيق الهدف الذي جاءت به الرسل جميعاً ، وهو (تحقيق العبادة لله وحده) في واقع الناس وحياتهم العملية .

ج- أن المربي والمعلم الذي ينتسب في تربيته وتعليمه لمنهج الرسل يدرك يقيناً أنه موصول العلاقة با لله تعالى الذي نزل على رسله ما به يدعون .

د- بشرية الرسل تورث لدى المعلم يسر وسهولة الاقتداء بهم في دعوتهم وسلوكهم وأساليب دعوتهم لأقوامهم ، فهم قدوته الأولى في مجال التربية والتعليم .

٥- الإيمان باليوم الآخر

إن ما ورد ذكره في القرآن والسنة من الأحداث بعد الموت ، كل ذلك يدخل في عداد اليوم الآخر ، فالمؤمن يؤمن ((باليوم الآخر كأحوال البرزخ ، وأحوال يوم القيامة ، وما فيها من الحساب ، والثواب والعقاب، والشفاعة ، والميزان ، والصحف المأخوذة باليمين والشمال ، وأحوال الجنة والنار ، وصفات أهلها ، وأنواع ما أعده ا لله فيها لأهلها إجمالاً وتفصيلاً ، وكل ذلك داخل في الإيمان باليوم الآخر))(١) ، فهذا الإيمان باليوم الآخر يقتضي من المؤمن ، العمل وفق مرادات ا لله ورسوله ، وأن الدنيا مزرعة للأخرة (اليوم الآخر) وأن في اليوم الآخرالجزاء بالثواب أو العقاب على ما فعله ذلك الإنسان في الحياة الدنيا . فالحياة الدنيا محل

---

(١) السعدي ، الفتاوي السعدية ، الكاملة / الفتاوى ، ص ١٣ (مرجع سابق)

اختبار وعمل ، والحياة الآخرة محل جزاء على الأعمال وبهذا ندرك التناسق العجيب ، والربط الواضح بين الدنيا والآخرة وأن كل واحدة منها تكمل الأخرى ، بل كل واحدة تعتبر أثراً عن الأخرى .

أهم آثار ذلك الإيمان التربوية :

للإيمان باليوم الآخر أثاره التربوية على نفس المؤمن من ذلك :

أ- تربية النفس على واجب استشعار المسؤولية التامة أمام الله ، وأن كل عامل سيُحاسَب بعمله إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، وهذا مما يورث لدى النفس الإنسانية تعظيم المسؤولية الذاتية في هذه الحياة .

ب- ضبط غرائز النفس وانفعالاتها بالضابط الشرعي ، حيث إن المحاسبة على ضوء تصرفات الإنسان ، مما يستدعي الإنسان لأن تكون تصرفاته وانفعالاته في حدود ما شرعه الله تعالى .

ج- أهمية عنصر الثواب والعقاب في مجال التربية والتعليم وأن ذلك مما يضفي على العملية التعليمية طابع الانضباط والاهتمام .

د- أن الإيمان بذلك اليوم يبعث الرغبة في النفس على حسن الاستعداد له ، بالسلوكيات الفاضلة ، والأعمال الصالحة ، والابتعاد قدر المستطاع عن كل ما يؤثر على نجاح الإنسان وفلاحه في ذلك اليوم .

هـ- تقديم مرادات الله على مرادات النفس الأمارة بالسوء ، وذلك من أجل القدوم على الله في ذلك اليوم بأمن وطمأنينة وبقدر ما يعظم الإيمان بذلك اليوم ، تعتدل أفعال الإنسان وتصرفاته في هذه الحياة الدنيا نظراً لاهتمامه بشأن اليوم الآخر .

٦- الإيمان بالقضاء والقدر

كل ما يجري في الكون مكتوب عند الله في اللوح المحفوظ قال تعالى: ﴿ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ ﴾ « سورة القمر ، آية ٥٣ » ، وقال سبحانه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ « سورة الطلاق ، آية ٣ » ، قال السعدي : ((أي لا بد من نفوذ قضائه وقدره ، ولكنه قد جعل لكل شيء قدراً : أي وقتاً ومقداراً لا يتعداه ، ولا يقصر عنه)) [1] ، فالإيمان بأن ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، وأن الله يعلم ما كان وما يكون ، وما لم يكن لو كان كيف يكون ، فالإيمان بذلك من لوازم الإيمان بالله تعالى .

وتُثار شبهة مفادها : أن الإيمان بالقضاء والقدر يُحدث الفتور والاستسلام ، وعدم الحركة عند المؤمن فيما ينفعه توكلاً على القدر ، ويفند السعدي هذه الشبهة بقوله : ((إن دين الإسلام قد أمر بأصلين عظيمين لا تتم الأمور كلها إلا باجتماعهما :

أحدهما : الإيمان بقضاء الله وقدره ، وأن الأمور كلها والأسباب مربوطة بالقضاء والقدر .

الثاني : الأمر بالأعمال النافعة في الدين والدنيا ، والبعد عن الأسباب الضارة ، وكل واحد من الأصلين يمد الآخر ، فالإيمان بالقضاء والقدر يمد العاملين وينشطهم ، ويوجب لهم اقتحام الأمور الصعبة اتكالاً على الله ،

---

(١) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، الكاملة / التفسير ، ج ٧ ص ٤١١ . (مرجع سابق)

واستمداداً من حوله وقوته ، ويزيل من قلوبهم خوف المخلوقين الذين لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً ، والسعي والعمل هو من قضاء الله وقدره، فإنه أخبر أنه يُوجِد الأشياء بأسبابها ، ولهذا يجمع الله بين الأصلين في مواضع كثيرة من كتابه كقوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى(٥)وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى(٦)فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ﴾ « سورة الليل ، الآيات ٥ ، ٦ ، ٧ » فأمر بالأعمال ورغب فيها ، ووعد التيسير لليسرى لمن قام بالأسباب النافعة، والتيسير للعسرى لمن ترك الأسباب النافعة))[1]، ومما يؤكد ما ذكره السعدي عن هذين الأصلين ((الإيمان بالقضاء والقدر، وفعل الأسباب النافعة في الدنيا والآخرة)) ما رواه الترمذي بسند حسن عن أبي خزامة قال : يارسول الله أرأيت رقىً نسترقيها ، وأدوية نتداوى بها ، وتقاة نتقيها ، هل ترد من قضاء الله وقدره ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : « **هي من قضائه وقدره** » [2] رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح ، ويمثل السعدي للجمع بين هذين الأصلين بقوله : ((فمن رجا حصول ثمر أو زرع بغير حرث وسقي وعمل متكلاً على القدر ، فهو أحمق مجنون ، وهكذا سائر الأشياء دقيقها وجليلها ، فعلم أن القيام بالأسباب النافعة ، واعتقاد نفعها داخل بقضاء الله وقدره دون الإخلاد إلى الكسل)) [3] .

---

(١) السعدي ، الدلائل القرآنية ، الكاملة / الثقافة ، ج ١ ص ٢٩٤ ، ٢٩٥ .
(مرجع سابق)
(٢) الترمذي ، سنن الترمذي ، ج ٤ ص ٣٤٩ . (مرجع سابق)
(٣) السعدي ، الفتاوى السعدية ، الكاملة / الفتاوى ، ص ٢٤ (مرجع سابق)

الآثار التربوية للإيمان بالقضاء والقدر :

الإيمان بقضاء الله وقدره يورث لدى المؤمن آثاراً قاصرة على الإنسان بنفسه ، وآثاراً متعدية إلى غيره ، فمن هذه الآثار :

أ- تنمية روح البذل والعطاء في مجالات الخير ، وعدم الخوف بحجة المستقبل المجهول ، فكل شيء مقضي ومقدر .

ب- الجرأة التامة وعدم التردد عند المؤمن حتى في سبيل إزهاق روحه في سبيل الله ، فالإقدام لا يقدم المنية ، والإحجام لا يؤخر مقدراً عن وقته.

ج- الإيمان بالقضاء والقدر يورث لدى المؤمن النفسية العالية المتقبلة لكافة المكاره الطارئة ، عكس غير المؤمن الذي قد يحدث لديه انهيار عصبي بسبب حلول المصائب عليه .

د- هذا الإيمان يجعل صاحبه يتقلب في حياته بين مرتبتي الصبر على المكاره ، والشكرعند المحامد ، وليس ذلك إلا للمؤمن كما جاء مصرحاً به في حديث : « **عجبت للمؤمن إن أصابه خير حمد الله وشكر ، وإن أصابته مصيبة حمد ربه وصبر ، وفي كل يؤجر المؤمن ، حتى في أكلةٍ يرفعها إلى فيه** » [(١)] رواه الطبراني واللفظ له ، وأصله في صحيح مسلم .

هـ- هذا الإيمان ينمي لدى صاحبه الشجاعة والإقدام وعدم التردد في حياته كلها .

و- ينمي لدى المؤمن عاطفة الولاء التام لله تعالى الذي بيده مقاليد كل شيء ، وإليه يرجع الأمر كله .

---

(١) الطبراني ، المعجم الأوسط ، ج ٦ ص ١٧٩. (مرجع سابق)

رابعاً : الأساس النفسي :

إن معرفة حاجات النفس الإنسانية ودوافعها الذاتية مما يساعد المخططين من مربين ومعلمين لتوفير أحسن الطرق للتربية والتعليم لهذا الإنسان ولا تتم هذه المعرفة بحاجات الإنسان ودوافعه إلا بالمعرفة الدقيقة والشاملة لطبيعة تلك النفس الإنسانية ، حيث إن معرفة ((طبيعة الإنسان من بين جميع الأشياء يجب أن تكون دقيقة ومؤكدة)) [(١)] ، وفي التربية الإسلامية تعتمد هذه المعرفة الدقيقة للنفس الإنسانية على أصلين هامين هما :

الأصل الأول : المعرفة النظرية عن النفس بما ورد في القرآن والسنة النبوية.

الأصل الثاني : المعرفة العملية عن النفس بما كانت عليه تربية الرسول ﷺ لصحابته وما كانوا عليه من التطبيق العملي لتربية نفوسهم تربيةً إسلامية.

فمثلاً في :

الأصل الأول : (**النظري**) جاءت الآيات القرآنية في بيان أصل هذه النفس قال تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ « سورة الحجرات ، آية ١٣ » وقال سبحانه : ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ « سورة النساء ، آية ١ » ، وجاءت الآيات ببيان أنواع

---

(١) فينكس ، فلسفة التربية ، ص ٦٩٧ . (مرجع سابق)

النفوس وأنها ثلاث : مطمئنة ، ولوامة ، وأمارة بالسوء ، فقال تعالى : ﴿ يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ(٢٧)ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً(٢٨)فَادْخُلِي فِي عِبَادِي(٢٩)وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾ « سورة الفجر ، الآيات ٢٧ - ٣٠» ، وقال تعالى : ﴿ وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾ «سورة القيامة ، آية ٢ » ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلا مَا رَحِمَ رَبِّي ﴾ « سورة يوسف ، آية ٥٣ » ، وقال تعالى : ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ « سورة المائدة ، آية ٣٠ ».

ووردت الأيات ببيان نهاية هذه النفس وجزاءها يوم القيامة فقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلا ﴾ « سورة آل عمران ، آية ١٤٥ » ، وقال تعالى : ﴿ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴾ « سورة آل عمران ، آية ٢٥ » . وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ «سورة آل عمران ، آية ٣٠ » .

وفي الأصل الثاني : (العملي)

في أكبر قضية حصلت للصحابة بعد وفاة الرسول ﷺ ، وهي قضية الإمامة العظمى ، نلمس من مواقف الصحابة تلك التربية النبوية العملية العظيمة التي جعلتهم يقدرون الموقف حق قدره ويجعلون مصلحة المجتمع فوق كل اعتبار آخر ، فهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقوم خطيباً

ويقول : ((وا لله ماكنت حريصاً على الإمارة يوماً ولا ليلة قط ولا كنت فيها راغباً ولا سألتها ا لله عز وجل في سر ولا علانية ، ولكني أشفقت من الفتنة ، وما لي في الإمارة من راحة ولكن قُلدت أمراً عظيماً ما لي به من طاقة ولا يد إلا بتقوية من ا لله عز وجل ولوددت أن أقوى الناس عليها مكاني اليوم)) رواه الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه [١] ، فهذا الموقف من أبي بكر تجاه الخلافة ناتج من تربية الرسول ﷺ له على مواجهة المواقف الحرجة فهو الرجل الثاني بعد رسول ا لله ﷺ في هذه الأمة ، ولهذا قال علي بن أبي طالب والزبير بن العوام رضي ا لله عنهما : ((إنا نرى أبا بكر أحق الناس بها بعد رسول ا لله ﷺ إنه لصاحب الغار وثاني اثنين ، وإنا لنعلم بشرفه وكبره ولقد أمره رسول ا لله ﷺ بالصلاة بالناس وهو حي)) رواه الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه [٢] ، فهذه المواقف للصحابة تجاه الخلافة الكبرى للأمة تُعطي الإنطباع الخاص عن قوة مفعول تربية الرسول ﷺ في نفوس الصحابة ﷺ سواء في الأمور العامة التي تتعلق بها مصالح الأمة جميعاً أو فيما يتعلق بمصالحهم الخاصة فهذا ابن عمر يرى الرؤيا في المنام فتُقص على الرسول ﷺ فيقول الرسول ﷺ : « **إن عبدا لله رجل صالح لو كان يكثرمن الصلاة في الليل** قال الزهري : فكان عبدا لله بعد ذلك يكثر الصلاة من الليل » رواه البخاري [٣] ، فابن عمر بدأ يكثر من

---

(١) الحاكم ، المستدرك على الصحيحين ، ج ٣ ص ٧٠ . (مرجع سابق)
(٢) الحاكم ، (المرجع السابق) ، ج٣ ص٧٠ .
(٣) البخاري ، صحيح البخاري ، ج٤ ص ٢١٧ . (مرجع سابق)

صلاة الليل كل ذلك تحقيقاً لأمنية الرسول ﷺ وما ذلك إلا أثـر مـن آثـار التربية المحمدية يتمثل واقعاً عملياً في جيل الصحابة الكرام ﷺ أجمعين .

فالتربية الإسلامية للنفس الإنسـانية واضحـة شـاملة ، وفيمـا يلـي بيـان لأهم الحقائق عن النفس الإنسانية عند السعدي وهي :

١- الحقيقة الأولى : أصل الإنسان ومكانته عند ا لله .

٢- الحقيقة الثانية : أهمية تهذيب العواطف الإنسانية .

٣- الحقيقة الثالثة : صفة النفس وسبل تقويمها .

٤- الحقيقة الرابعة : بعض المبادئ النفسية التي نادى بها السعدي .

الحقيقة الأولى : أصل الإنسان ومكانته عند ا لله

هذه الحقيقة تتجلى في العناصر التالية :

[أ] **العنصر الأول** : أصل الإنسان وتكوينه

يرجع أصل الإنسـان إلى الطـين ، حيـث خلـق ا لله آدم مـن النفخـة الإلهية والقبضة الطينية قال تعـالى: ﴿ إِذْ قَـالَ رَبُّـكَ لِلْمَلائِكَـةِ إِنِّـي خَـالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ(٧١)فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ « سورة ص ، آية ٧١ ، ٧٢ »، ثم من آدم بدأ تسلسل النسل الإنسـاني من الماء المهين والنفخة الإلهية قال تعالى : ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَـدَأَ خَلْـقَ الإِنْسَـانِ مِـنْ طِـينٍ(٧)ثُـمَّ جَعَـلَ نَسْـلَهُ مِـنْ سُـلالَةٍ مِـنْ مَـاءٍ مَهِينٍ(٨)ثُمَّ سَـوَّاهُ وَنَفَـخَ فِيـهِ مِـنْ رُوحِـهِ وَجَعَـلَ لَكُـمُ السَّـمْعَ وَالأَبْصَـارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ(٩) ﴾ « سورة السجدة آيـة ٧ ، ٨ ، ٩ » ، وفي العلـة مـن تخصيـص ذكـر خلـق الإنسـان في الآيـة دون غـيره مـن

المخلوقات الأخرى يقول السعدي : ((خص الآدمي لشرفه وفضله وبدأ خلق الإنسان من طين : أي بخلق آدم عليه السلام أبي البشر)) [١] ويشير السعدي إلى بيان عظمة خلق الله لهذا الإنسان فيقول : ((إبتداء خلقه وتطوره ، وكيف تنقلت به الأحوال من النطفة إلى أن صار إنساناً كاملاً في بدنه وعقله ، وكيف أحسن الله خلقه ، ونظمه هذا النظام العجيب فوضع فيه كل عضو يحتاج إليه في منافعه كلها ، ووضع كل عضو في محله اللائق به، الذي لا يحسن ولا يليق أن يوضع إلا في محله)) [٢] ، ومع هذا التعظيم لشأن الإنسان وصفة خلقه ، نجد أن الله عز وجل يشير إلى حقارة ماء تكوين هذا الإنسان فيقول سبحانه : ﴿ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ﴾ « سورة السجدة ، آية ٨ » ، ويقول عز وجل : ﴿ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ(٦)يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾ « سورة الطارق ، آية ٦ ، ٧ » ، ولهذه اللفتة القرآنية دلالتها التربوية في تحذير الإنسان من العجب والتنديد ((بغطرسة الإنسان ، وتهذيب كبرياءه ، فيجعله متواضعاً ، واقعياً في حياته)) [٣] .

[ب] **العنصر الثاني** : تكريم الإنسان

الله عز وجل خلق آدم بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له

---

(١) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، الكاملة / التفسير ، ج ٦ ص١٧٩ . (مرجع سابق)

(٢) السعدي ، الدلائل القرآنية ، الكاملة / الثقافة ، ج ١ ص ٢٧٣. (مرجع سابق)

(٣) النحلاوي ، أصول التربية الإسلامية وأساليبها ، ص ٣٢ . (مرجع سابق)

ملائكته وهذا من إكرام ا لله عز وجل لآدم وذريته قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ(٢٨)فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ(٢٩)فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ « سورة الحجر، الآيات ٢٨، ٢٩، ٣٠ » ، فالملائكة سجدوا كلهم ، وذلك تعظيماً لأمر ا لله تعالى ، وإكراماً لآدم حيث علم ما لم يعلموا))[١] ، واستمر هذا التكريم من ا لله لبني آدم فقال تعالى : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي ءَادَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ « سورة الإسراء، آية ٧٠ »، ((فا لله عز وجل كرم بني آدم بالعلم والعقل ، وإرسال الرسل وإنزال الكتب ، وجعل منهم الأولياء والأصفياء ، وأنعم عليهم بالنعم الظاهرة والباطنة))[٢] ، ومن مظاهر تكريم ا لله للإنسان أن ((سخر له جميع ما في السموات والأرض ومعادن الكون وعناصره ، ثم إخباره بأنه خرج من بطن أمه لا يعلم شيئاً ، وجعل له السمع والبصر والفؤاد ، وآلات العلم ، وعلمه ما لم يكن يعلم))[٣] .

[ج] **العنصر الثالث** : أفعال الإنسان بين الإختيار والإضطرار

هذه النفس الإنسانية هل هي مخيرة في أفعالها في الحياة أم أنها مجبورة

(١) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، الكاملة / التفسير ، ج ٤ ص١٦٤ . (مرجع سابق)

(٢) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج ٤ ص٣٠١ .

(٣) السعدي ، الدلائل القرآنية ، الكاملة / الثقافة ، ج ١ ص ٢٧٤ (مرجع سابق)

على هذه الأفعال ومسيَّرة ؟ وللإجابة على هذا السؤال يقول السعدي بأن ((أفعال العباد : طاعاتهم ومعاصيهم فهو يعلمها قبل أن يعملوها ، وأعمالهم تحت مشيئة الله وإرادته ، فقد شاءها منهم وأرادها و لم يجبرهم: لا على الطاعات ولا على المعاصي بل هم الذين فعلوها باختيارهم كما قال تعالى : ﴿ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ(٢٨)وَمَا تَشَاءُونَ إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ « سورة التكوير ، آية ٢٨ ، ٢٩ » ، فقوله: ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ أخبر : أن مشيئتهم تابعة لمشيئة الله ، وأنها لا توجد بدونها ... ودلت على أن العباد هم الذين يعملون الطاعات والمعاصي حقيقة ليسوا مجبورين عليها))[(١)] ، فالخلاصة أن الإنسان في حياته مسير وفق مشيئة الله الكونية ، ومخير في أفعاله اليومية ، فكل أفعاله لا تخرج عن دائرة المكتوب عليه ، إلا أنه لما كان جاهلاً بما هو مكتوب له أن يعمله ، ووضعت أمامه الخيارات في الطاعة أو المعصية قبل إقدامه على الأعمال أصبح في مقام التخيير ، فإذا وقع منه الفعل خيراً أو شراً عرف بذلك ما سبق له في اللوح المحفوظ من أنه يعمل هذا العمل، فصار بذلك مخيراً ومسيراً في وقت واحد ،

ولهذا الاعتقاد آثاره التربوية في حياة المسلم كما يلي :

أ- الإقدام على الأعمال اليومية بجد ونشاط ، دون الاعتذار بما هو مقدر مكتوب .

---

(١) السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر ، الدرة البهية شرح القصيدة التائية في حل المشكلة القدرية ، المجموعة الكاملة / العقيدة ، عنيزة : مركز صالح بن صالح الثقافي، ط٢ ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م ، ص ١٥٤ ، ١٥٥ .

ب- إن عدم معرفة الإنسان بما هو مكتوب له أو عليه يجعله يسعى دائماً إلى النجاح والتقدم ، ولا تثني همته الصعوبات والأقدار السابقة له في علم الله تعالى .

ج- أن المسلم إذا بذل جهده في سبيل التحصيل فإنه يتقبل النتائج بقلب راض ، ونفس مطمئنة حيث أنه جاد يبذل طاقته وجهده ، فإذا جاءت النتائج مخالفةً لمراده فإنه معذور فيما لا قدرة له على تغييره ، وهو ما سبق في علم الله باللوح المحفوظ أنه مقدر عليه .

د- أن هذا الأعتقاد يشعل في النفس جذوة الجد والإجتهاد في الأعمال، ما امتدت به الحياة ، دون الالتفات إلى تأثير النتائج السلبية ، فله في كل عمل جديد طموح جديد ، وهلم جرا ما امتدت حياته ، وتكاثرت أعماله .

الحقيقة الثانية : أهمية تهذيب العواطف الإنسانية

في النفس الإنسانية مجموعة من العواطف الإنسانية تتمثل في مجموعة من القيم الذاتية ، والاجتماعية ، والانفعالات الإنسانية ، والتربية الإسلامية تقوم على تهذيبها وتنميتها حسب مقتضى القيمة أو الانفعال ، وأذكر فيما يلي نبذة مختصرة عن بعض هذه القيم ، والانفعالات .

١- القيم الذاتية

أ- قيمة الحب : هذه القيمة محمودة مطلوبة بقدر والإسلام جاء بتهذيبها وصرفها في مصرفها الشرعي مما يعود بالمصلحة على هذه النفس فقال عليه الصلاة والسلام : « **لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا**

حتى تحابوا أو لا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم » رواه مسلم [١] ، وقال رسول الله ﷺ : « **المرء مع من أحب** » رواه البخاري [٢] ، فقيمة الحب ثمينة ، فلا ينبغي أن تنصرف إلا في ما يرضي الله سبحانه ورسوله ، فهذا الحديث ((فيه حث على قوة محبة الرسل، واتباعهم بحسب مراتبهم، والتحذير من محبة ضدهم، فالمحبة دليل على قوة إتصال المحب بمن يحبه، ومناسبته لأخلاقه واقتداءه به)) [٣]، ويصف أحد المربين قيمة الاتصال بين المحب وحبيبه ، بأن المربي لا يمكن أن يقوم بدوره التربوي بدون الحب فيقول : ((نعم ينبغي أن يكون التقديم في صورة ترغب المتلقي في أن يتلقى ، لا في صورة تنفره من التلقي ، والضمان الأول لذلك هو الحب ، فإن لم يشعر المتلقي أن مربيه يحبه ، ويحب له الخير ، فلن يقبل على التلقي عنه ولو أيقن أن عنده الخير كله ، بل لو أيقن أنه لن يجد الخير إلا عنده ، وأي خير يمكن أن يتم بغير حب ؟)) [٤] ، فتتحدد قيمة الحب سلباً أو إيجاباً بحسب محتواها من الخير أو الشر ، وبحسب إتساع أفق المحب أو ضيق أفقه وبحسب منطلقها الشرعي .

ب- قيمة الخلق الحسن : الخلق الحسن قيمة إنسانية ، فالإنسان يسعى

---

(١) مسلم ، صحيح مسلم بشرح النووي ، ج ٢ ص ٣٥ . (مرجع سابق)

(٢) البخاري ، صحيح البخاري بحاشية السندي ، ج ٤ ص ٧٦ (مرجع سابق)

(٣) السعدي ، بهجة قلوب الأبرار ، الكاملة / الحديث ، ص ١٦١ (مرجع سابق)

(٤) قطب ، محمد ، منهج التربية الإسلامية ، بيروت : دار الشروق ، ط٥ ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م) ج ٢ ص ٤٥ .

في تحصيل الخلق الفاضل ويصفه السعدي بأنه : ((عظيم النفع ، أساسه الصبر والحلم ، والرغبة في مكارم الأخلاق ، وآثاره العفو عن المسيئين ، وإيصال النفع إلى الخلق أجمعين)) [١] ، وثمرة هذه القيمة في المجتمع هي أن صاحبها ((يصبح محبوباً عند أعدائه ، بينما سيء الخلق مكروه عند أبنائه وأصدقائه)) [٢] ، والتربية الإسلامية جاءت بتعزيز هذه القيمة وتطويرها لدى النفس الإنسانية قال رسول الله ﷺ : « **إن الله كريم يحب الكرم ومعالي الأخلاق ، ويبغض سفسافها** » رواه الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين [٣] .

٣- قيمة بر الوالدين : من القيم النفسية الذاتية التي بها تدوم العلاقة الطيبة بين الوالد وأولاده البر بالوالدين ، وقد قرن الرسول ﷺ رضى الله وسخطه برضى الوالدين وسخطهما فقال : « **رضى الرب في رضى الوالد وسخط الرب في سخط الوالد** » رواه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم [٤] ، قال السعدي : ((هذا الحديث دليل على فضل بر الوالدين ووجوبه ، وأنه سبب لرضى الله سبحانه ، وعلى التحذير عن عقوق الوالدين وتحريمه ، وأنه سبب لسخط الله ، ولا شك أن هذا من رحمة الله بالوالدين والأولاد إذ بين الوالدين وأولادهم من الإتصال ما لا يشبهه شيء من الصلات والإرتباط الوثيق ، والإحسان من الوالدين الذي لا

---

(١) السعدي ، الرياض الناضرة ، الكاملة / الثقافة ، ج ١ ص ٤٢١ (مرجع سابق)
(٢) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج ١ ص ٤٢٣ .
(٣) الحاكم ، المستدرك على الصحيحين ، ج ١ ص ١١٢ ح ١٥٢ .(مرجع سابق)
(٤) الحاكم ، (المرجع السابق) ، ج ٤ ص ١٦٨ ح ٧٢٤٩ .

يساويه إحسان من أحد من الخلق، والتربية المتنوعة ، وحاجة الأولاد الدينية والدنيوية إلى القيام بهذا الحق المتأكد وفاءً بالحق ،واكتساباً للثواب، وتعليماً لذريتهم أن يعاملوهم بما عاملوا به والديهم)) [١] .

٢- القيم الاجتماعية

أ- أهمية كتم الأسرار : الإنسان اجتماعي بطبعه ، فهو يخالط الناس ويتكلم معهم ، ومتى ما كانت له مكانة عندهم فإنه سيكون مستودع أسرارهم ، يفضون إليه لحل مشكلاتهم ، ولأهمية حفظ السر في المجتمع يقول السعدي : ((كن حافظاً للسر ، ومعروفاً عند الناس بحفظه فإنهم إذا عرفوا منك هذه الحال أفضوا إليك بأسرارهم وعذروك إذا طويت عنهم سر غيرك الذي هم عليه مشفقون ، وخصوصاً إذا كان لك اتصال بكل من المتعادين ، فإياك إياك أن يظفر أحد منهم بشيء من ذلك تصريحاً أو تعريضاً)) [٢].

ب- ضرورة مراعاة الفروق العقلية والعلمية بين الناس :

إن الكلام مع الناس حسب مراتبهم العلمية والاجتماعية ، أمر مهم عند مخالطتهم، فينبغي للمخالط أن يعرف الأدب النفسي للحديث معهم، فليس لكل الناس خطاب واحد ، بل إن لكل واحد منهم خطاب يخصه ، وبذلك يحصل تمام الأدب ، وفي بيان ضرورة مراعاة ذلك يقول السعدي: (ومن الآداب الطيبة الكلام مع كل أحد بما يليق بحاله ومقامه، مع

---

(١) السعدي ، بهجة قلوب الأبرار ، الكاملة / الحديث ، ص ١٨٢ (مرجع سابق)

(٢) السعدي ، الرياض الناضرة ، الكاملة / الثقافة ، ج ١ ص ٥٥١ (مرجع سابق)

العلماء بالتعليم والاستفادة والاحترام ، ومع الملوك والرؤساء بالاحترام والكلام اللطيف اللين المناسب لمقامهم ، ومع الإخوان والنظراء بالكلام الطيب ومطارحة الأحاديث الدينية والدنيوية والانبساط الباسط للقلوب المزيل للوحشة المزين للمجالس ، ويحسن المزح أحياناً إذا كان صدقاً ويحصل فيه هذه المقاصد ، ومع المستفيدين من الطلبة ونحوهم بالإفادة ، ومع الصغار والسفهاء بالحكايات والمقالات اللائقة بهم مما يبسطهم ويؤنسهم ، ومع الأهل والعيال بالتعليم للمصالح الدينية والدنيوية ، والتربية البيتية وتوجيههم للأعمال التي تنفعهم ، مع المباسطة والمفاكهة ، فإنهم أحق الناس ببركَ ، ومن أعظم البر حسن المعاشرة ، ومع الفقراء والمساكين بالتواضع وخفض الجناح وعدم الترفع والتكبر عليهم)) [١] ، فالإنسان الذي يحسن التعامل مع طبقات الناس على اختلاف أعمالهم وتوجهاتهم هو الشخص الناجح ((لأنه يعرف كيف يعامل الناس بصورة عامة ، والذين يتعامل معهم بصورة خاصة على اختلاف أمزجتهم وميولهم ومشاربهم)) [٢] ، وهذه العناية من السعدي بأهمية مراعاة الفروق الفردية في التعامل مع الناس تجعل الإنسان ((يكتسب معاملة الناس معاملة حسنة ويكون قدوة طيبة في العمل والأخلاق والمعاملة ، وقد حض الرسول ﷺ على التحابب والتآخي والتراضي وقرن الإسلام دخول

---

(١) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج ١ ص ٥٤٨ .

(٢) يالجن ، مقداد وآخر ، علم النفس التربوي في الإسلام ، الرياض : دار المريخ ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ، ص ١٦٤ .

الجنة بالتحابب بين المسلمين)) [١] .

ج- التربية المستمرة بحسن استغلال الفرص :

من نتائج الخلطة الاجتماعية مع الآخرين ، لا بد للإنسان وأن يتحدد موقعه منهم في بذل الخير ودفع الشر ، والسعدي يلفت النظر إلى أهمية اقتناص الفرص في الاختلاط بالناس من أجل بذل الندى ورفع الأذى فيقول : ((ينبغي للعبد أن يكون مباركاً على نفسه وعلى غيره ، باذلاً مستطاعه في الدعوة إلى الخير والترغيب فيه بالقول والفعل ، والتحذير من الشر بكل طريق)) [٢] ثم يوضح بالأمثلة بعض السبل الخيرية النافعة في المجتمع فيقول : ((فمن أهم ذلك تعليم العلوم النافعة وبثها ، فإنها مفتاح الخيرات كلها : ومن ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر برفق ولين وحلم وحكمة ، ومن ذلك أن يسن العبد سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها ، من غير أن ينقص من أجورهم شيء ... وينبغي للعبد عند اختلاطه ومعاشرته لهم ومعاملتهم أن ينتهز الفرصة في اشتغالهم بالخير ، وأن تكون مجالسه لا تخلو من فائدة، أو من تخفيف شر ودفعه بحسب مقدوره)) [٣] ، والتربية الإسلامية تربي أبناءها على هذه الروح من البذل والعطاء في سبيل الإصلاح الاجتماعي .

---

(١) ياجن وآخر ، (المرجع السابق) ، ص ١٦٤ .

(٢) السعدي ، الرياض الناضرة ، الكاملة / الثقافة ، ج١ ص٥١٢ (مرجع سابق)

(٣) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج ١ ص ٥١٢ ، ٥١٣ .

٣- تهذيب الانفعالات النفسية

((الانفعالات والعواطف جانب اساسي من الحياة النفسية للإنسان، ولا تقتصر الانفعالات والعواطف على الاستجابات والتغيرات الجسمية الفسيولوجية ، ولا على المشاعر والإحاسيس الإنسانية ، إنما هي تفاعل كلي للفرد ، فالانفعالات والعواطف تلعب دوراً هاماً في حياة الإنسان سواء في الإدراك أو التفكير أو التحليل ... لأن كلاً من هذه العمليات تحتوي على مؤثرات انتقالية)) [١] فحياة الإنسان مليئة بالانفعالات النفسية ، نظراً لكثرة المثيرات اليومية ، وحيث أن الإنسان في حال الانفعال الشديد تصبح ((الوظائف العقلية مصابة بالإضطراب)) [٢] ، لأن ذلك الانفعال الشديد ((يتعارض مع التفكير السليم والسلوك الصحيح)) [٣] ، لهذا فإن الإسلام جاء بتهذيب هذه الانفعالات النفسية وتمثل لهذه الانفعالات بما يلي :

[أ] **الغضب :**

الإسلام أوجب تهذيب القوة الغضبية ، إما بالتغلب عليها أصلاً ، أو بإيقاف مفعولها ، وتقليلها شيئاً فشيئاً وفي ذلك يقول السعدي : ((الغضب لا يتمكن الإنسان غالباً من دفعه ورده ، ولكنه يتمكن من

---

(١) عامر ، أحمد محمد، أصول علم النفس العام في ضوء الإسلام ، جدة : دار الشروق، ط١ ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ، ص ٢٠١ .

(٢) عامر ، (المرجع السابق) ص ٢٠٢ .

(٣) عامر ، (المرجع السابق) ص ٢٠٧ .

عدم تنفيذه ، فعليه إذا غضب أن يمنع نفسه من الأقوال والأفعال المحرمة التي يقتضيها الغضب ، فمتى منع نفسه من فعل آثار الغضب الضارة ، فكأنه في الحقيقة لم يغضب ، وبهذا يكون العبد كامل القوة العقلية والقوة القلبية)) [١] ، فكمال القوة العقلية والقلبية عندما لا ننفعل غضباً ، ولقد وجه الرسول ﷺ إلى المحافظة على القوة العقلية بمدافعة القوة الغضبية وتجاوزها فقال ﷺ : « **ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب** » متفق عليه واللفظ للبخاري [٢] .

[ب] **العجب (الكبر)** :

يعرف السعدي انفعال (الكبر) بأنه ((غمط الناس واحتقارهم وذلك ناشيء عن عجب الإنسان بنفسه ، وتعاظمه عليهم ، فالعجب بالنفس يحمل على التكبر على الخلق ، واحتقارهم والاستهزاء بهم ، وتنقيصهم بقوله وفعله)) [٣] ، فالكبر انفعال ناتج عن غريزة حب السيطرة والتسلط ، كما يقوله (ماكدوجل) [٤] ، والسعدي عالج وهذب ذلك الانفعال ، تارة بذمه والتحذير منه ، وتارة بمدح ما يخالفه وهو التواضع للحق والخلق ، وتارة ببيان ثمراته الناتجة عنه وتارة بتعريف الإنسان بأصل خلقته ، وما صار عليه بعد ذلك ، وما سيصير إليه بعد

---

(١) السعدي ، بهجة قلوب الأبرار ، الكاملة / الحديث ، ص ١٣٦ (مرجع سابق)

(٢) البخاري ، صحيح البخاري بحاشية السندي ، ج ٤ ص ٦٨ (مرجع سابق)

(٣) السعدي ، بهجة قلوب الأبرار ، الكاملة / الحديث ، ص ١٣٧ (مرجع سابق)

(٤) عامر ، أصول علم النفس العام في ضوء الإسلام ، ص ١٩٠ (مرجع سابق)

موته فقال : ((داء الكبر الذي هو شر الأدواء وأخسها وأسقطها ، وهو رد الحق ، واحتقار الخلق ، والتعاظم عليهم ، أخبر الله في عدة آيات أن هذا ليس من صفات الأزكياء ولا الأخيار من العباد ، وأنه من صفات الجبابرة الذين لم يعرفوا ربهم ، ولم يعرفوا حقيقة أنفسهم ، وأن قلوبهم امتلأت من هذا الخيال الباطل ، وهو التعاظم على الحق الذي يجب على جميع الخلق الدخول تحت رقه وهو غاية شرفهم ... ولو علم المسكين ماذا فاته من الخير ، وماذا حصل له من الشر والمقت لناح على نفسه وندبها ، وعلم أنه وضعها في أسقط المواضع ، وعرضها للعقوبات المتنوعة ، وحذرهم من هذا الخلق الرذيل بأنه لايحب المستكبرين ، بل يمقتهم أشد المقت ، ويوقع عليهم اللعنة منه ومن عباده ، وأن النار مثوى المتكبرين ، وأن من تكبر أهانه الله وخذله)) [1] .

ثم عرّف الإنسان بأصل خلقته وإلى ماذا سيصير بقوله: ((ومن فهم أن أوله نطفة مذرة ، وآخره جيفة قذرة وهو بين ذلك يحمل العذرة ، فبأي شيء يعجب ويفخر ؟)) [2] .

ج – الرياء : ((مشتق من الرؤية والمراد به إظهار العبادة لقصد رؤية الناس لها فيحمدون صاحبها)) [3] وقد جاءت الآيات الكريمة ،

---

(١) السعدي ، الرياض الناضرة ، الكاملة/ الثقافة ، ج١ ص ٤٨١ ، ٤٨٢.
(مرجع سابق)

(٢) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج١ ص ٤٨١ ، ٤٨٢.

(٣) آل الشيخ ، عبد الرحمن بن حسن ، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ، تحقيق محمد حامد الفقي ، بيروت : دار الفكر ، ط١ ، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م ، ص٤٤٦.

والأحاديث الشريفة بذم الرياء ، والتحذير منه لأنه يفسد الأعمال ويبطل ثوابها ، والسعدي حذر من ذلك الخلق السيء الذي قلَّ أن ينجو منه أحد إلا من رحم الله ، فحذر منه بذمه فقال : ((إنه خلق رذيل ساقط دنيء جداً ، من أخلاق المنافقين الأرذلين المنقطعين عن رب العالمين في تعلقهم به وبما يحبه ويرضاه)) [١] .

بل إن السعدي لشدة تحذيره من ذلك الداء جعل ينتقص عقل المرائي فقال : ((المرائي مع ضعف دينه قد ضعف عقله ، فإنه راءى المخلوقين الفقراء العاجزين الذين لا يملكون لأنفسهم فضلاً عن غيرهم نفعاً ولا ضراً ، ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً، وإن عمل لأجلهم فقد اعتمد على غير معتمد ، واتكأ على شفا جرف هار)) [٢] .

وفي المقابل أفاض السعدي الكلام في مدح الإخلاص والمخلصين فقال : ((الإخلاص هو السبب الوحيد المنجي من المكاره المحصل للمحاب كلها ، وأن الله لم يخلقهم إلا ليخلصوا له الدين ، ويقوموا بعبوديته وحده لا شريك له)) [٣] ، وقال في حق المخلصين : ((هم الذين يخلصهم في الدنيا من الفتن والآثام ومن العقوبات والآلآم ، وأنه بإخلاصهم يحلهم المقامات العالية في دار السلام)) [٤] .

---

(١) السعدي ، الرياض الناضرة ، الكاملة / الثقافة ، ج١ ص٤٨١ . (مرجع سابق)
(٢) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج١ ص٤٨١ .
(٣) السعدي ، الرياض الناضرة ، الكاملة / الثقافة ، ج١ ص٤٨١ . (مرجع سابق)
(٤) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج١ ص٤٨١ .

ولا شك أن المربي عندما ينتهج مع تلاميذه ذلك الأسلوب في التوجيه للإخلاص والتحذير من الرياء وفق ما ذكره السعدي فإن ذلك سيكون له أثره البالغ في نفوسهم .

٣- الحقيقة الثالثة : صفات النفس وسبل تقويمها

النفس الإنسانية تدعوصاحبها للطغيان وإيثار الدنيا على الآخرة كما قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَى(٣٧)وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا(٣٨)فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى(٣٩)وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى(٤٠)فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ « سورة النازعات ، الآيات ٣٧-٤١ » واختلف العلماء في نفس الإنسان هل هي واحدة بذاتها متعددة بصفاتها ، أم أنها متعددة الذات ؟

ويجيب على ذلك الإشكال ابن القيم بقوله: ((والتحقيق أنه لا نزاع بين الفريقين فإنها واحدة باعتبار ذاتها ، وثلاث باعتبار صفاتها)) (١) .

والسعدي أثبت ذلك التعدد في الصفة للنفس الإنسانية فقال في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾ « سورة يوسف ، آية ٥٣ » : ((هذا وصف النفس ظالمة جاهلة والظلم والجهل لا يأتي منهما إلا كل شر)) (٢)، فهذا الوصف باعتبار العموم لعامة النفوس إلاَّ أنه يمكن تقويم

---

(١) ابن القيم ، محمد بن أبي بكر ، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ، تحقيق محمد حامد الفقي، القاهرة: مكتبة السنة المحمدية ، ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م ، ج١ ص٧٦.

(٢) عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، فوائد مستنبطة من قصة يوسف ، المجموعة الكاملة / الثقافة الإسلامية (عنيزة ، مركز صالح بن صالح الثقافي ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م) ج ١ ص ١٣٢ .

هذه النفس الظالمة الجاهلة إلى نفس مؤمنة مطمئنة ، كما يقول السعدي : ((إذا رحم الله العبد ومنَّ عليه بالعلم النافع وسلوك طريق العدل في أخلاقه وأعماله ، خرجت نفسه من هذا الوصف - الظلم والجهل - وصارت مطمئنة إلى طاعة الله وذكره ، ولم تأمر صاحبها إلا بالخير))[١].

ولا يكون ذلك التقويم للنفس إلا بتوفيق الله كما بين السعدي ذلك بقوله عن قوله تعالى ((﴿ إِلا مَا رَحِمَ رَبِّي ﴾ فنجاه الله من نفسه الأمارة ، حتى صارت نفسه مطمئنة إلى ربها ، منقادة لداعي الهدى ، متعاصية عن داعي الردى ، فذلك ليس من النفس ، بل من فضل الله ورحمته بعبده)) [٢] .

ويوضح السعدي أهم الأسباب العملية لإصلاح النفوس ، وتقويم اعوجاجها فيقول : ((قد تكفل الله بهداية القلوب لكل من حقق الإيمان بصدق ، فإن إيمانه بالمأمور يقتضي فعله ، وإيمانه بالمحظور وخوفه التام يقتضي تركه ، وإيمانه بالمقدور الذي لا يلاءم النفوس بأن يعلم أنه من عند الله فيرضى ويسلم لأمره ، فهذه الهداية التامة في هذه الأمور مشاهدة لمن حقق الإيمان)) [٣] .

---

(١) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج ١ ص ١٣٢ .
(٢) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، الكاملة/ التفسير، ج٤ ص٣٨ (مرجع سابق)
(٣) السعدي ، وجوب التعاون بين المسلمين ، الكاملة / الثقافة ، ج ١ ص ٢٣٣ . (مرجع سابق)

فأسباب تقويم النفس وهدايتها لتكون مطمئنة لأمر الله وطاعته هي :

[أ] الإيمان الصادق بالمأمورات الشرعية بفعلها كما يريد الله عز وجل من عبده .

[ب] الإيمان الصادق بالمحظورات الشرعية بتركها كما نهى الله عز وجل .

[ج] الإيمان الصادق بالمقدورات والمصائب بتمام الرضى بها والتسليم لله فيها وعدم تسخطها والجزع عندحلولها ، فالمؤمن متى ما قامت فيه هذه العناصر الإيمانية الثلاثة فإن نفسه ستتصف بالطمأنينة التامة في الدنيا والآخرة كما قال تعالى : ﴿ يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ(٢٧)ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً(٢٨)فَادْخُلِي فِي عِبَادِي(٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾ « سورة الفجر ، الآيات ٢٧-٣٠ » .

٤- الحقيقة الرابعة : بعض المبادئ النفسية التي نادى بها السعدي

النفس الإنسانية تقوم ببعض الأعمال بناءً على دوافع سلوكية ، تدفعها لذلك أو تمنعها من القيام بذلك العمل ، ومن تلك الدوافع السلوكية ما يلي :

١- دافع الإيمان بموعود الله : فالإنسان المؤمن حقاً بجزاء الله على الصالحات وعقابه على المخالفات ، هذا الإنسان يدفعه إيمانه للعمل ولو شق عليه بدنياً فإنه : ((كلما ضعفت إرادة العبد ووهت قوته في محاولة المهمات ، أمده الإيمان الصادق بقوة قلبية تتبعها الأعمال البدنية)) [(١)] ،

---

(١) السعدي ، الرياض الناضرة ، الكاملة / الثقافة ، ج ١ ص ٣٧٣ ، ٣٧٤ .
(مرجع سابق)

ويضيف السعدي قائلاً بأن : ((الإيمان الصادق يقوي الرغبة في فعل الخيرات ، والتزود من الأعمال الصالحات ، ويدعو إلى الرحمة والشفقة على المخلوقات ، وذلك بسبب داعي الإيمان ، وبما يحتسبه العبد عند الله من الثواب الجزيل)) [١] .

٢- دافع التوكل على الله : إن تمام التوكل على الله في جلب المرغوب أو دفع المرهوب يعطي النفس الإنسانية القوة في تحمل المصائب ، وعدم الإكتراث والإنزعاج قبل حلولها أو بعده مما يورث لدى الإنسان السعادة النفسية في حياته ومعاده ، وفي ذلك يقول السعدي : ((ومتى اعتمد القلب على الله وتوكل عليه ، ولم يستسلم للأوهام ولا ملكته الخيالات السيئة ووثق بالله وطمع في فضله ، اندفعت عنه بذلك الهموم والغموم وزال عنه كثير من الأسقام البدنية والقلبية ، وحصل للقلب من القوة والإنشراح والسرور ما لا يمكن التعبير عنه)) [٢] .

فالإنسان الذي تدفعه الرغبة في الحصول على الراحة القلبية والطمأنينة النفسية ، لا شك في أنه سيجد أثر ذلك التوكل في واقع حياته بالتجربة والمشاهدة ، مما يدعوه إلى تمام التوكل وقوة اليقين مستقبلاً لما يرى من نتائج سارة لهذا التوكل في واقع حياته اليومية .

وهناك بعض الحاجات النفسية أشار إليها السعدي في ثنايا مؤلفاته ، ومن ذلك :

---

(١) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج ١ ص ٣٧٥ . (مرجع سابق)
(٢) السعدي ، الوسائل المفيدة للحياة السعيدة ، الكاملة / الثقافة ، ج٢ ص٤٩١ . (مرجع سابق)

أ- الحاجة إلى الأمن :

فالإنسان يسعى بطبيعته لتحقيق الأمن والاستقرار النفسي ،والقرآن الكريم نص على أن تمام الأمن مقرون بتمام الإيمان با لله تعالى فقال سبحانه : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُهْتَدُونَ ﴾ « سورة الأنعام ، آية ٨٢ » ويصور السعدي حالة المؤمن عند حدوث المخاوف بأنه : ((كلما أحاطت به المخاوف كان هذا الإيمان حصناً يلجأ إليه المؤمن فيطمئن قلبه وتسكن نفسه)) [١] .

ب- الحاجة إلى الإنتماء :

الإنسان بطبيعته كائن اجتماعي يحب الآخرين ويختلط بهم ، ويكوّن علاقات مع أفراد مجتمعه محققاً بذلك حاجته النفسية لحب الإنتماء إلى أفراد مجتمعه ، ودين الإسلام جاء بالأمر بالتعلق بالجماعة والتعاون معها في سبيل صالح المجتمع ، مما جعل أبناء المجتمع الإسلامي يعيشون كالجسد الواحد ، وقد أشار السعدي إلى ذلك بقوله عن دين الإسلام : ((إن تعاليمه العالية وتربيته السامية في أقصر مدة قد جمعت بين أمم متباينة وطوائف متعادية ، وألفت بين قلوبهم ، وجمعت قاصيهم لدانيهم ، حتى صاروا إخواناً متحابين ، وقرناء وأصفياء متعاونين)) [٢] .

---

(١) السعدي ، الرياض الناضرة ، الكاملة / الثقافة ، ج ١ ص٣٧٤ (مرجع سابق)

(٢) السعدي ، وجوب التعاون بين المسلمين ، الكاملة / الثقافة ، ج١ ص ٢٣٠ .
(مرجع سابق)

ج- الحاجة إلى العمل المهني :

ينظر علم النفس إلى السلوك البشري نظرة موضوعية لأجل معرفة خصائص سلوك الإنسان العامة ، والخصائص الخاصة بكل فرد [١] ، والسعدي انطلاقاً من المبادئ الشرعية ، اهتم بقضية التوجيه المهني للفرد حسب خصائصه النفسية وقدراته الذاتية ، ولهذا بين السعدي أن لكل فرد من الخصائص والإمكانات التي تؤهله للقيام بعمل معين دون سواه ، فيقول : ((اختلف العلماء في أي المكاسب أولى وأفضل ؟ - ثم ذكر أقوالهم - ثم قال: ولكن حديث الرسول ﷺ : « **احرص على ما ينفعك، واستعن با لله** » رواه مسلم [٢] ، هو الفاصل للنزاع في ذلك والنافع من ذلك معلوم أنه يختلف باختلاف الناس ، فقد يكون بعض المذكورات - الزراعة ، الصناعة ، التجارة -أفضل في حق شخص ، ويكون الآخر أفضل في حق الآخر ، ولكن السبب الذي يأتيك براحة وطمأنينة ، ويكون فيه معونة على أمور دينك ، لا ريب أنه أفضل الأسباب على الإطلاق)) [٣] .

---

(١) سشربل ، موسوعة علماء التربية ، ص ٣٠٩، ٣١٠ . (مرجع سابق)

(٢) مسلم ، صحيح مسلم بشرح النووي ، ج ١٦ ص ٢١٥ . (مرجع سابق)

(٣) السعدي ، الفتاوى ، الكاملة / الفتاوى ، ص ٢٨ . (مرجع سابق)

خامساً : الأساس الإجتماعي

للتربية أساسها الإجتماعي ، فالعلاقة وثيقة بين التربية والمجتمع بل إنه (لا تربية بدون مجتمع ولا مجتمع بدون تربية ، والتربية وليدة الحياة الإجتماعية) [١] ، والتربية الإجتماعية في الإسلام تقوم على مبدأ (النصح لكل مسلم) كما جاء في حديث جرير بن عبدا لله البجلي رضي الله عنه قال : «**بايعت رسول الله ﷺ على شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، والسمع والطاعة، والنصح لكل مسلم** » متفق عليه واللفظ للبخاري[٢]، وهذا النصح يقوم على ركائز مهمة هي:

١- التعليم والتفهيم للجاهل .

٢- تمام النصح والتقويم للغافل .

٣- الإرشاد والتوجيه للإصلاح .

٤- الدعوة والبيان للخير .

٥- الأداء والتكميل للحقوق الواجبة .

وتتجلى هذه الركائز في قول السعدي : ((يحب لهم من الخير ما يحب لنفسه ، ويكره لهم من الشر ما يكره لنفسه ، ويعلّم جاهلهم ، وينصح من يراه مخلاً بواجب أو متجرئاً على محرم ، وإرشاد الناس على اختلاف طبقاتهم إلى ما فيه صلاح لهم في أمر دينهم وأمر دنياهم ، والدعوة إلى

---

(١) الباني ، مدخل إلى التربية في ضوء الإسلام ، ص ٣٥ . (مرجع سابق)

(٢) البخاري ، صحيح البخاري بحاشية السندي ، ج٢ ص ١٩ (مرجع سابق)

ذلك كله ، ومجانبة غشهم في الأقوال والأفعال ، والمعاملات ، وأداء الحقوق لمن له حق على الإنسان)) [١] .

ونظراً لتداخل المصالح بين أفراد المجتمع الواحد ، ولأن المجتمع الإسلامي يقوم وفق ضوابط ومعايير إسلامية مقتبسة من القرآن والسنة ، لذلك فإنه وللحفاظ على بنية المجتمع من الإنهيار أو التأخر ، كان لا بد من وجود ضوابط اجتماعية شرعية ، تحفظ للمجتمع تماسكه ، فتقوم تربية ذلك المجتمع على تلك الضوابط ، وتتلخص في الآتي :

الضابط الأول : (تحقيق الوحدة الإسلامية)

الوحدة الإسلامية لا تتحقق بين أبناء المجتمع إلا بتمام الألفة بينهم، وهذه الألفة تقوم على شروط من أهمها :

١- كمال الإيمان با لله تعالى رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً .

٢- النهي والتحذير من البغض وأسبابه المثيرة له .

٣- البعد عن الحسد ومقتضياته .

٤- التحذير الشديد من التقاطع بين الناس المؤدي للتدابر والتنافر بينهم .

٥- استشعار الفرد المسلم بواجب الوحدة الإسلامية مع إخوانه المسلمين.

٦- بذل الجهد على المستويين الفردي والجماعي لتحقيق هذه الوحدة .

والأصل في الوحدة الإسلامية قول ا لله تعالى : ﴿ وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ(٦٢)وَأَلَّفَ

---

(١) السعدي ، الفتاوى ، الكاملة / الفتاوى ، ص ٤٦ ، ٤٧ (مرجع سابق)

بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ « سورة الأنفال ، آية ٦٢ ، ٦٣ » وقول الرسول ﷺ : « **لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام** » متفق عليه واللفظ للبخاري [(١)] ، والسعدي عدَّ الاهتمام بأمر وحدة المسلمين من أعظم الجهاد في سبيل الله تعالى فقال : ((فإن من أعظم الجهاد السعي في تحقيق هذا الأصل في تأليف قلوب المسلمين ، واجتماعهم على دينهم ومصالحهم الدينية والدنيوية ، في جمع أفرادهم وشعوبهم ، وفي ربط الصداقة والمعاهدات بين حكوماتهم بكل وسيلة ، ومن أنفع الأمور أن يتصدى لهذا الأمر جميع طبقات المسلمين من العلماء والأمراء والكبراء وسائر الأفراد منهم ، كل أحد يجد بحسب إمكانه ، فمتى كانت غاية المسلمين واحدة وهي (الوحدة الإسلامية) وسلكوا السبل الموصلة إليها ودافعوا جميع الموانع المعوقة والحائلة دونها ، فلا بد أن يصلوا إلى النجاح والفلاح)) [(٢)] ، وتتحقق وحدة المجتمع الإسلامي بصلاح أفراد ذلك المجتمع الذي ((يحافظ على الأخلاق الحميدة ، والآداب الكريمة ، ويتبع سبل الفضيلة والخير والهدى ، ويأتمر أفراده بالمعروف ويتناهون عن المنكر، لا بد وأن يساعد الناشئين على حسن استكمال نموهم الاجتماعي

---

(١) البخاري ، صحيح البخاري بحاشية السندي ، ج ٤ ص ٦٠ (مرجع سابق)

(٢) السعدي ، وجوب التعاون بين المسلمين ، الكاملة / الثقافة ، ج ١ ص ١٨٧ . (مرجع سابق)

والخلقي والنفسي على الأساس السليم)) [١] .

الضابط الثاني : الاجتماعات للعبادة

في الإسلام شرعت العبادات الجماعية ، والتي يقوم بأدائها أفراد المجتمع مجتمعين كالصلوات الخمس المفروضة كل يوم وليلة ، وصلاة الكسوف ، وصلاة العيدين ، وفريضة الحج ، والصيام ، ففي هذه العبادات يحصل الاجتماع بين المسلمين من الرجال والنساء ، ولهذه التجمعات آثار تربوية تعود على أبناء المجتمع الإسلامي بالخير والصلاح، والسعدي يبين أهم الآثار التربوية الاجتماعية المترتبة على تلك الاجتماعات فيقول : ((قد شرع الشارع الاجتماع للصلوات الخمس والجمعة والعيد لما في الاجتماع من حصول التنافس في الخيرات ، والتنشيط عليها ، والتعلم والتعليم لأحكامها ، فإن العالم ينبه الجاهل ، والجاهل يتعلم بالقول والفعل من العالم ، ويقتدي الناس بعضهم ببعض ، وكذلك ما في الاجتماع من التوادّ والتواصل بين المسلمين وعدم التقاطع، وما في ذلك من معرفة حال المصلين والمحافظين على الصلاة والمتهاونين بها، ومضاعفة الأجر بالاجتماع، وكثرة الخطا إلى المساجد وما يتبع ذلك من قراءة وذكر وعبادات تفعل في المساجد بأسباب الصلوات)) [٢]، فهذه الاجتماعات العبادية تورث لدى المسلم الآثار التربوية التالية :

---

(١) الزنتاني ، عبد الحميد الصيد، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية ، ليبيا : الدار العربية للكتاب ، ١٩٨٤م) ص٧٧٧ .

(٢) السعدي ، الرياض الناضرة ، الكاملة / الثقافة ، ج ١ ص ٣٨٠ ، ٣٨١ . (مرجع سابق)

[أ] بعث روح التنافس والتسابق في مجال الخير قال الله تعالى : ﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ﴾ « سورة الحديد ، آية ٢١ » .

[ب] توجد لدى المسلم روح النشاط والحيوية على أداء العبادة فالمؤمن ضعيف بنفسه ، قوي بإخوانه قال تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ « سورة المائدة ، آية ٢ » .

[ج] هذه الاجتماعات سبب لتوفر عنصر التعليم للجاهلين تارة بالقول عن طريق الخطب والمواعظ والفتاوى ، وتارة عن طريق القدوة الحسنة من قبل الجاهل بالعالم ، قال تعالى : ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ(٣٦)رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ ﴾ « سورة النور ، آية ٣٦ - ٣٧ » .

[د] أنها سبب لحصول المودة بين أفراد المجتمع ، وارتفاع عنصر التقاطع والتدابر بين المسلمين فالمسلم الذي يلتقي بأخيه في اليوم خمس مرات أو حتى في الأسبوع مرة فإنه سيقابله بالسلام الذي هو مفتاح المحبة والمودة كما قال رسول الله ﷺ : « **لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم** » رواه البخاري [1] .

[هـ] هذه الاجتماعات تربي المسلم على الإهتمام بشأن الصلاة

(١) البخاري ، صحيح البخاري بحاشية السندي ، ج ٤ ص ٧٦ (مرجع سابق)

والمحافظة عليها لما لها من آثار تربوية على سلوك المسلم قال تعالى : ﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ « سورة العنكبوت ، آية ٤٥ » .

[و] تعظيم الأجور من الله للمسلم بحضور هذه الاجتماعات ، وهذا باعث للمسلم على بذل الجهد على المداومة عليها والقيام بها ، قال رسول الله ﷺ : « **إذا تطهرالرجل ثم مر إلى المسجد فيرعى الصلاة كتب له كاتبه أو كاتباه بكل خطوة يخطوها إلى المسجد عشر حسنات ، والقاعد يراعي الصلاة كالقانت ويكتب من المصلين من حين يخرج من بيته حتى يرجع** » رواه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم [1].

الضابط الثالث : (الحرية المشروعة والممنوعة)

اقتضت السياسة الشرعية تحريم بعض الأعمال ، ووضع العقوبات الزاجرة لمقترفيها الرادعة لغيرهم ، وحفظاً لكيان المجتمع من الإنهيار أو التصدع ، فقد حدَّ الشارع الحكيم بعض الحدود وعاقب المتعدين لها ببعض العقوبات ، فمثلاً نهى عن الكلام القبيح ، والفعل القبيح - لما في ذلك من ردع عن الحرية الزائفة الكاذبة التي يتشدق بها الحمقى والسفهاء الذين عموا وصموا ، فلا يرون ما حل بأمم الغرب من الدمار من ثمرات هذه الحرية الفاجرة الخاسرة، فإن ميزان الحرية الصحيحة النافعة هو: ((ما أرشد إليه القرآن والنبي ﷺ ، وأما إطلاق عنان الجهل والظلم والأقوال

(١) الحاكم ، المستدرك على الصحيحين ، ج١ ص٣٣١ ح٧٦٦ (مرجع سابق)

الضارة للمجتمع ، المحللة للأخلاق ، فإنها من أكبر أسباب الشر والفساد والمؤدية إلى الفوضى المحضة ، وانحلال الأخلاق التي هي قوام كل أمة ، فنتائج الحرية الصحيحة أحسن النتائج ، ونتائج الحرية الفاسدة أقبح النتائج ، فالشارع فتح الباب للأولى ، وأغلقه عن الثانية ، تحصيلاً للمصالح ، ودفعاً للمفاسد والمضار)) [(١)] فالسعدي هنا بين الأهمية الاجتماعية لمبدأ الحرية وأنها إما ضارة مفسدة للمجتمع ، وهي التي لا تنضبط بضوابط الشرع ولا تتقيد بأحكامه ، وإما حرية نافعة صحيحة وهي الموزونة بميزان الشرع ، والناشئ في المجتمع الإسلامي إذا خرج وهو يرى هذه المبادئ مطبقة في وسطه الاجتماعي فإنه لا شك سيتأثر بها في سلوكه مع نفسه ومع أفراد مجتمعه ، وبهذا يكون لهذه الضوابط الاجتماعية الأثر التربوي في نفس المسلم .

الضابط الرابع : (الشورى الإسلامية)

الشورى مبدأ أساسي في الحياة الإسلامية وهو وسط بين ظلم الدكتاتورية وعنفها وبين فوضوية الديمقراطية وميوعتها المفسدة للأجيال ، فالتربية الإسلامية تعد المسلم للمشاركة في شؤون الأمة بالشورى الإسلامية المورثة للمودة والمحبة بين أفراد المجتمع ، وتتحقق المصالح الاجتماعية للمجتمع حسب رأي أهل الشورى ، ويتم هذا المبدأ في القضايا الاجتماعية المستجدة التي لم يرد بها نصوص شرعية من القرآن أو

---

(١) السعدي ، القواعد الحسان ، الكاملة / التفسير ، ج ٨ ص ١١٠ ، ١١١ .
(مرجع سابق)

السنة ، إنما هي خاضعة لعمومات النصوص الشرعية من جلب المصالح ودرء المفاسد ، والسعدي يشير إلى مبدأ الشورى الذي كان عليه الرسول ﷺ مع أصحابه فيقول : ((أمر الله نبيه بالمشاورة ، وأخبر عن المؤمنين أنهم يتشاورون في جميع الأمور الدينية والدنيوية المتعلقة بهم وبغيرهم))[(١)] ويوضح السعدي أن الشورى من أصول السياسة الدينية كما قال تعالى: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾ « سورة الشورى، آية ٣٨»، ثم يوضح أهم فوائد الشورى بقوله : ((ولها من الفوائد ما لا يحصى :

١- امتثال أمر الله والاقتداء برسول الله ﷺ إذ كان يشاور أصحابه في كل أمر مهم .

٢- إن المشاورة من أكبر الأسباب لاصابة الصواب ، وسلوك الطرق النافعة لاجتماع آراء المؤمنين وأفكارهم ، وتنقيحها وتصفيتها ، مع أن الله معهم في هذه الحال يسددهم ويؤيدهم .

٣- بالمشاورة تتنور الأفكار ، وتترقى العقول والآراء لأنها تمرين للأذهان، واستعمال للقوة العقلية فيما خلقت له وهيئت ، واقتباس بعضهم من آراء بعض .

٤- قد يكون الصواب من مجموع رأيين أو ثلاثة أو عدة آراء ولا سبيل إلى ذلك إلا بالمشاورة .

٥- إن المشاورة من أسباب المحبة بين المؤمنين ، وتآلف قلوبهم ، وشعور جميعهم أن مصلحتهم واحدة ، وتنبه الأذهان للفكر في ذلك ، فإن

---

(١) السعدي، الدلائل القرآنية ، الكاملة / الثقافة ، ج ١ ص ٢٨٥ . (مرجع سابق)

من لا يشاور في الغالب لا يعمل فكره في هذه الأمور فضلاً عن أن يهتدي إلى الصواب .

ففتح باب المشاورة بين المؤمنين في تعيين مصالحهم الكلية ودفع مضارهم ، وفي أنسب الوسائل والطرق التي يسلكونها لتحصيل ذلك عون كبير على القوة والصلاح والفلاح والنجاح)) [1] والسعدي لم يكتف فقط ببيان فوائد الشورى كمبدأ إسلامي أساسي بل وضح من هم أهل الشورى ، وهل لكل أحد أن يدخل في مجال المشاورة أم لا ؟ فيقول: ((واعلم أن المشاورة تختلف باختلاف مواضيعها ، فأمور السياسة يتشاور فيها أهل الحل والعقد ، والرجال المتميزين في عقولهم ، وآرائهم، وكمال نصحهم ، وأمور العلم والدين يشاور فيها أهل العلم والدين ، الجامعين بين العلم والحلم والعقل والدين ، والأمور الدنيوية يشاور فيها أهل الخبرة فيها والرأي بحسب أحوالها ولا بد في ذلك كله من قصد النصح)) [2] ، فالنتيجة هي: أن العضو في الشورى لا بد فيه من خصلتين رئيستين هما :

الأولى : أن يكون من أهل الاختصاص في مجال اختياره .

الثانية : أن يتميز بتمام النصح للمسلمين .

---

(١) السعدي ، الجهاد في سبيل ا لله ، الكاملة / الثقافة . ج١ ص ١٦٥ .
(مرجع سابق)

(٢) السعدي ، الرياض الناضرة ، الكاملة / الثقافة ، ج ١ ص ٤١٥ .
(مرجع سابق)

الضابط الخامس : (الرضى بالقليل والعفو عن التقصير)

العلاقات الاجتماعية تقتضي قيام مصالح وحقوق فيما بين أفراد المجتمع نظراً لأن أكثر الناس قد يعجز عن الإتيان بالحقوق الواجبة كما ينبغي ، مما يوغر عليه صدور إخوانه الآخرين ، لهذا فإن التربية الإسلامية تلفت النظر إلى أهمية (التسامح) في أخذ الحقوق ، ويشير السعدي إلى هذا المبدأ الاجتماعي مستمداً من قوله تعالى : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ «سورة الأعراف، آية ١٩٩» فيقول السعدي : ((خذ ما عفا وصفا لك من أخلاق الناس واغتنم ما حصل منها ، وغض البصر عما تعذر تحصيله منهم ، وعن نقصها وكدرها ، وما سمحت به طباعهم من الخلق الطيب ، ولا تطلب منهم ولا تطالبهم بما زاد عما حصل، ولو كان لازماً لهم، فإنك بذلك تستريح وتريحهم))(١)، ولا شك أن هذا الضابط يبقي على علائق المجتمع قائمة، مما يورث لدى أبناء المجتمع عنصر المودة والمحبة قائماً بينهم، وذلك مما تهدف التربية إلى تحقيقه في واقع الناس للحفاظ على التجانس الإيماني فيما بين أفراد المجتمع المسلم.

الضابط السادس : (ضرورة العدالة الزوجية)

لما كانت الأسرة هي النواة الأولى للمجتمع وفيها ((تنمو شخصية الفرد ، ويتلقى التربية والتنشئة الاجتماعية ، ويكتسب منها العرف والعادات والتقاليد والقيم الدينية والخلقية ، ومن خلال علاقة الفرد

---

(١) السعدي، الرياض الناضرة ، الكاملة / الثقافة ، ج ١ ص ٤٢١ . (مرجع سابق)

بوالديه وإخوته وأقاربه يستكمل نموه الاجتماعي بالتدريج))[(١)] .

فحيث أن للأسرة هذه المكانة والأهمية الاجتماعية أوجب الإسلام المحافظة على تلك النواة الاجتماعية ولا تتم هذه المحافظة إلا بقيام ميزان العدل بين الزوجين ، ولا يقوم ميزان العدل بين الزوجين إلا بحسن العشرة بينهما بالمعروف ، خصوصاً من جانب صاحب القوامة وهو الرجل وفي ذلك يقول السعدي : ((نهى الرسول ﷺ المؤمن عن سوء عشرته لزوجته ، والنهي عن الشيء أمر بضده ، وأمره أن يلحظ ما فيها من الأخلاق الجميلة ، والأمور التي تناسبه ، وأن يجعلها في مقابلة ما كره من أخلاقها، فإن الزوج إذا تأمل ما في زوجته من الأخلاق الجميلة ، والمحاسن التي يحبها ، ونظر إلى السبب الذي دعاه إلى التضجر منها وسوء عشرتها ، رآه شيئاً واحداً أو اثنين مثلاً ، وما فيها مما يحب أكثر ، فإن كان منصفاً غض عن مساوئها لاضمحلالها في محاسنها))[(٢)] .

فالزوج والزوجة هما ركنا الأسرة وعمادها ، ومتى ما قامت الحياة بينهما على ميزان العدل بالمعروف ، فإن الأسرة ستكون بمنحى عن عواصف الخلافات والشقاقات المؤدية لتهدم الأسرة وزوال كيانها في المجتمع وبا لله التوفيق .

---

(١) الزنتاني ، أسس التربية الإسلامية ، ص ٧٧١ . (مرجع سابق)

(٢) السعدي ، بهجة قلوب الأبرار ، الكاملة / الحديث ، ص١٠٣-١٠٤ .
(مرجع سابق)



المبحث الثاني : أهداف التربية

تمهيد

اختلفت تعريفات علماء التربية للهدف التربوي ، ورغم الاختلاف الواضح بين تعريفاتهم إلا أن الرابط بين تلك التعاريف ينص على اعتبار الهدف مطلباً يقصد تحقيقه من عملية التربية والتعليم .

ومن التعريفات للهدف التربوي ما يلي :

١- قيل إنه ((التغيير المرغوب الذي تسعى العملية التربوية أو الجهد التربوي إلى تحقيقه ، سواء في سلوك الفرد ، أو في حياته الشخصية ، أو في حياة المجتمع وفي البيئة التي يعيش فيها الفرد ، أو في العملية التربوية نفسها ، وفي عمل التعليم كنشاط أساسي وكمنهة من المهن الأساسية في المجتمع)) [١] .

٢- وقيل أهداف التربية ((هي اتجاهات يبحث عنها المربون لتوجيه أولئك الذين يقعون تحت رعايتهم)) [٢] .

فالأهداف تسبق النتائج ، وما النتائج إلا من تحقيق الأهداف التي يرسمها علماء التربية ، وهذه الأهداف تعتبر بحد ذاتها طموحات مطلوبة

---

(١) الشيباني ، عمر محمد ، فلسفة التربية الإسلامية ، ليبيا : ط ١ ، ١٩٨٥ م ، ص ٢٨٢ .

(٢) فينكس ، فيليب ، فلسفة التربية ، ترجمة محمد لبيب النجيحي ، القاهرة : دار النهضة ، ١٩٨٢م ، ص٨٢٢ .

قد تتحقق من خلال العمل التربوي ، وقد لا تتحقق .

ولكل مجتمع فلسفته التي منها تنبثق قيم ذلك المجتمع ، ((وتتوقف الأهداف التربوية على أنواع القيم التي تعتبر هامة في توجيه النمو الإنساني)) [١] في ذلك المجتمع .

وللتربية الإسلامية أغراض وأهداف وغايات ، وقبل الكلام عنها نذكر تعريفاتها في اللغة العربية :

فالغرض: هو ((الهدف الذي ينصب فيرمى فيه والجمع أغراض))[٢].

والهدف : هو (كل شيء عظيم مرتفع) [٣] .

والغاية : هي ((المدى ... والغاية الراية والجمع غايات ، وغييت غاية بينتها ، وغايتك أن تفعل كذا : أي نهاية طاقتك أو فعلك)) [٤] .

فالباحث يرى أن العلاقة بين الغرض والهدف والغاية تقوم على مبدأ التدرج فالغرض هو الهدف المنتصب الأولي ، وبعده يأتي : الهدف وهو الأمر المطلوب تحقيقه وهو ظاهر مرتفع أعلى من الغرض ، ثم يليه الغاية : وهي المدى النهائي المراد تحقيقه ، وبهذا ندرك أن الأهداف التربوية تنطلق ابتداءاً من الأغراض ، وتنتهي بتحقيق الغايات ، وبهذا ندرك الفرق الدقيق بين هذه المسميات الثلاثة ، والتي يقع الخلط الكثير والكبير فيما بينها ، فلكل مسمى وظيفته الخاصة به ، وأنها تتحقق بالتدرج فلا تحصل

---

(١) فينكس ، (المرجع السابق) ، ص ٨٢٤ .
(٢) ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٧ ص ١٩٦ . (مرجع سابق)
(٣) ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٩ ص ٣٤٦ . (مرجع سابق)
(٤) أحمد الفيومي ، المصباح المنير ، ص ١٧٤ . (مرجع سابق)

الغاية إلا ببلوغ الهدف ، ولا يعرف الهدف حتى يكون غرضاً ، ومثال ذلك : نقول إن تلاوة القرآن بحد ذاتها تعتبر غرضاً، ولكن تجويد التلاوة وحفظ الآيات يعتبر هدفاً من أهداف التعليم، وإذا أدت هذه التلاوة والحفظ إلى زيادة إيمان القارئ با لله وتحقيق عبوديته فعند ذلك تحققت في حقه الغاية من هذه التلاوة ، وذلك أعلى من الهدف وأسمى .

فالتفريق بين الغرض والهدف والغاية مبني على معانيها في اللغة العربية، فهي المرجع عند التنازع والإختلاف ، والذي يظهر للباحث هو: أن الغرض بداية درجات التسلسل وبعده يأتي دور الهدف ، وبعد الهدف قد تتحقق الغاية ، وقد لا تتحقق ، فكم من عمل يقوم به الإنسان يتحقق به الغرض والهدف ولكن لا تتحقق الغاية النهائية له ، ومثال ذلك : الطالب الذي يلتحق بالدراسة الجامعية ، يتحقق غرضه بالتسجيل وبدء الدراسة ، وتبدأ تتحقق له أهداف الدراسة بنجاحه عاماً بعد عام ، ولكن الغاية من التحاقه وهي مثلاً (الرسوخ العلمي ، أو نيل الشهادة) قد تتحقق هذه الغاية ، وقد يخفق الطالب ولا يواصل دراسته ، فيكون قد حقق الغرض والهدف ولكنه قصَّر دون الغاية من تعلمه هذا .

وعند السعدي نجد أن بين الغاية النهائية من التربية في الإسلام وهي تحقيق العبودية لله وحده فقال : ((الغاية التي خلق ا لله الجن والإنس لها، وبعث جميع الرسل يدعون إليها ، وهي عبادته المتضمنة لمعرفته ومحبته ، والإنابة إليه)) [1] ، وأشار إلى أن دعوة الكتب الإلهية كلها جاءت لبيان

(١) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، الكاملة / التفسير ، ج ٧ ص ١٨١ . (مرجع سابق)

تلك الغاية فقال : ((انظر إلى توحيد الله ووجوب تفرده وإفراده بالوحدانية ، وتوحده بصفات الكمال ، كيف كانت الكتب السماوية مشحونة منها ، بل هي المقصود الأعظم منها وخصوصاً القرآن الذي هو من أوله إلى آخره يقرر هذا الأصل الذي هو أكبر الأصول وأعظمها)) [١] .

ومن أجل تحقيق هذه الغاية من التربية لا بد من تحقيق أهداف متعددة في تربية الإنسان ، وهذه الأهداف منها القريب والبعيد فـ ((التربية قد تحقق أهدافاً قريبة ولكنها تقصد من وراء تحقيق الأهداف القريبة ان تكون وسيلة لأهداف أبعد منها نسميها (الغايات) أو الأهداف البعيدة ، ومما تقدم يتبين أيضاً أن تحقيق الهدف البعيد يتضمن تحقيق الهدف القريب)) [٢] .

ومن خلال استعراض مؤلفات السعدي تبين للباحث أنها تشتمل على الأهداف التربوية التالية :

أولاً : الأهداف الإيمانية

فالتربية الإسلامية تهدف لتقوية الإيمان بالله وحده وذلك بـ ((الإعتراف بانفراد الله بالوحدانية والألوهية، وعبادة الله وحده لا شريك

---

(١) السعدي ، تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن ، الكاملة / التفسير ، ج ٨ ص ٤٧٠ .   (مرجع سابق)

(٢) النحلاوي ، عبد الرحمن وآخرون ، التربية وطرق التدريس (١٣٨٩هـ) ج ٢ ص ٢٣٢ .

له ، وإخلاص الدين لله ، والقيام بشرائع الإسلام الظاهرة ، وحقائقه الباطنة))[١] وهذا الإعتراف بوحدانية الله وألوهيته ، والقيام بشرائع الظاهرة والباطنة يتم عن طريق ((التدبر لآيات الله المتلوة من الكتاب والسنة ، والتأمل لآياته الكونية على اختلاف أنواعها ، والحرص على معرفة الحق الذي خلق له العبد والعمل بالحق)) [٢] .

وإذا قويت صلة العبد بخالقه سبحانه ، وعظم إيمانه بالله ، فإن ذلك الإيمان سيقوي واعظ الله في نفس المؤمن مما يورثه الاستقامة على طاعة الله في سره وعلانيته لأنه قد استشعر رقابة الله التامة له ، وجزائه وعقابه عز وجل ، ويشير السعدي إلى بعض ثمرات الإيمان بالله وبرسوله محمد ﷺ ، وأن الإيمان برسالة الرسول ﷺ لها ثمراتها التربوية الإيمانية فالرسول ((يطهر أخلاقكم ونفوسكم بتربيتها على الأخلاق الجملية ، وتنزيهها عن الأخلاق الرذيلة ، وذلك كتزكيتهم من الشرك إلى التوحيد، ومن الرياء إلى الإخلاص ، ومن الكذب إلى الصدق ، ومن الخيانة إلى الأمانة ، ومن الكبر إلى التواضع ، ومن سوء الخلق إلى حسن الخلق ، ومن التباغض والتهاجر إلى التحابب والتوادد والتواصل)) [٣] ، فالتربية عند السعدي إنما تهدف لتحقيق هذه الأهداف الإيمانية في النفس الإنسانية ، والمسلم قد تتحقق فيه هذه الأهداف ولكنه مع الاستمرار عليها يغفل عن

---

(١) السعدي ، التوضيح والبيان ، الكاملة / العقيدة ، ص ٩٠ . (مرجع سابق)
(٢) السعدي ، (المرجع السابق) ، ص ١٠٧ .
(٣) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، الكاملة / التفسير ، ج ١ ص ١٧٣ . (مرجع سابق)

استشعار منة ا لله عليه بها ، وعن شكر ا لله عليها ، لهذا فالسعدي يلفت النظر إلى أهمية التدبر المستمر لنعم ا لله ، لأن ذلك التدبر يجعل العبد أكثر قرباً للوصول إلى الغاية من هذه الأهداف فيقول : ((العبد ينبغي له أن يتدبر نعم ا لله عليه ، ويستبصر فيها ويقيسها بحال عدمها فإنه إذا وازن بين حالة وجودها ، وبين حالة عدمها ، تنبه عقله لموضع المنة ، بخلاف من جرى مع العوائد ، ورأى أن هذا أمر لم يزل مستمراً ولا يزال ، وعمي قلبه عن الثناء على ا لله ، بنعمه ورؤية افتقاره إليها في كل وقت ، فإن هذا لا يحدث له فكرة شكر ولا ذكر)) [(١)] ، فوازع الذكر والشكر لله عز وجل لا يوجد إلا بالموازنة والمقايسة بين وجود نعم ا لله الحسية والمعنوية ، وبين عدمها ، وهذا الشكر والذكر لله مما يقوي الإيمان با لله وحده وتلك الغاية من التربية في الإسلام .

ثانياً : الأهداف العقلية

تهدف التربية عند السعدي إلى وجوب تنمية ذكاء الإنسان ، وتنمية قدرته العقلية ، وهذه التربية العقلية تتم ((بتمرين الذهن على التدبر والتفكير ، وتقليب الأمور على كل وجه ممكن مما يرقي الذهن وينميه ، ويوسع دائرة المعارف ، وعدم ذلك أو قلته مما يضعف القريحة ويخمد الفكر ، ويحدث البلادة)) [(٢)] ، فهذا فيه دعوة الإنسان لإعمال فكره ونظره في آيات قرآنه الكريم وآيات كونه العظيم ، وفي النفس البشرية ،

---

(١) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج ٦ ص ٥٣ ، ٥٤ .

(٢) السعدي ، الرياض الناضرة ، الكاملة / الثقافة ، ج ١ ص ٤١٤ (مرجع سابق)

وذلك مما يقوي الذاكرة والتذكر الذي ينتج عنه تقوية الإيمان با لله وحده، وذلك الإيمان هو الغاية الكبرى من التربية ، ويوضح السعدي الطريقة التي بها يترقى الفكر ، وتتوسع دائرة العقل ، ويقوى الذهن ، وأن ذلك يتم عن طريق ((الإشتغال بالعلوم النافعة ، وكثرة التفكر فيها والإبتداء فيما يسهل على العبد منها ، ثم يتدرج به إلى ما فوقه ، وتعويد الذهن السكون إلى صحيح العلوم وصادقها وذوده عن فاسدها وكاذبها وما لا نفع فيه منها ، فإن من تعود السكون إلى الصدق والصحيح ، والنفور من ضده فقد سلك بفكره وذهنه المسلك النافع ، وليداوم على كثرة التفكر والنظر ، كما حث ا لله على ذلك في كتابه في عدة آيات ، وأنفع ما ينبغي تمرين الذهن عليه كلام ا لله وكلام رسوله فإن فيهما الشفاء والهدى مجملاً ومفصلاً))[1] .

ويوضح السعدي بعض الثمرات المرجوة من كثرة التدبر والتفكر في آيات ا لله القرآنية والكونية ، وأن بذلك التفكر يحصل ((تفتيح الأذهان ، وتوسيع الأفكار والمعارف الصحيحة ، والعقول الرجيحة ، مالا يمكن الوصول إليه بدون ذلك ، وكذلك التفكر فيما دعا ا لله عباده إلى التفكر فيه من السموات والأرض وما أودع فيهما من المخلوقات والمنافع ليستدل بها على التوحيد والمعاد والنبوة وبراهين ذلك ، وليستخرج منها ما فيها من المنافع النافعة للناس في أمور دينهم ودنياهم ، فمن عوَّد نفسه ودربها

(١) السعدي ، الرياض الناضرة ، الكاملة / الثقافة ، ج ١ ص ٤٨٩ (مرجع سابق)

على كثرة التفكر في هذه الأمور وما يتبعها ، فلا بـد أن تـترقى أفكـاره ، وتتسع دائرة عقله ، وينشحذ ذهنه ، ومن تـرك التفكـير جمـدت قريحتـه ، وكلّ ذهنه ، واستولت عليه الأفكار التي لا تسمن و لا تغني مـن جـوع ، بل ضررها أكثر من نفعها)) [1] .

فالتربية تهدف إلى تقوية ملكة العقل والفكـر ، وذلـك لا يتـم إلا عـن طريق :

١- التفكر الدائم في مخلوقات ا لله الكونية والنفسية .

٢- إعمال الفكر والذهن في تفهـم معـاني آيـات كتـاب ا لله ، وسـنة رسوله.

٣- تعويد الذهن على التفكير في العلوم النافعة في الدنيا والأخرى .

وتنحصر مادة العلم النافع عند السعدي بأنه ((ما جاء به الرسول مـن الكتاب والسنة)) [2] .

ويوضح السعدي ذلك العلم النافع بأنه شامل للعلوم الدينيــة ، والعلـوم الدنيوية ، كما جاءت به الشريعة الإسلامية فيقول : ((أما العلوم الدينيــة فقد فصلَتْها تفصيلاً بعدما أصَلَتْها تأصيلاً ، والعلـوم الدنيويـة أسَّسَـتْ لهـا الاصول والقواعد ، وهدت إليها وأرشدت لها العباد ، فما من علـم نـافع إلا بينته ، وبهذا يسير العلم الصحيـح علـى الطريـق المسـتقيم ، ويتسـاعد علم الدين وعلم الدنيا ، وما يتعلق بالروح وما يتعلق بالجسد)) [3] .

---

(١) السعدي ، (مرجع سابق) ، ج ١ ص ٤٩٠

(٢) السعدي ، الفتاوى السعدية ، الكاملة / الفتاوى، ص ١٦ (مرجع سابق)

(٣) السعدي ، الأدلة القواطع ، الكاملة / الثقافة ، ج ٢ ص ٣٤٥ (مرجع سابق)

٤- أن القرآن امتدح كثيراً أهل العقول الذين يوظفون عقولهم فيما امرهم ا لله وان ذلك مما يقوي ملكة العقل عندهم ، وفي ذلك يقول السعدي : ((إن معرفة ما أنزل ا لله إلينا من أعظم ما يربي عقولنا ويجعلها عقولاً تفهم الحقائق النافعة والضارة ، وترجح هذه - النافعة - على هذه - الضارة - ولا تميل بها الأهواء والأغراض والخيالات ، والخرافات الضارة المفسدة للعقول)) [(١)] ، وبهذه المكانة للتربية العقلية في الإسلام ، يتجلى للقارئ أهمية دعوة القرآن الكريم لتنمية الفكر الذي يشمل جميع الوظائف العقلية للإنسان وهذا بدوره يؤدي إلى (بناء المفاهيم) الإسلامية الصحيحة عن الإنسان والكون والحياة والدنيا والأخرى ، وبالفهم الصحيح لهذه المعالم يدرك الإنسان (مكانه) الصحيح من هذه الحياة ، وأنه موجود فيها للعمل على تحقيق الغاية الكبرى من التربية ألا وهي عبادة ا لله وحده .

ثالثاً : الأهداف السلوكية

تهدف التربية في نظر السعدي إلى وجوب بناء كيان الإنسان على الأخلاق الفاضلة والعادات الحميدة ، حتى يقوم المجتمع بأسره على مجموعة من القيم والمثل العليا .

ولهذا فإن السعدي أشار إلى أهم المقومات الأخلاقية التي بها تتحسن أخلاق الإنسان وسلوكياته ، ومن ذلك :

---

(١) السعدي ، خلاصة التفسير ، الكاملة / التفافة ، ج ٨ ص٤٥١(مرجع سابق)

أ- الإيمان با لله :

قوة الإيمان با لله ، وتمام اليقين بأن ا لله هو المتصرف في هذا الكون يرفع من يشاء ويخفض من يشاء ، بيده الأمر كله ، وإليه يرجع الأمر كله، متى ما تحقق ذلك في نفس المؤمن فإن ولاءه سيتحرر لله وحده ، فيتحرر من رق المخلوقين ، عند ذلك تتربى نفسه على الشجاعة الإيمانية، والصدع بكلمة الحق لا تخاف من أجل ا لله لومة لائم ، ويصور السعدي ذلك بقوله ((متى تيقن العبد ان ا لله هو النافع الضار المعطي المانع ، وان من اعتز به فهو عزيز ، ومن التجأ لغيره فهو الذليل وأن الخلق كلهم فقراء إلى ا لله لا ينفعون ولا يضرون ، أوجب له ذلك القوة با لله والالتجاء إليه، وأن لا يخاف ولا يرجو أحداً غير ا لله ، ولا يطمع إلا في فضله وبهذا يتم له التحرر من رق المخلوقين ، وأن لا يعلق قلبه بأحد منهم في نفع ولا دفع ضر ، بل يكون ا لله وحده مولاه ، وناصره يتولاه في طلب المنافع ويستنصره في دفع المضار ، فيتم له من كفاية المولى وتيسير أموره ما لا يتم لمن لم يكن معه هذا الإيمان، ويحصل له من قوة القلب وشجاعته ما لا يصل إليه من لم يبلغ درجته، وهذا كله من ثمرات الإيمان الصحيح))(١)، ويقول السعدي أيضاً: ((فمتى قوي إيمان العبد با لله وبقضاءه وقدره، وقوي يقينه بالثواب والعقاب وتم توكله على ا لله ، وثقته بكفاية ا لله ، وعلم أن الخلق لا يضرون ولا ينفعون ، وأن نواصيهم بيد ا لله ، وعلم الآثار الجليلة الناشئة عن الشجاعة متى تمكنت هذه

---

(١) السعدي ، الرياض الناضرة ، الكاملة / الثقافة ، ج ١ ص ٣٧٤ (مرجع سابق)

المعارف من قلبه قوي قلبه واطمأن فؤاده وأقدم على كل قول وفعل ينفع الإقدام عليه ، ولا بد لمن كانت هذه حاله أن يمده ا لله بمدد من عنده لا يدركه العبد بحوله ولا قوته)) [1] ، فالتربية تهدف لتكوين هذا المعلم الأخلاقي الإيماني في نفس المسلم .

ب- تقوية الجانب الأخلاقي للمسلم :

تهدف التربية في الإسلام إلى الإرتقاء بالمستوى الأخلاقي للإنسان وتعريفه بفوائد وثمرات حسن الخلق ، مما يدعوه إلى الإلتزام به ، ويشير السعدي إلى أهم ثمرات حسن الخلق بقوله : ((حسن الخلق ومكارم الأخلاق تحبب العبد إلى أعدائه ، وسوء الخلق ينفر عنه أولاده وأصدقائه، من مزايا حسن الخلق أن صاحبه يتمكن من إرضاء الناس على اختلاف طبقاتهم ...)) [2] .

ج- العدل مع الآخرين :

إقامة العدل بين طبقات المجتمع أحد المعالم التي تقوم عليها التربية الأخلاقية عند السعدي ، ويركز على وجوب العدل في كل شيء ومع كل أحد، لأنه بالعدل تقوم مصالح الناس وتتم سعادتهم، فيقول: ((فلا يصلح الدين إلا بالعدل ، ولا تصلح الدنيا وتستقيم الأمور على السداد إلا بالعدل ، ويوم واحد من إمام عادل خير من أن يمطروا أربعين صباحاً، لأن العدل يسعد به الراعي والرعية وبالعدل تعمر الأسباب الدنيوية ،

---

(١) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج ١ ص ٤٠١ .
(٢) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج ١ ص ٤٢٣ .

ويحصل التعاون على المصالح الكلية والجزئية)) [١] ، فالعدل مسلك تربوي هام تهدف التربية الإسلامية لتحقيقه في نفس المسلم .

د- أداء الأمانة :

يوضح السعدي الكيفية التي يكون بها الإصلاح العام فيقول : ((فالأمانات يدخل فيها أشياء كثيرة من أجلها " الولايات " الكبيرة والصغيرة والمتوسطة الدينية والدنيوية ، فقد أمر الله أن تؤدى إلى أهلها بأن يجعل فيها الأكفاء لها ، وكل ولاية لها اكفاء مخصوصون ، فهذا الطريق الذي أمر الله به في الولايات من أصلح الطرق لصلاح جميع الأحوال ، فإن صلاح الأمور بصلاح المتولين والرؤساء فيها ، والمدبرين لها ، والعاملين عليها ، فيجب تولية الأمثل فالأمثل ، ولن يتم ذلك للأمة على ما أرشد الله وأمر إلا بأن يشعر كل واحد بالواجب عليه لنفسه ومالها وما عليها من الأمانات)) [٢] .

هـ- الإيثار التام :

ومن الأهداف الأخلاقية التي تستهدفها التربية في نظر السعدي : دعوة الإنسان للإيثار ونبذ البخل والشح ، وأن الفلاح في الدنيا والآخرة إنما هو مرتبط بالإيثار والبذل ، بينما الخسار مقترن بالشح والبخل ، ويوضح السعدي كيفية الوقاية من الشح فيقول : ((ومن رزق الإيثار فقد وقي شح نفسه ﴿ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ « سورة

(١) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج١ ص ٣٩٢ .
(٢) السعدي ، القواعد الحسان ، الكاملة / التفسير ، ج ٨ ص ١٠٩ (مرجع سابق)

الحشر: آية ٩ » ووقاية شح النفس يشمل وقايتها في جميع ما امر ا لله به ، فإنه إذا وقيَ العبد شح نفسه سمحت نفسه بأوامر ا لله ورسوله ففعلها طائعاً منقاداً منشرحاً بها صدره ، وسمحت نفسه بترك مانهى ا لله عنه وإن كان محبوباً للنفس تدعو إليه ، وتتطلع إليه ، وسمحت نفسه ببذل الأموال في سبيل ا لله، وابتغاء مرضاته وبذلك يحصل الفلاح والفوز))[١]، فالسعدي يلفت النظر إلى أن الوقاية من الشح ليست فقط في المال بل إنها في طاعة ا لله ورسوله ، فمن أطاعهما فقد وقي شح نفسه لفعله الأوامر ، وترك المناهي ، فهذا الخلق يرتبط بسلوك الإنسان مع خالقه ، ومع نفسه، ومع بني مجتمعه .

و- حسن المعاملة مع الناس :

فالتربية الخلقية توجب على المسلم أن يكون عضواً صالحاً في المجتمع ، والسعدي يبين الطريقة المثلى التي يتعامل بها الإنسان مع بني مجتمعه وذلك بأن ((يمرن نفسه على التخلق بالأخلاق الجملية مع الخلق على اختلاف طبقاتهم ، فيحسن خلقه للصغير والكبير ، والشريف والوضيع ويعفو عمن ظلمه ، ويعطي من حرمه ، ويحسن إلى من أساء إليه بقول أو فعل))[٢] .

((ونظراً لما يحصل للإنسان من جراء المخالطة مع الناس حيث إنه

(١) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، الكاملة / التفسير ، ج ٧ ص ٣٣٥ ، ٣٣٦ (مرجع سابق)
(٢) السعدي ، الرياض الناضرة ، الكاملة / الثقافة ، ج ١ ص ٤٨٩ (مرجع سابق)

معرض في هذا العالم لأن يعتريه الغضب ويسيطر عليه مما يناله من أذى الغير له ، أو الاستهانة به ، أو التعدي عليه وعلى حقوقه)) [1] ، لهذا فإنه يجب عليه كظم غيظه والعفو عمن ظلمه ليكون من المحسنين الصادقين .

ز- مكانة الصبر وأهميته :

الصبر أحد مقومات التربية الخلقية ونظراً لما يحدث للإنسان من مصائب ومشاكل في هذه الحياة فإنه لابد وأن ((يوطن نفسه على كل أمر ممكن حدوثه من الناس ، من أقوال وأفعال وعلى الصبر عليه عون كبير على التوفيق لهذا الخلق الجليل ، وكذلك يمرن نفسه ويروضها على النصح لجميع الخلق بقوله وفعله وجميع حركاته)) [2] .

ح - أهمية الشكر لله في حياة المسلم :

للشكر مكانته في حياة المسلم ، فبه تستجلب النعم ، وتستدفع النقم ، بل هو عين الحياة الطيبة ، فالشاكر ينتظر المزيد بشكره لله ، فالشكر ركيزة من ركائز التربية الخلقية في الإسلام لهذا بين السعدي أهميته ومكانته بقوله : ((الشاكرون أطيب الناس نفوساً ، وأشرحهم صدوراً ، وأقرهم عيوناً ، فإن قلوبهم ملآنة من حمده والإعتراف بنعمه والإغتباط بكرمه ، والابتهاج بإحسانه ، وألسنتهم رطبة في كل وقت بشكره وذكره ، وذلك أساس الحياة الطيبة ونعيم الأرواح ، وحصول جميع اللذائذ والأفراح ، وقلوبهم في كل وقت متطلعة للمزيد ، وطمعهم

---

(١) ياجلن والقاضي، علم النفس التربوي في الإسلام، ص ١٧٧ (مرجع سابق)

(٢) السعدي ، الرياض الناضرة ، الكاملة / الثقافة ، ج ١ ص ٤٨٩ (مرجع سابق)

ورجاؤهم في كل وقت بفضل ربهم يقوى ويزيد)) [١] ، والمسلم الذي تتربى نفسه على دوام الشكر لله وحده ، فإنه يتمتع بنعم الله ويغنم ثواب الله ، عكس الآخرين الذين يتناولون النعم بنهمة بهيمية ويغفلون عن الشكر ، فإن النعم إذا زالت عن الجميع فإن المؤمنين غنموا الثواب من الله، بينما الآخرين انتهت نعمهم عند آخر استمتاع وجدوه بها ، وفي تصوير ذلك يقول السعدي : ((فمتى عرف العبد المقصود من النعم ، وانها مجعولة وسائل إلى خيرات الآخرة ، اجتمع له الأمران : التمتع بها عاجلاً ، والاستفادة من خيراتها آجلاً فيؤدي واجبها ومستحبها ، وبذلك تكون نعماً حقيقية دينية ودنيوية عكس حالة المنحرفين عما جاءت به الشريعة ، الذين يتمتعون بها كما تتمتع الأنعام السائمة ، ويتناولونها بمقتضى الشهوة البهيمية، فالنعم في حقهم سريعة الزوال))[٢].

فالخلاصة هي أن التربية السلوكية الأخلاقية في الإسلام تهدف إلى دعوة المسلم إلى كل خلق كامل وأدب جميل وذلك شامل لكافة نواحي حياة المسلم مع خالقه ومع نفسه ومع الآخرين ، ويوضح السعدي هذه التربية الأخلاقية بقوله : ((دين الإسلام يدعو إلى كل علم نافع في الدين والدنيا ، ويدعو إلى كل خلق كامل وأدب جميل كالإخلاص لله والنصح لعباد الله والتوكل على الله والإلتجاء إليه في جميع النوائب ، والطمأنينة بذكره ، والشكر له على آلائه ونعمه ، والصدق التام ، والقيام بالقسط

---

(١) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج ١ ص ٤٢٧ .

(٢) السعدي، الدين الصحيح يحل جميع المشاكل، الكاملة / الثقافة ، ج ١ ص ٣٥٢ . (مرجع سابق)

في حقوق الله وحقوق عباده ، والندب إلى الفضل والإحسان الزائد عن الفرض ، والشجاعة والكرم ، والوفاء بالعهود والعقود ، وحسن المعاملة ، وسلوك طريق التوسط في الأمور كلها ، والعفو وحسن الخلق ، وتربية الأهل والأولاد وكل من للمسلم عليهم ولاية ، وينهى - أي دين الإسلام - عن أضداد ذلك ، فمعرفة ما يدعو إليه هذا الدين ، ويحث الخلق عليه من البراهين على أنه الحق)) [(١)] .

فالأهداف الأخلاقية للتربية في نظر السعدي ((تعمل على تنمية الجانب الأخلاقي عند المسلم ، ذلك الجانب الذي يأمر بالخير ويفعله ، وينهى عن الشر ويبتعد عنه ، ولقد كان الرسول ﷺ هو الأنموذج الواقعي الحي للشخصية الإسلامية المتكاملة الشاملة لأخلاقيات الإسلام التي تربى عليها، قالت عائشة رضي الله عنها في وصف خلق الرسول ﷺ : « **كان خلقه القرآن** » [(٢)] وربى عليها أصحابه ﷺ ، وحثهم على السير في المنهج الخلقي للتربية القرآنية والمحمدية ... فتربت تلك الأمة المؤمنة على فضيلة الصدق والأمانة، وعلى التواضع والمحبة، وعلى العمل والصبر ، وعلى الحلم والأناة والرفق ، وعلى التوكل والتسامح ، وعلى الرحمة والكرم ، وعلى مراعاة حقوق الغير وأداء واجباتهم كاملة)) [(٣)] .

---

(١) السعدي ، وجوب التعاون بين المسلمين ، الكاملة / الثقافة ، ج ١ ص ٢٣١ . (مرجع سابق)

(٢) البغوي ، شرح السنة ، ج ١٣ ص ٧٦ . (مرجع سابق)

(٣) عطار ، ليلى عبد الرشيد ، الجانب التطبيقي في التربية الإسلامية ، جدة : دار تهامة ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) ص ٣٤ .

رابعاً : الأهداف الجهادية

لأهمية التربية الجهادية للإنسان فإن السعدي قد ألف كتاباً في هذا الموضوع أسماه بـ " الجهاد في سبيل الله " وبين فيه أهمية الجهاد في سبيل الله في حياة الأمة الأسلامية ، وأصوله وحالات الناس في سلوك سبيله ، مشيراً إلى واقع المسلمين تجاه فريضة الجهاد ، موضحاً أن الجهاد في سبيل الله ((يحقق أهدافاً)) كبيرة عظيمة في حياة الأمة المسلمة ، ولهذا فإنه بقدر ما تترسخ مكانةالجهاد في نفوس المسلمين بقدر ما يزداد حماسهم واندفاعهم تجاهه والقيام به ، وحيث إن ثمرة الجهاد تتلخص في تحقيق الحرية لعامة الناس ، فإن القيام به من أشرف الأعمال ، ولهذا عده الشارع الحكيم : « **ذروة سنام الإسلام** » ويعرفه السعدي بأنه : ((بذل المجهود في تقوية المسلمين ، تقويةً معنويةً وتقويةً ماديةً ، وبذل المجهود في مقاومة الأعداء ، وفي سلوك كل طريق يحصل به دفع شرهم والنكاية بهم)) [١] .

فكل جهد مادي أو معنوي يبذله المسلم في سبيل تقوية كيان الأمة الإسلامية مادياً أو معنوياً فإن ذلك من الجهاد ، ويعظم الثواب عند الله بحسب ما يقوم في نفس المسلم من قصد لوجه الله تعالى بهذا العمل لأن الرسول ﷺ قال « **إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل أمرئ ما نوى** » رواه البخاري وغيره [٢] ، ويقرر السعدي بأن الجهاد من ((أفضل الأعمال ،

---

(١) السعدي، الجهاد في سبيل الله ، الكاملة / الثقافة، ج ١ ص١٥٩ (مرجع سابق)

(٢) البخاري ، صحيح البخاري بحاشية السندي ، ج ١ ص ٦ . (مرجع سابق)

وأنه أفضل من استغراق الزمان بالصوم والصلاة)) [١] .

وحيث أن للجهاد فضيلة عظمى عند الله عزوجل ، فإن كثيراً من النفوس قد يتملكها الشوق العظيم لذلك الثواب فتندفع للقيام به دون التخطيط المسبق له ، والاعتبار بحالة المسلمين العامة من حيث القوة والضعف .

والقيام بالجهاد البدني دون النظر في حال المسلمين يعتبر تهوراً وإلقاء بالنفس إلى التهلكة ، لذلك نجد أن السعدي يوضح أن للجهاد حالين :

الحال الأولى : حال الضعف العام ، وفيها ينبغي للمسلم ((الاقتصار على الدعوة إلى الدين وبيان محاسنه وجذب الناس إليه وجهادهم بالدعوة)) [٢] .

والحال الثانية : حال القوة والمنعة ، وفيها ينبغي للمسلم ((الجهاد باليد مع الجهاد بالدعوة)) [٣] .

وقد يتصور كثير من الناس أن الجهاد في سبيل الله إنما هو خاص بمقارعة الأعداء باللسان أو السنان ، ولكن السعدي يدفع ذلك الإيهام ويبين أن القيام بمهمة التعليم من أعظم الجهاد فيقول ((ومن أعظم الجهاد سلوك طرق التعلم والتعليم)) [٤] ، ولكن يشترط لكونه جهاداً في سبيل الله ، أن يُقْدِمَ المعلم والمتعلم على العلم بقصد طلب رضى الله تعالى ،

---

(١) السعدي، الجهاد في سبيل الله ، الكاملة / الثقافة، ج١ ص ١٦٠ (مرجع سابق)
(٢) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج ١ ص ١٦٤ .
(٣) السعدي، الجهاد في سبيل الله ، الكاملة / الثقافة، ج١ ص ١٦٤ (مرجع سابق)
(٤) السعدي ، الفتاوى السعدية ، الكاملة / الفتاوى ، ص ٣٦. (مرجع سابق)

وأن لا يكن همه فقط المقاصد الدنيوية فيقول : ((فإن الاشتغال بذلك - التعلم والتعليم - لمن صحت نيته لا يوازيه عمل من الأعمال ، لما فيه من إحياء العلم والدين وإرشاد الجاهلين)) [١] .

ونظراً لأهمية اجتماع كلمة المسلمين في باب الجهاد في سبيل الله نجد أن السعدي يؤكد على أهمية ذلك وضرورته فيقول : ((فإن أصل الجهاد الذي لا يستقيم إلا به اتفاق الكلمة وارتباط المسلمين بالأخوة الدينية ارتباطاً وثيقاً)) [٢] .

ويحذر السعدي من الحرب النفسية التي يبثها الأعداء في صفوف الأمة الإسلامية فيقول : ((إن الكسلان الذي تملكه الخور واليأس ، أي شيء يرتقب وأيُ خير ينتظر ؟ أليس الوهن والضعف والجبن أكبر سلاح للأعداء ، وهي الطريق الوحيد للذل والإهانة والسقوط إلى أسفل سافلين)) [٣] .

ونظراً لما عليه حال المسلمين في زمن السعدي إلى يومنا هذا من الضعف ، والتخاذل عن الجهاد ، نجد أن السعدي يشعل جذوة الجهاد في النفوس الناكلة عن الجهاد بقوله : ((تا لله لقد حرم الناكلون عن الجهاد خيراً كثيراً ، ولقد سعوا فيما يسبب الذل ، وخسروا خسراناً كبيراً ، فأين الشهامة الدينية ، وأين الغيرة الإيمانية ، وأين الرغبة في الخير ؟ يا عجباً لمؤمن يرى أهل الباطل يجدون ويألمون في نصر باطلهم ، وهم لا

(١) السعدي ، (المرجع السابق) ، ص٣٦ .
(٢) السعدي ، الجهاد في سبيل الله ، الكاملة/ الثقافة ، ج١ ص١٦٠ (مرجع سابق)
(٣) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج١ ص١٦١ .

غاية لهم شريفة يطلبونها ، وهو مخلد إلى الكسل عن نصر الحق الذي يترتب على نصره من الخيرات العاجلة والآجلة ما لايمكن التعبير عنه ، كل ذلك خوفاً من المشقة وزهداً في إعانة المسلمين في ماله أو بدنه وقوله وفعله ، بل زهداً في مصالح نفسه الحقيقية)) [١] .

رحم الله السعدي كأنه بكلامه هذا ينظر إلى جهود المنصرين في سبيل دعوتهم ويقارن ذلك بحال أبناء المسلمين الذين لم يقصروا في سبيل دعوتهم فقط ، بل إنهم صاروا قدوات سيئة عن أمتهم ودينهم عندما يسافرون إلى البلاد الكافرة ، فضعفهم في جانب الجهاد في سبيل الله ضعفين ، مرةً بعدم قيامهم بواجب المجاهدة ، ومرة أخرى بتمثيلهم لدينهم تمثيلاً سيئاً ، فلم يستقيموا على آدابه وأخلاقه حق الإستقامة ، لهذا كان ضررهم على أنفسهم وأمتهم كبير .

وحرصاً من السعدي على طبع نفوس التلاميذ على حب الجهاد فإنه وجه المعلمين إلى أهمية التدريب الروحي والبدني للتلاميذ من خلال مناهج التعليم في المدارس فقال : ((عليهم – يعني المعلمين – أن يربوهم تربية عالية ويبعثوا فيهم روح الدين وأخلاقه الجميلة ، والحزم والعزم ، وجميع مبادئ الرجولة والفتوة والمروءة وأن يدربوهم على الصبر وتحمل المشاق الذي يفضي إلى النجاح والمثابرة في كل عمل نافع ويحذرهم من الجبن والكسل والسير وراء الطمع والمادة)) [٢] .

---

(١) السعدي ، الجهاد في سبيل الله ، الكاملة/ الثقافة ، ج١ ص١٦٨ (مرجع سابق)

(٢) السعدي ، وجوب التعاون بين المسلمين ، الكاملة / الثقافة ، ج١ ص١٩٩ .
(مرجع سابق)

خامساً : الأهداف الاجتماعية

الدين الإسلامي جاء لهداية البشر ، وإصلاح المجتمعات الإسلامية وذلك (بتأليف قلوب المسلمين ، واجتماعهم على دينهم ومصالحهم الدينية والدنيوية)[١] ، فالتربية الإسلامية تهدف إلى تأليف الاجتماع البشري على مصالح الدين والدنيا لا يكون إلا بحسن المعاشرة الاجتماعية لكافة طبقات المجتمع ، وفي المجتمعات المختلطة بين المسلمين وغيرهم أن يتميز المسلم بدينه ، وأن تسود الرحمة الحياة الاجتماعية ، والعمل على تاهيل أبناء المجتمع علمياً ومهنياً حسب قدراتهم مع التأكيد على حسن الإفادة من الاختراعات الحديثة ، وذلك كله مرهون بتمام الانقياد لأوامر الإسلام ، حتى تتحقق الأهداف التربوية داخل المجتمع الإسلامي ، ولقد ركز السعدي على ضرورة تحقيق الأهداف التربوية الاجتماعية التالية :

الهدف الأول : تحقيق الوحدة الإسلامية

إن تقوية الروابط الإيمانية بين المسلمين مما يقوي الوحدة بين المسلمين وهذه الوحدة الفكرية والسياسية والإقتصادية تعني القوة الكبرى أمام الأعداء ، ولأهمية الوحدة هذه اعتبرها السعدي من أعظم الجهاد في سبيل الله حيث قال : ((فإن من أعظم الجهاد السعي في تحقيق هذا الأصل – الوحدة الإسلامية – في تأليف قلوب المسلمين ، واجتماعهم على دينهم ومصالحهم الدينية والدنيوية ، في جميع أفرادهم وشعوبهم ، وفي ربط الصداقة والمعاهدات بين حكوماتهم بكل وسيلة ، ومن أنفع الأمور أن

(١) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج١ ص ١٨٧ .

يتصدى لهذا الأمر جميع طبقات المسلمين من العلماء والأمراء والكبراء وسائر الأفراد منهم ، كل أحد يجد بحسب إمكانه ، فمتى كانت غاية المسلمين واحدة وهي " الوحدة الإسلامية " وسلكوا السبل الموصلة إليها، ودافعوا جميع الموانع المعوقة والحائلة دونها ، فلا بد أن يصلوا إلى النجاح والفلاح)) [١] ، ويؤكد السعدي على ضرورة توحيد الكلمة ووحدة الصف في مجال العلم والتعليم فيقول : ((ومن أهم ما يتعين على أهل العلم معلمين أومتعلمين ، السعي في (جمع كلمتهم) وتأليف القلوب على ذلك ، وحسم أسباب الشر والعداوة والبغضاء بينهم)) [٢]، ويوضح أن هذا الاجتماع بين أهل العلم له فوائد عظيمة تتلخص في طاعة الله ورسوله ، وأن ذلك دليل الإخلاص لله في طلب العلم ، وتكثير العلم ، وتوسيع نطاق الوصول إليه ، وتنوع طرق التعليم ، فيقول : ((فإن في تحقيق هذا - جمع كلمتهم - المقصد الجليل والقيام به من المنافع ما لا يعد ولا يحصى ، ولو لم يكن فيه إلا أن هذا (هو الدين) الذي حث عليه الشارع بكل طريق ، وأعظم من يلزم القيام به أهله ، وأنه من أعظم الأدلة على الإخلاص والتضحية اللذين هما روح الدين وفيه من تكثير العلم ، وتوسعة الوصول إليه ، وتنوع طرقه ماهو ظاهر ، فإن أهل العلم إذا كانت طريقتهم واحدة تمكن أن يتعلم بعضهم من بعض ، وأن يعلم

---

(١) السعدي ، وجوب التعاون بين المسلمين ، الكاملة / الثقافة ، ج١ ص ١٨٧ . (مرجع سابق)

(٢) السعدي ، الفتاوى السعدية ، الكاملة / الفتاوى ، ص ٤٥٥ (مرجع سابق)

بعضهم بعضاً)) [١]، وهذا الهدف مهم في تحقيق العملية التعليمية لدورها، فإنه بقدر ما تكون هناك (وحدة) بين الجهات التعليمية سواء في المراحل التعليمية ، أو عند المعلمين فيما بينهم أو عند التلاميذ بعضهم مع بعض ، فهذه الوحدة بينهم تحقق الهدف الأسمى من تعليمهم ، وذلك بتبادل الخبرات التعليمية والعلمية بينهم ، وتوجيه بعضهم لبعض من أجل تحقيق الخير لهم ولأمتهم .

الهدف الثاني : حسن المعاشرة الاجتماعية

ومن أهداف التربية في المجتمعات الإسلامية ، تعويد الفرد على أن يحسن المعاشرة الأجتماعية لبقية أفراد مجتمعه ، فالخلطة الاجتماعية ضرورة، وتبادل المصالح مع الاخرين حاجة ماسة ، لهذا وجب رسم الطريق الصحيح لكيفية التعامل الاجتماعي من قبل الفرد مع مجتمعه ، والسعدي يولي هذا الأمر اهتماماً، ويوضحه غاية الإيضاح لأن المخالطة: ((مما يتعلق به – بها – سرور الحياة ، ونعيمها ، أو همها وغمها ، معاشرة الخلق على اختلاف طبقاتهم فمن عاشرهم بما يدعو إليه الدين إستراح ، ومن عاشرهم بحسب ما تدعو إليه الأغراض النفسية ، فلا بد أن يكون عيشه كدراً وحياته منغصة)) [٢] ، فالسعدي جعل هناك ميزاناً في التعامل مع الآخرين حيث قسم طبقات المجتمع إلى ثلاث أصناف :

---

(١) السعدي ، (المرجع السابق) ، ص ٤٥٦ .

(٢) السعدي ، إنتصار الحق ، الكاملة / الثقافة ، ج ٢ ص ٤١٦ (مرجع سابق)

أ- الصنف الأول : (طبقة الرؤساء)

ب- الصنف الثاني : (طبقة المرؤوسين)

ج- الصنف الثالث : (طبقة النظراء)

وعلى ضوء ذلك التصنيف بين السعدي الموقف المناسب للفرد تجاه أفراد المجتمع ، لأن ((نوع الشخصية التي سيؤول إليها - الفرد - في أي مرحلة من مراحل نموه تعتمد على التفاعل الحادث بينه وبين بيئته الاجتماعية)) [١] .

ولذلك بين السعدي موقف الفرد تجاه أفراد مجتمعه الأخرين حتى يتوفر لدى الأفراد ((التواؤم والتوافق في حيز التركيب الاجتماعي المعقد ، ومساعدتهم على أن يقوموا بأدوار اجتماعية خاصة باعتبارهم أعضاء في أكثر من جماعة منظمة)) [٢] .

١- فالفئة الأولى : (طبقة الرؤساء) وهم كل ((من له رياسة حكم، أو ثروة وله أتباع وحاشية)) [٣] ، فهذا الرئيس موقفه من أتباعه وحاشيته ومن تحت يده إما أن ((يستعمل العدل معهم ، ويستعمل النصح والإحسان ، ويقابل المسيء منهم بالعفو ، ويشكرهم على فعل المعروف والخير ، مبتغياً بذلك وجه الله)) [٤] ، فهذا إذا ((تأمل ما فعله

---

(١) نبيه يس، أبعاد متطورة للفكر التربوي، (القاهرة، مكتبة الخانجي، د . ت) ص٥٣

(٢) يس ، أبعاد متطورة للفكر التربوي ، ص ٧٦ (مرجع سابق)

(٣) السعدي ، إنتصار الحق ، الكاملة / الثقافة ، ج ٢ ص ٤١٦ .(مرجع سابق)

(٤) السعدي ، إنتصار الحق ، الكاملة / الثقافة، ج ٢ ص ٤١٧ . (مرجع سابق)

من خير اطمأنت نفسه وانشرح صدره)) [١] ، وإما أن ((لا يبالي بظلم الناس في دمائهم وأموالهم وأعراضهم ولا يبالي بسلوك طرق العدل والإنصاف)) [٢] ، فهو مع رعيته ((غير مطمئن على حياته ولا على نعمته)) [٣] .

٢- والفئة الثانية : (طبقة المرؤوسين) فهذا المرؤوس ((إن أطاع الدين في وظيفته وأطاع حاكمه ، أو سيده ، أو والده ... فهو مع طاعته لله ورسوله قد استراح وأراح، وطابت عنه نفس رئيسه، وأمن عقوبته... وأما من تعدَّى طوره وعصى متبوعه والتوى ، فإنه لا يزال متوقعاً لأنواع المضار)) [٤] فيجب أن يكون موقفه من رئيسه موقف المطيع له في المعروف ، فلا يشاكس أو يخالف في الأمور التي تختلف فيها الأنظار وتتعدد الإجتهادات .

٣- والفئة الثالثة : (طبقة النظير) وهو المثيل والمساوي ((فإن جمهور من تعاشرهم من الخلق إذا خالقتهم بالخلق الحسن ، أطمأنت نفسك ، وزالت عنك الهموم ، لأنك تكتسب مودتهم ، وتخمد عداوتهم، مع ما ترجوه من عظيم ثواب الله على هذه العِشرة)) [٥] ، وهذا التقسيم الثلاثي عند السعدي يمكن الإفادة منه عملياً في مجال التعليم، من حيث

---

(١) السعدي (المرجع السابق) ج ٢ ، ص ٤١٦ .

(٢) السعدي (المرجع السابق) ج ٢ ، ص ٤١٦ .

(٣) السعدي (المرجع السابق) ج ٢ ، ص ٤١٦ .

(٤) السعدي (المرجع السابق) ج ٢ ، ص ٤١٦ .

(٥) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج ٢ ص ٤١٧ .

التعامل بين المعلمين مع مديرهم (الرئيس) والمعلمين مع تلاميذهم (المرؤوسين) والتلاميذ مع بعضهم (النظير والمثيل) ، ومتى استقامت معاشراتهم مع بعضهم البعض الآخر ، فإن العلمية التعليمية ستؤتي ثمارها لأن الطبقات الثلاث تعيش حياة الطمأنينة النفسية، وانشراح الصدر ، وزوال الهموم ، وهذا ماتدعو إليه التربية الحديثة حيث ((أن القلق في الصف مضر بالعملية التعليمية بشكل عام ، وإن أي شيء يعمل على تخفيض القلق إنما هو أحد حوافز التعلم)) [١] .

الهدف الثالث : الدعوة إلى الرحمة الاجتماعية

ففي المجتمع يتأكد أكثر وجوب التراحم بين أبناءه وهذا ما يؤكده السعدي بقوله : ((كم في كتاب ا لله من الآيات ، وكم في السنة من النصوص المحكمات التي فيها الحث على الرحمة والشفقة على الخلق ، صغيرهم وكبيرهم ، غنيهم وفقيرهم ، قريبهم وبعيدهم برهم وفاجرهم ، بل وعلى جميع أجناس الحيوان ، وكم مرة فيها من الترغيب في الإحسان، وأن الراحمين يرحمهم الرحمن)) [٢] ، فالرحمة وردت في القرآن في مواضع كثيرة تزيد على مائتي موضع [٣] ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ

---

(١) سيموندز ، برسيفال ، الدروس التي تتعلمها التربية من علم النفس ، ترجمة عبد الرحمن صالح عبد ا لله ، مراجعة أحمد حسن عبد الرحيم ، بيروت : دار الفكر ، ط ٢ ، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م ، ص ١٢٦ .

(٢) السعدي ، الرياض الناضرة ، الكاملة / الثقافة ، ج ١ ص ٤٠٥ (مرجع سابق)

(٣) عبد الباقي ، محمد فؤاد ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، بيروت : دار الفكر ، ط ٤ ، ١٤١٤هـ /١٩٩٤م ص ٣٨٦- ٣٩٢ .

الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ «سورة النحل : آية ٨٩ » وقوله تعالى : ﴿ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ «سورة فاطر : آية ٢ » ، ومن الأحاديث قوله ﷺ : « **من لا يَرحَم لا يُرحَم** » رواه البخاري [١] ، وقوله ﷺ : « **جعل ا لله الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءاً وأنزل في الأرض جزءاً واحداً فمن ذلك الجزء يتراحم الخلق حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه** » رواه البخاري [٢] ، وهذه الرحمة من مقومات وركائز أهداف التربية في المجتمع ، فبها يعيش الفرد مع أفراد مجتمعه باحترام ومحبة ، فالرحمة من المفاهيم الإسلامية الموجهة للسلوك الإنساني ، ولذلك فهذه ((المفاهيم متى غدت ثابتة راسخة في نفوسنا ، وأطمأنت إليها قلوبنا صارت عواطفنا تتأثر بها ، وكانت عقائد راسخة لدينا)) [٣] ، ومفهوم الرحمة يؤدي دوره التربوي بين المعلم والمتعلم ، إذا ماتم ترسيخه في نفوس المعلمين والمتعلمين ، مما يعطي للحياة التعليمية عنصر الإحترام المتبادل بين الأستاذ وتلميذه .

---

(١) البخاري ، صحيح البخاري بحاشية السندي ، ج ٤ ، ص ٥١ (مرجع سابق)

(٢) البخاري ، (المرجع السابق) ، ج ٤ ، ص ٥١ .

(٣) الميداني ، عبد الرحمن حسن ، تدبر سورة الفرقان في وحدة موضوع ، دمشق : دار القلم ، ط ١ ، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م ، ص ٣٤٠ .

الهدف الرابع : ضرورة التمهين الاجتماعي

((حيث أننا نحيا في عصر ابتكار وتجديد فإن التربية الوظيفية يجب أن تهيء الفرد للعمل الذي لم يتواجد بعد والذي لا يمكن تحديده بوضوح))[١] .

والسعدي يبرز التوجيه القرآني لأبناء المجتمع تجاه التربية المهنية لأبناء المجتمع ، وأنه لا بد وأن يشتغل كل فرد بالعمل الذي يتناسب مع قدراته الشخصية ، حتى تقوم المصالح العامة الاجتماعية بذلك التعاون بين افراد المجتمع ، وفي ذلك يقول السعدي : ((يرشد القرآن المسلمين إلى إقامة جميع مصالحهم ، وإنه إذا لم يكن حصولها من الجميع فليشتغل بكل مصلحة من يقدر على القيام بها ، وليوفر وقته عليها ، لتقوم مصالحهم ، وتكون وجهتهم جميعاً واحدة وهذه من القواعد الجليلة ، ومن السياسة الشرعية الحكيمة)) [٢] .

وهذه التربية الوظيفية لأبناء المجتمع تولد لديهم الشعور القوي بالإنتماء لذلك المجتمع مما يدعوهم للقيام بمصالحه ، والعمل على تحقيق المكاسب لذلك المجتمع في كافة ميادين الحياة ، وبمثل هذا يكون المواطن صالحاً مصلحاً لنفسه ومجتمعه ، وذلك ماتهدف إليه التربية الإسلامية.

الهدف الخامس : الإفادة الكاملة من المخترعات الحديثة

مما تستهدفه التربية في الإسلام تهيئة الفرد للإفادة من المجال المعرفي

---

(١) يس ، أبعاد متطورة للفكر التربوي ، ص ١٠٤ . (مرجع سابق)
(٢) السعدي ، القواعد الحسان ، الكاملة / التفسير ، ج ٨ ص ١٤٠ (مرجع سابق)

المتطور بل وضرورة المشاركة فيه ، والسعدي بحكم معاصرته لبداية تدفق المخترعات الحديثة على بلاده (الجزيرة العربية) واختلاف مواقف الأوساط الإجتماعية حول هذه المخترعات الحديثة بين الرفض التام أو القبول المطلق ، فإن السعدي يبرز الرؤية المناسبة والموقف الصحيح الذي يراه ، ويقرنه بهدي القرآن فيقول : ((إذا نظرنا إليها – السموات والأرض – من جهة أنها كلها خلقت لمصالحنا وأنها مسخرة لنا ، وأن عناصرها وموادها وأرواحها قد مكن ا لله الآدميين من استخراج أصناف المنافع منها : عرفنا أن هذه الإختراعات الجديدة في الأوقات الأخيرة من جملة المنافع التي خلقها ا لله لبني آدم فيها ... فسلكنا بذلك كل طريق نقدر عليه في استخراج ما يصلح أحوالنا منها ، بحسب القدرة ، ولم نخلد إلى الكسل والبطالة أو نزعم أن علم هذه الأمور واستخراجها علوم باطلة، بحجة أن الكفار سبقونا إليها ، وفاقونا فيها ، فإنها كلها داخلة في تسخير ا لله الكون لنا ، وأنه يعلم الإنسان ما لم يعلم))[1] ، وبهذه الرؤية الإسلامية للسعدي يمكن تربية المسلم على اتخاذ المواقف الصحيحة إزاء ما يستقبله في حياته من مستجدات ومخترعات وأن تتحلى مواقفه بالضوابط الشرعية لأن ((من التعميمات الفاسدة المنتشرة الحكم على كل معطيات الحضارة الغربية بالصحة ، أو الحكم عليها كلها بالفساد ، فمن حكم عليها جميعاً بالفساد ، فقد رأى عناصر منها مخالفة للمقررات الدينية ، فقاس سائر العناصر على ما رآه قياساً فاسداً ، فحكم عليها

---

(١) السعدي ، القواعد الحسان ، الكاملة / التفسير ، ج ٨ ص ١٤٢ (مرجع سابق)

جميعاً بالفساد ، وهذا غلط فكري شنيع جلبه قياس فاسد ، نجم عنه حكم تعميمي باطل ، ومن حكم عليها جميعاً بالصحة ، فقد رأى ما صح منها في معطيات العلوم البحتة ، وما ظهر من آثارها في المنجزات التطبيقية المادية ، فقاس سائر العناصر على ما رآه قياساً فاسداً ، فحكم عليها جميعاً بالصحة ، وهذا غلط فكري شنيع ، جلبه قياس فاسد ، نجم عنه حكم تعميمي باطل)) (١) .

وبرسم هذا الموقف الوسطي من المخترعات الحديثة ، يصبح للتربية حق الخلود والمعاصرة والأصالة ، وهذا التصور الصحيح الذي يجب إيجاده في نفوس أبناء المجتمع الإسلامي .

وفي المقابل ينعى السعدي على المستغربين من أبناء المسلمين الذين يرون الأخذ عن الغربيين كل شيء خصوصاً في الأخلاق والعوائد والتصرفات وهذا قمة الإنحطاط كما يقول السعدي : ((فعند هؤلاء الملحدين أن التجديد والرقي هو الإندماج في معنوية الأجانب أعداء الأديان كلها وزوال شخصياتهم في شخصيات أولئك ، والتشبه بهم في أخلاقهم ولباسهم ، وحركاتهم وعوائدهم الدقيقة والجليلة ، فيرون الإنسلاخ من دين الله الذي هو الحق ، ومن أخلاقه الجميلة هو التقدم والرقي فاستبدلوا الأدنى الخسيس بالأعلى الكامل النفيس ، وصاروا بذلك مع أعدائهم في ظاهرهم وباطنهم ، وكانوا بذلك أكبر سلاح للأعداء على

---

(١) عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ، بصائر للمسلم المعاصر ، (دمشق ، دار القلم، الثانية ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م) ص ٧٣، ٧٤ .

دينهم وقومهم) [١] ، إن هذا التفريق عند السعدي بين الجوانب الأخلاقية والعادات الشخصية وبين الجوانب التطبيقية العلمية في العلوم الطبيعية عند الغربيين ، هذا التفريق يحدد للمسلم الوجهة الصحيحة تجاه ما عند الغربيين من حيث القبول والرفض له ، وذلك وفق منظور إسلامي ناضج مأخوذ من قوله تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ « سورة المائدة : آية ٢ » .

فكل ما هو نافع للفرد والمجتمع أو نفعه اكثر من ضرره ، فذلك مأمور به شرعاً وكل ما كان مضراً أو ضرره اكبر من نفعه فهذا منهي عنه شرعاً، في ذلك يقول السعدي : ((الشارع لا يأمر إلا بما مصلحته خالصة أو راجحة ، ولا ينهى إلا عما مفسدته خالصة أو راجحة)) [٢] .

---

(١) السعدي ، الدلائل القرآنية ، الكاملة / الثقافة ، ج١ ص ٢٩٧ . (مرجع سابق)
(٢) السعدي ، القواعد والأصول الجامعة ، الكاملة / الفقه ، ج ١ ص ٢٢ .
(مرجع سابق)



المبحث الثالث : ميادين التربية

أولاً : الميدان الإيماني .

ثانياً : الميدان الأخلاقي .

ثالثاً : الميدان الصحي .

رابعاً : الميدان السياسي .

خامساً: الميدان الإجتماعي .

سادساً: الميدان الإقتصادي .

أولاً : (الميدان الإيماني)

المطلب الأول : تعريفه :

الإيمان با لله تعالى يعرفه النـووي بأنـه : ((التصديـق بـالقلب والإقـرار باللسـان والعمـل بـالجوارح)) [١] ، وقيـل إن الإيمـان : ((قـول القلـب واللسان ، وعمل القلب واللسان والجوارح مطابقاً للكتاب والسـنة والنيـة لقوله صلى الله عليه وسلم: « **إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نـوى** » متفق عليه[٢]))[٣]، وعرفه السعدي بأنه: ((التصديق الجازم بجميع ما أمـر ا لله ورسوله بالتصديق به المتضمن للعمل الذي هو الإسـلام))[٤]، ويبـين السعدي حقيقة الإيمان بأنـه: ((اسـم جـامع للشـرائع الظـاهرة والباطنـة، ولأقوال اللسان، وأقوال القلب، وأعمال القلوب، وأعمال الجـوارح، وأن من قام بهذه الأمور ونصح فيها وأحسن كان أكمل إيماناً)) [٥] .

فالتربية الإسلامية تجعل المسلم يؤمن حقيقـة بـا لله تعـالىٰ ، وبموعـوده ،

(١) مسلم ، صحيح مسلم بشرح النووي ، ج ١ ص ١٤٧ . (مرجع سابق)

(٢) البخاري ، صحيح البخاري بحاشية السندي ، ج ١ ص ١٤٧ (مرجع سابق)

(٣) خان ، محمد صديق ، قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر ، بتحقيق عـاصم عبـد ا لله القريوتي ، ط١ ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م) ص ٨٥ .

(٤) السعدي ، سؤال وجواب في أهم المهمات ، الكاملة / العقيدة ، ص ٦٢ . (مرجع سابق)

(٥) السعدي ، المواهب الربانية ، الكاملة / الثقافة ، ج ١ ص ٦٨ (مرجع سابق)

فحقيقة المؤمن هو من ((أدغم حبه وبغضه وصداقته وعداوته ورغبته ونفوره وصلحه وحربه ، في مرضاة الله تعالى حيث لا ترضى نفسه إلا بما يرضى به الله تعالى ، ولا تكره إلا ما يكرهه الله تعالى)) [(١)] وإذا كانت أقوال الإنسان وأعماله ومقاصده كلها متجهة لله ووفق طاعته ، فإنه بذلك تعتدل مسيرته الذاتية في الدنيا والآخرة ، ويزيد الإيمان ويقوى كلما تقرب المسلم إلى ربه بالعبادات القولية والفعلية وحتى القصدية ، كما أن الإيمان ينقص ويضعف كلما ابتعد المسلم عن ربه بفعل المعاصي ، أو بترك الطاعات ، كما قال السعدي : ((فجميع الدين أصوله وفروعه داخل في الإيمان ، ويترتب على ذلك أنه يزيد بقوة الإعتقاد وكثرته ، وحسن الأعمال والأقوال وكثرتها ، وينقص بضد ذلك)) [(٢)] .

المطلب الثاني : عناصر الإيمان بالغيب :

الله عز وجل وصف المتقين بالإيمان بالغيب فقال : ﴿ الم(١)ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ(٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ « سورة البقرة ، الآيات ١ - ٣ » ، فالغيب الذي أمر الله عباده بالإيمان به هو : ((كل ما أخبر الله به وأخبرت به رسله على وجه يدعو الناس إلى تصديقه والإيمان به)) [(٣)] ، وللإيمان بالغيب عناصر ستة جاء ذكرها على

---

(١) المودوي ، أبو الأعلى ، الأسس الأخلاقية للحركة الإسلامية ، جدة : الدار السعودية ، ١٤٠٥هـ /١٩٨٥م ، ص ٤٣ .

(٢) السعدي ، سؤال وجواب في أهم المهمات ، الكاملة / العقيدة ، ص ٦٤ . (مرجع سابق)

(٣) السعدي ، المواهب الربانية ، الكاملة / الثقافة ، ج ١ ص ٨٢ (مرجع سابق)

لسان الرسول ﷺ حينما سأله جبريل عليه السلام عن الإيمان فقال ﷺ : « **أن تؤمن با لله وملائكته وكتابه ولقاءه ورسله وتؤمن بالبعث وتؤمن بالقدر كله** » رواه مسلم [١] .

فعناصر الإيمان بالغيب هي :

[أ] الإيمان با لله .

[ب] الإيمان بالملائكة .

[ج] الإيمان بالكتب .

[د] الإيمان باليوم الآخر .

[هـ] الإيمان بالرسل .

[و] الإيمان بالقدر كله ، خيره وشره .

الآثار التربوية للإيمان بهذه العناصر :

[١] **الإيمان با لله** : وذلك بأن يعرف المسلم ((أن ا لله تعالى له جميع معاني الألوهية ، وهي كمال الصفات والإنفراد بها ، وعدم الشريك في الأفعال)) [٢] ، فهذا الإيمان يربي المسلم على:

أ- التعظيم التام لله ، والخوف منه سبحانه ، والخضوع له في عبادته ، فالمؤمنين وصفهم ربهم بأن : ((جلودهم تقشعر وعيونهم تفيض من الدمع ، وقلوبهم تلين وتطمئن لآيات ا لله وذكره وبأنهم يخشون ربهم بالغيب والشهادة وأنهم يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم

---

(١) مسلم ، صحيح مسلم بشرح النووي ، ج ١ ص ١٦٥ (مرجع سابق)

(٢) السعدي ، المواهب الربانية ، الكاملة / الثقافة ، ج١ ص ٨٣ (مرجع سابق)

راجعون)) [١] .

ب- التقرب إلى الله بمقتضى أسمائه سبحانه وصفاته استجابة لقول الرسول ﷺ : « **إن لله تسعة وتسعون إسماً من حفظها دخل الجنة** » متفق عليه واللفظ لمسلم [٢] .

ج- المؤمن بالله وحده يستحق بإيمانه خيرات الدنيا والآخرة فلقد رتب الله على إيمانه ((نيل رضاه الذي هو أكبر من كل شيء ، ورتب عليه دخول الجنة والنجاة من النار ، والسلامة من عذاب القبر ومن أهوال القيامة ، والبشرى الكاملة في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، والثبات في الدنيا على الإيمان والطاعات وعند الموت وفي القبر ورتب عليه الحياة الطيبة في الدنيا ، والرزق الكريم والحياة الحسنة ، وتيسيره لليسرى وتجنيبه للعسرى وطمأنينة القلب ، وراحة النفوس ، والقناعة التامة وصلاح الأحوال ، وصلاح الذرية والصبر عند المحن والمصائب)) [٣] . ومتى ما ربط المربي محتويات المناهج التعليمية بثمرات الإيمان بالله ، فإن ذلك سيورث لدى التلميذ قوة الإيمان بالله ، ومحبته والخضوع له في سائر الأعمال مما يحقق الغاية من التربية في الإسلام وهي : صدق الإيمان بالله وحده .

[٢] **الإيمان بالملائكة فهم:** ((الكرام الذين جعلهم الله عباداً مكرمين، لا يسبقونه بالقول ، وهم بأمره يعملون ... ولهم صفات وأفعال مذكورة

---

(١) السعدي ، القواعد الحسان ، الكاملة/التفسير ، ج٨ ص٨٧ (مرجع سابق)

(٢) مسلم ، صحيح مسلم بشرح النووي ، ج ١٧ ص ٥ . (مرجع سابق)

(٣) السعدي ، القواعد الحسان ، الكاملة/ التفسير ، ج٨ ص٨٩ (مرجع سابق)

في الكتاب والسنة لا يتم الإيمان بالغيب إلا بالإيمان بها)) [١] ، وهذا الإيمان بالملائكة الكرام يربي في المؤمن به :

أ- محبة الملائكة ، وتعظيمهم لما يقومون به من طاعات لله وحده قال تعالى : ﴿ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ « سورة التحريم ، آية ٦ » .

ب- الإيمان بالملائكة يحفز المؤمن على زيادة العمل الصالح وتقويمه ، والبعد عن العمل الذي يغضب الله تعالى فهم الكرام الكاتبين قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ(١٠)كِرَامًا كَاتِبِينَ(١١)يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ «سورة الإنفطار ، آية ١٠ ، ١١ ، ١٢ »

ج- الإعتراف التام بفضل الملائكة على الإنسان وأنهم يدعون له ، ويستغفرون ، ويبشرونه بفضل الله قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ «سورة الأحزاب ، آية ٤٣ » ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ «سورة فصلت ، آية ٣٠ » ، وهذا الدعاء من الملائكة للمؤمنين ، وبشارتهم لهم بالجنة يوم القيامة وعدم الخوف من المستقبل أو الحزن على الماضي ، هذه الوظائف تجعل المؤمن يزداد عزة بإيمانه الذي جعل الملائكة الأبرار الكرام الحافظين يقومون بهذه الأعمال

---

(١) السعدي ، المواهب الربانية ، الكاملة / الثقافة ، ج١ ص٨٩،٩٠ (مرجع سابق)

فقط للمؤمنين فيتربى المؤمن على العزة الإيمانيــة ، ويحـافظ عليهـا بمداومـة الأعمـال الصالحـة لله تعـالى ، والمربـي النـاجح هـو الـذي يثـير في نفـوس تلاميذه مثل هذه المعاني التي تجعلهم أكثر قرباً من ا لله وطاعته ، وهذا ما عناه السعدي بقوله : ((فعليهم – يعني المعلمـين – أن يربوهـم – يقصـد المتعلمين – تربية عاليــة ، ويبثـوا فيهـم روح الديـن وأخلاقـه الجميلـة ... والحزم والعزم)) [1] .

[٣] **الإيمان بالكتب**: ومن عناصر الإيمان، الإيمان: ((بجميع الكتب الـتي أنزلها ا لله هداية للعباد على من اجتباهم برسالته)) [2]، وجاء الأمر بالإيمـان بالكتب السابقة في القرآن في قوله تعالى: ﴿ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَـا أُنْـزِلَ إِلَيْـهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِـهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَـرِّقُ بَيْـنَ أَحَـدٍ مِـنْ رُسُلِهِ وَقَـالُوا سَـمِعْنَا وَأَطَعْنَـا غُفْرَانَـكَ رَبَّنَـا وَإِلَيْـكَ الْمَصِـيرُ ﴾ «سورة البقرة ، آية ٢٨٥ »، وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّـهِ وَمَلائِكَتِـهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيدًا ﴾ « سورة النساء ، آية ١٣٦ » فالإيمان بالكتب المنزلة من عند ا لله يجعل المؤمن يصدق بأن الحـق والنور فيها من عند ا لله ، وأن من عمل بمقتضاها قبل تحريفها الواقـع بعـد موت أنبيائهــا فـإن لـه النجـاة والفـلاح في الدنيـا والآخـرة ، وأن القـرآن الكريم نسخ هذه الكتب وهيمن عليها كما قـال تعـالى ﴿ وَأَنْزَلْنَـا إِلَيْـكَ

(١) السعدي ، وجوب التعاون بين المسلمين ، الكاملة / الثقافة ، ج١ ص ١٩٩.
(مرجع سابق)

(٢) السعدي ، المواهب الربانية ، الكاملة /الثقافة ، ج ١ص ٨٨ (مرجع سابق)

الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ « سورة المائدة ، آية ٤٨ » ، ولذلك وجب العمل بمقتضى ما في القرآن حتى قيام الساعة لأن الله قد تكفل بحفظه من الضياع والتحريف فقال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ « سورة الحجر ، آية ٩ » وللإيمان بالقرآن آثار تربوية منها :

أ- المتبع للقرآن من أعدل وأعلى الناس عقيدةً وأخلاقاً وأعمالاً ، قال السعدي : ((يخبر تعالى عن شرف القرآن وجلالته ، وأنه ﴿ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ أي أعدل وأعلى من العقائد والأعمال والأخلاق)) [(١)] .

ب- إن للمربي على المُربَى حقوقاً عظيمة بحسب عظم تربيته له كما قال تعالى في حق الوالدين ﴿ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ « سورة الإسراء ، آية ٢٤ » ، قال السعدي : ((فُهِمَ من هذا ، أنه كلما ازدادت التربية، ازداد الحق، وكذلك من تولى تربية الإنسان في دينه ودنياه ، تربية صالحة غير الأبوين فإن له على من رباه حق التربية)) [(٢)] .

[٤] **الإيمان بالرسل** : فالإيمان بالرسل يقتضي الإيمان ((بجميع رسل الله الذين أرسلهم على وجه الإجمال ، والتفصيل لأشخاصهم ، ولدعوتهم ، ولشرعهم)) [(٣)] ، ولهذا الإيمان آثاره التربوية في نفس المؤمن

---

(١) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، الكاملة / التفسير ، ج ٤ ص ٢٦٤ . (مرجع سابق)

(٢) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج ٤ ص ٢٧١ .

(٣) السعدي ، المواهب الربانية ، الكاملة / الثقافة ، ج ١ ص ٨٧ (مرجع سابق)

منها :

أ – التصديق التام بأن الله أرسلهم بالأمر بعبادته وحده قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ «سورة النحل ، آية ٣٦ » .

ب– محبتهم وطاعتهم فهم الواسطة بين الله وخلقه في تبليغ شرع الله سبحانه .

ج– الشهادة لهم بالتبليغ لأممهم ، وعدم التفريق بينهم قال تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ « سورة البقرة آية ١٤٣ » .

د– أن شرائعهم مختلفة حسب الزمان والمكان قال تعالى : ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ « سورة المائدة آية ٤٨ » .

هـ– أنهم القدوة لأممهم في علمهم وتعاليمهم قال تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ ﴾ « سورة الأنعام ، آية ٩٠ » ، فالرسول محمد ﷺ هو القدوة الأولى للناس أجمعين ، وبالذات للمربين الذين يقتبسون من هديه وتعليمه للعلم النافع ذلك العلم : ((المزكي للقلوب والأرواح المثمرة لسعادة الدارين وهو ماجاء به الرسول ﷺ من حديث وتفسير وفقه ، وما يعين على ذلك من علوم العربية))[1] ، ومتى ما كانت قدوة المعلمين والمتعلمين هي شخصية الرسول ﷺ فإنهم ستكمل تربيتهم ، فالمربي

---

(١) السعدي ، الفتاوى السعدية ، الكاملة / الفتاوى ، ص ٢٦ (مرجع سابق)

الناجح هو الذي يداوم على تربيته ولايمل ويسأم لقلة المتعلمين ، بل عليه أن : ((يسلك مسلك نبيه ﷺ في دعوته وهداية الخلق ، وعلم أنه مكث مدة طويلة يدعو الناس إلى الإسلام والتوحيد ، فلا يلقى أذاناً سامعة ، ولا قلباً مجيباً ، فلم يضعف ولم يلن ، بل لم يزل قوي الرجاء ، عالماً أن الله سيتم أمره ماضياً على دعوته ، حتى فتح الله به أعيناً عمياً ، وآذاناً صماً، وقلوباً غلفاً)) [١] .

[٥] **الإيمان باليوم الآخر** : وهذا الإيمان يعني : ((الإيمان بجميع ما يكون بعد الموت من فتنة القبر وأحواله، ومن صفات يوم القيامة وأهواله، ومن صفات النار وأهلها ، وما أعد الله لهم فيها ، ومن صفات الجنة وأهلها ، وما أعد الله فيها لأهلها ، فيفهمها فهماً صحيحاً مأخوذاً من الكتاب ودلالته البينة ، ومن السنة الصحيحة ودلالتها الظاهرة)) [٢] ، وللإيمان باليوم الآخر آثار تربوية على نفس المؤمن منها :

أ- تعظيم ذلك اليوم والخوف منه وأهواله .

ب- تحسين العمل في الدنيا إستعداداً لأهوال ذلك اليوم .

ج- البعد عن الظلم والتعدي على الآخرين قولاً وفعلاً تحسباً لذلك اليوم قال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ « سورة آل عمران ، آية ٣٠ » .

---

(١) السعدي ، الفتاوى السعدية ، الكاملة / الفتاوى ، ص٤٦٤ (مرجع سابق)

(٢) السعدي ، المواهب الربانية ، الكاملة / الثقافة ، ج ١ ص ٨٩ (مرجع سابق)

د- الإيمان بذلك اليوم يولد لدى المؤمن الشعور الكامل بالمسؤلية تجاه تصرفاته في هذه الدنيا ، ولذلك فإن المربي إذا أوجد في نفوس تلاميذه شعور الإيمان باليوم الآخر فإنه يتولد من داخلهم شعور المحاسبة الذاتية لأقوالهم وأفعالهم عندها تنضبط تصرفاتهم وفق طاعة ا لله وحده ، وهذا ما تهدف التربية الإسلامية لتحقيقه في نفوس المتعلمين من الكبار والصغار.

هـ- الإيمان بهذا اليوم يجعل المؤمن يؤثر الباقي على الفاني ، فيتحمل تبعات ذلك الإيثار من صبر على طاعة ا لله ، وصبر عن معاصي ا لله ، وصبر على أقدار ا لله المؤلمة .

[٦] **الإيمان بالقدر كله** : وهو ((الإيمان بأنه بكل شيء عليم ، وأن علمه محيط بالحوادث دقيقهاوجليلها ، وأنه كتب ذلك باللوح المحفوظ ، وأن جميعها واقعة بمشيئته وقدرته ، ما يشاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وأنه مع ذلك مكن العباد من أفعالهم فيفعلونها اختياراً منهم بمشيئتهم وقدرتهم كما قال تعالى ﴿ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ(٢٨)وَمَا تَشَاءُونَ إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ « سورة التكوير، الآيتان ٢٨،٢٩ »[(١)]، ولهذا الإيمان آثار تربوية على نفس المؤمن منها :

أ- أن المؤمن يكسب الثواب من ا لله في حال السراء بشكر ا لله ، وفي حال الضراء بالرضا والصبر على أقدار ا لله .

ب- التحرر الكامل من رق المخلوقين ، فمن يؤمن بأن كل شيء

---

(١) السعدي ، سؤال وجواب في أهم المهمات ، الكاملة / العقيدة ، ص ٦٨ .
(مرجع سابق)

بقضاء وقدر فإنه لا بد وأن ((يتحرر من رق المخلوقين ، والتعلق بهم ، وخوفهم ورجائهم والعمل لأجلهم وهذا هو العز الحقيقي ، والشرف العالي، ويكون مع ذلك متألهاً متعبداً لله لا يرجو سواه ولا يخش إلا إياه، ولا ينيب إلا إليه)) (١) ، وهذا التحرر يُوجِدُ لدى المربي والمتربي الشجاعة في قول كلمة الحق أمام أي إنسان .

ج- زوال عنصر التأخر والتردد في إتخاذ القرارات ، والعزم الجازم في القول والعمل والعزم على الفعل .

فالمؤمن بالقضاء والقدر إيماناً كاملاً هو الذي ((قوي قلبه ، واطمئن فؤاده وأقدم على كل قول وفعل ينفع الإقدام عليه، ولا بد لمن كانت هذه حاله أن يمده ا لله بمدد من عنده لا يدركه العبد بحوله ولا قوته)) (٢) .

المطلب الثالث : ثمرات التقوى والإيمان با لله

المتقي لله حق التقوى هو ((من لازم مرضاته في جميع أحواله)) (٣) ، فلهذه التقوى فوائد منها :

[أ] ثواب ا لله له في الدنيا والآخرة .

[ب] تيسير أموره الخاصة والعامة .

[ج] انتفاء الحرج والضيق عنه في الدنيا والآخرة .

[د] إخراج ا لله للمؤمنين به من ظلام الجهل إلى نور المعرفة .

[هـ] تنوير قلوب المؤمنين بمعرفة ا لله ودينه ، والفرح بذلك .

---

(١) السعدي ، القول السديد ، الكاملة / العقيدة ، ص ١٢ ، ١٣ (مرجع سابق)

(٢) السعدي ، الرياض الناضرة ، الكاملة / الثقافة ، ج ١ ص ٤٠١ (مرجع سابق)

(٣) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، الكاملة / التفسير ، ج ٧ ص ٤١٠ . (مرجع سابق)

المطلب الرابع : عناصر تقويم المنحرفين

أشار السعدي إلى الطريقة الناجحة في مجادلة المنحرفين ، ودعوتهم للإستقامة على الصراط المستقيم ، وبيَّن أنها تسير وفق العناصر التالية[1] :

[أ] تذكيرهم بكثرة نعم ا لله عليهم .

[ب] توجيههم إلى أن تفرد ا لله بالنعم يقتضي منكم إفراده بالعبادة ، جزاءً وفاقاً .

[ج] بيان ما في مذاهبهم من الإنحرافات العقدية والعملية ، مما يستدعي هجرها والبعد عنها .

[د] سوق العبر والدروس عن أحوال السابقين ، من عذاب المفسدين ، ورفع شأن المصلحين.

[هـ] عرض محاسن الدين الإسلامي ومنافعه ومصالحه .

[و] الإحسان المتنوع لهم لجذب قلوبهم للإيمان .

[ز] الصبر والمصابرة على أذاهم وتقصيرهم .

[ح] بسط الوجه ، ولين الكلام لهم .

[ط] القناعة منهم باليسير من الاستجابة للخير تمهيداً لطلب الكثير .

[ي] تقديم الأولويات والعناية بالمهمات .

[ك] استعمال كافة الوسائل المفيدة لتقويمهم وذلك بأسلوب الحكمة وهي :

---

(١) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، الكاملة/التفسير ، ج٨ ص٣٦٤-٣٦٥ . (مرجع سابق)

((سلوك أقرب طريق وأنجح وسيلة يحصل بها تحصيل الخير أو تكميله، وإزالة الشر أو تقليله ، بحسب الزمان والمكان والأشخاص والأحوال والتطورات)) [١] .

المطلب الخامس : الثمرات التربوية للإجتماعات التعبدية :

بين السعدي ما للإجتماع على العبادات من فوائد تربوية على الفرد والمجتمع المسلم وأن هذه الفوائد تتجلى بما يلي :

[أ] إظهار شعائر الدين أمام الموافقين والمخالفين ، وهذا الإظهار يحقق للمؤمن الإعتزاز بدينه ، كما يلبي لديه حب الإنتماء .

[ب] بالإجتماع تتحقق فوائد العبادات الذاتية والإجتماعية .

[ج] تحقيق محبوبات الله عز وجل بهذه الإجتماعات العبادية ، فالإجتماع لها يورث لدى المؤمنين :

(١) تنشيط الناس على العبادة ، وتنافسهم في ذلك .

(٢) سهولة العبادة وخفتها عليهم .

(٣) حصول التضرع والخضوع والذل لله تعالى .

(٤) توحد هدفهم في طلب المطر مثلاً ، أو انكشاف كسوف .

[د] حصول المودة والألفة بين أفراد المجتمع ، وهذا مما تهدف التربية إلى تحقيقه في نفوس الناس ، فهذه العبادات المجتمعة من وسائل تحقيق ذلك الهدف

---

(١) السعدي ، الدين الصحيح يحل جميع المشاكل ، الكاملة / الثقافة ، ج ١ ص ٣٥٩. (مرجع سابق)

وبهذا الهدف يحصل للمسلمين :

١- دراسة أحوالهم والتفكير في حل قضاياهم ومشاكلهم .

٢- قيام بعضهم بتعليم بعض بالقول والفعل أو بأحدهما .

[هـ] تعريف الناس بمراتب المسلمين العلمية والدينية والخلقية ففي هذه الإجتماعات يقتدي بعض المسلمين ببعض بأداء هذه العبادات ولا يجرؤ العاصِ المقصر على ترك هذه العبادات التي أجمع الناس على أدائها [١] .

فالإيمان ((هو أساس الأخلاق الفاضلة ، والأخلاق الفاضلة هي أساس العلم الصحيح ، والعلم الصحيح هو أساس العمل الصالح ، هذا هو البناء التربوي القرآني ، فكل أقسامه مترابطة متراصة متشابكة محكمة)) [٢] .

ثانياً : الميدان الأخلاقي

المطلب الأول : أهمية الأخلاق

التربية الإسلامية تقوم بدورها في ميدان الأخلاق ، وذلك بتربية المسلم على التخلق بالخلق الحسن وتقويم أخلاقه ،وذلك للحد من الشرور التي قد يرتكبها الإنسان ، والعلم وحده ليس بعاصم للإنسان عن ركوب

---

(١) السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر، الإرشاد إلى معرفة الأحكام ، المجموعة الكاملة / الفقه ، عنيزة : مركز صالح بن صالح الثقافي ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م ، ج ٢ ص٤٦٢، ٤٦٣ .

(٢) الجمالي ، فاضل ، الفلسفة التربوية في القرآن ، تونس : الدار التونسية للنشر ، د . ت ، ص٤٠ .

أسباب الشر والفساد فإن ((الفساد وشتى الإنحرافات الأخلاقية في الأوساط المتعلمة لا تقل إطلاقاً عن الأوساط غير المتعلمة ، بل تزيد شرور هؤلاء المتعلمين لأن المعرفة تتحول في أيديهم إلى سلاح بتار ، وهذا يرجع أساساً إلى عدم وجود التربية الأخلاقية في نظم التربية والتعلم)) [(١)] .

فميدان الأخلاق من الميادين المهمة لتربية الفرد على تعاليم الإسلام فـ ((التواضع وحسن الخلق تنال بالرغبة في مكارم الأخلاق ، ومعرفة ما لها من الثمرات الجليلة ، ومعرفة النفس ومجاهدتها وتمرينها على ذلك يُدرك به كل خلق جميل)) [(٢)] ، ولأهمية الأخلاق في العملية التعليمية ركز السعدي عليها في جانب المعلمين بقوله : ((من صفاتهم التي وصفهم الله بها أنهم يدورون مع الحق أينما كان، ويطلبون الحقائق حيثما كانت)) [(٣)]، ولا شك أن الحق إنما هو بتمام الأخلاق وكمالها في نفس المربي وقد جعل السعدي التعليم لترقية الأخلاق هو ميزان العلم النافع فقال : ((أما مدلول العلم النافع ومسماه الذي دل عليه الكتاب والسنة ، فهو كل علم أوصل إلى المطالب العالية ، وأثمر الأمور النافعة ، لا فرق بين ما تعلق بالدنيا أو بالآخرة ، فكل ما هدى إلى السبيل ورقّى العقائد والأخلاق والأعمال ، فهو من العلم)) [(٤)] ، ووجه السعدي انتقاده

---

(١) ياجن ، جوانب التربية الإسلامية ، ص ٢٨٢ . (مرجع سابق)
(٢) السعدي ، الرياض الناضرة ، الكاملة / الثقافة ، ج١ ص ٥٠٥ (مرجع سابق)
(٣) السعدي ، المواهب الربانية ، الكاملة / الثقافة ، ج ١ ص ١١ .(مرجع سابق)
(٤) السعدي ، الدين الصحيح يحل جميع المشاكل ، الكاملة / الثقافة ، ج١ ص ٣٤٢. (مرجع سابق)

للماديين الذين تجردت علومهم من الاهتمام بجانب الأخلاق فقال : ((أما الماديون فإنهم اقتصروا على بعض علوم الكون ، وأنكروا ما سواها، فألحدوا ومرجت أديانهم وأخلاقهم ، وصارت علومهم حاصلها أنها صنائع جوفاء ، لا تزكي العقول والأرواح ولا تغذي الأخلاق ، فكان ضررها عليهم أعظم من نفعها)) (١) .

المطلب الثاني : من صور الأخلاق الحسنة

يبدي السعدي ويعيد في بيان ضرورة التخلق بالأخلاق الحسنة وذلك بأن على الإنسان أن : ((يمرن نفسه على التخلق بالأخلاق الجميلة مع الخلق على اختلاف طبقاتهم ، فيُحسن خلقه للصغير والكبير ، والشريف والوضيع ، ويعفو عن من ظلمه ، ويعطي من حرمه)) (٢) ، ولكي تؤدي التربية دورها في ميدان الأخلاق ، فإنه يجب على الإنسان أن يقوم أولاً : بتصفية نفسه من الأخلاق المذمومة ، ثم بعد ذلك ، ثانياً : يقوم بتحليتها بالأخلاق الحميدة ، ومن صور الأخلاق التي وجه السعدي إلى ضرورة تمثلها ما يلي :

[أ] ضرورة التخلق بأخلاق القرآن :

فالقرآن هو جماع الخير ، ومنبع الأخلاق ، ولهذا فالرسول ﷺ (**كان خلقه القرآن**) رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد و لم يخرجاه (٣) ، ولقد

(١) السعدي ، (المرجع السابق)، ج١ ص٣٤٤ .
(٢) السعدي ، الرياض الناضرة ، الكاملة / الثقافة ، ج١ ص ٤٨٩ (مرجع سابق)
(٣) الحاكم ، المستدرك على الصحيحين ، ج٢ ص٤٢٦ . (مرجع سابق)

ربى الرسول ﷺ أصحابه على أخلاق القرآن فلذلك ((بلغ الصحابة ﵃ به مبلغاً عظيماً ، وتغيرت أخلاقهم وطبائعهم ، وانتقلوا إلى أخلاق وعوائد وأعمال فاقوا بها الأولين والآخرين)) (١) ، ويحث السعدي جميع المسلمين على ضرورة التخلق بأخلاق القرآن فيقول : ((وكان أعلى وأولى لمن بعدهم – بعد الصحابة – أن يتربوا بعلومه ، ويتخلقوا بأخلاقه ويستضيئوا بنوره في ظلمات الغي والجهالات ، ويجعلوه إمامهم في جميع الحالات ، فبذلك تستقيم أمورهم الدينية والدنيوية)) (٢) .

[ب] خلق الصبر :

المصائب المؤلمة ، والأقدار المرة الموجعة تصيب كل الناس ، فمن مقل ومن مستكثر ، ولكن تختلف مواقفهم تجاه هذه الأقدار والمصائب ، والتربية الإسلامية تهدي أبنائها إلى أرشد السبل عند وقوع المصائب والأقدار وذلك بأن يعلم المؤمن بأن هذه المصائب من عند الله فيرضى بذلك ويسلم لأمر الله سبحانه ، قال السعدي : ((فإذا آمن أنها من عند الله فرضي بذلك وسلم لأمره ، هدى الله قلبه فاطمأن ولم ينزعج عند المصائب ، كما يجري ممن لم يهد الله قلبه بل يرزقه الثبات عند ورودها، والقيام بموجب الصبر فيحصل له بذلك ثواب عاجل مع ما يدخر له يوم الجزاء من الأجر العظيم)) (٣) ، ولأهمية الصبر في حياة الإنسان نجد أن

---

(١) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، الكاملة / التفسير ، ج٤ ص٢٤٢ . (مرجع سابق)
(٢) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج٤ ص٢٤٢ .
(٣) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج٧ ص٣٩٩،٤٠٠ .

((التحلي بالصبر وتعلمه من أسمى أهداف التربية الحديثة، لأن ا لله وصانا به ، ولأن الإنسان بحاجة إليه ليكبح جماحه)) [١] ، ولما كان الفقر مما تكرهه النفوس ، كان لا بد من الصبر عليه وتحمل عناءه وقد أشار السعدي إلى بعض (الركائز النفسية) التي تعين في الصبر على ذلك الفقر وهي [٢] :

١- الصبر والمصابرة على حالته الحاضرة .

٢- الاعتراف بحكمة ا لله له فيما ابتلاه ا لله.

٣- الرضاء بقضاء ا لله عليه .

٤- الترفع قدر المستطاع عن سؤال الناس .

٥- سؤال ا لله الدائم لدفع حاجاته ، ورفع ضرورته .

٦- القناعة بالقليل وعدم تمني الزيادة على المقدورعليه .

٧- حسن الإقتصاد في تدبير أمور المعيشة ، وحيث أن القيام بهذه الركائز يشق على النفوس نجد أن السعدي يوجه لما يقوي عزيمة الإنسان على ذلك ببيان أهم فوائد وثمرات ذلك الصبر بقوله : ((فيستفيد بذلك - الصبر - تحرره من رق المخلوقين وتمرنه على القوة والنشاط ومحاربة الكسل والفتور ، ومع ذلك لا يقع في قلوبهم حسد للأغنياء على ما آثرهم ا لله من فضل)) [٣] .

---

(١) ياجلن ، القاضي، علم النفس التربوي في الإسلام ، ص ١٧٦ (مرجع سابق)

(٢) السعدي ، الدين الصحيح يحل جميع المشاكل ، الكاملة/ الثقافة ، ج١ ص٣٤٩ . (مرجع سابق)

(٣) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج١ ص٣٤٩ .

[ج] خلق العدل :

العدل يعني : ((وضع الشيء موضعه وأداء الحقوق كاملة)) [١] ، والعدل يكون مع الله والناس في الحقوق والواجبات ، قال السعدي : ((قد أمر الله بالعدل في مواضع كثيرة من كتابه ، وأمر بالعدل بين الناس في المقالات والمذاهب والدماء والأموال والأعراض وسائر الحقوق ، ونهى عن الظلم في كل شيء)) [٢] ، ويشير السعدي إلى (مفهوم مهم) في العدل مع الخصوم ، وقد يغيب كثيراً عن الإنسان ، وهذا المفهوم أخذه السعدي من توجيه القرآن للمطففين ، ذلك (المفهوم) هو (إنصاف الخصم) أثناء مناظرته فيقول السعدي : ((دلت الآية الكريمة على أن الإنسان كما يأخذ من الناس الذي له ، يجب أن يعطيهم كل ما لهم من الأموال والمعاملات ، بل يدخل في عموم هذا الحجج والمقالات ، فإنه كما أن المتناظرين قد جرت العادة أن كل واحد منهما يحرص على ماله من الحجج ، فيجب عليه أيضاً أن يبين ما لخصمه من الحجة التي لا يعلمها، وأن ينظر في أدلة خصمه كما ينظر في أدلته هو ، وفي هذا الموضع يعرف إنصاف الإنسان من تعصبه واعتسافه ، وتواضعه من كبره، وعقله من سفهه)) [٣] ، ولمكانة العدل وأهميته التربوية فالسعدي يشير إلى :

---

(١) السعدي ، الرياض الناضرة ، الكاملة/ الثقافة ، ج١ ص٣٩١ (مرجع سابق)

(٢) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج١ ص٣٩١ .

(٣) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، الكاملة/ التفسير ، ج٧ ص٥٨٦،٥٨٧ .(مرجع سابق)

[١] مكانة العدل بقوله ((ما قامت السموات والأرض إلا به ، فالعدل قوام الأمور وروحها))[١] .

[٢] لوازم وجوده : فلا يكون العدل إلا (بمعرفة حقيقته في كل أمر من الأمور)[٢]

[٣] نتيجته وثمرته : ((فإن فهمت الأمة حقيقة العدل ، وعرفت حدوده ، ووضعت كل شيء في موضعه ، وكان المتولون للولايات هم الكمل من الرجال والأكفاء للأعمال ، فجرت تدابيرهم وأفعالهم على العدل والسداد متجنبين للظلم والفساد ، ترقت الأمة وصلحت أحوالها)) [٣] ، وللعدل أهميته ومكانته في العملية التعليمية ، فيعدل المعلم بين تلاميذه في الشرح والنظر ، والتقويم ، والدرجات .

[د] خلق الصدق :

الصدق يُعرف بأنه : ((موافقة الحق في السر والعلانية)) [٤] ، وقيل : ((قول الحق في مواطن الهلاك)) [٥] ، والسعدي يبين مكانة الصدق بقوله: ((الصدق عنوان الإسلام وميزان الإيمان ، ورأس الدين ، وعلامة كمال المتصف به ، وأن له المقام الأعلى في الدين والدنيا وهو صريح الإخلاص، فإن المخلص قد استوى ظاهره وباطنه والصادق كذلك))[٦]،

---

(١) السعدي ، القواعد الحسان ، الكاملة/ التفسير ، ج٨ ص١١٠ (مرجع سابق)
(٢) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج٨ ص١١٠ .
(٣) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج٨ ص١١٠ .
(٤) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج١٥ ص٢٣٣ . (مرجع سابق)
(٥) الجرجاني ، التعريفات ، ص١٣٢ . (مرجع سابق)
(٦) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، الكاملة/التفسير ، ج٥ ص٣٨٩ (مرجع سابق)

وللصدق آثار تربوية على النفس منها :

١- إنتفاء معالم الحيرة والتردد والتناقض في حياة الصادق ، فيعيش هادئ النفس ، مرتاح القلب .

٢- الصدق طريق الإخلاص لله في الأقوال والأعمال .

٣- يحتل الصادق المكانة الاجتماعية العالية في المجتمع ، كما قال الفضيل بن عياض : ((لم يتزين الناس بشيء أفضل من الصدق وطلب الحلال)) [١] .

٤- بالصدق يكتسب الإنسان خصال الخير أجمع ، كما قال يوسف ابن أسباط : ((للصادق ثلاث خصال : الحلاوة والملاحة والمهابة)) وبذلك يكون محل احترام الناس وتقديرهم

[هـ] **خلق الصفح والتسامح :**

الصفح والتسامح والعفو خلق عظيم حث ا لله عليه بقوله : ﴿ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأمُورِ ﴾ « سورة الشورى ، آية ٤٣ » ، قال السعدي : ((ولمن صبر على ما يناله من أذى الخلق ، وغفر لهم ، بأن سمح لهم عما صدر منهم ، إن ذلك لمن عزم الأمور ، أي الأمور التي حث ا لله عليها وأكدها ، وأخبر أنه لا يلقاها إلا أهل الصبر والحظوظ العظيمة، ومن الأمور التي لا يوفق لها إلا أولو العزائم والهمم، وذوو الألباب والبصائر ، فإن ترك الانتصار للنفس ، بالقول أو الفعل ، من أشق شيء عليها ، والصبر على الأذى ، والصفح عنه ، ومغفرته ، ومقابلته

---

(١) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج٨ ص٤٢٦ . (مرجع سابق)

بالإحسان أشق وأشق)) [١] ، وتبرز القيمة التربوية للتسامح والصفح من أن ((التسامح ومحاولة تفهم الأخرين ، وتقبلهم على ما هم عليه من عادات وسلوك ، تتيح للإنسان فرص النجاح ، ومن ناحية أخرى تتيح له أن يساعد الأخرين على التخلص من الكثير من العادات غير النافعة ، لأنهم يأنسون منه النصح والإخلاص والتفهم فيكتسب صداقتهم وثقتهم فيستمعون إليه)) [٢] ، وتتجلى قوة الإرادة لدى ذلك المتسامح ، حيث إنه يتغلب على ميوله النفسية الفطرية لأن ((النفوس مجبولة على مقابلة المسيء بإساءته وعدم العفو عنه)) [٣] ، ولذلك الخلق آثار تربوية منها :

١- امتثال أمر الله بفعل ما يحبه من العفو ، وهذا يربي في النفس خلق التواضع لله ويهذب مشاعر الكبر والتسلط في النفس الأنانية .

٢- صاحب خلق الصفح والتسامح يعتبر قدوة عملية لأبناء المجتمع الذين يريدون متابعته ومشاكلته .

٣- حصول المنزلة العظيمة عند الله للمتسامحين .

ثالثاً : (الميدان الصحي)

للتربية دورها في ميدان الصحة الإنسانية بشقيها (البدني والنفسي)

---

(١) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، الكاملة/ التفسير ، ج٦ ص٦٢٥ . (مرجع سابق)

(٢) يالجن ، والقاضي ، علم النفس التربوي في الإسلام ، ص ١٦٤ (مرجع سابق)

(٣) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، الكاملة/ التفسير ، ج٦ ص٥٧٧ ، ٥٧٨ (مرجع سابق)

وقد أولى السعدي عنايته بهذا الميدان من خلال الركنين التاليين :

الركن الأول : الصحة البدنية الجسمية .

الركن الثاني : الصحة النفسية الروحية

الركن الأول : الصحة البدنية الجسمية :

العناية بالجسم وتوفير الصحة والعافية البدنية له يتحقق من خلال جانبين مهمين هما :

الجانب الأول : (الصحة الوقائية) .

الجانب الثاني : (الصحة العلاجية) .

الجانب الأول : الصحة الوقائية

وتتمثل عناصر هذه الصحة بالمطالب التالية :

المطلب الأول : تدبير الغذاء :

وذلك بتناول الغذاء المناسب الذي يمد الجسم بالطاقة التي يحتاج إليها، وأن يتناول الغذاء في وقت مناسب ، وأن لا يتناول أكثر من حاجته ، قال السعدي : ((وأصول الطب تدبير الغذاء بأن لا يأكل حتى تصدق الشهوة وينهضم الطعام السابق إنهضاماً تاماً ، ويتحرى الأنفع من الأغذية)) [1]، ويشير السعدي إلى قاعدة مهمة في قضية اختيار الأنفع من الأغذية وأن ذلك يختلف ((بحسب حالة الأقطار والأشخاص والأحوال))[2] ثم يضيف السعدي قائلاً : ((ولا يمتلئ من الطعام امتلاءاً

(١) السعدي ، بهجة قلوب الأبرار ، الكاملة/ الحديث ، ص ١٢٤ (مرجع سابق)

(٢) السعدي ، (المرجع السابق) ، ص ١٢٤ .

يضره مزاولته والسعي في تهضيمه بل الميزان قوله تعالى : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ﴾ « سورة الأعراف ، آية ٣١ » [١] ، فتدبير الغذاء يكون بـ :

١- تحديد نوعية الطعام .

٢- تحديد زمن الطعام .

٣- تحديد مقدار الطعام .

وشاهد كلام السعدي هذا في تحديد مقدار المأكول من الطعام ، قوله ﷺ : « **ما ملأ ابن آدم وعاءً شر من بطن بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه ، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه** » رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح [٢] .

المطلب الثاني : إلتزام قواعد الصحة العامة :

من عوامل حفظ الصحة والعناية بالجسم عند السعدي، العناية التامة بالنظافة في الجسم والملبس والمسكن ولهذا قال: ((من الآداب الشرعية الوفية الطبية تنظيف الجسد والثياب والأواني المستعملة والفرش والمجالس عن الأوساخ كلها وما يقبح مرآه)) [٣] ، وأكد السعدي على أهمية المسكن الصحي وبأنه الذي يدخله الهواء بقوله : ((أسباب صحة الأبدان... وتنظيف البدن من الأوساخ والمسكن العذي والهواء

---

(١) السعدي ، (المرجع السابق) ، ص ١٢٤ .

(٢) الترمذي ، سنن الترمذي ، ج٤ ص٥١٠ . (مرجع سابق)

(٣) السعدي ، الرياض الناضرة ، الكاملة / الثقافة ، ج١ ص٥٥٠ (مرجع سابق)

الطري))[١] ويؤكد السعدي على الأهمية الصحية للهواء النقي فيقول : ((واعلم أن طيب الهواء ونظافة البدن والثياب والبعد عن الروائح الخبيثة خير عون على الصحة)) [٢] . فالقواعد الصحية التي أشار السعدي إلى أهمية الإلتزام بها حفظاً للصحة تتحدد في ضابطين :

الضابط الأول : الإهتمام بالنظافة في ((الجسم والملبس والمسكن والأواني المستعملة والفرش والمجالس وكل ما يُرى)) .

الضابط الثاني : الشروط الصحية الواجب العناية بها هي ((دخول الهواء للمسكن وشم الهواء النقي والإبتعاد عن الروائح الكريهة)) .

المطلب الثالث : البعد عن كل ما يخل بالصحة :

فلا يتناول ما يؤذي صحته من طعام وشراب وغيره بل يبتعد عنه لأن حفظ الصحة يكون بـ ((الحمية من جميع المؤذيات والأمور الضارة))[٣]، وأكد السعدي على أهمية الحمية صحياً في تناول الطعام فقال : ((وقد نبه القرآن على حفظ الصحة ودفع المؤذي في قوله تعالى : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا ﴾ « سورة الأعراف ، آية ٣١ » فأمر الله بالأكل والشرب بحسب ما يلائم الإنسان ، وينفعه في كل وقت وحال ، ونهى عن الإسراف في ذلك ، إما بالزيادة في كمية المأكولات والمشروبات ، وإما في كيفيتها بالتخليط في المطعوم والأوقات ، وهذا حمية عن كل ما

---

(١) لسعدي ، (المرجع السابق) ، ج١ ص٥٠٧ .
(٢) السعدي ، بهجة قلوب الأبرار ، الكاملة/ الحديث ، ص١٢٤ (مرجع سابق)
(٣) السعدي ، الدين الصحيح يحل جميع المشاكل ، الكاملة / الثقافة ، ج١ ص ٣٥٠. (مرجع سابق)

يؤذي الإنسان)) [١] .

٢- الجانب الثاني : الصحة العلاجية

وذلك بعلاج الأمراض بعد وقوعها ، فالشريعة الإسلامية جاءت بعلاج الأمراض ((ومداواتها بعد نزولها ، وأمرت مع ذلك بالتوكل على الله والإعتماد عليه)) [٢] . ويتمثل ذلك الجانب في المطالب التالية :

المطلب الأول : شرعية العلاج :

يؤكد السعدي على شرعية العلاج للأمراض بقوله : ((هذا الدين يحث على التداوي إذا وقعت الآلام ، ويخبرهم الشارع أنه ما من داء إلا وله شفاء ودواء ، علمه من علمه وجهله من جهله لئلا يخلدوا إلى الكسل عن مداواة بعض الآلام ويظنوا أنه لا دواء لها ، فإنهم إذا علموا أن لها دواء جدوا في تعلمه وطلبه)) [٣] ، فالسعدي يدعو ويحث على دراسة الطب وتعلمه ، آخذاً مبدأه ذلك من حديث الرسول ﷺ : ((**ما أنزل الله داءً إلا أنزل له شفاءً**)) رواه البخاري [٤] .

---

(١) السعدي ، القواعد الحسان ، الكاملة / التفسير ، ج ٨ ص١١١ (مرجع سابق)

(٢) السعدي ، الدين الصحيح يحل جميع المشاكل ، الكاملة / الثقافة ، ج١ ص٣٥١ . (مرجع سابق)

(٣) السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر ، تنزيه الدين وحملته ورجاله مما افتراه القصيمي في أغلاله ، المجموعة الكاملة / الثقافة الإسلامية ، عنيزة : مركز صالح بن صالح الثقافي ، ط٢ ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م ، ج٢ ص٤٥١ .

(٤) البخاري ، صحيح البخاري بحاشية السندي ، ج٤ ص٨ . (مرجع سابق)

المطلب الثاني : ترتيب العلاج :

ينظر السعدي إلى العلاج على أن أخذه إنما هو من باب الضرورة أو الحاجة ، ولذلك حث على الحمية (الوقاية) من المرض أولاً ، فإن لم تنفع يستعمل المريض (الإستفراغ) لما يؤذيه ثانياً ، فإن لم يجد أو لم يمكن فإنه يأخذ بالعلاج ثالثاً ، وفي هذا الترتيب العلاجي يقول السعدي : ((ويستعمل الحمية عن جميع المؤذيات في مقدارها ، أو في ذاتها ، أو في وقتها ، ثم إن أمكن الإستفراغ وحصل به المقصود من دون مباشرة الأدوية فهو الأولى والأنفع ، فإن اضطر إلى الدواء استعمله بمقدار ، وينبغي أن لا يتولى ذلك إلا عارف وطبيب حاذق))[1] .

المطلب الثالث : الوجه الصحي للصلاة :

ينظر السعدي إلى الصلاة على أنها رياضة للروح والبدن مع كونها فريضة شرعية لذاتها ، فهي تفيد الروح والبدن كما يلي :

١- ((ما في الصلوات ووسائلها وتوابعها من المشي والذهاب والمجيء والقيام والقعود والركوع والسجود المتكرر ، وكذلك الطهارة المتكررة))[2] ، فالصلاة فيها تمرين للجسم وتقوية له كذلك بقية العبادات من الحج والعمرة والجهاد فيها حركات رياضية تقوي البدن والسعدي يجعلها كافية عن الممارسات الرياضية الأخرى ، فيقول : ((إذا تدبرت العوائد الشرعية في الحركات البدنية عرفت أنها مغنية عن غيرها ،

---

(١) السعدي ، بهجة قلوب الأبرار ، الكاملة / الحديث ، ص١٢٤ (مرجع سابق)

(٢) السعدي ، الرياض الناضرة ، الكاملة / الثقافة ، ج١ ص٣٨١ (مرجع سابق)

فحركات الطهارة والصلاة والمشي إلى العبادات ومباشرتها ، وخصوصاً إذا انضاف إلى ذلك تلذذ العبد بها ، وحركات الحج والعمرة والجهاد المتنوعة)) [١] .

٢- الرياضة الروحية للصلاة فإن ((روح الصلاة ومقصودها الأعظم حضور القلب بين يدي الله ومناجاته بكلامه وذكره والثناء عليه ودعائه والتضرع إليه وطلب القربة عنده ، ورجاء ثوابه ، وذلك بلا ريب ينير القلب ويشرح الصدر ، ويفرح النفس والروح)) [٢] ، وهذا الذي ذكره السعدي بينه الرسول ﷺ بقوله : « **يعقد الشيطان على قافية أحدكم ثلاث عقد إذا نام ، بكل عقدة يضرب عليك ليلاً طويلاً فإذا استيقظ فذكر الله انحلت عقدة ، وإذا توضأ انحلت عقدتان فإذا صلى انحلت العقد فأصبح نشيطاً طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان** » رواه البخاري ومسلم وهذا لفظ مسلم [٣] .

المطلب الرابع : الرياضة البدنية غاية أم وسيلة :

لا يشك أحد في أهمية ممارسة النشاط الرياضي للجسم ، بل إن الإنسان كلما مارس الرياضة ((قويت أعضاءه واشتدت أعصابه ،وخفت حركاته وزاد نشاطه واستحدث قوة إلى قوته)) [٤] ، ولكن الإفراط في

(١) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج١ ص٤٨٧ .
(٢) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج١ ص٣٨١ .
(٣) مسلم ، صحيح مسلم بشرح النووي ، ج٦ ص٦٥ (مرجع سابق)
(٤) السعدي ، الرياض الناضرة ، الكاملة / الثقافة ، ج١ ص٤٨٧ (مرجع سابق)

الجانب الرياضي وإهمال جوانب تربية الجسم والروح الأخرى يعتبر من الخطأ ، حيث إن ((الرياضة البدنية من باب الوسائل التي تقصد لغيرها لا لنفسها)) (١) ، ونظراً لأن الرياضة وسيلة وليست غاية ، فإن السعدي يبين وجهة نظره في مسألة ((إحتراف الرياضة)) فيقول : ((ولا ينبغي للعبد أن يجعل الرياضة البدنية غايته ومقصوده فيضيع عليه وقته ، ويفقد المقصود والغاية النافعة الدينية والدنيوية ، ويخسر خسراناً كثيراً كما هو دأب كثير من الناس الذين لا غاية لهم شريفة ، وإنما غايتهم مشاركة البهائم فقط ، وهذه غايةٌ ما أحقرها وأرذلها وأقل بقاءها)) (٢) .

الركن الثاني : (الصحة النفسية الروحية)

صحة النفس وسرور القلب تأتي في الدرجة الأولى لصحة الجسم ، فإنه من ((المعلوم عند جميع الأطباء أن السعي في راحة القلب وسكونه وفرحه وزوال غمه وهمه من أكبر الأسباب الجالبة للصحة الدافعة للأمراض المخففة للآلام)) (٣) .

وتزداد أهمية الصحة النفسية في وقتنا الحاضر حيث اختلطت الحضارات نظراً لتشابك المصالح بين المسلمين وغيرهم ، ومن المعلوم أن ((من السمات البارزة للحضارة الغربية شيوع القلق والحيرة والإرتياب بين الناس ، وذلك من أثر التغير الاجتماعي السريع الشامل الذي بدأه

---

(١) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج١ ص٤٨٧ .

(٢) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج١ ص٤٨٨ .

(٣) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج١ ص٣٨١ .

الناس في الستين سنة الأخيرة)) [١] ، ولقد ظهر إفلاس الحضارة الغربية في جانب الصحة النفسية نظراً لأنها حضارة تشعر الإنسان بأنه منبوذ مهجور في عالم يستغله ويغشه ويخدعه ، حضارة تشعره بالعزلة والعجز وقلة الحيلة في عالم عدائي يغشاه من كل جانب ، فقد شجعت التنافس المسعور بين الناس ، وأضعفت الصلة بين العامل وصاحب العمل ، وأوهنت روابط الأسرة ، وزلزلت أركان الإيمان ، وجعلت كل إنسان يعيش لنفسه ، فهي في جملتها حضارة مادة وهوس وسرعة وتوتر وضجيج، فلا عجب إذن إن اقترنت هذه الحضارة باعتلال الصحة النفسية)) [٢] ، ونظراً لتسلل مفاهيم الحضارة الغربية إلى المجتمعات الإسلامية وتقمص كثير من المسلمين لتلك المفاهيم ، فإنه من المهم تجلية حقائق الصحة النفسية من المنظور الإسلامي ، والسعدي أعطى ذلك الجانب حقه من الرعاية فجاء كتابه المسمى بـ ((الوسائل المفيدة للحياة السعيدة)) [٣] ليبين وسائل حفظ الصحة النفسية . وقد جاءت هذه الوسائل كما يلي :

١ - الإيمان بالله والعمل الصالح : قال تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا

---

(١) راجح ، أحمد عزت ، أصول علم النفس ، الإسكندرية : المكتب المصري للطباعة ، ط٩ ، ١٩٧٣م ، ص٥٠٢ .

(٢) أحمد عزت راجح ، أصول علم النفس ، ص ٥٠٣ . (مرجع سابق)

(٣) السعدي ، الوسائل المفيدة للحياة السعيدة ، الكاملة / الثقافة ، ج٢ ص٤٧٦- ٤٩٥ . (مرجع سابق)

كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ « سورة النحل ، آية ٩٧ » ، قال السعدي : ((أخبر تعالى ووعد من جمع بين الإيمان والعمل الصالح بالحياة الطيبة في هذه الدار)) [١] ، ثم علل السعدي كون الإيمان مثمر للحياة الطيبة بقوله عن المؤمنين : ((إن معهم أصول وأسس يتلقون فيها ما يَرِدُ عليهم من أسباب السرور والإبتهاج ، وأسباب القلق والهم والأحزان ، يتلقون المحاب والمسار بقبول لها ، وشكر عليها ، واستعمالها فيما ينفع ... ويتلقون المكاره والمضار والهم والغم بالمقاومة لما يمكنهم مقاومته ، وتخفيف ما يمكنهم تخفيفه ، والصبر الجميل لما ليس منه بد ، وبذلك يحصل لهم من آثار المكاره من المقاومات النافعة ، والتجارب والقوة ، ومن الصبر واحتساب الأجر والثواب أمور عظيمة تضمحل معها المكاره، وتحل محلها المسار والآمال الطيبة)) [٢]، ومصداق ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ « سورة النساء ، آية ١٠٤ » .

٢- الإحسان إلى الخلق بالقول والفعل :

ففي ذلك الإحسان ((يدفع الله عن البر والفاجر الهموم والغموم بحسبها ، ولكن للمؤمن منها أكمل الحظ والنصيب ، ويتميز بأن إحسانه صادر عن إخلاص واحتساب لثوابه فيهون الله عليه بذل المعروف))[٣] .

---

(١) السعدي ، الوسائل المفيدة للحياة السعيدة ، الكاملة / الثقافة ، ج٢ ص٤٨٣ . (مرجع سابق)

(٢) السعدي ، (المرجع السابق) ج٢ ص٤٨٣ .

(٣) السعدي ، الوسائل المفيدة للحياة السعيدة ، الكاملة / الثقافة ، ج٢ ص٤٨٦ . (مرجع سابق)

٣- الإشتغال بالعلم أو العمل النافع :

وذلك لأن الإشتغال مما : ((يُلهي القلب عن اشتغاله بذلك الأمر الذي أقلقه ، وربما نسي بسبب ذلك - العلم أو العمل - الأسباب التي أوجبت له الهم والغم ، ففرحت نفسه ، وازداد نشاطه)) [(١)] .

٤- الإكثار من ذكر الله تعالى :

وهذا الذكر يكون باللسان والقلب : ((بمشاهدة آيات الله وآلائه على الطبيعة والذكر بالتفكر والتدبر)) [(٢)] .

والسعدي يوضح قيمة ذكر الله في الصحة النفسية بقوله : ((فلذكر الله أثر عظيم في حصول هذا المطلوب - يعني انشراح الصدر وطمأنينة النفس - لخاصيته ، ولما يرجوه العبد من ثوابه وأجره ، وكذلك التحدث بنعم الله الظاهرة والباطنة ، فإن معرفتها والتحدث بها يدفع الله به الهم والغم ، ويحث العبد على الشكر الذي هو أرفع المراتب وأعلاها)) [(٣)] ، ونظراً لأهمية ذكر الله فإنه يجب ((على المربي أن يعود الناشئين على ذكر الله على بصيرة ومشاهدة فلا يذكر اسم الله إلا بعد أن يبصرهم بآية من آياته من أنفسهم أو من الآفاق أو عند تبصيرهم نعمة من نعم الله عليهم)) [(٤)] وبهذا يتلازم التعليم القولي بالتطبيق العملي له .

---

(١) السعدي ، الوسائل المفيدة للحياة السعيدة ، الكاملة / الثقافة ، ج٢ ص٤٨٧ . (مرجع سابق)

(٢) يالجن ، القاضي ، علم النفس التربوي في الإسلام ، ص٣٣٢ (مرجع سابق)

(٣) السعدي ، الوسائل المفيدة للحياة السعيدة ، الكاملة / الثقافة ، ج٢ ص٤٨٨ . (مرجع سابق)

(٤) يالجن، القاضي، علم النفس التربوي في الإسلام، ص٣٣٢،٣٣٣ (مرجع سابق)

٥- جمع الفكر على العمل الحاضر :

قال السعدي : ((ومما يدفع به الهم والقلق اجتماع الفكر كله على الاهتمام بعمل اليوم الحاضر ، وقطعه عن الإهتمام في الوقت المستقبل ، وعن الحزن على الوقت الماضي)) [١] .

٦- السعي الجاد في إزالة أسباب الهموم :

ويوضح السعدي ذلك السعي بأن يكون بـ ((نسيان ما مضى عليه من المكاره التي لا يمكنه ردها ، ومعرفة أن اشتغال فكره فيها من باب العبث والمحال ، وأن ذلك حمق وجنون)) [٢] .

٧- توطين النفس على أخذ الجزاء على الأعمال من ا لله وليس من الناس ، وفي ذلك يقول السعدي : ((ومن أنفع الأمور لطرد الهم أن توطن نفسك على أن لا تطلب الشكر إلا من ا لله فإذا أحسنت إلى من له حق عليك ، أو من ليس له حق ، فاعلم أن هذا معاملة منك مع ا لله)) [٣] .

٨- حسم الأعمال في الحاضر والتفرغ للمستقبل :

ويوضح السعدي فائدة ذلك بأن الإنسان إذا حسم ((كل شيء بوقته أتى الأمور المستقبلة بقوة تفكير وقوة عمل)) [٤] .

---

(١) السعدي ، الوسائل المفيدة للحياة السعيدة ، الكاملة / الثقافة ، ج٢ ص٤٨٧ . (مرجع سابق)

(٢) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج٢ ص٤٨٩ .

(٣) السعدي ، الوسائل المفيدة للحياة السعيدة ، الكاملة / الثقافة ، ج٢ ص٤٩٤ . (مرجع سابق)

(٤) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج٢ ص٤٩٤ .

٩- تخفيف المصائب بتقدير حلول أعظم منها :

وفي بيان أهمية ذلك يقول السعدي : ((إذا حصل على العبد من النكبات أن يسعى في تخفيفها بأن يقدر أسوأ الإحتمالات التي ينتهي إليها الأمر ، ويوطن على ذلك نفسه)) [١] ولا يكتفي السعدي بمجرد توطين النفس بل إن على الإنسان أن يسعى جاهداً لـ ((تخفيف ما يمكن تخفيفه بحسب الإمكان)) [٢] ، ومن هذين الشرطين : توطين النفس أولاً ، ثم السعي في تخفيف المصيبة ، بهذين ((تزول همومه وغمومه)) [٣] .

١٠- عدم الإسترسال مع الأكدار والهموم :

ويحث السعدي على ذلك بقوله : ((العاقل يعلم أن حياته الصحيحة حياة السعادة والطمأنينة وأنها قصيرة جداً ، فلا ينبغي له أن يقصرها بالهم والإسترسال مع الأكدار)) [٤] ، وبهذه الوسائل لحفظ صحة الإنسان النفسية الروحية ، فإن التربية الإسلامية تؤدي دور التنمية للإيمان في القلوب ، وذلك مما تهدف إليه التربية وتسعى لتحقيقه في نفوس المتربين ، ومتى ما تحققت هذه الراحة النفسية للمتربين فإن ذلك يجعل الأمة أكثر استقراراً وتقدماً حضارياً ، لأن : ((الحضارة تبدأ حيث ينتهي الإضطراب والقلق لأنه إذا ما أمن الإنسان من الخوف تحررت في نفسه

---

(١) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج٢ ص٤٩٠ .

(٢) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج٢ ص٤٩٠ .

(٣) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج٢ ص٤٩٠ .

(٤) السعدي ، الوسائل المفيدة للحياة السعيدة ، الكاملة/الثقافة ، ج٢ ص٤٩٣ . (مرجع سابق)

دوافع التطلع ، وعوامل الإبداع والإنشاء)) [١] ، ويؤكد أحد المربين الغربيين على أهمية الصحة النفسية ، وأن اعتلالها يؤدي إلى انهيار الأمة فيقول : ((ونحن إذا بحثنا في الأسباب التي أدت بالتتابع إلى انهيار الأمم وجدنا أن العامل الأساسي في سقوطها هو تغير مزاجها النفسي تغيراً نشأ عن انحطاط أخلاقها)) [٢] .

رابعاً : (الميدان السياسي)

تقوم التربية الإسلامية بدورها في المجال السياسي ، والسعدي يشير إلى أن السياسة الصحيحة ينبغي أن تقوم على قاعدتين مهمتين:

القاعدة الأولى : إتخاذ كافة السبل لتقوية الدولة الإسلامية :

فيقول : ((السعي الحثيث في تقوية المسلمين ، والسعي في إزالة الضغائن والعداوات الواقعة بين أفرادهم وجماعاتهم وحكوماتهم بالدعايات والمواعظ المناسبة للحال)) [٣] ، فتقوية المسلمين تشمل :

[أ] تقويتهم في الجانب العلمي .

[ب] تقويتهم في الجانب الإقتصادي .

[ج] تقويتهم في الجانب العسكري .

---

(١) ديورانت ، ول ، قصة الحضارة ، ترجمة زكي نجيب محمود ، القاهرة : لجنة التأليف والترجمة ، ١٩٤٩م ، ج١ ص٧ .

(٢) لوبون ، غوستاف ، السنن النفسية لتطور الأمم ، ترجمة عادل زعيتر ، القاهرة : عيسى البابي الحلبي ، د . ت ، ص١٧٢ .

(٣) السعدي ، الجهاد في سبيل الله ، الكاملة/الثقافة ، ج١ ص١٦٠ (مرجع سابق)

القاعدة الثانية : الدعوة لتضامن المسلمين :

وذلك : (بأن يكون صوت المسلمين واحداً يتكلم ويدعو إليه العلماء والكبراء وجميع طبقات الناس كلهم يتفقون لهذه الدعوة بحسب إمكانهم)(١) وهذه الدعوة لتوحيد كلمة المسلمين إنما هي رجع الصدى لأمر الله تعالى بذلك في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ « سورة الحجرات ، آية ١٠ » ، وقول الرسول ﷺ « **لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخواناً كما أمركم الله** » رواه مسلم (٢) .

ويوضح السعدي أهم المعالم التي بها تحفظ الأمة مكانتها السياسية بين الأمم ، وذلك عبر المطالب التالية :

المطلب الأول : (بعض الثوابت التي تحفظ للأمة مكانتها) (٣)

بين السعدي بعض القواعد الثابتة التي جاءت بها الشريعة الإسلامية وعلى ضوئها تقوى مكانة الأمة ، وهذه الثوابت هي (٤) :

١- أهمية الشورى والحث عليها .

٢- الاستعداد التام والتحرز من مكائد الأعداء .

٣- العمل على تقوية الإيمان بالله والتوكل عليه في دفع الأضرار .

---

(١) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج١ ص١٦٠ .

(٢) مسلم ، صحيح مسلم بشرح النووي ، ج١٦ ص١٢٠ . (مرجع سابق)

(٣) السعدي ، وجوب التعاون بين المسلمين ، الكاملة / الثقافة ، ج١ ص٢٤١ . (مرجع سابق)

(٤) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج١ ص٢٤١ .

٤- الحذرمن الفرقة والجبن والكسل .

٥- تعيين الأكفاء في تولي الأعمال القيادية .

٦- عقد المعاهدات السلمية النافعة الدافعة .

٧- وجوب الوفاء بالعهود ، وأداء الأمانات العامة والخاصة .

٨- مكافأة المحسنين بالقول والفعل .

المطلب الثاني : (سبل دفع الأعداء)

وفي المجال العسكري ، بين السعدي أهم السبل الواجب على المسلمين اتخاذها من أجل دفع ورفع تسلط الأعداء على المسلمين ، وهذه السبل تتلخص في الآتي [١] :

١- الإستعداد بتعلم الفنون الحربية والأنظمة السياسية والعسكرية .

٢- إعداد القادة المحنكين ليتولوا مقاليد الأمور العسكرية .

٣- إنشاء المصانع للأسلحة .

٤- التدريب الشامل على الرمي والركوب حسب نوعية السلاح وزمانه.

٥- اتخاذ كافة الإحتياطات اللازمة للوقاية من الأعداء .

٦- التحري الدائم والتقصي لأخبار الأعداء .

ويركز السعدي على أهمية (التحري والتقصي) لأخبار الأعداء ، ودراسة أحوالهم وسياساتهم ، بل إنه يعتبر ذلك ركن من أركان السياسة والقيادة ، فيجب على المسلمين القيام به ، فيقول : ((قد علم من قواعد

---

(١) السعدي ، وجوب التعاون بين المسلمين ، الكاملة / الثقافة ، ج١ ص١٩٢ .
(مرجع سابق)

الدين أن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، وأن الوسائل لها أحكام المقاصد ، ولا يخفى انه لا يتم التحرز من أضرار الأمم الأجنبية والتوقي لشرورها إلا بالوقوف على مقاصدهم ، ودرس أحوالهم وسياساتهم ، وخصوصاً السياسة الموجهة منهم للمسلمين ، فإن السياسة الدولية قد أسست على المكر والخداع ، وعدم الوفاء ، واستعباد الأمم الضعيفة بكل وسائل الإستعباد)) [١] .

المطلب الثالث : (الصلح وفوائده)

الصلح مع الأعداء مبدأ شرعي جاء ذكره في القرآن وجاء فعله في السنة الصحيحة ، ففي القرآن يقول الله تعالى : ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ « سورة الأنفال ، آية ٦١ » ، و الرسول ﷺ في السنة (٦هـ) في ذي القعدة عقد مع قريش الصلح المعروف بـ " صلح الحديبية " بشروط اتفق عليها الطرفان [٢] .

والسعدي يشير إلى أهم فوائد الصلح وأثاره التربوية وهي [٣] :

١- إن طلب العافية من القتال مطلوب كل وقت خصوصاً إذا جاء من الطرف الآخر .

٢- إن الصلح خير وسيلة لاستجماع القوى من جديد .

---

(١) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج١ ص١٩٥ .

(٢) المباركفوري ، صفي الرحمن، الرحيق المختوم ، مكة المكرمة : المكتبة الفيصلية ، ط٣، ١٤١١هـ / ١٩٩١م) ص٣٧٨

(٣) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، الكاملة / التفسير ، ج٣ ص١٨٥ . (مرجع سابق)

٣- بالصلح ينتشر الفكر الدعوي بطرق سلمية ، ودين الإسلام موافق للفطر والعقول فذلك أدعى لقبوله .

المطلب الرابع : (وجوب تبادل المصالح بين المسلمين)

إن التعاون بين الدول الإسلامية ضرورة شرعية قال تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ « سورة المائدة آية ٢ » ، ويقول الرسول ﷺ : «**المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة ، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة** » متفق عليه ، واللفظ للبخاري [١] ، والسعدي يبين أن تبادل المصالح بين المسلمين يتحقق بمراعاة الضوابط التالية :

١- ((عقد المعاهدات بين الحكومات الإسلامية لرفع الإعتداء فيما بينها والاحتفاظ لكل حكومة بشخصيتها الدولية)) [٢] .

٢- ((بعث روح التضامن والتعاون فيما بين الدول الإسلامية))[٣] .

٣- تسهيل الأمور الاقتصادية فيما بين الدول الإسلامية [٤] .

٤- نبذ الحواجز والحدود الحائلة دون اتصال بعض المسلمين ببعض ، وذلك من أجل التعارف والتفاهم والتعاون لتحصيل حقوقهم . وهذه

---

(١) البخاري ، صحيح البخاري بحاشية السندي ، ج٢ ص٦٦ (مرجع سابق)
(٢) السعدي ، الجهاد في سبيل الله ، الكاملة/ الثقافة ، ج١ ص١٧٢ (مرجع سابق)
(٣) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج١ ص١٧٢ .
(٤) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج١ ص١٧٢ .

الضوابط قد تكون شاقة على المسلمين فيتكاسلون عن القيام بها ، ولكن السعدي يحذر من ذلك الكسل والخور واليأس، ويبين أن ذلك ((الكسل والخور ينافي الرغبة في الدين ، وينافي الجهاد الحقيقي ، أما اليأس من حصول المصالح ومن دفع المضار فإنه الهلاك بعينه ، وهل أخر المسلمين عن الأمم إلا تفرقهم وكسلهم وجبنهم وخورهم ويأسهم من القيام بشؤونهم حتى صاروا بذلك عالة على غيرهم))[١] ، ويبين الطريق الصحيح الذي رسمه الإسلام لأبنائه ، وذلك بأن ((يكونوا في مقدمة الخلق في القوة والشجاعة والصبر والملازمة للسعي في كل أمر نافع ، والعزم والحزم ، والرخاء ، وحسن الثقة با لله في تحقيق مطالبهم))[٢] .

خامساً : (الميدان الاجتماعي)

تمارس التربية نشاطها في هذا الميدان لإخراج أمة الخيرية التي نعتها ا لله بقوله : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ « سورة آل عمران ، آية ١١٠ » ، وهذه الأمة لا تتكون إلا بتحقيق المقاصد التالية :

المطلب الأول : مقاصد الوحدة الإسلامية :

فالتربية الإسلامية تدعو إلى التضامن والتكافل بين كافة أبناء الأمة الإسلامية فالسعي ((والدعوة إلى جمع المسلمين ، وإلى إصلاح ذات بينهم هو أفضل الأعمال ، وأنه أفضل من استغراق الزمان بالصوم والصلاة ،

---

(١) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج١ ص١٦١ .
(٢) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج١ ص١٦١ .

وأنه من أعظم وأجل الجهاد في سبيل الله ، فإن أصل الجهاد الذي لا يستقيم إلا به : إرتباط الكلمة وارتباط المسلمين بالأخوة الدينية ارتباطاً وثيقاً قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ « سورة الحجرات، آية ١٠ » وبه تحصل أسباب النصر، قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ(٦٢)وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾ « سورة الأنفال ، آية ٦٢ ، ٦٣ » فبين أنه يجب على المؤمنين الإرتباط بالأخوة الدينية ، وإن تحقيق هذا الأمر من مقتضيات الإيمان وشروطه ، وإنه كلما قوي إيمان العبد عرف مقدار نفع هذا الأمر ، وعمل واجتهد عليه))[١]، ويوضح السعدي أهم الوسائل التي تتحقق بها هذه المقاصد :

١- عقد المعاهدات الحكومية للصداقة وعدم الاعتداء واحتفاظ كل حكومة بشخصيتها الدولية ، وإدارتها الداخلية والخارجية [٢] .

٢- وجود عنصر التكافل والتضامن بينها حتى يكونوا يداً واحدة على كل من عاداهم وتعدى على حقوقهم [٣] .

٣- تيسير سبل التبادل التجاري تحقيقاً لمصلحة الجميع [٤] .

٤- الجد والاجتهاد في تحقيق هذه الوسائل حتى تتحقق الوحدة الإسلامية كما يجب أن تكون .

---

(١) السعدي، الجهاد في سبيل الله ، الكاملة / الثقافة ، ج١ ص١٦٠ (مرجع سابق)

(٢) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج١ ص١٧٢.

(٣) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج١ ص١٧٢ .

(٤) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج١ ص١٧٢ .

المطلب الثاني : مقاصد الأخوة الإسلامية :

للمسلم على أخيه المسلم حقوق ، وعليه واجبات ، وبقيام كل منهما بحق الآخر تجاهه تقوم علاقة الحب والعطف والإخاء بين طبقات المجتمع وبذلك يستقيم كيان المجتمع ، وفي التربية الإسلامية حدد الشارع الحكيم هذه الحقوق بين العباد ، وأمرهم بأدائها كما يجب ، والسعدي أشار إلى هذه الحقوق كما يأتي :-

[١] حقوق الوالدين :

أمر الله عباده بأن ((أحسنوا إليهم بالقول الكريم والخطاب اللطيف ، والفعل الجميل ، بطاعة أمرهما ، واجتناب نهيهما والإنفاق عليهما ، وإكرام من له تعلق بهما وصلة الرحم التي لا رحم لك إلا بهما)) [١] ، وبالحض على بر الوالدين وردت السنة فمن ذلك أنه جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال إني أشتهي الجهاد وإني لا أقدر عليه ، فقال رسول الله ﷺ : «**هل بقي أحد من والديك ؟** » قال : أمي . قال : « **فابل الله عذراً في برها ، فإنك إذا فعلت ذلك فأنت حاج معتمر ومجاهد ، إذا رضيت عنك أمك ، فاتق الله وبرها** » رواه الطبراني [٢] .

[٢] حقوق الأولاد :

السعدي بين ضرورة اهتمام الوالدين بأولادهما فقال : ((الأولاد

---

(١) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، الكاملة / التفسير ، ج٢ ص٦٣ .   (مرجع سابق)

(٢) الطبراني ، المعجم الأوسط ، ج٣ ص١٩٩ .   (مرجع سابق)

أمانات عند الوالدين ، عليهم القيام بحفظ هذه الأمانات وكفهم عن جميع المضار والمفاسد ، وتعليمهم العلوم النافعة ، وأخذهم بالأخلاق الفاضلة))[١] ، فالسعدي بين ضرورة :

أ- التربية العلمية : للأولاد بقوله : ((تعليمهم العلوم النافعة)) وقوله: ((وأولى من على العالم تعليمه ونصحه وإرشاده بكل وسيلة مناسبة وطريقة ناجحة : الأهل والأولاد)) [٢] .

ب- التربية الخلقية : بقوله : (وأخذهم بالأخلاق الفاضلة) ويبين أهمية هذه التربية للأولاد بقوله : ((فالآداب الحسنة خير للأولاد حالاً ومآلاً من إعطائهم الذهب والفضة ، وأنواع المتاع الدنيوي ، لأن بالآداب الحسنة ، والأخلاق الجميلة يرتفعون ، وبها يسعدون ، وبها يؤدون ما عليهم من حقوق الله وحقوق العباد ، وبها يجتنبون أنواع المضار ، وبها يتم برهم لوالديهم)) [٣] .

ج- التربية البدنية : بقوله : ((فكما أنك إذا أطعمتهم وكسوتهم وقمت بتربية أبدانهم ، فأنت قائم بالحق مأجور)) [٤] .

د- التربية الفكرية العقلية : بقوله : ((وينبغي للوالد أن يشاور أولاده في الأمور المتعلقة بهم ويستخرج آراءهم ويعودهم على تربية أفكارهم وتنمية عقولهم)) [٥] .

---

(١) السعدي ، الرياض الناضرة ، الكاملة / الثقافة ، ج١ ص٤١٦ (مرجع سابق)
(٢) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج١ ص٤٣٩ .
(٣) السعدي ، بهجة قلوب الأبرار ، الكاملة / الحديث ، ١٢٨ (مرجع سابق)
(٤) السعدي ، (المرجع السابق) ، ١٢٩ .
(٥) السعدي ، الرياض الناضرة ، الكاملة / الثقافة ، ج١ ص٤١٥ (مرجع سابق)

[٣] حقوق الزوجية :

بالزوج والزوجة يقوم كيان الأسرة ، وبحسن العلاقة بينهما تعيش الأسرة بهدوء ورفق مما يهيء للأولاد المحضن التربوي المناسب ، وبالعدل بين الزوجين تلتئم حياتهما الزوجية .

والسعدي يحدد المعالم التي يجب على كل من الزوجين القيام بها كما يلي :

أ- العدل أساس المودة : بالعدل تبقى الحياة الزوجية على هدوئها وبنائها وفي ذلك يقول السعدي : ((والعدل يكون في الحقوق الزوجية فعلى كل واحد من الزوجين من الحقوق الشرعية العادلة للآخر ما يناسبه، فمتى قام كل منهما بما عليه التأمت الزوجية ، وتم للزوجين حياة سعيدة طيبة ، وحصلت الراحة والبركة ، ونشأت العائلة نشأة حميدة ، ومتى لم يقم كل منهما بالحق الذي عليه تكدرت الحياة وتنغصت اللذات، وطال الخصام وتعذر وتعسر الإلتئام واختلت التربية النافعة وتضرر كل منهما في دينه ودنياه)) كما قال تعالى : ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ « سورة النساء ، آية ١٩ » .

ب- الشورى العائلية : يشيد السعدي بأهمية تربية الزوج لزوجته على مبدأ الشورى ، وأن ذلك يبعث في نفس الزوجة روح الثقة والتفاني والمحبة لزوجها فيقول : ((وكذلك يشاور زوجته في أحوال البيت وكيفية تدبيره وإذا رأى منها الأمانة والأهلية جعل لها الاستقلال في تدبير مصارف البيت لتهتم بمسؤليتها ، وتجتهد في الأعمال الاقتصادية ، ويستفيد رب البيت الراحة والطمأنينة ، فمتى كانت الأنثى أصيلة أمينة

ورأت من زوجها هذه الثقة بذلت النصح التـام ، وعـز عليهـا أن يذهـب شيء في غير محله)) [(١)] .

ج- الحكمة واللين في معاملة الزوجة والأولاد : إتباع إسلوب الحكمـة مهم في حياة المسلم كلها ، فالحكمة تعني : ((سلوك أقرب طريق وأنجـح وسيلة يحصل بها تحصيل الخـير أو تكميلـه وإزالـة الشـر أو تقليلـه بحسـب الزمان والمكان وبحسب الأشخاص والأحوال والتطورات)) [(٢)] فالسعدي يلفت النظر إلى أهمية الأخذ بالحكمة بمعاملة الأولاد والزوجات ، وذلـك من أجل تحقيق هدفين عظيمين هما :

((الأول : إصلاحهم وتقويمهم وتهذيبهم لتقوية دينهم وتربية أخلاقهم فهؤلاء يسلك معهم كل طريق يسلك مع غيرهم ، وطرق خاصة تناسـب لأحوالهم ، ويوجههم إلى كل خير بترغيب ولين وحسن معاملة .

الثاني : إنه يراد منهم القيام بحق الوالدين وبالعشرة الواجبـة والمستحبة بـين الزوجـين ، وذلـك أيضـاً بدعوتهـم إليـه بالحـال والمقـال وبالحكمـة والرفق ، ومن أنجح ذلك أن يكون الوالدان قائمين بحق الأولاد ، والـزوج قائماً بحق زوجته ، فإذا طلب منهم القيام بما عليهـم في هـذه الحـال سـهُل عليهم ، بخلاف ما إذا لـم يقـم الوالدان والزوج بحقوقهم ، فـإن تقويـمهم

---

(١) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج١ ص٤١٥ .

(٢) السعدي ، الدين الصحيح يحل جميع المشاكل ، الكاملة/ الثقافة ، ج١ ص٣٥٩ . (مرجع سابق)

يصعب جداً ، وكيف تطالب ما لك وأنت مانع الحق الذي عليك) [١] .

د- أسباب دوام العشرة الزوجية : الرسول ﷺ أرشد الزوج إلى حسن عشرة الزوجة بقوله ﷺ : « **لا يفرك مؤمن مؤمنة ، إن كره منها خلقاً رضي منها آخر** » رواه مسلم [٢] ، وفي شرح السعدي لمعنى هذا الحديث يقول : ((هذا الإرشاد من النبي ﷺ للزوج في معاشرة زوجته من أكبر الأسباب والدواعي إلى حسن العشرة بالمعروف)) [٣] ، ويبين السعدي أن الناس في حسن معاشرة زوجاتهم على ثلاث مراتب :

المرتبة الأولى : " مرتبة الكمال " ((من لحظ الأخلاق الجميلة والمحاسن، وغض عن المساوئ بالكلية وتناساها)) [٤] .

المرتبة الثانية : " مرتبة العدل " ((من لحظ الأمرين - يعني محاسن الزوجة ومساوئها - ووازن بينهما ، وعامل الزوجة بمقتضى كل واحد منهما ، وهذا منصف ، ولكنه حرم الكمال)) [٥]

المرتبة الثالثة : " مرتبة الظلم " وهو الذي ((أهدر المحاسن مهما كانت، وجعل المساوئ نصب عينيه ، وربما مددها وبسطها وفسرها بظنون وتأويلات تجعل القليل كثيراً ، كما هو الواقع)) [٦] .

هـ- أهمية تجاهل الأخطاء السابقة : تحدث في الحياة الزوجية كثير من

---

(١) السعدي ، الرياض الناضرة ، الكاملة / الثقافة ، ج١ ص٤٣٢ (مرجع سابق)
(٢) مسلم ، صحيح مسلم بشرح النووي ، ج١٠ ص٥٨ (مرجع سابق)
(٣) السعدي ، بهجة قلوب الأبرار ، الكاملة / الحديث ، ص١٠٣ (مرجع سابق)
(٤) السعدي ، (المرجع السابق) ، ص ١٠٤ .
(٥) السعدي ، (المرجع السابق) ص ١٠٤ .
(٦) السعدي ، بهجة قلوب الأبرار ، الكاملة / الحديث ، ص ١٠٤ (مرجع سابق)

الأخطاء والتجاوزات من قبل الزوجين ومع مرور الأيام تُنسى ، أو يتوب المخطئ عن خطئه ، والسعدي يشير إلى ضرورة تجاهل تلك الأخطاء وعدم ذكرها مرة أخرى ويعلل ذلك فيقول : (ينبغي لمن عاد إلى الحق أن لا يذكر الأمور السالفة ، فإن ذلك أحرى للثبات على المطلوب ، فإن تذكير الأمور الماضية ربما أثار الشر فانتكس وعادت الحال إلى أشد من الأولى) [١] .

٤- **حقوق الأقارب** : أصل هذه الحقوق قوله تعالى : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى ﴾ « سورة النساء ، آية ٣٦ » وعن حقوق الأقارب يقول السعدي أي أحسنوا إلى: ((جميع الأقارب قربوا أو بعدوا ، بان يحسن إليهم بالقول والفعل ، وأن لا يقطع رحمه بقوله أو فعله)) [٢] ، كما حث السعدي على صلة الأقارب بحسن تعليمهم فقال : ((وأولى من على العالم تعليمه ونصحه وإرشاده بكل وسيلة مناسبةٍ وطريقةناجحة الأهل والأولاد ، والأقارب)) [٣] .

وقد جاءت السنة بوجوب صلة الأقارب بالإحسان إليهم فقال رسول الله ﷺ : « **يأيها الناس افشوا السلام وصلوا الأرحام وأطعموا الطعام وصلوا بالليل والناس نيام** » رواه ابن أبي شيبة [٤] ، ولما سئل الرسول ﷺ

---

(١) السعدي، خلاصة تفسير القرآن، الكاملة / التفسير، ج٢ ص٢٩١ (مرجع سابق)
(٢) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، الكاملة / التفسير ، ج٢ ص٦٣ . (مرجع سابق)
(٣) السعدي ، الرياض الناضرة ، الكاملة / الثقافة ، ج١ ص٤٣٩ (مرجع سابق)
(٤) ابن أبي شيبة ، الكتاب المصنف ، ج٥ ص٢١٨ . (مرجع سابق)

عن أتقى الناس قال : « **آمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر وأوصلهم للرحم** » رواه ابن أبي شيبة [١] .

٥- حقوق اليتامى :

من عوامل التكافل في الإسلام القيام بحقوق الأيتام ، والشارع الحكيم حض على الإحسان إليهم والعطف عليهم ، والقيام بمصالحهم كما قال تعالى : ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللاتِي لا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴾ « سورة النساء ، آية ١٢٧ » ، وعن القيام بحق اليتامى يقول السعدي : ((القيام عليهم بإلزامهم أمر الله وما أوجبه على عباده ، فيكون الأولياء مكلفين بذلك ، فيلزمونهم بما أوجبه الله)) [٢]، فهذه هي " التربية الروحية " لهم. ((ويشمل القيام عليهم في مصالحهم الدنيوية، بتنمية أموالهم، وطلب الأحظ لهم فيها، وأن لا يقربوها إلا بالتي هي أحسن))[٣] وهذه هي " التربية الإقتصادية " لهم.

((وكذلك لا يحابون فيهم ، صديقاً ولا غيره ، في تزوج وغيره ، على

---

(١) ابن أبي شيبة ، (المرجع السابق) ، ج٥ ص٢١٩ .

(٢) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، الكاملة / التفسير ، ج٢ ص١٨١ . (مرجع سابق)

(٣) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج٢ ص١٨١ .

وجه الهضم لحقوقهم)) [١] ، ويشير السعدي إلى ضرورة إصلاح تربيتهم وأن ((لهم حق على المسلمين سواء كانوا أقارب أو غيرهم ، بكفالتهم وبرهم ، وجبر خواطرهم ، وتأديبهم ، وتربيتهم أحسن تربية ، في مصالح دينهم ودنياهم)) [٢] ، فالقيام بشأن تربيتهم دينياً وعلمياً ، ونفسياً واقتصادياً ، كل ذلك من الحق الواجب على المسلمين لعموم الأيتام ، ويزداد الحق إن كانوا من ذوي القربى .

٦- حقوق المساكين :

المساكين هم ((الذين اسكنتهم الحاجة والفقر ، فلم يحصلوا على كفايتهم ، ولا كفاية من يمونون)) [٣] ، فالقيام بحقوق المساكين يكون بالصور التالية :

الصورة الأولى :

كثرة الإحسان المتنوع عليهم ، لأن ((تفاصيل الإحسان لا تنحصر بالعد ، بل تكون بالحد)) [٤] ، وقد حده السعدي بأنه : ((كل إحسان قولي وفعلي مما هو إحسان إليهم)) [٥] وهاهنا احتراز أورده السعدي وهو : ((أن الإحسان إنما يكون إحساناً إذا لم يتضمن فعل محرم أو ترك

---

(١) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج٢ ص١٨١ .

(٢) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج٢ ص٦٤ .

(٣) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج٢ ص٦٤ .

(٤) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج٢ ص١٠٥ .

(٥) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج٢ ص١٠٥ .

واجب)) [١] ، ولهذا الاحتراز أهميته ومكانته من التربية ، فإنا نرى كثيراً من الناس قد يبذل الأموال ، ويتبرع بالأعطيات العينية ، ولكنها في سبيل محرم ، فيظن نفسه أنه محسن ، فالصحيح أن إحسانه ناقص لأنه وإن كان الآخذ مسكين أو فقير محتاج ، إلا أن الهدف من هذا العمل ، إما لنشر باطل محرم ، أو لأجل ترك واجب ، ومن ذلك : إحسان بعض الآباء بمنحه لإبنه مبلغاً من المال هدية ، دون بقية إخوانه ، فهذا العمل في صورته إحسان ولكنه محرم لما فيه من الظلم بتفضيل أحد الأبناء على سائر إخوته ، ويشهد لذلك حديث النعمان بن بشير قال : « **أعطاني أبي عطية فقالت عمرة بنت رواحة : لا أرضى حتى تشهد رسول الله ﷺ فأتى رسول الله ﷺ فقال : إني أعطيت إبني من عمرة بنت رواحة عطية فأمرتني أن أشهدك يارسول الله . فقال : ((أعطيت سائر ولدك مثل هذا قال : لا. قال رسول الله ﷺ : ((فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم ، قال فرجع فرد عطيته** » متفق عليه واللفظ للبخاري [٢] ، فهذا الاحتراز في مجال الإحسان مهم في مجال التربية والتعليم فإن المعلم الذي يجتهد في تعليم بعض الطلاب وترك الآخرين بلا سبب ليس محسناً، ولهذا وجه السعدي المعلم إلى ضرورة العدل بتعليم التلاميذ فقال: ((وينبغي للمعلم أن يصبر على التعليم، ويبذل جهده في تفهيم كل طالب ما يتحمله ذهنه)) [٣] .

---

(١) السعدي ، فوائد مستنبطة من قصة يوسف ، الكاملة / الثقافة ، ج١ ص١٤٢ . (مرجع سابق)

(٢) البخاري ، صحيح البخاري بحاشية السندي ، ج٢ ص٩٠ (مرجع سابق)

(٣) السعدي ، الفتاوى السعدية ، الكاملة / الفتاوى ، ص٧٣ . (مرجع سابق)

الصورة الثانية :

السعي في دفع حاجة المساكين ، ورفع فاقتهم ، ويتقوى الإنسان على فعل ذلك إذا أيقن أن رزقه سيزيد بإحسانه للمساكين ، وذلك لأن ا لله ((قد جعل أرزاق هؤلاء العاجزين على يد القادرين ، وأعان القادرين على ذلك ، خصوصاً من قويت ثقته با لله ، واطمأنت نفوسهم لثوابه ، فإن ا لله يفتح لهؤلاء - المحسنين - من أسباب النصر والرزق ما لم يكن لهم ببال ولا دار لهم في خيال ، فكم من إنسان كان رزقه مقتراً ، فلما كثرت عائلته والمتعلقون به ، وسع ا لله له الرزق من جهات وأسباب شرعية قدرية إلاهية))[١] ، كما أن الإنفاق على المساكين طريق موصل إلى ا لله عز وجل كما قال السعدي : ((هذا حث عظيم من ا لله لعبادة على إنفاق أموالهم في سبيله وهو طريقه الموصل إليه ، ... ويلي ذلك الإنفاق على المحتاجين والفقراء والمساكين وقد يجمع الأمران فيكون في النفقة دفع الحاجات والإعانة على الخير والطاعات))[٢] .

٧- حقوق الجوار :

فالتربية الإسلامية تربي أبناءها على رعاية حقوق الجيران : الأقارب أو غيرهم من أصحاب الجوار ، وفي بيان ذلك يقول السعدي : ((والجار ذي القربى : أي الجار القريب ، الذي له حقان ، حق الجوار ، وحق

(١) السعدي ، بهجة قلوب الأبرار ، الكاملة / الحديث ،ص١٤٢ (مرجع سابق)

(٢) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، الكاملة / التفسير ، ج١ ص٣٢٥ . (مرجع سابق)

القرابة فله على جاره حق وإحسان راجع إلى العرف)) [١] ، والعرف يختلف باختلاف الزمان والبيئات ، ويُعرَّف بأنه : ((ما استقرت النفوس عليه بشهادة العقول ، وتلقته الطبائع بالقبول)) [٢] ، فأصحاب الجوار قسمان :

أ- الجار ذي القربى .

ب- الجار الجنب .

ويشير السعدي إلى بعض حقوق الجوار الاجتماعية في الإسلام فيقول: ((ينبغي للجار أن يتعاهد جاره بالهدية ، والصدقة ، والدعوة ، واللطافة، بالأقوال والأفعال ، وعدم أذيته بقول أو فعل)) [٣] .

٨- حقوق الصاحب :

الصاحب بالجنب قيل رفيق السفر ، وقيل الزوجة ، واختار السعدي أنه الصاحب مطلقاً [٤] ثم بين السعدي أن حقوقه تتمثل في ((مساعدته على أمور دينه ودنياه ، والنصح له ، والوفاء معه في اليسر والعسر والمنشط والمكره ، وأن يحب له ما يحب لنفسه ، ويكره له ما يكره لنفسه وكلما زادت الصحبة تأكد الحق وزاد)) [٥] ، وتنطبق حقوق الصحبة

---

(١) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج٢ ص٦٤ .

(٢) الجرجاني ، التعريفات ، ص ١٤٩ . (مرجع سابق)

(٣) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، الكاملة / التفسير ، ج٢ ص٦٤،٦٥ . (مرجع سابق)

(٤) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج٢ ص٦٥ .

(٥) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج٢ ص٦٥ .

هذه على التلاميذ فيما بينهم لأنهم تأكدت صحبة بعضهم لبعض في فصول الدراسة وسنواتها ، بحيث ينتقلون من صف إلى صف ، ومن مرحلة إلى أخرى مع بعض ، فهكذا كلما طالت صحبتهم تأصلت تلك الحقوق فيما بينهم .

٩- حقوق ابن السبيل :

عرفه السعدي بأنه ((الغريب في بلد الغربة)) (١) ، وتتأكد حقوقه لكونه :

أ- بعيد عن أهله غريب .

ب- وجوب إعانته

ج- القيام بإكرامه وتأنيسه ، وتعويضه عن فقد أهله ، حتى لايشعر بالغربة بين إخوانه المسلمين (٢) .

١٠- حقوق ملك اليمين :

حدد السعدي حقوق ملك اليمين بـ :

أ- القيام بكفايتهم .

ب- عدم تحميلهم مالا يطيقون من العمل .

ج- إعانتهم في أعمالهم ولو بالتشجيع .

د- العمل على تأديبهم لإصلاحهم .

---

(١) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، الكاملة / التفسير ، ج٢ ص٦٥ . (مرجع سابق)

(٢) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج٢ ص٦٥ .

المطلب الثالث : ضوابط الخلطة الاجتماعية :

وجه الرسول ﷺ إلى أهمية المخالطة الاجتماعية والتاثر فيها كما حذر من العزلة ونهى عنها لما فيها من معاني التقصير والأنانية الكثير ، ففي أهمية الخلطة قال رسول ا لله ﷺ : « **المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أفضل من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم** » رواه ابن أبي شيبة (١) ، وفي رواية الترمذي قال ﷺ : « **المسلم إذا كان مخالطاً الناس ويصبر على أذاهم خير من المسلم الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم** » رواه الترمذي وسنده حسن (٢) ، فالسعدي يركز على أهمية ذلك الجانب في حياة المسلم وأنه ((ينبغي للعبد عند اختلاطه ومعاشرته لهم ومعاملتهم أن ينتهز الفرصة في إشغالهم بالخير ، وأن تكون مجالسه لا تخلو من فائدة ، أو من تخفيف شر ودفعه بحسب مقدوره ، فكم حصل للموفق من خيرات وخير وثواب ، وكم اندفع به من شرور كثيرة ، وعماد ذلك رغبة العبد في الخير وفي نفع العباد)) (٣) ، ويشير السعدي إلى بعض الضوابط المهمة في الخلطة ، وأنها تتجلى بما يلي :-

١- عقد النية الصادقة على نفع الآخرين بكافة أوجه النفع القولية والعملية فمما لا شك فيه ((أن الناس في الخير والشر درجات ، ولكل درجات مما عملوا ، ولا ريب أن أعلاهم درجة من سعى في الخير لنفسه

---

(١) ابن أبي شيبة ، الكتاب المصنف ، ج٥ ص٢٩٤ . (مرجع سابق)

(٢) الترمذي ، سنن الترمذي ، ج٤ ص٥٧٢ . (مرجع سابق)

(٣) السعدي ، الرياض الناضرة ، الكاملة / الثقافة ، ج١ ص٥١٣ (مرجع سابق)

ولغيره كما أن أسفلهم من هو بالعكس))[١] ، ولهذا فالواجب على الإنسان أن يجعل ((الرغبة في الخير نصب عينيه ، ونيته مصممة على السعي بحسب إمكانه))[٢] .

٢- الاستعانة با لله على تحقيق ما يريد من بث الخير للغير لأنه ((إذا سلك العبد الطرق النافعة وحرص عليها واجتهد فيها : لم تتم له إلا بصدق اللجأ إلى ا لله ، والاستعانة به على إدراكها وتكميلها وأن لا يتكل على نفسه وحوله وقوته ، بل يكون اعتماده التام بباطنه وظاهره على ربه، فبذلك تهون عليه المصائب ، وتتيسر له الأحوال ، وتتم له النتائج والثمرات الطيبة في أمر الدين والدنيا))[٣] .

٣- إتخاذ السبل المناسبة للنفع حسب الأشخاص ، والأحوال ولبيان ذلك يقول السعدي : ((وإذا اجتمعت مع الناس فخالقهم على حسب درجاتهم ، الصغير والكبير والشريف والوضيع ، والعالم والجاهل ، كل أحد تكلم معه بالكلام الذي يناسبه ويليق بحاله ، ويدخل السرور عليه ، وبالكلام الذي له به ميدان))[٤] .

٤- أن تحقق الخلطة هدف النفع من قبل (الطرفين) المخالِط والمخالَط، وهذا يختلف حسب منازل الناس ودرجاتهم العلمية ، فتخالط

---

(١) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج١ ص٥١٢ .

(٢) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج١ ص٥١٣ .

(٣) السعدي ، بهجة قلوب الأبرار ، الكاملة / الحديث ، ص٢٧ (مرجع سابق)

(٤) السعدي ، الرياض الناضرة ، الكاملة / الثقافة ، ج١ ص٥١٦ ، ٥١٧ .
(مرجع سابق)

الناس بهدف أن تكون ((معلماً للجاهل ، متعلماً ممن هو أعرف منك ، متشاوراً مع نظيرك فيما هو الأحسن والأصلح من الأمور الدينية والدنيوية، آخذاً لخواطرهم موافقاً لهم على مطالبهم التي لا محذور فيها ، حريصاً على تأنيسهم وإدخال السرور بكل طريق ، مضمناً كلامك لكل أحد بما يناسبه من النصائح التي تنفع الدين والدنيا)) [١] ، ويشير السعدي إلى الأسلوب الأمثل في تربية العامة من الناس وتعليمهم فيقول : ((ومن الحكمة في تعليم العوام وإرشادهم أن يعلموا ما يحتاجونه بألفاظ وعبارات مناسبة لأذهانهم ، قريبة من أفهامهم ، فهذا فيه نفع كبير) [٢] .

٥- الرضاء باليسير من استجابات الناس لتوجيه المربي وتربيته : وإلى ذلك أشار السعدي بقوله : ((واقنع بالقليل إذا عجزت عن الكثير واعلم أن قبولهم وانقيادهم مع الرفق والسهولة أبلغ بكثير من سلوك طريق الشدة والعنف)) [٣] ، وبهذا يوجه السعدي المعلم المربي بقوله إنه ينبغي ((أن تشكر الناس على ما جاء منهم من الخير والإحسان ، وما سمحت به طباعهم من الخلق الطيب ، ولا تطلب منهم ولا تطالبهم بما زاد عما حصل ، ولو كان لازماً لهم ، فإنك بذلك تستريح وتريحهم)) [٤] .

إذاً فالرضاء بما يتيسر للمربي والمعلم من استجابات الناس لتربيته

---

(١) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج١ ص٥١٧ .
(٢) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج١ ص٤٣١ .
(٣) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج١ ص٥١٧ .
(٤) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج١ ص٤٢١ .

وتعليمه ، يعتبر ذلك ضابطاً من ضوابط بقاء روح المودة والتعاون في الخلطة الإجتماعية مع أبناء المجتمع .

٦- ضرورة استشعار العلماء والمربين للقيام بواجبهم التربوي التعليمي تجاه طبقات المجتمع كما قال السعدي : ((وكذلك ينبغي لأهل العلم في مجالسهم مع الناس العامة والخاصة أن يبحثوا بما يناسب الحال عند المناسبات من المسائل العلمية ، فكم حصل فيها من منافع كثيرة من غير تهويش ولا قطع عن مقصودها وهذا من الحكمة)) [(١)] .

٧- التعليم الموازي : فالدعوة إلى الله ونشر العلم الشرعي لا تقتصر على غير المسلمين بدعوتهم إلى الإسلام ، بل إن المسلمين أنفسهم بحاجة لتلك الدعوة ، ولذا لما أمر الله العلماء بالتعليم والجهال بالتعلم يسر لذلك الأماكن والأوقات المناسبة لهذا التعليم والتربية ، والسعدي يشير إلى أهم الطرق والأماكن التي بها وفيها تتم هذه التربية والتعليم فقال : ((والطرق الأخرى التي يجب على أهل العلم أن يسلكوها في إيصال العلم إلى الناس على اختلاف طبقاتهم ورفع الجهل بحسب الإمكان)) [(٢)] ، وهذا الذي يشير إليه السعدي هنا يمثل " التعليم الموازي " في المجتمع الإسلامي وذلك التعليم يعني : ((مجموعة المسارات التعليمية غير النظامية التي يستطيع بها كل فرد أن يكتسب معارف ومهارات واتجاهات وقيماً تنمو من خلال الخبرات اليومية ، ومن المؤسسات التربوية المختلفة ، في بيئة من الأسرة

---

(١) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج١ ص٤٣١ .

(٢) السعدي ، الرياض الناضرة ، الكاملة /الثقافة ، ج١ ص٤٣٨ (مرجع سابق)

والجيران والمسجد))[١] .

سادساً : الميدان الإقتصادي

الدين الإسلامي لا يسمح لأي فرد من أبنائه أن يكون عالة على غيره، فلا بد أن يعمل وينتج ، فالعمل والكسب من علامات قوة الإيمان با لله ، والمال عصب الحياة ، وتتوقف عليه كثير من العبادات فلا زكاة إلا بمال يحول عليه الحول ، ولا نفقة يؤجر عليها المسلم في ذات نفسه وأهله وأقاربه إلا بالمال كما قال رسول ا لله ﷺ : « **أيما رجل كسب مالاً من حلال فأطعم نفسه وكساها فمن دونه من خلق ا لله له زكاة** » رواه الحاكم وقال : حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه [٢]، وحث الرسول ﷺ على إعطاء المال وبذله فقال : « **الأيدي ثلاثة فيد ا لله العليا ويد المعطي التي تليها ويد السائل السفلى فأعط الفضل ولا تعجز عن نفسك** » رواه الحاكم وقال : حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه [٣] .

ولأهمية الإقتصاد في حياة الأمة الإسلامية ، فالسعدي يولي ذلك الجانب حظه من الإهتمام فتارة يأمر بتعلم العلوم الإقتصادية كقوله : ((من العلم النافع تعليم الأمور الدينية المتعلقة بالعبادات ، فمنه أيضاً :

---

(١) العمري ، شوكت ، تطوير التعليم الموازي في الأردن في ضوء مبدأ تكافؤ الفرص التعليمية ، (دراسة مستقبلية) ، رسالة دكتوراه ، القاهرة : ١٩٩٠م ، ص ٢٥.

(٢) الحاكم ، المستدرك على الصحيحين ، ج٤ ص١٤٤ ح٧١٧٥ (مرجع سابق)

(٣) الحاكم ، (المرجع السابق) ، ج١ ص٥٦٧ .

تعليم الأمور الدنيوية المتعلقة بالمعاملات ، فإن الله تعالى حفظ على العباد أمور دينهم ودنياهم)) [(١)] ، وتارة يأمر بالتوجيه الإسلامي لنظم الإقتصاد، وتارة بالنقد والتجريح للقوانين الإقتصادية المأخوذة عن النظم الأجنبية ، وبيان الطريق الصحيح لإيجاد اقتصاد إسلامي ، وتتلخص محاور ذلك الميدان في المعالم التالية :

١- حال النظم الإقتصادية في العالم الإسلامي :

ينتقد السعدي نظم الإقتصاد في العالم الإسلامي فيقول : ((من أكبر الأغلاط ، وأعظم الأخطاء استمداد الحكومات الإسلامية والجماعات والأفراد نظمهم وقوانينهم المتنوعة من النظم الأجنبية ، وهي في غاية الخلل والنقص ، وتركهم الإستمداد من دينهم وفيه الكمال والتكميل ودفع الشر والفساد))[(٢)]، ويبرز السبب الذي دعى المسلمين للأخذ عن الأجانب من غير المسلمين فيقول : ((وسبب ذلك الجهل الكبير بالدين وإحسان الظن بالأجانب ، ومشاهدة ما عليه المسلمون الآن من الإختلال والضعف في جميع مواد الحياة الروحية والمادية ، نشأ عن ذلك كله توجيه الوجوه إلى الإستمداد من الأجانب فلم نزدد بذلك إلا ضعفاً وخللاً وفساداً وضرراً)) [(٣)] ، وبعد ذلك يوضح الرؤية الصحيحة لمبادئ

---

(١) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، الكاملة / التفسير ، ج١ ص٣٤٩ . (مرجع سابق)

(٢) السعدي ، الرياض الناضرة ، الكاملة / الثقافة ، ج١ ص٤٦٥ (مرجع سابق)

(٣) السعدي ، (المرجع السابق)، ج١ ص٤٦٥ ، ٤٦٦ .

الإسلام في الإقتصاد وغيره وما يشتمل عليه فيقول : ((فلو علمنا حق العلم أن في ديننا ماتشتهيه الأنفس وتمتد إليه الأعناق من المبادئ الراقية والأخلاق العالية ، والنظم العادلة ، والأسس الكاملة ، لعلمنا أن البشر كلهم مفتقرون غاية الإفتقار أن يأووا إلى ظله الظليل الواقي من الشر الطويل ، فأي مبدأ وأصل وعمل نافع للبشر إلا ودين الإسلام قد تكفل به كفالة المليء القادر على تسيير الحياة التامة على قواعده وأسسه ، وفيه حل المشكلات الحربية والإقتصادية وجميع مشاكل الحياة التي لا تعيش الأمم عيشة سعيدة بدون حلها)) [1] .

٢- وجوب تعلم فنون الإقتصاد :

السعدي يؤكد على ضرورة تعليم الفنون الإقتصادية لأبناء المسلمين ، وذلك حتى تتيسر سبل الإقتصاد ، فيقول : ((إن تعلم الفنون الإقتصادية الخاصة بالأفراد والعامة للحكومات والأقطار التي تنال بها الأرزاق مما يحبه الله ويرضاه ، ويأمر به ويوجبه)) [2] .

٣- الأعمال سبب توفر الأرزاق :

فمن حكمة الله تعالى أن جعل الخير والرزق متوقف على الحركة والسعي في طلبه ، فمن حكمة الله ((أن جعل الأرزاق وغيرها تنال بأسبابها)) [3] .

---

(١) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج١ ص٤٦٦ .

(٢) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج١ ص٤٦٤ .

(٣) السعدي ، الرياض الناضرة ، الكاملة / الثقافة ، ج١ ص٤٦٤ (مرجع سابق)

٤- أهمية التخصص في الأعمال الإقتصادية :

حتى تقوم نهضة البلاد الإقتصادية الشاملة كان ولا بد من وجود عنصر التخصص حيث يقوم كل إنسان بالعمل الذي يتناسب مع إمكاناته الذاتية ، ورغبته النفسية ،وتختلف قدرات الناس ورغباتهم وهذا ((من حكمته - سبحانه - أن جعل لكل نوع منها أناساً يرغبون ، وله يعملون، لتقوم المصالح كلها ويرتبط الناس بعضهم ببعض ، فأهل التجارات واهل الصناعات وأهل المهن والحرف وأهل الحراثات وغيرهم ، كل منهم محتاج إلى الآخر لا يستغني أحد منهم عن أحد))[(١)] .

٥- فاعلية التبادل التجاري بين الدول :

فالتبادل التجاري من عوامل ازدهار الإقتصاد ونموه ، حيث تكون التجارة عالمية ، وذلك كله من فضل ا لله وتيسيره وإحسانه ، كما قال السعدي : ((أهل الأقطار النائية لما توسعت أسباب المكاسب اضطر بعضهم إلى بعض وانفتحت طرق كثيرة لتحصيل الرزق ، والكل من فضل ا لله وتيسيره ورزقه وإحسانه))[(٢)] ، فالسعدي يربط بين نمو الإقتصاد وفضل ا لله وتيسيره وذلك ليجعل المؤمن دائم الصلة بـا لله محققاً للغاية الكبرى من التربية في مجاله أياً كان ، فيوحد ا لله سبحانه .

---

(١) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج١ ص٤٦٤ .

(٢) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج١ ص٤٦٤ ، ٤٦٥ .

٦- ضرورة التوجيه الإسلامي للإقتصاد :

السعدي يؤكد على وجوب توجيه الإقتصاد توجيهاً إسلامياً ، وذلك بأن تكون منطلقاته إسلامية ، والتعاملات التجارية تقوم على أساس الدين الإسلامي وذلك كما يلي :

[أ] تحديد الكسب بالحلال :

الكسب الطيب هو الحلال الذي لم يختلط بمعاملة محرمة ، ولما سئل الرسول ﷺ عن الكسب الطيب ؟ قال عليه السلام : ((**عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور**)) رواه ابن أبي شيبة (١) . فدين الإسلام ((لم يمنع سبباً من الأسباب النافعة بوجه من الوجوه ، وإنما منع المعاملات الضارة ، وهي التي تحتوي على ظلم أو ضرر أو قمار)) (٢) .

[ب] أن أكثر العبادات لا تقوم إلا بالمال :

فلا زكاة بلا مال يحول عليه الحول ولا صدقات وتبرعات خيرية إلا بالمال ، ولا نفقات على الأهل والأولاد والأقارب إلا بالمال ، لذا وجب أن يكون ذلك المال من كسب طيب ، كما قال رسول الله ﷺ : « **لا يغبطن جامع المال من غير حله - أو قال من غير حقه - فإنه إن تصدق لم يقبل منه وما بقي كان زاده إلى النار** » رواه الحاكم وقال : حديث

(١) ابن أبي شيبة ، الكتاب المصنف ، ج٤ ص٥٥٤ . (مرجع سابق)

(٢) السعدي ، الرياض الناضرة ، الكاملة / الثقافة ، ج١ ص٤٦٧ (مرجع سابق)

صحيح الإسناد و لم يخرجاه [١] ، يقول السعدي : ((واعلم أن العبادات ليست مجرد الصلاة والصيام والصدقة بل جميع الأعمال التي يتوسل بها إلى القيام بواجبات النفس والعوائل والمجتمع الإنساني ، كل عمل يقوم بشيء من ذلك ويعين عليه فهو عبادة ، فالكسب للعيال عبادة عظيمة ، وكذلك الاكتساب الذي يراد للقيام بالزكوات والكفارات والنفقات العامة والخاصة كله عبادة)) [٢] ، ويقول أيضاً : ((الواجبات الدينية من الزكوات والكفارات ودفع الحاجات والضرورات لا تقوم إلا بالأموال ، وكذلك الجهاد والمصالح الكلية والنفقات على النفس والعائلة والمماليك والصدقات المتنوعة كلها ، لا تقوم إلا بالأموال ، والأموال لا تحصل إلا بالكسب ، فعلم أن السعي في تحصيل هذه الأمور تبع لها ، ما كان منها واجب فوسيلته واجبة ، وما كان منها مندوب فوسيلته مندوبة)) [٣] .

[ج] التعرف إلى ا لله بوجوه التسخير الكوني :

فالعبد المؤمن هو الذي يتربى على معرفة ا لله بمخلوقاته المسخرة لمصلحته ومن ذلك تسخير ا لله لهذه الأرض حتى تكون متهيأة لمصالح الإنسان كما قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ « سورة الملك ،آية ١٥ » قال

---

(١) الحاكم ، المستدرك على الصحيحين ، ج٢ ص٥ (مرجع سابق)
(٢) السعدي ، الرياض الناضرة ، الكاملة / الثقافة ، ج١ ص٤٧١(مرجع سابق)
(٣) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج١ ص٤٦٥ .

السعدي : ((أي جعلها مذللة لأسفاركم ، مذللة لحروثكم ، مذللة لاستخراج معادنكم المتنوعة ، مهيأة لكل ما تحتاجونه منها ، فامشوا في مناكبها ، أي في طلب الرزق والسعي في تحصيله ، وذلك يشمل جميع الطرق التي ينال بها الرزق من جميع الإقتصاديات التي أباحها الله ورسوله)) [١] .

(١) السعدي ، الرياض الناضرة ، الكاملة / الثقافة ، ج١ ص٤٦٣ ، ٤٦٤ .
(مرجع سابق)

المبحث الرابع : أساليب التربية

المدخل :

الأسلوب : ((بضم الهمزة الطريق والفن ، وهو على أسلوب من أساليب القوم أي على طريق من طرقهم)) [١] .

والأسلوب : ((الطريق والوجه والمذهب ، والأسلوب بالضم : الفن ، يقال : أخذ فلان في أساليب من القول أي أفانين منه)) [٢] .

فأساليب التربية ، يقصد بها الباحث طرق التربية ، وأفانينها ، وتتنوع أساليب التربية عند السعدي بتنوع مواقف الحياة ، وتختلف باختلاف النفوس البشرية ، وقد ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية ذكر أساليب التربية تصريحاً ، أو الإشارة إليها تلمحياً حسب ما يقتضيه إصلاح الطبيعة الإنسانية ، والرقي بها إلى مدارج الكمال الإنساني في الإسلام لتحقيق غاية التربية وأهدافها في الدنيا والآخرة لصالح ذلك الإنسان كما قال تعالى : ﴿ وَالْعَصْرِ(١)إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ(٢)إِلا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ « سورة العصر ، الآيات ١-٣ » . ولقد أشار السعدي إلى جملة من الأساليب التربوية التي يمكن استباطها من ثنايا مؤلفاته ، وذلك عبر المطالب التالية :

---

(١) الفيومي ، المصباح المنير ، ص ١٠٨ . (مرجع سابق)

(٢) ابن منظور ، لسان العرب ، ج١ ص٤٧٣ . (مرجع سابق)

المطلب الأول : التربية بالقدوة

الرسول ﷺ هو القدوة الأولى ، والأسوة الأولى للمسلمين ، فهو المشرع عن الله عز وجل ، فأقواله وأفعاله ، وتقريراته كلها تشريع من الله عز وجلس ، وقد أمر الله عباده بالإقتداء برسوله محمد ﷺ فقال : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ « سورة الأحزاب، آية ٢١ » ، قال السعدي : ((فالأسوة الحسنة في الرسول ﷺ ، فإن المتأسي به سالك الطريق الموصل إلى كرامة الله ، وهو الصراط المستقيم)) [١] .

فالقدوة يعتبر محط أنظار المقتدين به ، ولبيان أهمية القدوة كأسلوب تربوي يشير السعدي إلى لطف الله بالإنسان الذي يولد وينشأ ويتربى في وسط إسلامي منضبط يقتدى بهم في حركاته وسكناته ، في أقواله وأفعاله فيقول : ((ومن لطفه بعبده أن يقدر له أن يتربى في ولاية أهل الصلاح والعلم والإيمان ، وبين أهل الخير ، ليكتسب من أدبهم وتاديبهم ، ولينشأ على صلاحهم وإصلاحهم ، كما امتن الله على مريم في قوله: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ « سورة آل عمران ، آية ٣٧ » إلى آخر قصتها ، ومن ذلك أن ينشأ بين أبوين صالحين ، وأقارب أتقياء أو في بلد صلاح ، أو وفقه الله لمقارنة اهل الخير وصحبتهم ، أو لتربية العلماء الربانيين ، فإن هذا من أعظم لطفه بعبده ، فإن صلاح العبد موقوف على أسباب كثيرة منها بل من أكثرها وأعظمها

---

(١) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، الكاملة/ التفسير ، ج٦ ص٢٠٨ ، ٢٠٩ . (مرجع سابق)

نفعاً هذه الحالة)) [١] ، وللقدوة أثر بالغ على المقتدي في القيام بالعبادات مهما عظمت على النفوس ، فبالإقتداء تسهل العبادة ، وتهون مشقتها ، ويمثل السعدي لذلك بعبادة الصيام فيقول : ((ومن تيسير ا لله للصيام وتسيهله أن ا لله شرعه في وقت واحد وشهر واحد ليتفق المسلمون كلهم على صيامه ، وتهون المشقة باشتراكهم في الصيام فإن الإشتراك في العبادة له نفع عظيم ، ومساعدة جسيمة)) [٢] ، فاقتداء الناس بعضهم ببعض في هذه العبادة جعلها ميسورة سهلة على نفوسهم وهذا عام في كل الأعمال والعبادات كما قال السعدي : ((ومن الأمور المعينة على أداء العبادات ما شرعه ا لله من المشاركة في أداء الفرائض كما شرع الاجتماع في الجمعة والجماعة والأعياد ، وكما شرع المشاركة في صيام رمضان ، وفي حج بيته الحرام ،وكل أحد يفهم أن هذه المشاركات تخففها على العاملين ، وتهوّن مشقتها مع ما يحصل في الاجتماع من التنافس في الخيرات وقوة الرغبة التي هي أكبر الأسباب لسهولة العبادة))[٣] .

ويبين السعدي أن القدوة المثلى في الكمال الإنساني لهذه الأمة إنما تتمثل بالرعيل الأول من سلف هذه الأمة المقتدين برسول الهدى ﷺ ، والقائمين بتعاليم الإسلام كما يجب فيصفهم السعدي بأنهم : ((القائمين به – الإسلام – حقيقة، الذين ملأوا الدنيا عدلاً ورحمةً وصلاحاً الأحوال كلها ، وبهم يضرب المثل في الكمال الإنساني ، فمن أراد أن يعرف آثار

(١) السعدي ، المواهب الربانية ، الكاملة / الثقافة ، ج١ ص ٩٦ (مرجع سابق)
(٢) السعدي ، الرياض الناضرة ، الكاملة / الثقافة ، ج١ ص ٣٨٥ (مرجع سابق)
(٣) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج١ ص ٤٥٠ .

الدين فلينظر إلى أمثال هؤلاء)) [١] .

ولأهمية القدوة كأسلوب من أساليب التربية نجد أن الرسول ﷺ قد أشار إلى أهمية القرين والصاحب فقال : « **المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل** » رواه الحاكم وقال : حديث صحيح و لم يخرجاه [٢] ، وقال ﷺ : « **مثل الجليس الصالح والسوء كحامل المسك ونافخ الكير ، فحامل المسك إما أن يحذيك... الحديث** » متفق عليه واللفظ للبخاري[٣]، فهذه الأحاديث تشير لأثر القدوة العظيم في نفس المقتدي ، ويشير السعدي لأثر القدوة الذي يكتسبه الجليس من جليسه الصالح فيقول : ((وأقل ماتستفيده من الجليس الصالح ، وهي فائدة لا يستهان بها ، أن تنكف بسببه عن السيئات والمعاصي ، رعاية للصحبة ، ومنافسة في الخير، وترفعاً عن الشر)) [٤] ، وتأتي أهمية القدوة كأسلوب تربوي عبر الجوانب التالية :

١- **الأب مع أولاده** : فالأب يجب أن يكون قدوة صالحة بقوله وعمله مع أولاده ، فإذا أمرهم بأمر يفترض أن يكون أول القائمين به ، فالأب الشحيح مثلاً لا يستطيع أن يدعو أبناءه إلى البذل والكرم وهو على شحه، والأب الذي يتجرأ على الكذب لن يتربى أبناءه على الصدق في الحديث ، إلاَّ إذا تركوه واتخذوا قدوة غيره في تلك الجوانب ، وهكذا

---

(١) السعدي ، الدلائل القرآنية ، الكاملة / الثقافة ، ج١ ص٢٩٨ (مرجع سابق)
(٢) الحاكم ، المستدرك على الصحيحين ، ج٤ ص١٨٩ (مرجع سابق)
(٣) البخاري ، صحيح البخاري بحاشية السندي ، ج٣ ص٣١٤ (مرجع سابق)
(٤) السعدي ، بهجة قلوب الأبرار ، الكاملة / الحديث ، ص ١٣٠ (مرجع سابق)

تعظم أهمية القدوة بين الأب وأولاده .

٢- المعلم مع تلاميذه : فالمعلم يجب أن يتحلى بالأخلاق الحميدة حتى يدعو تلاميذه للإقتداء به في قوله وعمله وفعله فإن ((التناقض بين القول والعمل ، والظاهر والباطن ، وازدواجية التوجيه وتناقضه كل ذلك من أكبر مشكلات الجيل المعاصر)) [١] ولأهمية القدوة في ذات المعلم أشار الإمام الغزالي إلى ضرورة عمل المعلم بعلمه ، حتى لايفقد عنصر الإقتداء به فقال : ((الوظيفة الثامنة : أن يكون المعلم عاملاً بعلمه فلا يكذب قوله فعله ، لأن العلم يُدرك بالبصائر والعمل يُدرك بالأبصار ، وأرباب الأبصار أكثر)) [٢] ، وعن هذا المعنى يقول السعدي : ((فإذا كان فقد العلم جهل قبيح ففقد العمل به جهل أقبح وأشنع)) [٣] ، فالتربية بالقدوة أسلوب تربوي إسلامي عظيم ((فالقدوة في التربية هي أفعل الوسائل جميعاً وأقربها إلى النجاح)) [٤] .

المطلب الثاني : التربية بالترغيب والترهيب

الثواب والعقاب أو الترغيب والترهيب أسلوبين من أساليب التربية وكثيراً ما يرد ذكرهما مقترنين في القرآن الكريم والسنة الصحيحة ومن ذلك قوله : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ(٧)وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ

---

(١) الدويش ، محمد عبد الله ، المدرس ومهارات التوجيه ، الرياض : دار الوطن ، ط٢، ١٤١٦هـ ، ص ٤٩ .

(٢) الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ج١ ص٥٨ . (مرجع سابق)

(٣) السعدي ، القواعد الحسان ، الكاملة / التفسير ، ج٨ ص١٣٨ (مرجع سابق)

(٤) قطب ، منهج التربية الإسلامية ، ج١ ص١٨٠ . (مرجع سابق)

شَرًّا يَرَهُ ﴾ « سورة الزلزلة ، الآيتان ٧، ٨ » . وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ﴾ « سورة آل عمران ، آية ٣٠ » وقال تعالى : ﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لا إِلَهَ إلا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ « سورة غافر ، آية ٣ » وقال تعالى : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ(٢٦)وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ «سورة يونس، آية ٢٦،٢٧»، فالترغيب بالوعد ، والترهيب بالوعيدأسلوب تربوي قرآني تكرر كثيراً في الآيات القرآنية ، فا لله عز وجل يعد المؤمنين الصادقين بالجنة ونعيمها ، ويتوعد الكافرين بالنار وعذابها ، وهذا بدوره يجعل النفوس تقبل على الأعمال المفضية للجنة ونعيمها ، وتبتعد عن الأعمال الموصلة إلى النار وعذابها .

وهذا الأسلوب التربوي يستخدم : ((لتكوين عاطفة الرغبة في الفضائل ، وعاطفة الرهبة من الرذائل)) [١] ، والسعدي يبين أهمية ترغيب الناس لعمل الخير بتيسيره لهم حتى يقوموا به ، فيقول : ((فإن التيسير لأعمال الخير وتهوينها على العاملين والاقتناع بما تيسر وسمحت به هممهم وعزائمهم ، وأمر كل أحد ودعوته بما يناسب حاله وتقتضيه

---

(١) يالجن ، مقداد، توجيه المعلم إلى معالم طرق تعليم العلوم الإسلامية و وسائلها ، الرياض : عالم الكتب ، ط١، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م) ص٨٧ .

نفسه وطبيعته ويهون عليه ، لا ريب في نفعه وسهولة الإجابة إليه ، وخصوصاً إذا ضم إلى التيسير : التبشير بخيره وثمراته العاجلة والآجلة ، ونفعه اللازم والمتعدي)) [١] .

وقد أشار أرسطو إلى أهمية ذلك الأسلوب لتربية الناس فقال : ((في الواقع أن الفضيلة الأخلاقية تتعلق بالآلام واللذات ، ومادام أن طلب اللذة هو الذي يدفعنا إلى الشر ، وخوف الألم هو الذي يمنعنا من فعل الخير ، من أجل ذلك ينبغي منذ الطفولة الأولى أن نوجّه مسراتنا والآمنا في الأشياء التي ينبغي أن نضعها فيها ، وفي هذا تنحصر التربية الطيبة))[٢].

والسعدي يركز على أهمية أسلوب الثواب والعقاب في تربية عامة الناس ، الصغار والكبار ، ويبين أن أهمية ذلك الأسلوب نابعة من وروده في شرع الله عز وجل ، فقال : ((ومن المسهلات - للعبادة - ما شرعه الله من العقوبات والتعزيرات الشرعية على من ترك الواجبات أو تجرأ على المحرمات ، وذلك بحسب الجرائم ، فالحدود رحمة من الله وزجر ومنع عن وقوع المحرمات وكثرتها)) [٣] ، فالثواب على العمل الحسن والعقاب على العمل السيء يبدي في نفس الإنسان ((داعي الخوف من الله ، وخوف العقوبات المتنوعة ، وداعي الرغبة في حصول الخيرات ،

---

(١) السعدي ، الرياض الناضرة ، الكاملة / الثقافة ، ج١ ص٤٩٨ (مرجع سابق)
(٢) ارسطو ، علم الأخلاق ، ترجمة أحمد لطفي السيد ، القاهرة : دار الكتب المصرية، ١٩٢٤م ، ج١ ص٢٣٣ .
(٣) السعدي الرياض الناضرة ، الكاملة / الثقافة ، ج١ ص٤٥١ (مرجع سابق)

والثواب المترتب على ترك المعاصي))[١] ، وقد وجه الرسول ﷺ إلى أسلوب العقاب أو الترهيب للطفل في سن العاشرة من عمره ، وأن يكون العقاب حسياً بدنياً حيث قال ﷺ : « **مروا الصبيان بالصلاة لسبع سنين ، واضربوهم عليها في عشر سنين، وفرقوا بينهم في المضاجع** » رواه الحاكم[٢] ، فالعقوبة المادية تكون في سن الطفولة أكثر من غيرها في المراحل العمرية الأخرى ، وهذا الضرب للصبيان على الصلاة يأتي بعد ما يقوم الآباء بدورهم تجاه أبناءهم ((بأن يعلموهم ما تحتاج إليه الصلاة من شروط وأركان ، وأن يأمروهم بفعلها بعد التعليم ... وإنما أمر بالضرب لعشر لأنه حد يتحمل فيه الضرب غالباً والمراد بالضرب ، ضرب غير مبرح وأن يتقي الوجه))[٣] ، والحدود الشرعية جاءت بإيقاع العقاب اللازم على منتكهي هذه الحدود حسب ما تقتضيه مصلحة الفرد والجماعة ، فتبدأ العقوبة بالتثريب والردع بالكلام وتنتهي بالقتل رمياً بالحجارة ، كل ذلك لتربية هذه النفس وردعها وزجرها عن تعدي حدود الله عز وجل ، ويشير الغزالي إلى أهمية الثواب والعقاب في التربية فيقول : ((والترغيب والترهيب يسوق الناس إلى سعادتهم وليس ذلك إلا بألم محسوس ولذة محسوسة مدركة ، فإن مالا يدرك بالذوق لا يعظم إليه

---

(١) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج١ ص٤٥٣ .

(٢) الحاكم ، المستدرك على الصحيحين ، ج١ ص٣١١ ح٧٠٨ (مرجع سابق)

(٣) المباركفوري ، أبو الأعلى، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ، تحقيق عبد الوهاب عبداللطيف ، المدينة المنورة : المكتبة السلفية ، ١٩٦٧م ، ج٢ ص٤٤٧ .

الشوق)) [١] .

وبعض ((اتجاهات التربية الحديثة ينفر من العقوبة ، وتكره ذكرها على اللسان ، ولكن الجيل الذي أُريد له أن يتربى بلا عقوبة في أمريكا جيل متميع مفكك الكيان)) [٢] ، والسعدي جعل التربية العالية هي التي تتضمن روح الدين ومبادئ الرجولة المبنية على الشدة فيقول : ((فعليهم أن يربوهم تربية عالية ، ويبثوا فيهم روح الدين وأخلاقه الجميلة ، والحزم والعزم ، وجميع مبادئ الرجولةوالفتوة والمروة ، وأن يدربوهم على الصبر وتحمل المشاق الذي يفضي إلى النجاح والمثابرة في كل عمل نافع ، ويذروهم من الجبن والكسل ، والسير وراء الطمع والمادة، والانطلاق في المجون والهزل والدعة ، فإن ذلك مدعاة للتأخر الخطير)) [٣] ، ويؤكد السعدي على أهمية الموازنةبين الترغيب الترهيب في تربية الأولاد فيقول : ((فالموفق لا يزال مع أولاده في حث على الخير وترغيب ، وزجر عن الشر وترهيب ، وتربية عالية وتأديب ، حتى يرى من فلاحهم ما تقر به عينه في الحياة وبعد الممات)) [٤] .

نظرة السعدي للعقاب :

يرى السعدي أن العقاب يعتبر أسلوباً من أساليب التربية إلا أنه يحذر

---

(١) الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ج٣ ص ٩٩ . (مرجع سابق)

(٢) قطب ، منهج التربية الإسلامية ، ج١ ص١٨٩ . (مرجع سابق)

(٣) السعدي ، الجهاد في سبيل الله ، الكاملة / الثقافة، ج١ ص١٩٩ (مرجع سابق)

(٤) السعدي ، مجموع خطب السعدي في المواضيع النافعة ، الكاملة / الخطب، ص ٢٥٩ ، ٢٦٠ . (مرجع سابق)

اشد التحذير من الإفراط في العقوبة فيقول : ((أيها الأباء الكرام إذا أردتم صلاح أولادكم في حاضرهم ومستقبلهم ، فإياكم والشدة عليهم والضغط على إرادتهم وأفكارهم ، فإن الشدة تميت الأفكار وتحدث الخلل في العقل والهمة ، وربما أدت إلى الإنفجار والعقوق الضار)) [١] ، وهذه النظرة للسعدي تجاه العقوبة قال بها ابن خلدون : ((ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين أو المماليك أو الخدم سطا به القهر ، وضيَّق عن النفس في انبساطها وذهب بنشاطها ، ودعاه إلى الكسل وحمل على الكذب والخبث ، وهو التظاهر بغير ما في ضميره)) [٢] ، وهذا الرأي للسعدي تجاه العقوبة تنادي به التربية الحديثة : ((التي تعمل للإصلاح ، والتفكر في الإصلاح ، وتبتعد بقدر الاستطاعة عن القهر والقسوة ، مع استعمال اللين والشفقة في العقوبة)) [٣] ، ولا شك أن نظرة السعدي للعقوبة متسقة مع التوجيه الإسلامي للعقاب ، وهذا يتضح للقارئ عندما يلاحظ الفرق بين التوجيه والأمر بالصلاة لسن سبع ، وبين الضرب والعقاب على تركها لسن عشر ، فالطفل يوجه ويعلم ويربى على إقامة الصلاة لمدة ثلاث سنوات متتالية بمعدل خمس أوامر يومية أي ما يعادل "٥٤٠٠" خمسة آلاف وأربعمائة أمر وتوجيه للطفل خلال هذه الثلاث سنوات ، فإذا لم يأتمر بعد ذلك و لم ينفع فيه ذلك التوجيه جاء دور العقاب البدني ، وبهذا نعرف أن العقاب يصبح علاجاً أخيراً إذا

---

(١) السعدي ، (المرجع السابق) ، ص ٢٦٠ .

(٢) ابن خلدون ، المقدمة ، ص٧٤٣ . (مرجع سابق)

(٣) الأبراشي ، التربية الإسلامية وفلاسفتها ، ص١٤٥ . (مرجع سابق)

استنفدت كافة العلاجات الأخرى ، من التوجيه ، والتثريب ، والترغيب، وبعد ذلك يأتي دور العقاب ، وهذا ما تهدف إليه التربية الإسلامية ، وتأمر به .

المطلب الثالث : التربية بالممارسة العملية

من أساليب التربية التي وجه إليها القرآن والسنة ، أسلوب الممارسة العملية ، فهذا الأسلوب يبدي القرآن فيه ويعيد ، فالله سبحانه جعل الجزاء للذين آمنوا مقابل أعمالهم الصالحة فقال : ﴿ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ « سورة السجدة ، آية ١٧ » ، وقال سبحانه : ﴿ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ « سورة الأحقاف ، آية ١٤ » ، وقال رسول الله ﷺ : « **إن الله لا ينظر إلى صوركم وأحوالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم** » رواه مسلم وأحمد وابن ماجه ، واللفظ لمسلم [١] ، والسعدي أشار إلى ذلك الأسلوب وأهميته بقوله : ((الذي ينبغي للعبد أن ينظر إلى الحالة التي يلزمه القيام بها فيكملها ثم يتدرج شيئاً فشيئاً حتى يصل إلى ما قدر له من العلم والعمل في أمر الدين والدنيا)) [٢] ، ويلفت السعدي النظر إلى أهمية الممارسة والتمرين لتكوين الملكة العلمية والمعرفية لدى الإنسان وأن ذلك مما يجعل الإنسان يترقى في مدارج التربية الصحيحة للإنسان : ((فإن الشجاعة وإن كانت في القلب فإنها تحتاج

---

(١) مسلم ، صحيح مسلم بشرح النووي ، ج١٦ ص١٢١. (مرجع سابق)

(٢) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، الكاملة / التفسير ، ج٢ ص٩٢ . (مرجع سابق)

إلى تدريب النفس على الإقدام وعلى التكلم بما في النفس وإلقاء المقالات والخطب في المحافل ، فمن مرن نفسه على ذلك لم يزل به الأمر حتى يكون ملكة له ، وزالت هيبة الخلق من قلبه فلا يبالي ألقى الخطب والمقالات في المحافل الصغار أو الكبار)) [١] .

والممارسة العملية للعلم المكتسب هي التي تحفظه من الضياع والإندثار، والسعدي يؤكد على ضرورة تلك الممارسة مستدلاً بما كان عليه سلف هذه الأمة من الربط الدائم بين العلم والعمل به ((فكان السلف يستعينون بالعمل على العلم ، فإن عمل به استقر ودام ونما وكثرت بركته ، وإن ترك العمل به ذهب أو عدمت بركته ، فروح العلم وحياته وقوامه، إنما هو بالقيام به عملاً، وتخلقاً ، وتعليماً، ونصحاً))[٢]، ولهذا ((ينبغي على المربي المسلم أن يهتم بتنمية السلوك العملي الرشيد وأن يدرك أن تلاميذه إنما يحسن تعليمهم إذا هم مارسوا ما تعلموه من خلال خبرتهم وتجربتهم المباشرة)) [٣]، وحدد السعدي أهمية الممارسة العملية بأنها المكملة للعلم النافع المؤدي إلى الجنة فقال : ((جعل الله طريق الجنة والصراط المستقيم مركباً من العلوم النافعة ومن الأعمال الصالحة)) [٤] .

---

(١) السعدي ، الرياض الناضرة ، الكاملة / الثقافة ، ج١ ص٤٠٢ (مرجع سابق)

(٢) السعدي ، الفتاوى السعدية ، الكاملة / الفتاوى ، ص٤٥٤ (مرجع سابق)

(٣) مرسي ، التربية الإسلامية أصولها ، ص١٢٩ . (مرجع سابق)

(٤) السعدي ، الرياض الناضرة ، الكاملة / الثقافة ، ج١ ص٤١٨ (مرجع سابق)

المطلب الرابع : التربية بالقصة

يعتبر أسلوب القصة من أقوى أساليب التربيـة تاثـيراً علـى النفـوس ولا أدل على أهمية من كثرة وروده في القرآن والسنة ، ففي القرآن جاء ذكر الأنبياء مع أقوامهم بأسلوب قصصي تعليمي ، كما جـاءت السـنة بذلـك الأسلوب في أحوال وهيئات متعددة فمن ذلك ما رواه الإمام أحمد بسنده أن رجلاً مـن الطفـاوة حـدَّث فقـال : « **قدمـت المدينـة في عـير لنـا فبعنـا بضاعتنا ثم قلت لأنطلقن إلى هذا الرجل ، فلآتين من بعدي بخـبره ، قـال : فانتهيت إلى رسول ا لله ﷺ فإذا هو يريني بيتاً ويقول** : ((**إن امـرأة كـانت فيـه فخرجـت في سـرية مـن المسـلمين ، وتركـت ثنـتي عشـرة عـنزاً لهـا وصيصتها ، كانت تنسج بها ، قال : ففقدت عنزاً من غنمها وصيصتهـا ، فقالت : يارب إنك قد ضمنت لمن خرج في سبيلك أن تحفظ عليـه ، وإنـي قد فقدت عنزاً من غنمي ... الحديث بطوله** » رواه أحمد [١] ، والسـعدي يهتم بأسلوب القصة ، ولكنه يضيف إلى أن أهمية ذلك الأسلوب تتجلـى بأمرين هامين هما :

الأمر الأول : ذكر القصة مجملة بلا تفصيل ، وذلك لتصويرهـا إجمـالاً في ذهن القارئ أو السامع .

الأمر الثاني : التفصيل والبيان التام لأحداث القصة ومجرياتها لترسخ في الذهن تلك الصور المجملة السابقة ، وفي ذلك يقول السعدي : ((فإن هذا الأسلوب العجيب يصيرله موقع كبير وتتقرر فيه المطالب المهمـة ، وذلـك

---

(١) الألبـاني ، محمـد نـاصر الديـن ، سلسـلة الأحـاديث الصحيحـة ، الريــاض : دار المعارف ، ط١، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م ، ج٦ ص١٠٤٧ .

أن القصة إذا أجملت بكلام يكون لها كالأصل والقاعدة ، ثم يقع التفصيل لذلك الإجمال ، يحصل به الإيضاح والبيان التام الكامل الذي لا يقع ما يقاربه لو فصلت القصة الطويلة من دون تقدم صورة إجمالية لها ، فإن الصورة تشوق إلى التفصيل)) [١]، ومثال ما ذكره السعدي من الإجمال في القصص ثم التفصيل ما ذكره الله عن قصة أصحاب الكهف ، وقصة يوسف ، وأصحاب الجنة ، وابني آدم ، وقصص الأنبياء فهي تأتي مجملة في مواضع وتفصيلها في مواضع أخرى .

((والقرآن يستخدم القصة لجميع أنواع التربية والتوجيه التي يشملها منهجه التربوي : تربية الروح ، وتربية العقل ، وتربية الجسم ، والتوقيع على الخطوط المتقابلة في النفس ، والتربية بالقدوة ، والتربية بالموعظة فهي سجل حافل لجميع التوجيهات)) [٢] فأسلوب القصة كأحد الأساليب التربوية له تاثيره على السامع والقارئ الذي تشده القصة ومجرياتها مما يولد لديه روح الموافقة لما فيها من النافع ، أو روح المخالفة لما جاء فيها من ضرر .

المطلب الخامس : التربية بالحكمة

التربية بالحكمة تعني : ((سلوك أقرب طريق وأنجح وسيلة يحصل بها تحصيل الخير أو تكميله وإزالة الشر أو تقليله)) [٣] .

فالتربية بالحكمة شاملة للحالات التالية :

---

(١) السعدي ، القواعد الحسان ، الكاملة / التفسير ، ج٨ ص١٤٧ (مرجع سابق)

(٢) قطب ، منهج التربية الإسلامية ، ج١ ص١٩٤ . (مرجع سابق)

(٣) السعدي ، الدين الصحيح ، الكاملة / الثقافة ، ج١ ص٣٥٩ (مرجع سابق)

الأولى : الحكمة في مجالسة الناس : وذلك بالإتيان بالآداب التربوية التالية :

[أ] لا يترأس الناس في مجالسهم وأحاديثهم [١] .

[ب] أن لا يكثر الكلام، ويملك المجلس على غيره من الجالسين[٢].

[ج] الإلتزام بالصمت إذا كان صغير السن وفي المجلس الكبار [٣] .

[د] أن يبذل جهده في الإرشاد والتعليم إذا كان لديه علم ينفع الآخرين [٤] .

[هـ] أن يراعي في توجيهه وإرشاده حاجة الحاضرين ، ومناسبة ما يقوله لأذهانهم [٥].

[و] انتهاز الفرصة بمجالسة الآخرين بشغلهم بالخير ، أو بمنعهم عن الشر ، أو حتى تخفيفه [٦].

[ز] مراعاة مقامات الناس عند الجلوس معهم ، فللعلماء مقام التعلم عنهم ، وللملوك والرؤساء مقام التلطف والإحترام لهم ، وللنظراء مطارحة الأحاديث الدينية والدنيوية ، وللتلاميذ التعليم لهم ، وللصغار والسفهاء الحكايات والمقالات اللائقة بمستواهم الذهني ، وللأهل والأولاد التوجيه والمشاورة في أمور الحياة ، وللفقراء والمساكين التواضع والرحمة ،

---

(١) السعدي ، الرياض الناضرة ، الكاملة / الثقافة ، ج١ ص٥٤٩ (مرجع سابق)
(٢) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج١ ص٥٤٩ .
(٣) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج١ ص٥٤٩ .
(٤) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج١ ص٤٣١ .
(٥) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج١ ص٤٣١ .
(٦) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج١ ص٥١٣ .

وللحساد والمبغضين المجاملة والمداراة [١] .

[ح] الحذر التام من السخرية بالجالسين أو الاحتقار لهم أو لأحدهم لما في ذلك من تحريمه ، وحمق فاعله ، وبه إثارة الشرور [٢] .

[ط] البعد عن منازعة المتحدث حديثه ، حتى ولو كنت عارفاً له قبله ، بل تظهر له غاية السرور بحديثه [٣] .

الثانية : الحكمة في قبول كلام الناس بعضهم ببعض

فالتربية الإسلامية تربي في المسلم روح التثبت عند سماع الأخبار ، وعدم الحكم على الأشخاص بمجرد السماع للأقوال فيهم ولو من أصدقائهم وإلى ذلك يشير قول السعدي : ((من الغلط الفاحش الخطر قبول قول الناس بعضهم ببعض ثم يبني عليه السامع حباً أو بغضاً مدحاً أوذماً ، فكم حصل بهذا الغلط أمور عاقبتها الندامة ، وكم أشاع عن الناس أموراً لا حقائق لها بالكلية أولها بعض الحقيقة فنميت بالكذب والزور ، وخصوصاً من عرفوا بعدم المبالاة بالنقل ، أو عرف منهم الهوى، فالواجب على العاقل التثبت والتحرز وعدم التسرع وبهذا يعرف دين العبد ورزانته وعقله)) [٤] .

وكم هي بحاجة التربية الحديثة لمثل هذه القيود في نقل الأخبار ، وتقبلهاوبناء النتائج عليها ، والمسلم يجب أن يتربى على هذه المعاني

---

(١) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج١ ص٥٤٨ .
(٢) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج١ ص٥٤٩ .
(٣) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج١ ص٥٤٨ .
(٤) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج١ ص٥٥٠ .

المستقاة من القرآن الكريم كما في قوله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ « سورة الحجرات ، آية ٦ » .

وذلك حتى يعيش حياة مطمئنة بعيدة عن الغل والبهتان والنميمة الكاذبة التي يحلق بها دين المسلم نظراً لما تخلفه وراءها من آثار سيئة على الفرد والمجتمع .

الثالثة : الحكمة في النظر إلى المقصرين بأعمالهم

من الحكمة عندما ينظر الإنسان إلى غيره وهو على حال ناقصة عن رتبة الواجب أو الكمال فإن من الحكمة هنا أن يتذكر الإنسان حاله السابقة التي كانت كهذه الحالة ، ولكن رحمة الله تداركته فرفعته من حضيض النقص إلى مدارج الكمال ، وبهذا التذكر فإنه يسلم من غائلة الإحتقار لغيره ، أو التندر به ، أو ذمه وتركه بل إن مقتضى ذلك أن يدعوه تصحيح حاله بالحكمة والموعظة الحسنة ، وهذا أسلوب تربوي مهم في حياة الناس ، وفي تصوير ذلك يقول السعدي : ((فنظر الكامل لحاله الأولى الناقصة ، ومعاملته لمن كان على مثلها بمقتضى ما يعرف من حاله الأولى ، ودعاؤه له بالحكمة والموعظة الحسنة من أكبر الأسباب لنفعه وانتفاعه)) [1] .

---

(١) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، الكاملة / التفسير ، ج٢ ص١٣٣ . (مرجع سابق)

الرابعة : الحكمة في التغابي عن الخطأ السابق

يرشد السعدي إلى أسلوب تربوي هام في معاملة الإنسان الذي ارتكب خطأً ثم تاب منه ، بأن الأسلوب الصحيح يقتضي تمام التغافل والتغاضي ونسيان خطأه السابق وعدم تذكيره به فيقول في قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾ « سورة النساء، آية ٣٤»: ((ففي هذه الآية ونحوها فائدة نافعة وهي أنه ينبغي لمن عاد إلى الحق أن لا يذكر هذه الأمور السالفة ، فإن ذلك أحرى للثبات على المطلوب فإن تذكير الأمور الماضية ربما أثار الشر فانتكس المرض وعادت الحال إلى أشد من الأولى))[1]، ففي هذه الحالات الأربع تتجلى أهمية الحكمة كأسلوب من أساليب التربية ، والتي يفيد منها المعلم مع تلاميذه حسب ما تقتضيه الحال منهم، وكذلك الأب مع أبناءه، والرئيس مع مرؤوسيه .

فالمعلم الذي يتعامل مع أخطاء تلاميذه بهذا الأسلوب ، لا شك أنه سيجني من ذلك مودتهم له ، وهذا مما يحببهم في مادته الدراسية ، وبهذا نجد أثر ذلك الأسلوب راجع للمادة التعليمية بالإيجاب ، حيث أن ذلك التغاضي أو التغابي من المعلم عن هفوات تلاميذه السابقة يشعرهم بمدى التقدير الذاتي من المعلم لهم مما يحفزهم على الاحترام المتبادل بينهم .

وكذلك الزوج مع زوجته كم هما بحاجة ماسة لتمثل هذا الأسلوب في واقع حياتهم اليومية نظراً لتكرر الأخطاء ، ولن تدوم العلاقة الزوجية بينهما إلا بتمثل هذا التغاضي ، أما إذا كان التعامل بينهما مبناه على التدقيق والمحاسبة على الهفوات والزلات فإن ذلك مؤذن بخراب حياتهما الأسرية ومن ثم ضياع أبنائهما ، والله المستعان .

---

(١) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج٨ ص٢٩١ .

المبحث الخامس : بعض المبادئ التربوية عند السعدي

التمهيد

السعدي ينطلق في مبادئه التربوية مما جاء به القرآن الكريم والسنة الصحيحة حيث بنى تلك المبادئ على أساس من هدي القرآن والسنة ، وهذه المبادئ تعني : ((القواعد والقوانين التربوية العامة الواسعة الشمول المقتبسة من القرآن والسنة)) (١) ، وقيل إن المبادئ التربوية الإسلامية هي ((قواعدأساسية شاملة تُستنبط مباشرة من الكتاب والسنة وتنبثق عنها سلوكيات الفرد المسلم والمجتمع المسلم)) (٢) ، وإن من المبادئ التربوية التي دعا إليها السعدي في ثنايا مؤلفاته ما يلي :

المبدأ الأول : وجوب مزج المبادئ النظرية بالممارسات العملية

العلم النافع هو الذي يدفع صاحبه للعمل به ، كما يقول السعدي : ((العلم نوعان ، نوع لا يثمر العمل بمقتضاه وإنما هو حجة على صاحبه، وهو غير نافع ، وعلم يثمر العمل بمقتضاه وهو علم المؤمنين بأن ا لله سيبعثهم ويجازيهم بأعمالهم فأحدث لهم هذا العلم الخوف فخافوا مقام

(١) النحلاوي ، عبد الرحمن، الإصلاح التربوي والاجتماعي والسياسي من خلال المبادئ والاتجاهات التربوية عند التاج السبكي ، بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٤١٠هـ ، ص ٥٠ .

(٢) أحمد ، هاشم علي ، التربية الذاتية ، مكة المكرمة : دار الأهدل ، ط١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م) ص ٢٦ .

ربهم وانتفعوا بنذارة الرسل)) [١] .

وفي القرآن الكريم جعل الله العلم يقتضي العمل به ، فأهل الكتاب الذين تركوا العمل بالعلم عدَّهم الله من الذين لا يعلمون كما قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾ « سورة البقرة ، آية ١٠١ » ، وفي بيان ذلك يقول السعدي : ((فإذا كان فقد العلم جهل قبيح ففقد العمل به جهل أقبح وأشنع)) [٢] .

فالعلوم النافعة مع الأعمال الصالحة تمثل الصراط المستقيم المؤدي إلى الجنة ، ويؤكد ذلك السعدي بقوله : ((جعل الله طريق الجنة والصراط المستقيم مركباً من العلوم النافعة والأعمال الصالحة)) [٣] ، فالمبادئ النظرية تتكامل مع الممارسات العملية لتحقيق الغاية من التربية الإسلامية، فالعلم يطلب للعمل به وتلك ثمرته وهذه حال العلماء السابقين في هذه الأمة ((كان السلف يستعينون بالعمل على العلم ، فإن عمل به استقر ودام ونما وكثرت بركته ، وإن ترك العمل به ذهب أو عدمت بركته ، فروح العلم وحياته وقوامه إنما هو بالقيام به عملاً وتخلقاً ، وتعليماً ، ونصحاً)) [٤] .

ولضرورة المزج بين العلم والعمل فإن عامة العلماء المسلمين أشاروا إلى

---

(١) السعدي ، المواهب الربانية ، الكاملة / الثقافة ، ج١ ص٢٨ (مرجع سابق)
(٢) السعدي ، القواعد الحسان ، الكاملة / التفسير ، ج٨ ص١٣٨ (مرجع سابق)
(٣) السعدي ، الرياض الناضرة ، الكاملة / الثقافة ، ج١ ص٤١٨ (مرجع سابق)
(٤) السعدي ، الفتاوى السعدية ، الكاملة / الفتوى ، ص٤٥٤ (مرجع سابق)

أهمية ذلك وضرورته ، فالخطيب البغدادي " ٣٩٢- ٤٦٣هـ " أكد على ((أهمية اقتران العلم بالعمل في كتابه " اقتضاء العلم للعمل " فسرد الأحاديث النبوية وأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من العلماء في ضرورة عمل العالم بعلمه)) [١] ، والإمام أبو عمر ابن عبد البر أكد على ذلك المبدأ حيث عقد باباً في كتابه " جامع بيان العلم وفضله " وسماه : باب جامع القول في العمل بالعلم ، وساق فيه جملة من الأحاديث والآثار عن الصحابة والتابعين ، وبعض الأبيات الشعرية في أهمية ذلك ، من ذلك قول الرسول ﷺ : « **تعلموا ما شئتم أن تعلموا فلن يأجركم حتى تعملوا** » ، وقول القاسم بن محمد : ((أدركت الناس وما يعجبهم القول إنما يعجبهم العمل)) وقول المأمون : ((نحن إلى أن نوعظ بالأعمال أحوج منا أن نوعظ بالأقوال)) وقول أبي الدرداء رضي الله عنه : ((لا تكون تقياً حتى تكون عالماً ، ولا تكون بالعلم جميلاً حتى تكون به عاملاً)) [٢] .

والإمام الذهبي " ٦٧٣-٧٤٨هـ " ذكر في كتابه " الكبائر " ما يدل على هذا المبدأ ، وهو قول الرسول ﷺ : « **من تعلم علماً لم يعمل به لم يزده العلم إلاّ كبراً** » وغيره من الأحاديث بهذا المعنى)) [٣] .

---

(١) العمري ، أكرم ضياء ، الخطيب البغدادي سيرته الذاتية ، بيئته الحضارية ، إنتاجه الفكري واهتماماته التربوية ، من أعلام التربية العربية الإسلامية ، ج٢ ص٣٣٤ . (مرجع سابق)

(٢) القرطبي ، أبو عمر يوسف بن عبد البر ، جامع بيان العلم وفضله ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، بيروت : مؤسسة الكتب الثقافية ، ط١، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ص٢١٨، ٢١٩ .

(٣) الذهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان ، كتاب الكبائر ، بيروت : دار الكتب الشعبية، د . ت ، ص١٤٨ .

فهذا المبدأ التربوي في وجوب اقتران العلم بالعمل به قيام أمر الدين كله كما قال تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إلا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ « سورة البينة آية ٥ » ، وقوله تعالى : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إلا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ « سورة محمد ، آية ١٩ » ، وفي معنى هذه الآية قال السعدي : ((العلم لا بد فيه من إقرار القلب ، ومعرفته بمعنى ما طلب منه عمله ، ولا يتم ذلك إلا بالعمل بمقتضى ذلك العلم في كل مقام بحسبه ، وهذا العلم الذي أمر الله به فرض عين على كل إنسان لا يسقط عن أحد ، كائناً من كان ، والضرورة إلى هذا العلم والعمل بمقتضاه من تمام التأله لله فوق كل ضرورة)) [١] .

ففائدة العلم وثمرته الكبرى إنما هي بالعمل به كما يقول السعدي : ((إن العلم النافع الذي هو أنفع العلوم ، معرفة حدود ما أنزل الله على رسوله من أصول الدين وفروعه ، كمعرفة حدود الإيمان والإسلام والإحسان والتقوى ... فإن في معرفتها يتمكن العارف من فعلها إن كانت مأموراً بها أو تركها إن كانت محظورة ومن الأمر بها أو النهي عنها)) [٢] وبهذا يرد السعدي على من يقول بان العلم للعلم فقط ،

---

(١) السعدي ، تيسير الطيف المنان في خلاصة التفسير ، الكاملة / التفسير ، ج٨ ص١٨٩ . (مرجع سابق)

(٢) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، الكاملة / التفسير ، ج٣ ص٢٨٨ . (مرجع سابق)

فيطلب لذات العلم ولذته بغض النظر عن العمل بـه كمـن يقـول : ((إن العاقل من ليس يلزمه اقتباس العلم ليتوصل به إلى الأعمـال الصالحـة ، بـل يلزمه ذلك ليسلم به عن وحشة الجهالة فإنها في ذاتها قبيحة مظلمة ، كما أن ضدها في نفسه حسن ملذ)) [١] ، وجعل الغزالي العلم مقترنـاً بـالعمل للوصول للسعادة فقال : ((وأعظم الأشياء رتبة في حـق الآدمـي السـعادة الأبدية وأفضل الأشياء ما هو وسـيلة إليهـا ولـن يتوصـل إليهـا إلا بـالعلم والعمل ، ولا يتوصل إلى العمل إلا بالعلم بكيفية العمل ، فـأصل السـعادة في الدنيـا والآخـرة هـو العلـم فهـو إذن أفضـل الأعمـال)) [٢] ، ويحـدد السعدي الغرض من التعليم بأن : ((يكون الغرض الوحيد من المتخرجـين في المدارس الناجحين في علومها ان يكونوا صالحين في أنفسهم وأخلاقهـم وآدابهم ، مصلحين لغيرهم، راشدين مرشدين، مهتمين بتربية الأمـة))[٣] ولم ((يقصد علماء الإسلام من العلم والتعلـم الحصـول علـى وظيفـة مـن الوظائف، أو منصب من المناصب ، ولم يريدوا الجاه أو القوة أو السلطان، بل أرادوا العلم للعلم ومرضاة الله ، وكرهوا أن يكون الغرض من العلـم والدافع إليه مادياً صرفاً)) [٤]، وبنحو هذا الكـلام قـال السـعدي منتقـداً التعليم من أجل المناصب الدنيوية فقط فيقول: ((فإن كثـيراً مـن المـدارس

(١) العامري ، أبوالحسن محمد بن أبي ذر ، الإعلام بمناقب الإسلام ، تحقيق أحمد عبد الحميد غراب ، القاهرة : دار الكاتب العربي ، ١٩٦٧م ، ص٧٧ ، ٧٨ .

(٢) الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ج١ ص١٢ . (مرجع سابق)

(٣) السعدي ، وجوب التعاون بين المسلمين ، الكاملة / الثقافة ، ج١ ص٢٠٠ . (مرجع سابق)

(٤) الأبراشي ، التربية الإسلامية ص١٦٦ . (مرجع سابق)

الآن التعليم فيها قاصر جداً ، لا يعتنى فيه بأخلاق التلاميذ ، ويكون تعليم الدين فيها ضعيفاً ، ويكون الغرض منها المادة ، وان يخرج منها تلاميذ يصلحون للوظائف الدنيوية البحتة))[١]. فالسعدي يحذر من التعليم لأجل الأغراض الفاسدة فيقول : ((الحذر الحذر من طلب العلم للأغراض الفاسدة والمقاصد السيئة ، من المباهاة ، والمماراة ، والرياء ، والسمعة ، وأن يجعله وسيلة للأمور الدنيوية والرياسة ، فليست هذه حال أهل العلم الذين هم أهله في الحقيقة))[٢]. وبالنظر للحالة التي كان عليها السعدي في حياته حيث يصفه أحدهم فيقول: ((كان رحمه الله كل همه في حياته: الإفادة العلمية ، والاستفادة الخلقية العملية ، وكانت نفسه وقفاً على العلم مع العبادة)) [٣]، ولهذا كانت مجالسه ((تحتوي على البحوث العلمية والاجتماعية ، ويحصل لأهل المجلس فوائد عظمى من هذه البحوث النافعة التي يشغل وقتهم فيها ، فتنقلب مجالسهم العادية عبادة ومجالس علمية)) [٤].

وهكذا تتكامل في شخصية السعدي مبادئه النظرية مع تطبيقاته العملية، فهو يدعو إلى العلم والعمل به والتعليم لذلك العلم ، ويتمثل ذلك في حياته مع طلابه ، ومع عامة الناس حيث كان : ((يتكلم مع كل

---

(١) السعدي ، وجوب التعاون بين المسلمين ، الكاملة / الثقافة ، ج١ ص٢٠٠ .
(مرجع سابق)
(٢) السعدي ، الفتاوى ، الكاملة / الفتاوى، ص٤٥٣ . (مرجع سابق)
(٣) الفقي ، سيرة العلامة السعدي ، ص١٢ . (مرجع سابق)
(٤) السعدي ، الرياض الناضرة ، الكاملة / الثقافة ، ج١ ص٣٦٦ ، ٣٦٧ .
(مرجع سابق)

فرد بما يناسبه ، ويبحث معه في المواضيع النافعة له دنيا وأخرى ، وكثيراً ما يحل المشاكل برضاء الطرفين في الصلح العادل)) [(١)] .

وهذا المزج بين المبادئ النظرية والممارسات العملية في التعليم الإسلامي يعني القضاء على نظرة الإنشطارية بين العلوم الدينية والدنيوية وهذا ما يقرره السعدي بقوله : ((كل علم أوصل إلى المطالب العالية ، وأثمر الأمور النافعة ، لا فرق بين ما تعلق بالدنيا أو بالآخرة ، فكل ما هدى إلى السبيل ورقيّ العقائد والأخلاق والأعمال ، فهو من العلم)) [(٢)] ويقول : ((إن العلوم النافعة في العاجل والآجل : هي العلوم التي جاءت في كتاب الله وسنة رسول الله ، وأنها احتضنت كل علم نافع ، ومعرفة صحيحة ، لا فرق بين الأصول والفروع ، ولا بين الدينية والدنيوية)) [(٣)] .

وهذه النظرة الإسلامية تجاه العلوم وعدم التفريق بين علوم الدين وعلوم الدنيا ، هذه النظرة هي السائدة بين علماء المسلمين في عصور القوة والإزدهار الإسلامي و ((يدلنا تاريخ التربية الإسلامية الطويل على أن التوازن بين علوم الدين والدنيا كان موجوداً في عصور القوة والإزدهار الإسلاميين وإن هذا التوازن لم يختل إلا في عصور الضعف التي لا تحسب على الإسلام وإنما يمكن حسابها على التخلي عنه)) [(٤)] .

---

(١) السعدي ، الرياض الناضرة (المقدمة) ، الكاملة / الثقافة ، ج١ ص٣٦٧ . (مرجع سابق)
(٢) السعدي ، الدين الصحيح ، الكاملة / الثقافة ، ج١ ص٣٤٢ (مرجع سابق)
(٣) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج١ ص٣٤٢ .
(٤) عبود ، عبد الغني ، في التربية الإسلامية ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م .

وهذا التوازن بين العلوم الدينية والدنيوية ناتج من التوحد في منطلقاتها، حيث إنها تنطلق من عقيدة الإيمان بالله وحده ، فتقوم هذه العلوم لتحقيق غاية واحدة : ألا وهي العبودية لله وحده .

المبدأ الثاني : أهمية التدرج في التربية والتعليم

مما يجب أن يهتم به المعلم والمربي تقريب العلم للتلاميذ عن طريق ترغيبهم فيه ، وتحبيبه لهم وأن التدرج من السهل إلى الصعب ، ومن المجمل إلى المفصل ، فالتدرج سنة إلاهية في هذا الكون ، وفي تشريعات الله كان التدرج في التحريم ، أوفي الإباحة ، سنة إلاهية ، والسعدي يشير إلى ضرورة سلوك مبدأ التدرج في حياة المسلم في سائر أعماله وأقواله حتى يصل إلى ما قدره الله له ، ففي ذلك يقول السعدي : ((الذي ينبغي للعبد أن ينظر إلى الحالة التي يلزمه القيام بها فيكملها ، ثم يتدرج شيئاً فشيئاً حتى يصل إلى ما قدر له من العلم والعمل في أمر الدين والدنيا ، وهذا بخلاف من طمحت نفسه إلى أمر لم يصل إليه ولم يؤمر به بعد ، فإنه لا يكاد يصل إلى ذلك بسبب تفريق الهمة ، وحصول الكسل وعدم النشاط))[1]، ومبدأ التدرج في التعليم عند السعدي يقتضي ((أن لا تلقى على المتعلم العلوم المتنوعة التي لا يتحملها ذهنه أو يضيع بعضها بعضاً ، واتفق أهل المعرفة بطرق التعليم أن هذا ضار ومفوت للعلم، وأن الطريق الأقرب أن يجعل للمتعلم من الدروس ما يسهل عليه حفظها

(١) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، الكاملة / التفسير ، ج٢ ص٩٤ . (مرجع سابق)

وفهمها وعقلها ، والتفكر التام فيها)) [١] ، وأشار ابن خلدون إلى ضرورة ذلك المبدأ في التعليم فقال : ((إعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيداً إذا كان على التدرج شيئاً فشيئاً وقليلاً قليلاً ، يلقى عليه أولاً مسائل من كل باب من الفن هي أصول ذلك الباب ، ويقرب له في شرحها على سبيل الإجمال ويراعى في ذلك قوة عقله واستعداده لقبول ما يرد عليه حتى ينتهي إلى آخر الفن)) [٢] .

فالبتدريج أثناء التعليم تتقوى ملكة الطالب العلمية نظراً لأن المعلومات تترتب في ذهنه شيئاً فشيئاً ، ويقوم بعضها على بعض ، فمن حفظ أصول علم من العلوم هانت عليه فروع ذلك العلم نظراً لتكون الملكة العلمية لديه فإن ((طالب العلم إذا حفظ الأصول ، وصار له ملكة تامة في معرفتها هانت عليه كتب الفن كلها الصغار والكبار ، ومن ضيع الأصول حرم الوصول)) [٣] ، والتدرج عند السعدي يعني مراعاة الكيف لا الكم في المحتوى العلمي للمقررات ، فيقول : ((على المعلم أن ينظر إلى ذهن المتعلم وقوة استعداده أو ضعفه فلا يدعه يشتغل بكتاب لا يناسب حاله ، فإن هذا من عدم النصح ، فإن القليل الذي يفهمه ويعقله خير من الكثير الذي هو عرضة لعدم الفهم وللنسيان)) [٤] ، ثم يؤكد على ضرورة ذلك المبدأ في العملية التعليمية فيقول : ((ولا يخلط المسائل بعضها ببعض

(١) السعدي ، الرياض الناضرة ، الكاملة / الثقافة ، ج١ ص٤٣٠ (مرجع سابق)
(٢) ابن خلدون ، المقدمة ، ج١ ص٧٣٤ . (مرجع سابق)
(٣) السعدي ، الفتاوى السعدية ، الكاملة / الفتاوى ، ص٢٧ (مرجع سابق)
(٤) السعدي ، (المرجع السابق) ، ص٤٥٠ .

وينبغي أن لا ينتقل من نوع من أنواع المسائل إلى نوع آخر حتى يتصور ويحقق السابق ، فإنه درك للسابق ، وبه يتوفر الفهم على اللاحق)) [١] ، ويقرر السعدي الضرر الناتج عن إغفال ذلك المبدأ في العملية التربوية التعليمية حيث يؤدي إلى ضعف الطالب علمياً مما يستدعي ملله من التعليم ثم تركه للتعليم ، ((فأما إذا أدخل المسائل والأنواع بعضها ببعض قبل فهم المتعلم ، فإنه سبب لإضاعة الأول ، وعدم فهم اللاحق ، ثم تتزاحم المسائل التي لم يحققها على ذهنه فيملها ، ويضيق عطنه عن العود إليها)) [٢] ، وهذا ما أكده ابن خلدون من قبل بقوله : ((وإذا ألقيت عليه الغايات في البداءات وهو حينئذ عاجز عن الفهم والوعي وبعيد عن الإستعداد له كلَّ ذهنه عنها ، وحسب ذلك من صعوبة العلم في نفسه فتكاسل عنه وانحرف عن قبوله وتمادى في هجرانه)) [٣] ، فإغفال المعلم لمبدأ التدرج في تعليمه يجعل المتعلم يبتعد عن التعليم وينحرف عن قبوله نظراً لصعوبة ذلك العلم عليه ، حيث بدأبه معلمه من الدقائق والتفصيلات التي لم يمهد لها بالأصول والمجملات العامة ، والمعلم الذي يراعي مبدأ التدرج ، فيعطي تلاميذه المعلومات شيئاً فشيئاً ، وتبنى الفروع على أصولها ويربطها بها ، هو الذي يكوِّن لدى تلميذه ملكة التعلم الصحيحة ونظراً لإغفال مبدأ التدرج في ذكر المعلومات للتلاميذ يتضح للناظر الخطأ الواضح من جراء الملخصات والمختصرات للفنون

---

(١) السعدي ، (المرجع السابق) ، ص٤٥٠ .

(٢) السعدي ، الفتاوى ، الكاملة / الفتاوى ، ص٤٥٠ . (مرجع سابق)

(٣) ابن خلدون ، المقدمة ، ج١ ص٧٣٥ . (مرجع سابق)

العلمية التي لم يسبق لها توضيح وتفصيل وتفريع ، مما حدا بالطالب أن يهتم بالحفظ الآلي للمعلومات دون الإلتفات إلى تأصيل معلوماته ، ومحاولة فهمها وإدراكها كما يجب ، حيث أن تلك المختصرات تحتم على التلميذ قفز قواعد وأصول لهذا الفن المختصر يبنى عليها ، ولهذا شدد ابن خلدون على ضرر تلك المختصرات بقوله إنها : ((فساد في التعليم ، وفيه إخلال بالتحصيل وذلك لأن فيه تخليطاً على المبتدئ بإلقاء الغايات من العلم عليه وهو لم يستعد لقبولها بعد وهو من سوء التعليم)) [١] .

المبدأ الثالث : الدعوة إلى أسلمة العلوم

أسلمة العلوم تنبع من أهمية العلم والتعليم في الإسلام حيث إنه ((يتضح الفرق بين التعليم في الإسلام وغيره في ظل الأديان الأخرى حين نرى ما بذله رجال الدين في العصور القديمة والوسطى لاستبقاء الجماهير في أغلال الجهل حين أحسوا أن سلطانهم إنما يزول بقدر ما تستنير الشعوب ، وأن ظلمهم إنما يتقلص بطلوع شمس العلم والمعرفة ، وأما الإسلام فيرى أن زيادة العلم إنما تؤدي إلى تقوى ا لله وخشيته ، وهي جوهر الإيمان وروحه)) [٢] .

كما تنبع أهمية أسلمة العلوم من أجل ((التركيز على عدم استخدام هذه العلوم في الظلم أو العدوان على الأبشار والدماء والأموال

---

(١) ابن خلدون ، (المرجع السابق) ، ج١ ص٧٣٣ .

(٢) العدوي ، إبراهيم أحمد ، التعليم الإسلامي في الماضي وميراثه في الحاضر – سلسلةبحوث المؤتمر العالمي الأول للتعليم الإسلامي ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م ، مكة المكرمة : المركز العالمي للتعليم الإسلامي ، ط١، ١٤٠٣هـ / ١٩٩٢م) ص٨ .

والأعراض، على مستوى الشعوب والأقوام ، وعلى مستوى الأفراد في شعب من الشعوب ، أو أمة من الأمم)) [١] ، ولهذا فالسعدي يشير في مؤلفاته إلى ضرورة توجيه العلوم والمعارف توجيهاً إسلامياً حتى تكون علوماً نافعة لأن ((العلم الحقيقي النافع هو العلم بما جاء به الكتاب والسنة ، الكفيل بكل خير ديني ودنيوي وأخروي ، والعلم النافع من علوم الصناعات والمخترعات داخل في ضمن هذا ، بل العلم الديني هو الذي يصير العلوم الطبيعية والصناعية نافعة نفعاً صحيحاً ، وهو الذي يوجهها إلى نفع النوع الإنساني ويمنعها من التهور المهلك))[٢] ، وحذر السعدي من أضرار الفصل بين العلوم الطبيعية والدين بقوله : ((كل علم ومعرفة وآثار ونتائج مهما عظمت وترقت إذا لم تكن مبنية على الدين ، فإنها ناقصة نقصاً عظيماً ، وأن شرها أعظم من خيرها ، بل تكون خيراتها سبباً لشرور عظيمة كما هو معروف للناظرين)) [٣] . فالتركيز على أسلمة أهداف ووظائف وأخلاقيات العلوم بأن تكون مبنية على الدين الإسلامي هو الذي أراده السعدي لأن التوجيه الإسلامي للعلوم ليس معناه (أسلمة العناوين) [٤] أو إجراء المطابقة ((بين الكشوف والنظريات العلمية ، وبين آيات القرآن الكريم ، والزعم بأن كل

---

(١) زرزور ، عدنان محمد ، التوجيه الإسلامي للعلوم والمعارف مفهومه وأهدافه ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م) ص٣٩ .

(٢) السعدي ، الدلائل القرآنية ، الكاملة / الثقافة ، ج١ ص٢٩٩ . (مرجع سابق)

(٣) السعدي ، الرياض الناضرة ، الكاملة / الثقافة ، ج١ ص٤٥٦ (مرجع سابق)

(٤) زرزور ، التوجيه الإسلامي للعلوم ، ص٤٠ . (مرجع سابق)

اكتشاف له شاهد أو أصل في كتاب الله تعالى)) [١] ، فالسعدي بين النتائج السيئة للعلوم التي لم تؤسس على الدين الإسلامي فقال : ((هذه العلوم التي افتخروا بها لم يوجهوها التوجيه النافع ، بل استعملوها فيما يضر الخلق في الإهلاك والإفناء والتدمير ، فهي من أعظم النعم ولكنها باستعمالهم إياها كانت من أكبر النكبات والنقم وهذا من المعلوم الذي لا ريب فيه أن الشيء الذي لا يتولى الدين الصحيح توجيهه فهو منعكس، ضرره أكبر من نفعه)) [٢] .

ولضرورة التوجيه الإسلامي للعلوم يتعجب السعدي من أولئك المنادين بفصل العلوم الطبيعية عن العلوم الشرعية فيقول : ((هذه علوم الشريعة على وجه التنبيه والإختصار كما ترى ، هل بقي علم نافع إلا دخل فيها، وهل بقيت معارف يحتاج الخلق إليها في أمور دينهم ودنياهم إلا احتوى عليها ، وهل ندَّ عنها وسيلة وسبب وطريق من الطرق النافعة إلا واشتمل عليها ؟ فإذا رفض هؤلاء الملحدون القديم وعنوا به " دين الإسلام " فقد رفضوا جميع الأمور النافعة ، فأي شيء يبقى بأيديهم يؤسسون عليه علومهم وأعمالهم ؟)) [٣] ، وفي مقام آخر يؤكد السعدي على ضرورة التوجيه الإسلامي للعلوم المادية بقوله : ((فالعلوم والفنون المادية ، والقوة

(١) زرزور ، (المرجع السابق) ، ص٤٠ .
(٢) السعدي ، الدلائل القرآنية ، الكاملة / الثقافة ، ج١ ص٢٩٩ (مرجع سابق)
(٣) السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر ، تنزيه الدين وحملته ورجاله عما افتراه القصيمي في أغلاله ، المجموعة الكاملة / الثقافة الإسلامية ، عنيزة : مركز صالح بن صالح الثقافي ، ط٢، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م ، ج٢ ص٤٤٨ .

المادية المحضة التي لم تؤسس وتبن على الدين الحق خطرهـا عظيـم وشـرها مستطير ، فانظر أحوال الأمم تر العجائب ، فهذا الإرتقاء المادي الـذي لم يشاهد الخلق له نظيراً لما خلا من روح الديـن كـان هـو الحبـوط والهبـوط والسقوط الحقيقي في الدنيا والآخرة)) [١] ، فأسلمة العلوم والمعارف مـن المبادئ التربوية الـتي دعـى إليهـا السـعدي وحـث القـائمين علـى المنـاهج التعليمية على الإهتمام بذلـك بقولـه : ((فـالواجب قبـل كـل شـيء علـى المسلمين نحو المدارس أن يكون اهتمامهم بتعليـم العلـوم الدينيـة قبـل كـل شيء ، وأن يكون النجاح وعدمه متعلقاً بها لا بغيرها ، بـل يجعـل غيرهـا تبعاً ، وهذا من افرض الفرائض على من يتولاها ويباشر تدبيرها)) [٢] .

المبدأ الرابع : إلزامية التعليم

الدين الإسلامي يأمر بتعميم التعليم ونشره كما قـال تعـالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَـاكُمْ لِمَـا يُحْيِيكُـمْ وَاعْلَمُـوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَـرُونَ ﴾ « سـورة الأنفـال ، آيـة ٢٤ » ، فهـذه الإسـتجابة لله وللرسـول لا تكـون إلا بتعلـم ومعرفـة مـا دعونا إليه مما فيه حياتنا ، قال السعدي في معنى الآية : ((يأمر ا لله تعـالى عباده المؤمنين بما يقتضيه الإيمان منهم ، وهو : الإستجابة لله وللرسـول ، أي : الإنقياد لما أمر به ، والمبادرة إلى ذلك ، والدعوة إليه ، والإجتناب لما

---

(١) السعدي ، وجوب التعاون بين المسلمين ، الكاملة / الثقافة ، ج١ ص٢٣٠ .
(مرجع سابق)

(٢) السعدي، سؤال وجواب في أهم المهمات، الكاملة/ العقيدة،ص٧٦ (مرجع سابق)

نهيا عنه ، والإنكفاف عنه والنهي عنه)) [١] ، فالإنقياد لما أمر ا لله به ورسوله ، والدعوة إلى ذلك ، واجتناب ما نهى ا لله ورسوله عنه ، كل ذلك لا يكون إلا بالعلم على كل أحد ، والرسول ﷺ حث على التعليم فقال : « **تعلموا كتاب ا لله واقتنوه ... الحديث** » رواه أحمد [٢] ، والسعدي يبين ذلك المبدأ بأن ا لله ((أمر بعبادات كثيرة ، وعفا عن محرمات ، والأمر بالشيء والنهي عنه لا يمكن امتثال الأمر واجتناب النهي إلا بعد علمه ومعرفته فجميع الأوامر الشرعية ، والنواهي تدل على وجوب تعلم العلم الذي تتوقف عليه ، كما أنه أباح معاملات ، وحرم معاملات ، لا يمكن تمييز الحلال والحرام فيها إلا بالعلم ، وقد ذم من لم يعرف حدود ما أنزل ا لله على رسوله من الكتاب والحكمة)) [٣] ، ولم يكتف السعدي بالقول بإلزامية التعليم الشرعي فقط ، بل إنه نادى بإلزامية ونشر التعليم النافع في كافة مجالات الحياة الدينية والدنيوية ، آخذاً ذلك من أصول الإسلام فقال : ((فهذه الشريعة الكاملة أمرت بتعلم جميع العلوم النافعة : من العلم بالتوحيد ، وأصول الدين ، ومن علوم الفقه والأحكام ، ومن علوم العربية ، ومن العلوم الإقتصادية والسياسية ، ومن العلوم التي تصلح بها الجماعات والأفراد)) [٤] .

---

(١) السعدي ، التفسير ، الكاملة / التفسير ، ج٣ ص١٥٦ . (مرجع سابق)
(٢) الإمام أحمد ، المسند ، ج٤ ص١٥٠ . (مرجع سابق)
(٣) السعدي ، الدين الصحيح يحل جميع المشاكل ، الكاملة / الثقافة ، ج١ ص٣٤٣ . (مرجع سابق)
(٤) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج١ ص٣٤٣ .

فالتعلم يمنح الإنسان الحرية التامَّة ، فبالعلم يعبد الإنسان إلاهاً واحداً وهو الله سبحانه ، وبهذا يتحرر من رق عبوديات البشر ، ويسلم من عوامل التضارب والتنافر الناتجة من تعدد الآلهة قال تعالى : ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَجُلاً فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾ « سورة الزمر ، آية ٢٩ » .

ولقد كانت حياة السعدي العملية تحقيقاً لذلك المبدأ في التعليم حيث إنه : ((كان كثير الإجتماع مع العامة ومع الخاصة في انديتهم وفي مجتماعاتهم ، وإذا اجتمع بهؤلاء أو أولئك انقلب المجلس إلى ناد علمي ، فمع طلبة العلم يبحث في شؤون العلم ، ومع العامة يرشدهم إلى ما فيه نفعهم في دينهم ودنياهم)) [(١)] ، ومن شدة اهتمامه بالعلم وتعليمه للناس كان ((من أحسن الناس تعليماً وأبلغهم تفهيماً ، مرتباً لأوقاته ، فكان القسط الأكبر من أوقاته مصروفاً في التعليم والمطالعة)) [(٢)] ، وهكذا يجمع السعدي بين الكلام النظري في الأمر بطلب العلم والحث عليه ، وبين التطبيق العملي بقيامه بالتعليم طيلة حياته ، ((فإنه صرف أوقاته كلها للتعليم والإفادة والتوجيه والإرشاد فلا يصرفه عن حلق الذكر ومجالس الدرس صارف ، ولا يرده عنها راد ، إلا ما يتخلله من الفترات الضرورية)) [(٣)] ، وقد قال السبكي بإلزامية التعليم ووجوب نشره فقال : ((العلماء ، وهم فرق كثيرة منهم المفسر والمحدث والفقيه والأصولي

---

(١) الفقي ، سيرة السعدي ، ص١١ . (مرجع سابق)

(٢) الفقي ، (المرجع السابق) ، ص١٢ .

(٣) البسام ، علماء نجد ، ج٢ ص٤٢٤ . (مرجع سابق)

والمتكلم والنحوي وغيرهم ... ويجمع الكل أنه حق عليهم إرشاد المتعلمين ، وإفتاء المستفتين ، ونصح الطالبين ، وإظهار العلم للسائلين ، فمن كتم علماً ألجمه الله بلجام من نار)) [١] ، ويبرهن الغزالي على لزوم العلم وأهمية نشره بقوله : ((وأعظم الأشياء رتبة في حق الآدمي السعادة الأبدية ، وأفضل الأشياء ما هو وسيلة إليها ، ولن يتوصل إليها إلا بالعلم والعمل ، ولا يتوصل إلى العمل إلا بالعلم بكيفية العمل ، فأصل السعادة في الدنيا والآخرة هو العلم)) [٢] .

والسعدي لا يقف عند مجرد بيان فضل العلم ، وأهمية التعليم ، بل إنه يدعو المعلم للقيام بالتعليم من أجل اغتنام الأجر من الله تعالى حيث يقول: ((فالمعلم مأجور على نفس تعليمه ، سواء افهم المتعلم أو لم يفهم، فإذا فهم ما علمه ، وانتفع به بنفسه ، ونفع غيره ، كان أجراً جارياً للمعلم ما دام ذلك النفع متسلسلاً متصلاً ، وهذه تجارة بمثلها يتنافس المتنافسون ، فعلى المعلم أن يسعى سعياً شديداً في إيجاد هذه التجارة وتنميتها)) [٣] .

المبدأ الخامس : توجيه المعلم إلى أهمية " لا أدري "

كثيرة هي المجالس واللقاءات العلمية التي يجتمع فيها العالم بالمتعلمين والإنسان العادي بالآخرين ، وفي تلك اللقاءات يتم توجيه بعض الأسئلة للعالم أو لغيره بغرض الإجابة عنها ، وتكون مواقف الناس تجاه هذه

---

(١) النحلاوي ، الإصلاح التربوي عند السبكي ، ص٥٣ . (مرجع سابق)
(٢) الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ج١ ص١٢ . (مرجع سابق)
(٣) السعدي ، الفتاوى السعدية ، الكاملة / الفتاوى، ص٤٥٠ . (مرجع سابق)

التساؤلات ثلاث مواقف :

أولاً : موقف المتشددين الذين يجيبون عن كل شيء بـ " لا أدري " عدا النزر اليسير جداً من الأسئلة فيجيبون عليها ، وهم يتركون الإجابة عليها بقصد التورع ، أو بعداً عن الشهرة ، وهذا الموقف محمود إذا السؤال يخضع للرأي ، أما إذا كان فيه دليل من القرآن والسنة وهو يعلم فيذم على عدم إجابته كما قال الإمام سحنون لما سئل : ((أيسع العالم أن يقول : لا أدري فيما يدري ؟ قال : أما ما فيه كتاب أو سنة ثابتة فلا، وأما ما كان من هذا الرأي فإنه يسعه ذلك ، لأنه لا يدري أمصيب هو أم مخطئ)) [1] .

ثانياً : موقف المتساهلين وهم أولئك الذين لا يترددون في رمي الإجابة على أي سؤال مهما كان ، وفي أي مجال كان المهم في نظرهم أن لا يقولوا " لا ندري " أبداً ، ويحسبون أنهم بهذا الصنيع يحفظون مكانتهم الاجتماعية من السقوط ، وما علموا أنهم بفعلهم نقص قدرهم ، وضعفت ثقة الناس بأقوالهم نظراً لجرأتهم على القول بلا علم .

ثالثاً : موقف الوسط وهم الذين إذا سئلوا اجابوا بما علموا ، وأما ما يجهلونه فإنهم يصرفون علمه إلى الله تعالى بقولهم " الله أعلم " وهؤلاء هم الأمة الوسط الذين حازوا على رضا الله سبحانه ورضا عباد الله ، فلا يقولون بلا علم .

والسعدي يوجه عامة المربين والمعلمين إلى ضرورة التأدب بأدب القول

---

(١) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج١٢ ص٦٥ . (مرجع سابق)

" الله أعلم " لما لا يعلمونه ، وذلك في تعليمهم وأثناء حديثهم مع الناس، بل إنه اعتبر ذلك من الواجب عليهم فقال : ((ومن أعظم ما يجب على المعلمين أن يقولوا لما لا يعلمونه : الله أعلم ، وليس هذا بناقص لأقدارهم، بل هذا مما يزيد قدرهم ، ويستدل به على كمال دينهم وتحريهم للصواب)) [1] .

ولأهمية ذلك المبدأ عده الصحابي الجليل أبو الدرداء ﷺ نصف العلم فقال : ((لا أدري نصف العلم)) [2] ، وبهذا قال الشعبي " ١٢١-٢٠٤هـ " رحمه الله تعالى [3] .

ويبين السعدي أهم الثمرات المرجوة من الأخذ بذلك المبدأ بما يلي :

١- أن توقف المعلم عن القول بما لا يعلم أن ذلك من الواجب عليه .

٢- هذا التوقف من المعلم عن الإجابة خير دافع لتلاميذه لأن يقوموا بالبحث والتنقيب عن جواب تلك المسألة المتوقف فيها وإتحاف المعلم بجوابها ، وهذا يفيد من ناحيتين :

أولاهما : تربية التلاميذ على احترام العلم وعدم التجرؤ على الفتيا بلا علم بينٍ واضح .

ثانيهما: تنشيط التلاميذ على روح البحث والاستنباط للمسائل العلمية.

٣- تزداد ثقة التلاميذ بمعلمهم نظراً لتوقفه عن القول بلا علم .

٤- إن القول بلا علم مدعاة لزعزعة ثقة التلاميذ بعلمه ، وشكهم

---

(١) السعدي ، الفتاوى السعدية ، الكاملة / الفتاوى ، ص٤٥٢ . (مرجع سابق)

(٢) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج ٨ ص٧٧ . (مرجع سابق)

(٣) الذهبي ، (المرجع السابق) ، ج٤ ص٣١٨ .

بصحة إجابته ، حيث إنه لا يتوقف عن الإجابة عن كل شيء .

٥- أخذ المعلم بهذا المبدأ يجعله قدوة عملية لتلاميذه ، والإقتداء بالأحوال والأعمال أبلغ من الإقتداء بالأقوال [١] .

وأشار الإمام مالك بن أنس " ٩٣-١٧٩هـ " إلى عناية العلماء السابقين بهذا المبدأ فقال : ((سمعت عبد الله بن يزيد بن هرمز يقول : ينبغي للعالم أن يورث جلساءه قول " لا أدري " حتى يكون ذلك أصلاً يفزعون إليه)) [٢] ، وقال الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه : ((ما أبردها على الكبد ، قيل له : وما ذلك ؟ فقال : أن تقول للشيء لاتعلمه الله أعلم)) [٣] ، وقال ابن مسعود رضي الله عنه : ((إن من العلم أن تقول لما لاتعلم الله أعلم ، قال الله تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ « سورة ص ، آية ٨٦ » [٤] ، فهذا المبدأ له أهميته ومكانته في حياة المعلم والمربي ، وأن الوجب عليه احترام العلم وتقديره ، وأن لا يقول الإنسان إلا بما يعلم ومتى ما سلك المعلم والمربي ذلك المبدأ مع تلاميذه فإنه ستزداد ثقة الناس بعلمه وترتفع عندهم مكانته ، وهذا هو محل المعلمين والمربين .

---

(١) السعدي ، الفتاوى السعدية ، الكاملة / الفتاوى ، ص٤٥٢ ، ٤٥٣ . (مرجع سابق)

(٢) الذهبي ، سير إعلام النبلاء ، ج٨ ص٧٧ . (مرجع سابق)

(٣) ابن عبد البر ، جامع بيان العلم وفضله ، ص٢٧٢ . (مرجع سابق)

(٤) ابن عبد البر ، (المرجع السابق) ، ص٢٧٠ - ٢٧١ .

المبدا السادس : الربط بين المخترعات الحديثة والغاية من التربية الإسلامية

تتحدد الغاية من التربية الإسلامية عند السعدي في تحقيق العبودية التامة لله وحده ، تحقيقاً لقوله تعالى : ﴿ ومـا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإنْسَ إلا لِيَعْبُدُونِ(٥٦)مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ ﴾ « سورة الذاريات ، آية ٥٦ ، ٥٧ » ولهذا جاءت أقوال السعدي كلها لخدمة هذه الغاية فتارة ينسب علوم هذه المخترعات إلى ا لله عز وجل وأنه هو الذي علّم الإنسان ما لم يعلم ، وأقدره على ما لم يكن قادراً عليه من قبل فيقول : ((فإن هذه القوة الهائلة والمخترعات الباهرة التي وصلت إليها مقدرة هذه الأمم هي من إقدار ا لله لهم وتعليمه لهم ما لم يكونوا يعلمونه)) [(١)] ، ويقول أيضاً : ((ولو نظروا إلى ما أعطاهم ا لله وأقدرهم عليه من الأفكار الدقيقة في الدنيا وظاهرها ، وما حرموا من العقل العالي، لعرفوا أن الأمر لله ، والحكم له في عباده ، وإنْ هو إلا توفيقه أو خذلانه، ولخافوا ربهم وسألوه أن يتم لهم ما وهبهم من نور العقول والإيمان حتى يصلوا إليه ويحلوا بساحته)) [(٢)] ، وتارة نجد السعدي يوظف نتائج المخترعات الحديثة لإثبات البعث والنشور بالدلالة العقلية فيقول معقباً بعد كلامه عن اختراع الكهرباء ونتائجه الباهرة : ((أفليس الذي علم الإنسان ما كان ناقصاً في علمه ، ناقصاً في إرادته وقدرته وعمله وجميع أحواله ، أليس الذي علمه هذه الأمور التي لم تكن تخطر ببال أحد من

---

(١) السعدي ، الحق الواضح المبين ، الكاملة / العقيدة ، ص٢٣٥ . (مرجع سابق)

(٢) السعدي ، تيسيرالكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، الكاملة / التفسير ، ج٦ ص١١٢. (مرجع سابق)

البشر بقادر على أن يحيي الموتى ، وأن يجمع الأولين والآخرين بنفخة واحدة ؟؟)) [١]

﴿ مَا خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إِلا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ «سورة لقمان ، آية ٢٨ » .

فالسعدي يوظف تلك الوسائل لإثبات المقاصد ، وفي مقام آخر يوضح الأهمية الخاصة من وراء عدم تفصيل القرآن أو السنة بذكر المخترعات الحديثة بأسمائها الحالية ، من الطائرات والسيارات ، والمراكب البخارية ، ووسائل الاتصالات الحديثة ، فيقول : ((لو أخبرهم ببعض ذلك لأرتاب الناس من خبره ، ولكان داعياً قوياً للتكذيب لأن الناس لا يصدقون بأمر لم يشاهدوا له نظير ، انظر لما أخبرهم بالإسراء والمعراج ، والشجرة الملعونة في القرآن ، كيف كان ذلك فتنة للمكذبين)) [٢] ، ويشير إلى أن هذه المخترعات تفيد المؤمن يقيناً بإسلامه ، وتصديقاً بمعجزات القرآن ، فبها يزداد المسلم تعبداً لربه ، وهذه غاية التربية أن تجعل من الإنسان عابداً لله خاضعاً ((كل المخترعات وإن عظمت يسهل جداً تطبيق النصوص عليها وإذا وجدت ظهر بها معجزة القرآن حيث أخبر بأمور ولوازم لها ملزومات من أبعد الأشياء في عقول الخلق ثم وقعت طبق ما أخبر فازداد المؤمنون بها إيماناً بالله ورسوله وازداد الكافرون إعراضاً ونفوراً)) [٣] .

---

(١) السعدي ، الفتاوى السعدية ، الكاملة / الفتاوى ، ص٦٢ . (مرجع سابق)

(٢) السعدي ، الرياض الناضرة ، الكاملة / الثقافة ، ج١ ص٤٥٧ . (مرجع سابق)

(٣) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج١ ص٤٥٧ .

وإن مما يدخل في معنى كلام السعدي هذا أن ا لله أخبر في القرآن الكريم أن أهل النار يخاطبون أهل الجنة ويسألونهم الماء أو مما رزقهم ا لله، وأن أهل الجنة يردون عليهم ، فغير المؤمنين يستبعدون ذلك التخاطب بين المعذبين والمنعمين نظراً لبعد المسافة بين أهل الجنة وأهل النار ، وباختراع أدوات الإتصال الحديثة وإمكان مخاطبة من بالمشرق لمن بالمغرب ، أصبح ذلك مما يزيد إيمان المؤمن ويقيم الحجة على المعاند الكافر ، ويربط السعدي بين تلك المخترعات الحديثة وبين قدرة ا لله على الحياة والموت والرزق والتدبير لهذا الكون فيقول: ((كل تعليم حصل للبشر في العلوم الدينية والدنيوية والكونية فإنه داخل في قوله : ﴿ عَلَّمَ الإنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ « سورة العلق ، آية ٥ » فلا يمكن أن يشذ عن هذه العمومات شيء من العلوم والفنون والمنافع والمخترعات والمستخرجات والنتائج والثمرات ، وكلها من ا لله بما يسر لعباده من الوسائل التي لا يدركونها بها ، فمن الذي علمهم ، ومن الذي اقدرهم عليها ومن الذي جعل فيها القوى والمنافع الكامنة وهداهم إلى استخراجها إلا ا لله تعالى كما إنه هو الذي يحيي ويميت ويرزق الخلائق ويدبر أنواع التدابير بما خلق وييسر من الأسباب الموصلة إلى هذه الأمور))(١) ، ويحكم السعدي العلاقة بين فضل ا لله وكرمه على الإنسان ، وبين ما هداه إليه من المخترعات والصناعات الحديثة الباهرة فيقول : ((وكما هداه بالعقل إلى الإنقياد لعلوم الرسل وأديانهم هداه به إلى تسخير المواد الكونية والمعادن

---

(١) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج١ ص٤٥٩ .

والمخترعات والصناعات ، التي لا تزال تتجدد كل وقت ، وقد أخبر تعالى أنه سخر لنا جميع ما في السموات والأرض ، ننتفع بآياتها ونستخرج منافعها وكنوزها ونشكره على ذلك التسخير والهداية والنعم ، التي لولا فضله وكرمه لم يحصل منها شيء)) [١] .

المبدأ السابع : محبة العلماء وتوقيرهم

الأمر بالتعاون في سبيل الخير مبدأ قرآني حث الله عليه بقوله : ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ « سورة المائدة آية ٢ » ، كما ارشد إليه المصطفى عليه الصلاة والسلام بقوله : « **انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً قيل يارسول الله هذا أنصره مظلوماً فكيف أنصره إذا كان ظالماً ، قال : تحجزه تمنعه فإن ذلك نصره** » رواه أحمد [٢] ، فنصوص الكتاب والسنة تحث على التعاون والإجتماع على البر والتقوى وتحذر من الفرقة والإختلاف قال تعالى : ﴿ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ « سورة الأنفال ، آية ٤٦ » والسعدي يلفت النظر إلى أهمية جمع كلمة العلماء ونبذ التنازع فيما بينهم فيقول : ((ومن أهم ما يتعين على أهل العلم معلمين أو متعلمين ، السعي في جمع كلمتهم وتأليف القلوب على ذلك وحسم أسباب الشر والعداوة والبغضاء بينهم))[٣]، ويوضح السعدي أهم المعالم التي يجب أن تقوم بين العلماء

(١) السعدي ، الدلائل القرآنية ، الكاملة / الثقافة ، ج١ ص٢٧٣ . (مرجع سابق)
(٢) أحمد ، المسند ، ج٣ ص٩٩ -٢٠١ . (مرجع سابق)
(٣) السعدي ، الفتاوى السعدية ، الكاملة /الفتاوى ، ص٤٥٥ (مرجع سابق)

وعامة الناس كالآتي :

١- التحذير من إشاعة عثرات العلماء أمام الناس ، وانتقاص أقدارهم.

٢- عدم إهدار محاسن العالم السابقة بمجرد خطأه غير المقصود .

٣- تعريف الناس بقدر العلماء ومكانتهم اللائقة بهم لما يحملونه من علم .

٤- أن يتذكر المسلم الفرق الدقيق بين النصح والتعيير وبين الحسد والبغي والتشهير ، ويضع نفسه موضع الناصح الأمين .

٥- أن يستحضر المسلم نصوص القرآن والسنة التي تأمر بالمحبة والألفة وتحذر من الفرقة والإختلاف ، وأن أعظم من تنبغي محبتهم هم العلماء العاملين الذين يأخذ الناس بأقوالهم في أمور دينهم)) [١] ، ويحذر السعدي من التعصب المذهبي للأراء ، موضحاً أهم الأضرار النفسية والعلمية والاجتماعية الناتجة من وراء ذلك التعصب الأعمى فيقول : ((فالحذر الحذر من التعصب للأقوال والقائلين ، وهو أن يجعل القصد من المناظرة والمباحثة نصر القول الذي قاله ، أو قاله من يعظمه ، فإن التعصب مُذْهِبٌ للإخلاص ، مزيل لبهجة العلم ، مُعم للحقائق ، فاتح باب الحقد والخصام الضار)) [٢] ، فالأضرار الناتجة من التعصب هي :

[أ] الأضرار النفسية : بزوال الإخلاص لله بطلب العلم وتعليمه والإخلاص هو قاعدة العلم والتعليم ، وبزواله يكون الرياء والسمعة والمباهاة والمماراة في طلب العلم ، وهذه أغراض فاسدة .

---

(١) السعدي ، الرياض الناضرة ، الكاملة / الثقافة ، ج١ ص٤٣٦ (مرجع سابق)

(٢) السعدي ، الفتاوى السعدية ، الكاملة / الفتاوى ، ص٤٥٣ (مرجع سابق)

[ب] الأضرار العلمية : ذهاب بهجة العلم من نفس المتعلم أو المعلم وانطماس نور الحقائق وبهذا تلتبس على طالب العلم سُبل العلم الصحيح، لذا وجب الحذر التام من التعصب للأقوال والقائلين دون الإلتفات لصحة الدليل الذي قامت عليه أقوالهم .

[ج] الأضرار الإجتماعية : وتتمثل بانتشار الحقد ، والحسد ، والخصام الضار بين طوائف المتعصبين ، وهذا مما يجلب للمجتمع التفكك والإنهيار حيث أن كل طائفة تستعدي الأخرى ، وتبحث عن كل مامنه ثلبها وتنقصها، وبهذا التصور تكون فئات المجتمع أحزاباً متناحرة متدابرة.

ولخطورة ذلك التعصب على المجتمع فإن السعدي جعل من ((أهم ما يتعين على أهل العلم معلمين أو متعلمين ، السعي في جمع كلمتهم ، وتاليف قلوبهم على ذلك - يعني النصح وبث العلوم النافعة - وحسم أسباب الشر والعداوة والبغضاء بينهم)) [(١)] وتتجلى خطورة التعصب للأقوال والأشخاص في أنه ((إذا كان كل طائفة منهم منزوية عن الأخرى، منحرفة عنها ، انقطعت الفائدة ، وحل محلها ضدها من حصول البغضاء والتعصب والتفتيش من كل منهما عن عيوب الطائفة الأخرى وأغلاطها والتوسل به للقدح ، وكل هذا مناف للدين والعقل ، ولما عليه السلف الصالح حيث يظنه الجاهل من الدين)) [(٢)] .

---

(١) السعدي ، (المرجع السابق) ، ص٤٥٥ .

(٢) السعدي ، الفتاوى السعدية ، الكاملة / الفتاوى ، ص٤٥٦. (مرجع سابق)

المبدأ الثامن : ضرورة مراعاة الفروق الفردية بين المسلمين

الفروق الفردية في تحصيل العلوم والعناية بها طبيعية أوجدها ا لله في بني الإنسان حيث يختلف بعضهم عن بعض في مقدار الاستعياب والعناية بالعلوم ولقد ((اقتضت حكمة ا لله عز وجل وجود " الفوارق الفردية " بين البشر لكونها من أهم الوسائل الدافعة " للإنسان " كفرد و " للمجتمع الإنساني " نحو الترقي والتطور المستمر ، وتحقيق الأمال والطموح ، وتكامل الجهود وتظافرها ، والتجديد والتنويع ، والإبتكار والإبداع ، والخلق والإختراع ، تبعاً لتنوع واختلاف الهوايات والميول والمواهب والقدرات والعبقريات)) [١] وقد جاء التوجيه النبوي الشريف بتقرير ذلك المبدأ حينما بين الرسول ﷺ أصناف الناس في قبول العلم والعناية به فقال : « **مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً ، فكان منها نقية قبلت الماء فانبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا ، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به** » رواه البخاري ومسلم واللفظ للبخاري [٢] فهذا الحديث يوحي بتنوع الميول والقدرات

---

(١) الزنتاني ، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية ، ص١٤٧ (مرجع سابق)

(٢) البخاري ، صحيح البخاري بحاشية السندي ، ج١ ص٢٦ (مرجع سابق)

والإمكانيات والإستعدادات لدى الأفراد ، إذ أن بعضهم نفعه شامل عام، وبعضهم نفعه قاصر ، وبعضهم لا نفع فيه البتة ، فهذا الحديث يؤكد على وجود الفروق الفردية بين عامة الناس ، لهذا فهم يختلفون في درجة قبولهم للعلم والعمل به وهذا وجب أن يراعي المعلم ما بين المتعلمين من فروق فردية ، وهذا ما أشار إليه السعدي بقوله : ((إن تذكير الناس بما هو أقرب إلى عقولهم ، وأنسب لأحوالهم ، وأدخل في مداركهم وأنفع لهم من غيره ، أولى من التذكير بطرق أخرى ، ولو كانت حقاً لكن الحق يتفاوت ، والمذكر والمعلم إذا سلك هذا الطريق واجتهد في إيصال العلم والخير إلى الناس بالوسائل التي يفهمونها ، ولا ينفرون منها ، أو تكون أقرب لإقامة الحجة عليهم نفع انتفع)) [1] ، فالسعدي هنا يوجه المعلم والمربي بأن عليه مراعاة الجوانب التالية عند المتعلمين :

[أ] **الجانب العقلي** : بحيث تكون مواد التعليم قريبة من عقولهم .

[ب] **الجانب البيئي** : أي أنها تناسب أحوالهم البيئية فتحقق رغباتهم

[ج] **الجانب الإدراكي** : أي أن العلوم تدخل في مداركهم وأفهامهم فلا تكون صعبة العبارة رفيعة الأسلوب، بل يأتي بما يدخل في مداركهم.

[د] **الجانب النفعي** : بحيث يقدم من العلوم ما ينتفع به المتعلمون .

وهذا الإهتمام من السعدي بضرورة مراعاة الفروق بين المتعلمين نابع من ((أن الفرد هو حجر الزاوية في كل إصلاح جذري عميق ، وأن

---

(١) السعدي ، تيسير الكريم المنان في خلاصة تفسير القرآن ، الكاملة / التفسير ، ج٨ ص٣٣٨ . (مرجع سابق)

التوجيه والمناهج والتنظيم لا يحقق النجاح إذا تجاهلت تكوين الأفراد الذين تتفاعل معهم ، ولم تدرك ما يمتاز به من مواهب واستعدادات))[١].

ولأهمية ذلك المبدأ في نظر السعدي نجد أنه يدعو المعلم لأن ((يبذل جهده في تفهيم كل طالب ما يتحمله ذهنه ، ولا يشغله بكثرة القراءات ، أو بما لا يتحمله ذهنه)) [٢] .

كل ذلك من أجل العناية بتلك الفروق بين المتعلمين ، وتعليمهم حسب ما لديهم من استعدادات وإمكانات نفسية وعلمية ، واعتبر السعدي إغفال ذلك المبدأ من عدم النصح للمتعلمين والعناية بهم فقال : ((وعلى المعلم أن ينظر إلى ذهن المتعلم ، وقوة استعداده أو ضعفه فلا يدعه يشتغل بكتاب لا يناسب حاله ، فإن هذا من عدم النصح)) [٣] .

المبدأ التاسع : نقده للحضارة الغربية المادية

يبدي السعدي ويعيد في كلامه عن الحضارة الغربية المادية ، ببيان أوجه النقص والقصور فيها ، وعدم إغفال ما فيها من تقدم تقني في الصناعات والمخترعات الحديثة ، ويتمحور انتقاده لتلك الحضارة المادية حول خوائها الروحي وعدم قيامها على أساس من الدين الصحيح فيقول : ((هذا الإرتقاء المادي الذي لم يشاهد الخلق له نظيراً ، لما خلا من روح الدين كان هو الحبوط والهبوط والسقوط الحقيقي في الدنيا

---

(١) الهاشمي، عبد الحميد، الفروق الفردية، بيروت: مؤسسة الرسالة،١٤٠٤هـ،ص٣.

(٢) السعدي ، الفتاوى السعدية ، الكاملة / الفتاوى ، ص٧٣ . (مرجع سابق)

(٣) السعدي ، (المرجع السابق) ، ص٤٥٠ .

والآخرة))[١] ، ويقول أيضاً في تقرير ذلك الأمر ((ومن اعتنى بالرقي الدنيوي المادي وحده ولم يبن رقيّه على الحق والدين الصحيح فإن مادته كثيراً ما تكون هي مادة ضرره العاجل))[٢] ويوجه إليها ذلك النقد بقوله : ((فإن الأمور المادية المحضة إذا خلت من روح الدين فإنها شقاء على أهلها ودمار))[٣] ، ويقول عنها : ((كل رقي مادي لا يصحبه الإيمان فهو هبوط ودمار))[٤]، ومع هذا النقد الصادق من السعدي تجاه الحضارة المادية الغربية نجد أنه لم يغفل ما جاءت به من وسائل ومخترعات مفيدة لحياة الناس بل إنه يقول إن: ((هذه الإختراعات الجديدة في الأوقات الأخيرة من جملة المنافع التي خلقها الله لبني آدم))[٥] ، ويبين أن الغربيين ((إنما أوصلهم إلى الترقي في هذه الفنون جدُّهم البليغ واجتهادهم ومواصلتهم الليل مع النهار في تعلمها وإدراكها وتفريعها وترقيتها))[٦] ، والله عز وجل بين في كتابه أنه يعطي كل إنسان على قدر جهده في هذه الحياة فقال تعالى : ﴿ كُلاً نُمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ « سورة الإسراء آية ٢٠ »، ولقد تميزت نظرة

---

(١) السعدي ، وجوب التعاون بين المسلمين ، الكاملة / الثقافة ، ج١ ص٢٣٠ . (مرجع سابق)

(٢) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج١ ص٢٣٩ .

(٣) السعدي ، الرياض الناضرة ، الكاملة / الثقافة ، ج١ ص٣٩٧. (مرجع سابق)

(٤) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج١ ص٣٧٥ .

(٥) السعدي ، القواعد الحسان ، الكاملة / التفسير ، ج٨ ص١٤٢ . (مرجع سابق)

(٦) السعدي ، تنزيه الدين ، الكاملة / الثقافة ، ج٢ ص٤٤٩ . (مرجع سابق)

السعدي لهذه الحضارة المادية بالوسطية التامة حيث أنه بين وجوه النقص فيها ولم يغمطها ما فيها من المحاسن موضحاً الأسلوب الأمثل للمحافظة عليها من الدمار والإنهيار بقوله : ((فلو أنها بنيت على الدين الحق والعدل واتباع الحق والوفاء بالمعاقدات ونصر المظلومين لكانت مدنية آمنة، ولكنها في الحقيقة مادية محضة ، والقوة المادية إذا لم تُبن على الحق فإنها منهارة لا محالة ، وربما كان سلاحها الفتاك هو مادة هلاكها وعقوبتها)) [(١)] ، وهكذا يعطي السعدي ضوءاً كاشفاً على تلك الحضارة المادية الغربية حتى يتسنى للمسلم أن يعرف موضع قدمه منها ، فلا يسيء الظن بكل معطياتها فينبذها جميعاً ، بل يتخذ الطريق الوسط بأخذ ما فيها من خير وصالح للحياة البشرية ، ونبذ ما سوى ذلك من الفساد خصوصاً في جانب الأخلاق ، وقد جلى السعدي هذه القضية بقوله : ((أما الأخلاق فلا تسأل عن أخلاق من لا يؤمن با لله ولا باليوم الآخر ولا يعتقد الأديان الصحيحة ، فإن الأخلاق نتائج الاعتقادات الصحيحة والفاسدة ، فغاية ما عند هؤلاء التملق القولي والفعلي ، والخضوع الكاذب للمخلوقين ، وهم مع هذا الخضوع السافل تجد عندهم من العُجب والكبر واحتقار الخلق والإستنكاف عن مخالطة من يستنقصونهم شيئاً كثيراً، فهم أوضع خلق ا لله وأعظمهم كبراً وتيهاً))[(٢)].

وبهذا النقد يدرك القارئ ما يتميز به السعدي من وسطية في نقده ،

---

(١) السعدي وجوب التعاون بين المسلمين، الكاملة / الثقافة، ج١ ص١٩٦ (مرجع سابق)

(٢) السعدي ، انتصار الحق ، الكاملة / الثقافة ، ج٢ ص٤١٠ . (مرجع سابق)

حيث لم تحمله العاطفة الدينية على أن يحمل على تلك الحضارة المادية ويبخسها حقها ، ومع هذا لم يترك جوانب النقص والإنحطاط فيها حتى وضحها وبينها .

تلك بعض من المبادئ التربوية التي وردت في مؤلفات السعدي ، وهناك من المبادئ التربوية الشيء الكثير ، وما ذكره الباحث إنما هو من باب الإشارة العابرة التي تحدو القارئ لأن يعيد القراءة لمؤلفات السعدي رحمه الله تعالى لتتضح له مبادئ أخرى ضمتها تلك المؤلفات النافعة المفيدة .

الفصل الخامس

العلم والتعليم عند السعدي

المبحث الأول : مفهوم العلم وأهميته ومكانته عند السعدي

المبحث الثاني : التعليم عند السعدي

المبحث الثالث : أساليب التعليم

المبحث الرابع : مقومات شخصية المعلم

المبحث الخامس : مقومات شخصية المتعلم



المبحث الأول : العلم عند السعدي

المطلب الأول : مفهوم العلم وأهميته عند السعدي

للعلم قيمته الكبرى في نظر السعدي ، بل إنه يربط التكريم الإلهي لبني آدم بالعلم ، وأنه لولا العلم لكان الإنسان والبهيمة سواء فيقول : ((فلولا العلم كان الناس كالبهائم في ظلمة يتخبطون)) [1] ، ويضيف السعدي بأن العلم ضروري لمعرفة ما جاء عن الله من الأحكام والتشريعات ، والتي جاءت عن طريق رسل الله وأنبيائه ، وأن ما جاء عن طريقهم هو العلم الحقيقي كما يقول : ((فالعلم الحقيقي الذي أثنى الله عليه في كتابه علوم الرسل وهداية الوحي المنزل من عند العليم الخبير))[2]، ثم يؤكد على حقيقة مهمة جداً وهي : أن نفع العلوم مرتبط بمحتواها العلمي ، فشرف العلم مقرون بشرف المعلوم ، ولهذا فقد خص العلم النافع بأنه ما جاء عن طريق الرسول ﷺ فقال : ((العلم النافع ، هو المزكي للقلوب والأرواح المثمرة لسعادة الدارين ، وهو ما جاء به الرسول ﷺ من حديث وتفسير ، وفقه ، وما يعين على ذلك من علوم العربية بحسب حالة الوقت والموضع الذي فيه الإنسان)) [3] .

---

(١) السعدي ، الفتاوى السعدية ، الكاملة / الفتاوى ، ص ٤٥١ (مرجع سابق)
(٢) السعدي، الأدلة القواطع والبراهين، الكاملة / الثقافة، ج٢ص٣١٥ (مرجع سابق)
(٣) السعدي ، الفتاوى السعدية ، الكاملة / الفتاوى ، ص ٢٦ (مرجع سابق)

ولمكانة العلم عنده ، نجده يَعُـدُ الإشتغال بـالعلم مـن أعظـم الجهـاد في سبيل الله ، ويعلل وجهة نظره فيقول : ((ومن أعظم الجهاد سلوك طرق التعلم والتعليم ، فإن الإشتغال بذلك لمن صحت نيته لا يوازنـه عمـل مـن الأعمال ، لما فيه من إحياء العلم والدين ، وإرشاد الجاهلين ، والدعوة إلى الخير ، والنهي عن الشر ، والخير الكثير الذي لا يستغني العباد عنه ، فمـن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله به طريقاً إلى الجنة))[(١)] ، ويؤكد السعدي على مكانة العلماء بقوله : ((أهل العلـم بهـم يُعـرف الحـق مـن البـاطل ، والحـلال مـن الحـرام ، فهـم الوسـائل بـين الله وعبـاده ، ولهـذا استشهد الله بهم على التوحيـد ، وعلـى النبـوة ، وعلـى صحـة القـرآن ، فعلى القرآن قوله تعالى : ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُـدُورِ الَّذِيـنَ أُوتُـوا الْعِلْمَ ﴾ « سورة العكنبوت: ٤٩ » ، وعلى التوحيد قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ﴾ « سورة آل عمران : آية ١٨ »، وعلى النبوة قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَكُـنْ لَهُـمْ ءَايَـةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ « سورة الشعراء : آية ١٩٧ » .

ويوازن السعدي بين العلم والمـال فيوضـح أن العلـم خـير وأفضـل مـن المال، وذلك من خلال هذه الموازنة فيقول : ((العلم خير من المال ، العلم يحرسك وأنت تحرس المال ، العلم يصحبـك في دورك الثلاث : في الدنيـا وفي البرزخ ويوم يقوم الأشهاد ، والمال إن فرض وجوده صحبـك صحبـة منكدة في حال الحياة الدنيا ، العلم نـور يهتـدى بـه في ظلمـات الشـكوك

(١) السعدي ، (المرجع السابق) ، ص ٣٦ .

والجهالات ، وحياة تقيم العبد وتوصله إلى الجنات ، مازال علم العالم يُعلَّمَ أو يعمل به أو يستفاد منه ، فصحيفة حسناته في ازدياد في حال الحياة وبعد الممات ... إلخ)) [١] .

وقول السعدي (العلم خير من المال ، العلم يحرسك وأنت تحرس المال) ، ذكره ابن القيم بنصه وعزاه للإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه في كلام طويل عن المقارنة بين العلم والمال [٢] ، وفي ذلك دلالة على قوة الربط العلمي بين سلف الأمة وخلفها ، وفيما يلي أذكر أهم ما ورد عند السعدي في مؤلفاته عن قضية العلم ، وذلك حسب الآتي :

المطلب الثاني : تعريف العلم

خص السعدي العلم بكتاب بيَّن فيه الرؤية الإسلامية الصحيحة لمسمى العلم الشامل ، وذلك ضمن مجموعة قضايا اجتماعية أخرى ، وعنوان الكتاب (الدين الصحيح يحل جميع المشاكل) وهو مطبوع بحدود (٣٠) ثلاثين صفحة تقريباً ، طبعه مركز ابن صالح الثقافي في عنيزة ، ويقع هذا الكتاب ضمن قسم الثقافة الإسلامية ، الجزء الأول من المجموعة الكاملة لمؤلفات السعدي ، وقد أورد السعدي في بداية كلامه عن (مشكلة العلم) أورد الأقوال الغالطة في مسمى العلم ، وأنها طرفان ويعقب بعد كل قول بنقده ، ثم بعد ذلك يورد المسمى الصحيح الشامل الذي يختاره للعلم .

---

(١) السعدي ، الرياض الناضرة ، الكاملة / الثقافة، ج١ ص٤١٨ (مرجع سابق)

(٢) ابن القيم ، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ، الرياض : دار نجد ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ، ج١ ص ١٥٧ .

[أ] التعريف الأول :

فالفئة الأولى تعرف العلم بأنه : ((المقصور على ما يتعلق بإصلاح العقائد والأخلاق والعبادات فقط)) [١] ، وينتقده بقوله : (هذا قول طائفة ممن لم تتبصر بالشريعة تبصراً صحيحاً) [٢] .

[ب] التعريف الثاني :

والطائفة الثانية تعرفه بأنه خاص ((بالعلوم العصرية الكونية)) [٣] ، وانتقدهم السعدي : بأن غلطهم نشأ ((من إنحرافهم عن الدين وعلومه وأخلاقه ، حيث جعلوا الوسائل هي المقاصد)) [٤] ، ويبين السعدي أن تقديمهم الوسائل على المقاصد نشأ عنه الغلط فيقول : ((إن إثباتهم لعلوم الطبيعة التي عرفوها ووصلت إليها معارفهم إثبات قاصر لم يصلوا إلى غايته وحقيقته ، فلم يصلوا بذلك إلى خالق الطبيعة ومبدعها ، ولم يعرفوا المقصود من نظامها وسببيتها فأثبتوا بعض السبب ، وعموا عن المقصود)) [٥] وهو الغاية من العلم ، وهو معرفة الله والإيمان به .

[ج] التعريف المختار :

بعد إيراده لهاذين التعريفين المتطرفين لمسمى العلم ذكر تعريفه للعلم

---

(١) السعدي ، الدين الصحيح يحل جميع المشاكل ، الكاملة / الثقافة ، ج١ ص ٣٤١. (مرجع سابق)
(٢) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج١ ص ٣٤١ .
(٣) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج١ ص ٣٤١ .
(٤) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج١ ص ٣٤١ .
(٥) السعدي ، الفتاوى السعدية ، الكاملة / الثقافة ، ص ٣١ (مرجع سابق)

بأنه : ((كل علم أوصل إلى المطالب العالية ، وأثمر الأمور النافعة ، لا فرق بين ما تعلق بالدنيا أو بالآخرة ، فكل ما هدى إلى السبيل ورقى العقائد والأخلاق والأعمال ، فهو من العلم)) [١] ، ويعرف ماهية العلم بأنه : ((تصور المعلومات على ماهي عليه)) [٢] .

يعرفه الجرجاني بقوله : العلم ((هو إدراك الشيء على ما هو به)) [٣]، وبين التعريفين توافق وتطابق ، فالإدراك والتصور كلاهما بمعنى واحد حيث إن التصور ((هو إدراك الماهية من غير حكم عليها)) [٤] .

والسعدي يجمع بين العلم الديني والدنيوي بجامع النفع فيقول : ((العلم الحقيقي النافع هو العلم بما جاء به الكتاب والسنة ، الكفيل بكل خير ديني ودنيوي وأخروي ، والعلم النافع من علوم الصناعات والمخترعات داخل في ضمن هذا ، بل العلم الديني هو الذي يُصير العلوم الطبيعية والصناعية نافعة نفعاً صحيحاً ، وهو الذي يوجهها إلى نفع النوع الإنساني ويمنعها من التهور المهلك)) [٥] .

---

(١) السعدي ، الدين الصحيح يحل جميع المشاكل ، الكاملة / الثقافة ، ج١ ص ٣٤٢. (مرجع سابق)

(٢) السعدي ، تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن ، الكاملة / التفسير، ج٨ ص٤٨٨ . (مرجع سابق)

(٣) الجرجاني ، التعريفات ، ص ١٥٥ . (مرجع سابق)

(٤) الجرجاني ، (المرجع السابق) ، ص ٥٩ .

(٥) السعدي ، الدلائل القرآنية ، الكاملة / الثقافة ، ج١ ص ٢٩٩(مرجع سابق)

[د] رأي السعدي في العلوم الطبيعية :

انتقد السعدي العلوم الطبيعية المعاصرة له بأنها : لا تصلح العقائد ، ولا تهذب الأخلاق ، وغاياتها دنيئة ناقصة جداً ، فيقول : ((فلا ينفع الترقي في الماديات إذا هبطت الأخلاق التي عليها المدار في كل شيء ، وهي - الأخلاق - التي تصلح الأشياء ، ولا تصلح الأمور بدونها كما هو مشاهد محسوس ، فأي ترق صير أهله بمنزلة السباع الضارية دأبها الظلم والفتك والاستعمار للأمم الضعيفة وسلبها حقوقها)) [(١)] ، كما انتقدها بكونها : ((مبتورة مقطوعة الصلة بالله وبدين الله ، فلهذا نفعت من جهة وضرت من جهات)) [(٢)] ، ويوضح السعدي أضرار هذه العلوم الطبيعية المفصولة عن الدين الصحيح بأن ضررها يتمحور في ما يلي :

المحور الأول :

((أنها سبب شقاء أهلها الدنيوي وهلاكهم ، وحلول المثلات بهم كما هو مشاهد في هذه الأوقات حيث صار ضرر العلوم التي أحدثت المخترعات والأسلحة الفتاكة شراً عظيماً على أهلها وغيرهم)) [(٣)] .

المحور الثاني :

((أن أهلها يحدث لهم الزهو والكبر والإعجاب بها وجعلها هي الغاية المقصودة من كل شيء ، فيحتقرون غيرهم ، ويناوئون علوم الرسل التي

---

(١) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج١ ص ٢٩٩ .

(٢) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج١ ص ٣٠٠ .

(٣) السعدي ، الفتاوى السعدية ، الكاملة / الثقافة ، ص ٧٦ (مرجع سابق)

هي العلوم النافعة)) [١] .

المحور الثالث :

أن بعلوم المادة ((انحلت الأخلاق وشاعت الإباحية والفوضوية الضارة المهلكة)) [٢] .

المحور الرابع :

قطع العلاقة بين العلوم الطبيعية والدين الصحيح ، فأصحاب العلوم الطبيعية والمغترين بهم ((يمهرون في العلوم الطبيعية ، ولكنهم يقفون معها ويعمون عن ارتباطها بخالقها ومسببها ، الذي أودع فيها من العجائب والأسرار ماأودع ... ويقفون معها ويرونها هي الحاصل وهي الغاية ، فيحصل الإنحراف العظيم والنقص في العلم والعقل)) [٣] ، ويبين السعدي الموقف الصحيح تجاه العلوم الطبيعية المعاصرة والتي كتبها الغرب مبتورة عن الله والإيمان به ، فإن موقف العاقل فضلاً عن المؤمن ، فالعاقل يقف مع هذه العلوم بالشروط التالية :

[أ] فهم العلوم والإحاطة بها من جميع نواحيها .

[ب] العمل بالأمور النافعة واستغلال ما في العلوم من خير .

[ج] أن يستفيد الإنسان من مواهبه التي وهبه الله فيوظفها كما ينبغي .

---

(١) السعدي ، (المرجع السابق) ، ص ٧٦ .

(٢) السعدي ، الأدلة القواطع والبراهين ، الكاملة / الثقافة ، ج٢ ص ٣١٥ .
(مرجع سابق)

(٣) السعدي ، الدلائل القرآنية ، الكاملة / الثقافة ، ج١ ص ٣٠١(مرجع سابق)

[د] أن يجمع بين مصالح الدين والدنيا ، ومنافع الروح والجسد .
[هـ] أن يحسن النظر في عواقب الأمور ، كما يصحح النظر في مبادئها.
[و] الربط الوثيق بين الأمور المتصلة بعضها ببعض .

فهذه الشروط أجملها السعدي بقوله : ((فإن العقل الصحيح فهم الأشياء والإحاطة بها من جميع نواحيها ، ثم العمل بالأمور النافعة واستغلال الخيرات والمواهب التي وُهِبَهَا العبد ، والجمع بين مصالح الدارين، ومنافع البدن والروح ، والنظر الصحيح للمبادئ والعواقب وربط الأمور المتصلة بعضها ببعض)) [١] .

المطلب الثالث : أنواع العلوم

يقسم العلوم إلى قسمين هما :

١- العلم اللدني :

وهذا هو العلم الذي ((يهبه الله لمن يمن عليه من عباده لقوله تعالى : ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴾ « سورة الكهف : آية ٦٥ »)) [٢] .

٢- العلم المكتسب :

وهو العلم الذي ((يدركه العبد بطلبه وجدّه)) [٣] ، وهذا العلم المكتسب ينقسم بحسب ثمراته التربوية على حامله إلى نوعين هما :

---

(١) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج١ ص ٣٠٢ .
(٢) السعدي ، تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن ، الكاملة / التفسير ، ج٨ ص ٣٩٤ . (مرجع سابق)
(٣) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج٨ ص ٣٩٤ .

[أ] النوع الأول : العلم النافع

((وهو الذي يثمر العمل وهو علم المؤمنين بأن الله سيبعثهم ويجازيهم بأعمالهم)) [١] .

[ب] النوع الثاني : العلم غير النافع

((وهو الذي لا يثمر العمل بمقتضاه وإنما هو حجة على صاحبه)) [٢]، ويقسم السعدي العلوم إلى قسمين آخرين بحسب محتواها العلمي كمايلي:

١- علوم المقاصد : وتحتوي على ((المسائل الصحيحة والحق النافع الذي يقوله الله في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ)) [٣] .

٢- علوم الوسائل : وتحتوي على ((علوم البراهين والدلائل ، وهي ما أعان على علوم المقاصد من علوم العربية ، وعلوم الكون المثمرة معرفة الله ووحدانيته)) [٤] .

وبهذا التقسيم للعلوم من حيث المحتوى أو الثمرة يستطيع المعلم أن يرتبها للتلاميذ في تعليمهم حسب ثمراتها العلمية ، وما تحتوي عليه من علوم ، فلا يقدم علوم الوسائل (كالرياضيات والجغرافيا واللغة) على علوم المقاصد (كالقرآن والتوحيد والحديث) ونحوها من علوم الشريعة ، وبالنظر لواقع العملية التعليمية المعاصرة نجد أن علوم الوسائل تحظى بالاهتمام الأكبر من قبل الموجهين التربويين والمعلمين والتلاميذ وأولياء

---

(١) السعدي ، المواهب الربانية ، الكاملة / الثقافة ، ج ١ ص ٢٨ . (مرجع سابق)

(٢) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج ١ ص ٢٨ .

(٣) السعدي ، خلاصة التفسير ، الكاملة / التفسير ، ج٨ ص٤٣٦ (مرجع سابق)

(٤) السعدي، الأدلة القواطع والبراهين، الكاملة / الثقافة، ج١ص٣٤٦ (مرجع سابق)

أمورهم أيضاً .

بينما علوم المقاصد تحتل المرحلة الأخيرة من حيث الإهتمام من قبل الموجهين للعملية التعليمية ، ومن قبل المعلمين أنفسهم ، ومن قبل التلاميذ وأولياء أمورهم .

ولا شك أن التصور المقلوب إنما هو نتاج للتبعية والتقليد لأصحاب العلوم الطبيعية الكونية الذين لا يولون علوم المقاصد أية أهمية ، فغاية علومهم بلوغ النفع المادي الدنيوي ، دون الإلتفات للنفع الأخروي ، ذلك النفع الذي لا يمكن أن يكون إلا عبر علوم الشريعة التي تقوم الأخلاق وتدعو لتهذيبها ، ولا تمنع الإنسان بل تأمره بالأخذ بحظ وافر من العلوم الطبيعية المادية النافعة ، كما يقول السعدي : ((فمامن علم نافع في الدين والدنيا إلا أمرت به الشريعة وحثت عليه ورغبت فيه فاجتمع فيها العلوم الدينية ، والعلوم الكونية ، وعلوم الدين ، وعلوم الدنيا، بل إنها جعلت العلوم الدنيوية التي تنفع من علوم الدين)) [1] .

المطلب الرابع : المعرفة بين الفطرة والاكتساب

انطلاقاً من تكريم الله عز وجل لهذا الإنسان ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي ءَادَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ « سورة الإسراء : آية ٧٠ » .

بإحسانه سبحانه على الإنسان بخلقه على أحسن صورة وكرَّمه ((بالعلم والعقل ، وإرسال الرسل وإنزال الكتب)) [2] .

---

(١) السعدي ، الدين الصحيح يحل جميع المشاكل ، الكاملة / الثقافة ، ج١ ص ٣٤٤. (مرجع سابق)

(٢) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، الكاملة / التفسير ، ج ٤ ص٣٠١ . (مرجع سابق)

فا لله خلق الإنسان وخلق له مفاتيح العلم فقال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ « سورة النحل : آية ٧٨ » ، فا لله عز وجل ((خص هذه الأعضاء الثلاثة - السمع والبصر والفؤاد - لشرفها ، وفضلها ، ولأنها مفتاح لكل علم ، فلا يصل للعبد علم ، إلا من أحد هذه الأبواب الثلاثة)) [١] ، فكل إنسان خلقه ا لله عز وجل وفطره على قبول العلم وتعلمه فالإنسان مفطور على المعرفة وأدوات التعلم موجودة لديه ، لكن قيام الإنسان بطلب العلم يزيد من فعالية المعرفة الكامنة داخل ذلك الإنسان، قال السعدي : ((فالآدمي قابل لتعلم كل علم مهيأ لذلك))[٢]، ولكن قيام الإنسان بتمرين ذهنه ، مما يوسع دائرة المعرفة لدى الإنسان فإن ((تمرين الذهن على التدبر والتفكر وتقليب الأمور على كل وجه ممكن ، مما يرقي الذهن وينميه ويوسع دائرة المعارف ، وعدم ذلك أو قلته مما يضعف القريحة ويخمد الفكر ويحدث البلادة)) [٣] ، فالإنسان مطبوع على المعرفة والتعلم بماوهبه ا لله من أدوات التعلم .

والقرآن الكريم يهدف فيما يهدف إليه من تذكير الإنسان بمعرفته المجملة السابقة كما يقول السعدي : سمى ا لله القرآن ذكراً لأنه ((يذكر

---

(١) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج ٤ ص ٢٢٤ .

(٢) السعدي ، الفتاوى السعدية ، الكاملة / الثقافة ، ص ٤٦٤ (مرجع سابق)

(٣) السعدي ، الرياض الناضرة ، الكاملة / الثقافة ، ج١ ص٤١٤ (مرجع سابق)

العباد ما تقرر من فطرهم السليمة ، وعقولهم الصحيحة ، من الحق والحث على الخير والنهي عن الشر ، فهو مُذكر لهم ما عرفوه مجملاً ولم يهتدوا إلى كثير من تفاصيله ، فبه تزداد العقول وتتفق الأذهان وتزكوا الفطر))[١]

فالخلاصة : هي أن الله فطر الإنسان على معارف وعلوم عامة ، لا يهتدي إلى معرفة تفاصيلها إلا بإعمال فكره ،وتمرين ذهنه بكثرة التدبر والاسترشاد بالقرآن الكريم ، الذي يحيي موات هذه العلوم والمعارف المتجذرة في فطرته .

---

(١) السعدي ، المواهب الربانية ، الكاملة / الثقافة ، ج ١ ص ٣٩ (مرجع سابق)

المبحث الثاني : التعليم عند السعدي

المطلب الأول : تعريف التعليم وأهميته عند السعدي

تختلف وجهات نظر المربين حول تعريفهم للتعليم فمنهم من يعرفه بأنه: ((نقل المعلومات من المعلم إلى المتعلم ،بقصد إكسابه المعرفة)) (١)

وتعرفه رمزية الغريب بأنه : ((تعديل في السلوك يساعد المتعلم على حل المشكلات التي تصادفه ، وتحقيق مزيد من التكيف مع بيئته)) (٢) .

فالتعليم يعني إكساب طالب العلم مجموعة من المعارف في شتى المجالات في الدين والدنيا ، وتوظيف هذه المعارف فيما يفيد الإنسان في الدنيا والآخرة ولقد قام السعدي بمهمة التعليم كما يصفه أحد تلاميذه قوله : ((كان من أحسن العلماء سمتاً وتعليماً ، وأبلغهم تفهيماً)) (٣) ، وقال عنه تلميذه البسام : ((إنه صرف أوقاته كلها للتعليم والإفادة والتوجيه والإرشاد فلا يصرفه عن حلق الذكر ومجالس الدرس صارف ، ولا يرده عنها راد)) (٤) ، ووصفه القاضي بأنه : (كان حسن التعليم ويأتي بالمسائل بدلائلها ويستطرد بنظائرها بفصاحة وبلاغة)) (٥) ،

---

(١) الناصر ، أسس التربية ، ص١٢٨ . (مرجع سابق)

(٢) بلقيس ومرعي ، الميسر في علم النفس التربوي ، ص٣٦ (مرجع سابق)

(٣) الفقي ، سيرة السعدي ، ص١٢ . (مرجع سابق)

(٤) البسام ، علماء نجد خلال ستة قرون ، ج٢ ص٤٢٤ . (مرجع سابق)

(٥) القاضي ، روضة الناظرين ، ج١ ص٢٢٥ . (مرجع سابق)

فالسعدي مارس التعليم طيلة حياته رحمه الله تعالى ، وحث غيره على القيام بهذه المهمة العظيمة فقال : ((فإن الله أوجب على أهل العلم أن يبينوه للناس ولا يكتمونه ، فيعلمون الجاهلين ، وينصحون ويعظون ويذكرون)) [١] ، وقال أيضاً : ((وينبغي للمعلم أن يصبر على التعليم ، ويبذل جهده في تفهيم كل طالب ما يتحمله ذهنه)) [٢] فالتعليم في نظر السعدي وظيفة العمر لأن ((الاشتغال بالعلم من أفضل الطاعات وأجل القربات ، مذاكرة العلم تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وتعلمه وتعليمه ودراسته توجب رضا رب العباد)) [٣] ، فالتعليم الذي يكون في طاعة الله عز وجل فهو من العبادة التي أمر الله بهاالمسلم طيلة حياته في قوله تعالى: ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ « سورة الحجر ، آية ٩٩ » .

والرسول ﷺ لم يُرغب أحداً أن يغبط أحداً على شيء من نعم الله الكثيرة إلا على نعمتين إحداهما بذل المال في سبيل الله ، والأخرى طلب العلم وتعليمه للناس ، فقال عليه الصلاة والسلام : « **لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله مالاً فسُلط على هلكته في الحق ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها** » متفق عليه واللفظ للبخاري [٤] .

---

(١) السعدي ، الرياض الناضرة ، الكاملة / الثقافة ، ج١ ص٤٣٧ (مرجع سابق)

(٢) السعدي ، الفتاوى السعدية ، الكاملة / الفتاوى ، ص٧٣ (مرجع سابق)

(٣) السعدي ، الرياض الناضرة ، الكاملة / الثقافة ، ج١ ص٤١٩ (مرجع سابق)

(٤) البخاري ، صحيح البخاري بحاشية السندي ، باب الاغتباط في العلم والحكمة ، ج١ ص ٢٤ (مرجع سابق)

فالتعليم عبادة إلاهية يتقرب بها المسلم لربه سبحانه كما قال تعالى : ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ « سورة البقرة ، آية ١٥١ » . وفي معنى قوله تعالى : ﴿ فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا(٥)يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ﴾ « سورة مريم، الآيتان ٥، ٦ ». قال السعدي: ((المراد وراثة العلم والحكمة ، فالمعلم مأجور على نفس تعليمه ، سواء فهم المتعلم أو لم يفهم، فإذا فهم ما علمه ، وانتفع به بنفسه ، ونفع غيره، كان أجراً جارياً للمعلم ما دام ذلك النفع متسلسلاً متصلاً ، وهذه تجارة بمثلها يتنافس المتنافسون)) [١] لأن التعليم : ((نفس الاشتغال بالعلوم الشرعية وتوابعها من أجلِّ الطاعات)) [٢] .

وعبادة التعليم من العبادات ذات النفع المتعدي كما بين السعدي ذلك بقوله : ((فإن معلم الناس الخير قد استعد لنفع الخلق بتعليمه وفتواه ، فحقه على الناس حق المحسنين ، ولا إحسان أعظم وأنفع من إحسان من يرشد الناس لأمر دينهم ويعلمهم ما جهلوا ، وينبههم لما عنه غفلوا ويحصل من الخير ، وانقماع الشر ، ونشر الدين والمعارف النافعة ما هو أنفع شيء للموحدين ولمن أتى من بعدهم من ذريتهم وغيرهم)) [٣] ، ويقول السعدي : ((من أعظم الجهاد سلوك طرق التعلم والتعليم ، فإن

(١) السعدي ، الفتاوى السعدية ، الكاملة / الفتاوى ، ص٤٥٠(مرجع سابق)
(٢) السعدي ، الرياض الناضرة ، الكاملة / الثقافة ، ج١ ص٤٣٥ (مرجع سابق)
(٣) السعدي ، الفتاوى السعدية ، الكاملة / الفتاوى ، ص٤٥١ (مرجع سابق)

الاشتغال بذلك لمن صحت نيته لا يوازيه عمل من الأعمال ، لما فيه من إحياء العلم والدين ، وإرشاد الجاهلين ، والدعوة إلى الخير ، والنهي عن الشر)) [١] ، وهكذا نلمس من توجيهات السعدي أن المعلم يجب أن يستشعر في تعليمه تحقيق عبوديته لله سبحانه ، فلا يرى في التدريس عملاً يتكسب منه بقدر ما يرى أنه عبادة يثاب عليها طالما كانت نيته متجهة لتحقيق مرضاة الله بالعلم والتعليم ، وبهذا يكون تعليمه تجارة رابحة مع الله عز وجل ، وهذا المبدأ في التعليم الإسلامي مما تفتقر إليه كثيراً العملية التعليمية في عصرنا الحاضر ، فيجب العمل على إحياءه في نفوس المعلمين والمتعلمين ليؤتي التعليم ثماره .

المطلب الثاني : أهداف التعليم

التعليم عند السعدي يهدف لتحقيق المعالم التالية في نفوس المتعلمين :

١- تحقيق الإيمان بالله تعالى في نفس المتعلم ، وإبعاده عن المعاصي فالعلم الصحيح في نظر السعدي هو الذي يورث صاحبه المعرفة التامة .بمرادات الله عز وجل فيأتيها ، ومحرماته فيجتنبها فيكون التعليم بهذا سبباً لتقوية إيمان المتعلم وإبعاده عن المعاصي فإن : ((المعصية من أهل العلم أعظم منها من غيرهم ، لأن غيرهم يقتدي بهم ، ومن كان طبعه الشر من غيرهم جعلهم حجة له)) [٢] ، ولاشك أن العلم ((نور يستضاء به في الظلمات وحندس الجهالات ، فكلما ازداد علماً ازداد نوراً

---

(١) السعدي ، الفتاوى السعدية ، الكاملة / الفتاوى ، ص٣٦ (مرجع سابق)

(٢) السعدي ، (المرجع السابق) ، ص٤٥٥ .

بمعرفة الحق من الباطل ، والهدى من الضلال ، والحلال من الحرام ، والصحيح من الفاسد)) [(١)] ، كما أن العلم يزيد إيمان المتعلم لأنه ((في كل وقت مستفيد علوماً يزداد بها إيمانه وتكمل بها أخلاقه ، والمتصفح للكتب النافعة، لا يزال يعرض على ذهنه عقول الأولين والآخرين ومعارفهم وأحوالهم الحميدة، وضدها ففي ذلك معتبر لأولي الألباب)) [(٢)] .

٢- **تعريف الناس بمكانة العلماء العاملين بعلمهم** ، وأن هذه المعرفة لمكانة العلماء الربانيين تقرر في نفوس الناس محبة العلم الذي يحمله هؤلاء العلماء مما يشجع الآخرين على طلب العلم وتحصيله فإن ((حصول العلم للشخص هو من الأوصاف التي يُحبُ لأجلها ، ثم تعليمه للناس وعمله مما يجب أن يحب عليه فكل هذه الأمور موجودة في أهل العلم ، فلهم من الحق على أهل العلم وعلى غيرهم ، أن يُميزوا بهذا عن غيرهم لما لهم من المميزات)) [(٣)] .

٣- **تكوين الشخصية الإسلامية المتكاملة** في جوانبها النفسية والخلقية والتعبدية لأن التعليم الإسلامي به يتعرف المتعلم على ((علم الحلال والحرام والنافع والضار ، وفيها - رياض العلوم - علم الأخلاق التي ترقي صاحبها إلى أعلى المقامات ، وعلم الآداب التي تجعل العبد من أكبر البريات ، وفيها - رياض العلوم - تشخيص ما في النفوس من الخير

---

(١) السعدي ، (المرجع السابق) ، ص٧٣ .

(٢) السعدي ، انتصار الحق ، الكاملة / الثقافة ، ج٢ ص٤١٨ (مرجع سابق)

(٣) السعدي ، الرياض الناضرة ، الكاملة / الثقافة ، ج١ ص٤٣٥ (مرجع سابق)

والشر والرغبات والرهبات وفيها كيفية توجيهها إلى فعل الخيرات وترك المنكرات)) [١] .

ومن أجل تكوين هذه الشخصية الإسلامية المعتدلة يلفت السعدي النظر إلى ضرورة ((الإهتمام التام والإعتناء الكامل بشباب الأمة فإنهم محل رجائها وموضع أملها ، ومادة قوتها وعزها ، وبإصلاح تربيتهم تصلح الأحوال ، ويكون المستقبل خيراً مما قبله)) [٢] ، ويبين السعدي أهم ركائز التعليم الهادف لبناء شخصية إسلامية متميزة فيقول : ((وأن تكون العلوم الدينية هي الأصل والأساس الأقوم، ويكون غيرها تبعاً لها ووسيلة إليها ، وأن يكون الغرض الوحيد من المتخرجين في المدارس الناجحين في علومها أن يكونوا صالحين في أنفسهم وأخلاقهم وآدابهم ، مصلحين لغيرهم ، راشدين مرشدين ، مهتمين بتربية الأمة)) [٣] .

٤- تأهيل طبقة من المتعلمين لحمل العلم والجد في تحصيله حتى يقوموا بخلافة معلميهم في تعليم الناس بعد تأهلهم العلمي ((وهؤلاء المتعلمون هم المستعدون للترقي في العلم بحسب ما يسر ا لله لهم من طرق التعليم النافعة بحسب قرائحهم وأذهانهم وان يكونوا معلمين بعد ما كانوا متعلمين)) [٤] ، فتكوين هذه الطائفة والنخبة من المتعلمين إنما تتم بتضافر

(١) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج١ ص٤١٩ .
(٢) السعدي ، وجوب التعاون بين المسلمين ، الكاملة / الثقافة ، ج١ ص١٩٠ - ٢٠٠ . (مرجع سابق)
(٣) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج١ ص٢٠٠ .
(٤) السعدي ، الرياض الناضرة ، الكاملة / الثقافة ، ج١ ص٤٣٨ (مرجع سابق)

جهود العلماء المعلمين مع جهد المتعلمين وإخلاصهم حتى يتم لهم تحصيل العلم الذي به يتبوأون مركز التوجيه الإجتماعي للأمة .

٥- إدخار العمل الصالح الذي يجري على صاحبه بعد موته ، فامتداد الثواب للمعلمين يكون بعد موتهم حيث إن تسلسل تعليمهم من جيل إلى جيل يعتبر من العمل الصالح الذي ينمي ولا ينقطع بموتهم كما بين ذلك رسول ا لله ﷺ بقوله : ((**إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاث إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له**)) رواه مسلم [١] .

ويوضح السعدي ذلك الهدف من التعليم بقوله عن المعلم : ((لم يزل يغنم من الخيرات والثواب من ا لله كلما تسلسل نفعه وعمل بإرشاده ، ثم ما ترتب على هذه الأعمال من الدعوات المستجابات ممن انتفعوا بإرشاده ونصائحه ، فكم شاهدنا وشاهد غيرنا ممن وفقوا للقيام بشكر من أحسن إليهم ببعض هذه الأمور من التشكرات والدعوات المتكررة ، كلما تذكروا نصائحه القيمة وإرشاده النافع ، وهذه أمور لا يستهان بها))[٢]، فالعلم ((نافع لصاحبه حياً وميتاً ، وإذا انقطعت الأعمال بالموت ، وطويت صحيفة العبد ، فأهل العلم حسناتهم تتزايد كلما انتُفِع بإرشادهم، واهتدي بأقوالهم وأفعالهم)) [٣] .

---

(١) مسلم ، صحيح مسلم بشرح النووي ، ج١١ ص٨٥ (مرجع سابق)

(٢) السعدي ، الرياض الناضرة ، الكاملة / الثقافة ، ج١ ص٤٤٠ (مرجع سابق)

(٣) السعدي ، الفتاوى السعدية ، الكاملة / الفتاوى ، ص٧٣ (مرجع سابق)

٦- **تنمية روح التمسك بالإسلام عند الصغار والموالي** حيث ((إن السيد ، وولي الصغير مخاطبان بتعليم عبيدهم ، ومن تحت ولايتهم من الأولاد ، العلم والآداب الشرعية ، لأن الله وجه الخطاب إليهم بقوله: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ﴾ « سورة النور ، آية ٥٨ » فلا يمكن ذلك إلا بالتعليم والتأديب)) [(١)] ، فالعلوم الإسلامية والآداب الشرعية يجب أن يشبَّ عليها الصغير ويهرَمُ عليها الكبير حتى تتبوأ الأمة الإسلامية مكان السيادة والريادة في العالمين .

٧- **تحقيق مبدأ الخدمة الإجتماعية** ، وذلك بأن يهتم المسلمون بتعلم وتعليم كافة العلوم والمهن التي تخدم مصلحة المجتمع ، فإن ((المسلمين ينبغي لهم أن يعدوا لكل مصلحة من مصالحهم العامة من يقوم بها ويوفر وقته عليها ، ويجتهد فيها ، ولا يلتفت إلى غيرها لتقوم مصالحهم ، وتتم منافعهم ، ولتكون وجهة جميعهم ، ونهاية ما يقصدون ، قصداً واحداً وهو قيام مصلحة دينهم ودنياهم)) [(٢)] ، وهذا الهدف من التعليم في نظر السعدي تتحقق به الكفاية التخصصية في المجتمع الإسلامي ، فلا يعيش المجتمع المسلم حالة من التورم في مجال العلم النظري ، بينما يبقى مجال العلم المهني يفقد العناية به .

---

(١) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، الكاملة / التفسير ، ج٥ ص٤٤٣ . (مرجع سابق)
(٢) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، الكاملة / التفسير ، ج٣ ص٣١٥ . (مرجع سابق)

٨- تعريف التلاميذ وتوجيههم لأهم الأسباب المعينة على معرفة الحق والصواب التي بها يتوصل المتعلم لوجه الحق مما يولد لديه ملكة القدرة العلمية على الاستنباط للأحكام ، وحُسن التوجيه للأقوال والآراء المتعارضة ظاهراً ، وفي ذلك يقول السعدي : ((ولإصابة الصواب أسباب منها : حُسن الفهم عن الله وعن رسوله ، ونور الفهم والذكاء ، وقوة الإخلاص والإستعانة با لله في الوصول إلى الصواب ، وعدم التعصب لما يقوله من يعظمه ، وسرعة الرجوع إلى الحق عند اتضاح الصواب ، والمقابلة بين الأقوال المتعارضة ، واستيعاب ما أمكن من أدلة كل قول ، ومأخذه ، ووزن الأدلة والمآخذ بالموازين العادلة وأصول الفقه المتفق عليها))[١] ، فالتعليم في نظر السعدي يهدف إلى تعليم الطالب أهم الأسباب المعينة على معرفة الحق والصواب والأخذ بها .

٩- تعليم الفنون الحربية والصناعية الحديثة مما يقوي كيان المسلمين ضد أعدائهم ففي قوله تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ « سورة الأنفال، آية ٦٠»، يقول السعدي : ((فهذا الأمر في كل زمان ومكان ، وفي كل حال بما يليق بها ، وهو أمر بتعليم العلوم والفنون العصرية التي فيها التحصن من الأعداء والحذر منهم وإعداد القوة بحسب الإستطاعة ، والأمر بالشيء أمر به وبما لا يتم إلا به، فلا ريب أن هذا أمر بتعلم الصناعات والمخترعات ولكل ما يحصل به إعداد القوة المرهبة للأعداء ، من القوة المادية والمعنوية،

---

(١) السعدي ، المناظرات الفقهية ، الكاملة / الفقه ، ج٢ ص١٩٤ (مرجع سابق)

فمن ظن أنها لا تدخل فيها فلقصور علمه وعقله ، ولهذا أطلق ا لله في الآيتين إعداد القوة والأخذ بالحذر ليشمل كل ما حصل به هذا الأمر الضروري النافع ، بل جميع الأوامر التي يأمر ا لله فيها بدفع عدوان الأعداء ومقاومتهم بكل طريق تدل على وجوب تعلم الفنون الحربية والصناعية ، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، وذلك داخل في الجهاد ، جهاد المقاومة وجهاد المدافعة [(١)] .

١٠- تقوية ملكة اللغة العربية عند المتعلمين ، فتعلم اللغة العربية وسيلة لتعلم ما جاء عن رسول ا لله من أحكام ، حيث جاءت شريعة الإسلام بلسان عربي مبين كما قال تعالى : ﴿ وما أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إلا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ « سورة إبراهيم ، آية ٤ » ، والسعدي تكلم على مكانة اللغة العربية فقال : ((ويستدل بهذه الآية الكريمة على أن علوم العربية الموصلة إلى تبين كلامه وكلام رسوله أمور مطلوبة محبوبة لله ، لأنه لايتم معرفة ما أنزل ا لله على رسوله إلا بها)) ويستدرك السعدي قائلاً : ((إلا إذا كان الناس في حالة لا يحتاجون إليها ، وذلك إذا تمرنوا على العربية ، ونشَّأُوا عليها صغيرهم، وصارت طبيعة لهم فحينئذ قد اكتفوا المؤنة وصلحوا لأن يتلقوا عن ا لله ورسوله ابتداءً كما تلقى الصحابة ﷺ))[(٢)]، ويقرر السعدي عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ « سورة

---

(١) السعدي ، الرياض الناضرة ، الكاملة / الثقافة ، ج١ ص٤٦١ (مرجع سابق)

(٢) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، الكاملة / التفسير ، ج٤ ص١٢٣-١٢٤ . (مرجع سابق)

الشعراء ، آية ١٩٥» يقرر أهمية اللغة العربية وأنها ((من أفضل الألسنة، بلغة من بعث إليهم، وباشر دعوتهم أصلاً ، اللسان البين الواضح ، وتأمل كيف اجتمعت هذه الفضائل الفاخرة في هذا الكتاب الكريم ، فإنه أفضل الكتب ، نزل به أفضل الملائكة ، على أفضل الخلق ، على أفضل أمة أخرجت للناس بأفضل الألسنة وأفصحها وأوسعها وهو : اللسان العربي المبين)) [١] ، وهذا القطع من السعدي عن اللسان العربي بأنه أفضل الألسنة يحمل إما : على تقدير أهل ذلك اللسان وهم العرب ، أو يحمل على تقدير ما يحمله ذلك اللسان من كلام الله وكلام رسوله ﷺ ، أما القطع للسان العربي بأنه أفضل الألسنة لذاته ، فإن في ذلك القطع نظر ، كما قال العلامة أبو محمد ابن حزم : ((وقد توهم قوم في لغتهم أنها أفضل اللغات ، وهذا لا معنى له لأن وجوه الفضل معروفة ،ـ وإنما هي بعمل واختصاص ، ولا عمل للغة ، ولا جاء نص في تفضيل لغة على لغة، ... ويستطرد ابن حزم في كلامه فيقول - وقد غلط في هذا جالينوس فقال : ((إن لغة اليونانيين أفضل اللغات لأن سائر اللغات إنما تشبه نباح الكلاب أو نقيق الضفادع)) وهذا جهل شديد لأن كل سامع لغة ليست لغته ولا يفهمها فهي عنده في النصاب الذي ذكر جالينوس ولا فرق ...- ويضيف ابن حزم قائلاً - : ولقد قال قوم : العربية أفضل اللغات لأنه نزل بها كلام الله تعالى ، وهذا لا معنى له لأن الله أخبرنا أنه لم يرسل رسولاً إلا بلسان قومه فبكل لغة نزل كلام الله ووحيه)) [٢] .

---

(١) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج٥ ص ٥٤٧ .

(٢) ابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد ، الإحكام في أصول الأحكام ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ط ٢ ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، ج١ ص ٣٤ - ٣٥ .

المطلب الثالث : أنواع التعليم الشعبي عند السعدي

من الأمور التربوية التي يؤكدها علماء التربية (محو الأمية) ، وهي مجابهة عدم المعرفة بالمعرفة ، لأن الأمية خطر على المجتمع)) [١] .

والسعدي أولى جانب محو الأمية اهتمامه حيث نادى بضرورة القيام بتعليم كافة طبقات المجتمع لأنه ((إذا صح العلم صحت العقائد والأفكار، وصلحت الأعمال المبنية عليه)) [٢] ، وبين أن طلب العلم فرض لازم في علوم العبادات المفروضة في الإسلام في الدين والدنيا ، ولما أوجب الله على الناس التعلم ومحو أميتهم أوجب مقابل ذلك على أهل العلم بذله للناس وبيانه لهم ((فإن الله أوجب على أهل العلم أن يبينوه للناس ولا يكتمونه ، فيعلمون الجاهلين ، وينصحون ، ويعظون ، ويذكّرون ، ويصدعون بأمر الله ، ويظهرون دين الله ، فكما أمر الجهال أن يتعلموا فقد أمر أهل العلم أن يعلموا الناس على اختلاف طبقاتهم وأن يحنوا عليهم ويعلموهم مما علمهم الله)) [٣] ، وبهذا يتلخص دور العلماء بالقيام بما يلي :

---

(١) العريني ، عبد الرحمن علي ، الشيخ محمد بن عبد الوهاب وبعض الجوانب التربوية والتعليمية في حياته / من أعلام التربية العربية الإسلامية ، الرياض : مكتب التربية العربي لدول الخليج ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م ، ج ٤ ص ٢٠٦ .

(٢) السعدي ، الأدلة القواطع والبراهين ، الكاملة / الثقافة ، ج ٢ ص ٣٤٥ . (مرجع سابق)

(٣) السعدي ، الرياض الناضرة ، الكاملة / الثقافة ، ج ١ ص ٤٣٧ (مرجع سابق)

أ- تعليم الجاهلين ب- موعظة الغافلين ج- تذكير الناسين
د- نصيحة المقصرين هـ- الصدع بالحق أمام المعاندين .

وحيث أوضح السعدي وجهة نظره تجاه تعميم التعليم لكافة طبقات المجتمع ، وضرورة محو الأمية بين الناس ، لذلك فقد بين أهم القنوات التي يتم ذلك التعليم الشعبي عن طريقها وهي حسب الترتيب الآتي :

١- التعليم الشعبي بالمساجد :

فالمساجد في الإسلام هي دور التربية والتعليم الأولى ، فمسجد رسول الله ﷺ كان أول المساجد ، ومنه كانت تصدر الأوامر النبوية ، والعلوم الشرعية ، والأحكام الفقهية ، بل إن عقد الألوية للجهاد في سبيل الله ، وتسيير الجيوش كانت تنطلق من عتبات المسجد ، فللمسجد دوره الشمولي لكافة جوانب الحياة ، وإن مما يجب أن يخرج من المسجد التعليم والتربية لعامة المصلين ، والسعدي يركز على ذلك بقوله : ((إنما المقصود الوسائل والطرق الأخرى التي يجب على أهل العلم أن يسلكوها في إيصال العلم إلى الناس على اختلاف طبقاتهم ورفع الجهل بحسب الإمكان ، فمنها إلقاء العلوم في المساجد)) [١] .

وحتى يؤتي ذلك التعليم ثماره فإن السعدي يشترط له شروطاً عدة أهمها [٢] :

أ- اختيار الأسهل والأنسب من العلوم الموافقة لأذهان المصلين، وعقولهم.
ب- أن يتم تقرير العلوم النافعة للمصلين في دينهم ودنياهم .

---

(١) السعدي ، الرياض الناضرة ، الكاملة / الثقافة ، ج ١ ص٤٣٨ . (مرجع سابق)
(٢) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج ١ ص٤٣٨ ، ٤٣٩.

ج- أن تكون عبارة المعلم - الشيخ أو الإمام - عبارة واضحة ليس فيها غموض ولا تلغيز ، بل يفهمها عامة المصلين المعنيين بهذا التعليم .

د- مراعاة الأحوال والمناسبات في طرح الموضوعات لتكون معالجتها للنوازل مباشرة ، وذلك أشوق لنفوس المتعلمين ، وأقرب لفهمهم ، ليتم التفاعل بينهم وبين تلك العلوم .

هـ- أن يجتهد المعلم بالتمثيل من الوقائع المحسوسة لدى الناس حتى يفهموا عن المعلم تعليمه ، وليتم التوفيق بين العلم النظري والواقع العملي ، وهذا هو مبدأ العلم للعمل ، فالهدف من العلم إنما هو للعمل به والاستفادة منه في الحياة .

و- محاولة التطبيق العملي للقواعد الشرعية على الأحداث الواقعية وذلك ليتسنى لعموم المصلين الفهم التام لها وحسن إدراكها .

٢- التعليم الشعبي في النوادي العامة :

نظراً لأهمية الاجتماعات العامة بين الناس وكثرتها ، فإن السعدي يركز على وجوب بث العلوم النافعة عبر هذه النوادي الجماهيرية فيقول : ((ينبغي إلقاء العلوم النافعة في النوادي الكبار والصغار ، وفي المجامع التي يجتمع فيها أهل العلم بالعوام))[١] .

ويؤكد السعدي على بعض القيود اللازمة في ذلك التعليم الشعبي العام ومن هذه القيود ما يلي[٢] :

---

(١) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج ١ ص ٤٣٩.

(٢) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج١ ص٤٣٩ .

أ - العناية ببيان الأحكام والأداب التي يجهلها عامة الناس وذلك يختلف باختلاف الزمان والمكان ونوعية المخاطبين ، من الرجال والنساء والكبار والصغار .

ب- مراعاة نفوس المخاطبين بعدم الإثقال عليهم بكثرة التحدث والكلام، ويعرف المعلم رغبة الناس بتعليمه من عدمها ، بحسن إصغائهم لحديثه من عدمه ، فمتى ما رأى عليهم آثار الملل فليتوقف .

ج- أن يحسن المعلم الدخول مع الناس في أحاديثهم بالتوجيه تارة ، والنقد والتقويم تارة أخرى وتقبل أسئلتهم تارة ثالثة .

د - أن يرضى ويقنع المعلم بالقليل من التعليم أولى من ترك ذلك .

هـ- مسايرة الناس في أحاديثهم العامة مع حسن استغلال المواقف والكلمات في سبيل التعليم .

٣- التعليم الشعبي الخاص :

ومن قنوات التعليم الشعبي التي حث عليها السعدي (النصائح الخاصة) وذلك يكون بنصح الأشخاص وتعليمهم فمن ((رآه مقصراً في واجب من واجبات الله وحقوق الخلق ، نصحه سراً ، وعلمه الواجب وكيفية سلوكه والفوائد والثمرات المترتبة على فعله)) (١) ، فهذا التعليم يجب أن يتحلى بما يلي :

أ - السرية التامة بين المعلم والمتعلم .

ب- أن يقتصر ذلك التعليم على وجوه النقص والتقصير لدى ذلك المخاطب

---

(١) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج ١ ص ٤٣٩.

ج- أن يتبع أسلوب الترغيب والترهيب لذلك الشخص بتحذيره من عواقب المحرمات ، وتبشيره بثمرات الأعمال الصالحة .

د- أن يحتسب المعلم أجره على الله تعالى .

٤- التعليم الشعبي العائلي :

وهذا خاص بين المعلم وأفراد أسرته وأقرباءه ، وكذلك من له بهم إتصال ، فإنه لا بد أن يستغل مخالطته بهم ، ومعاشرته لهم فيقوم بدور تعليمهم وإرشادهم ، ولأهمية ذلك التعليم يقول السعدي : ((وأولى من على العالم تعليمه ونصحه وإرشاده بكل وسيلة مناسبة وطريقة ناجحة : الأهل والأولاد والأقارب والأصحاب والمعاملون والخلطاء)) [(١)] .

فهذه القنوات الشعبية للتعليم لها دور كبير في القضاء على الأمية ونشر العلم ، وذلك متى ماوجد من المعلمين الجهود الكبيرة المتعددة عبر هذه القنوات الإجتماعية .

المطلب الرابع : أهم عناصر التعليم عند السعدي

بالقراءة الحرة [(٢)] لمؤلفات السعدي وجد الباحث أن السعدي قد استوعب أهم عناصر التعلم وإن لم يسمها بأسمائها الحديثة إلا أن مضمون كل عنصر من تلك العناصر عند السعدي موجود بعبارته المناسبة لعصره ،

---

(١) السعدي ، الرياض الناضرة ، الكاملة / الثقافة ، ج ١ ص ٤٣٩ (مرجع سابق)

(٢) أقصد بالقراءة الحرة : هي القراءة القائمة على أمرين هامين : الأول / الإلتزام التام بما في النص فلا أضيف إليه فكرة ، ولا أفرض عليه اتجاهاً ، ولا أبدل له وجهة . الثاني / أن تكون لهذه القراءة على الفكر حرية تنظيم النص وتفسيره والإستفسار حوله ، والربط بينه وبين الفكر المعاصر .

وهذه العناصر هي :

١- النضج :

يطلق النضج عند علماء النفس ويراد به ((الزيادة أو التقدم أو التغيير في القدرة : سواء كان التغيير في وضع الفرد أم في عملياته أم سلوكه أم خصائصه)) [(١)] .

السعدي أشار إلى أهمية مراعاة مرحلة (النضج) عند التلميذ في عملية التعلم وذلك من خلال المعلم ، والمنهج ، والطريقة ، وهذا الاهتمام من السعدي بمرحلة (النضج) عند التلميذ إنما هو نابع من إيمان السعدي بمدى الارتباط الوثيق بين النضج وعملية التعلم وذلك لأن ((التعلم ليس مستقلاً عن النضج ، ولأجل أن يكون التعلم والتعليم فعَّالين ، فلا بد من بناء المعلومات والمعرفة على ضوء المرحلة النمائية التي يمر بها الفرد))[(٢)]، ولضمان فاعلية التعلم والتعليم ركز السعدي على ضرورة اهتمام المعلم بمراعاة مرحلة النضج عند المتعلم ومعرفة مدى استعداده للتعلم فقال : ((على المعلم أن ينظر إلى ذهن المتعلم ، وقوة استعداده أو ضعفه فلا يدعه يشتغل بكتاب لا يناسب حاله ، فإن هذا من عدم النصح)) [(٣)] .

كما ركز على المنهج المقرر مع مستوى نضج التلميذ ، حتى يؤتي التعليم ثماره ، فيقول السعدي بأن على المعلم تجاه التلميذ أن لا يدعه

---

(١) بلقيس ، أحمد وآخر ، الميسر في علم النفس التربوي ، عمان ، الأردن : دار الفرقان ، ط ٢ ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ، ص ٥٢ .

(٢) بلقيس ، وآخر ، (المرجع السابق) ، ص ٥٣ .

(٣) السعدي ، الفتاوى السعدية ، الكاملة / الفتاوى ، ص ٤٥٠ (مرجع سابق)

((يشتغل بكتاب لا يناسب حاله ، فإن هذا من عدم النصح ، فإن القليل الذي يفهمه ويعقله خير من الكثير الذي هو عرضة لعدم الفهم والنسيان)) [١] .

وفي جانب الطريقة في التعليم ، يلفت النظر إلى الإهتمام بمرحلة النضج عند المتعلمين ، فيوجه المعلمين إلى ضرورة الشرح والبيان والتوضيح لما يشرحونه مستخدمين بذلك كل ما في قدرتهم من وسائل إيضاح مناسبة حيث يقول : ((وكذلك عليه - يعني المعلم - من التوضيح والتقرير لدرسه بقدر ما يتسع فهمه - أي التلميذ - لإدراكه ، ولا يخلط المسائل بعضها ببعض ، وينبغي أن لا ينتقل من نوع من أنواع المسائل إلى نوع آخر حتى يتصور ويحقق السبق ، فإنه درك للسبق ، وبه يتوفر الفهم على اللاحق)) [٢] .

٢- تحديد الباعث :

جاءت الآيات الكريمة ، والأحاديث الشريفة بالحث على إخلاص العمل لله تعالى ، ومن ذلك طلب العلم وتعليمه ، يقول الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلا صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ «سورة الكهف : آية ١١٠ » ويقول الرسول ﷺ : « **من تعلم علماً مما يبتغي به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عَرف**

(١) السعدي ، الفتاوى السعدية ، الكاملة / الفتاوى ، ص ٤٥٠ (مرجع سابق)
(٢) السعدي ، (المرجع السابق) ، ص ٤٥٠ .

الجنة يوم القيامة » رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه [١] ، فتحديد المتعلم باعثه على التعلم أمر بالغ الأهمية ، والسعدي يؤكد على ضرورة تحديد ذلك الباعث وأن يكون الإخلاص لله بطلب العلم هو الباعث الأول للمتعلم على طلب العلم ، حتى يكسب رضى الله وثوابه ولهذا أكد السعدي بأنه ((يتعين على أهل العلم من المتعلمين والمعلمين أن يجعلوا أساس أمرهم الذي يبنون عليه حركاتهم وسكناتهم الإخلاص الكامل ، والتقرب إلى الله تعالى بهذه العبادة - التعليم - التي هي من أجل العبادات وأكملها ، وأعمها نفعاً)) [٢] ، فهو جعل باعث الإخلاص لله واجب التحقق في العملية التعليمية ، من قبل المعلم والمتعلم ، وأن يكون ذلك الإخلاص هو محور الإرتكاز لكل حركاتهم وسكناتهم ، وأن يكون ذلك الإخلاص متمثلاً في ((طلب مرضاة الله ، وقصد إحياء الدين ، والإقتداء بسيد المرسلين فيقصد وجه الله تعالى من تعلمه وتعليمه ، وتفهمه وتفهيمه ، وفي مطالعته ومدارسته ومراجعته)) [٣] كما جاء الإهتمام بجانب الإخلاص لله في طلب العلم وتعليمه على ألسنة علماء المسلمين السابقين واللاحقين ، فهذا العز بن عبد السلام رحمه الله (٥٧٧ - ٦٥٩ هـ) ((يحذر المتعلمين من تعلم العلم للرياء والسمعة ، لأن ذلك فيه إثم كبير إن لم يتوبوا كما أن طلب العلم ، والنية بالعمل به

(١) التبريزي ، مشكاة المصابيح ، ج١ ص ١١١ . (مرجع سابق)
(٢) السعدي ، الفتاوى السعدية ، الكاملة / الفتاوى ، ص ٤٤٩ (مرجع سابق)
(٣) السعدي ، الفتاوى السعدية ، الكاملة / الفتاوى ، ص٧٣ (مرجع سابق)

بإخلاص طريق لإكتساب المثوبة من عند الله ، كما يثاب المتعلم على كل علم يتقرب به إلى الله عز وجل)) [١] ، وكذلك الإمام محمد بن عثمان الذهبي (٦٧٣ - ٧٤٨هـ) يركز على جانب الباعث على طلب العلم وأن ((التعلم للدنيا ، وكتمان العلم من كبائر الذنوب)) [٢] .

ويؤكد التاج السبكي (٧٢٧ - ٧٧١هـ) رحمه الله على أهمية الإخلاص لله تعالى في طلب العلم ، وأن يكون الباعث للإنسان على طلب العلم إنما هو ((قصد وجه الله تعالى ، والترقي إلى جوار الملأ الأعلى - ويحذر غاية التحذير من تبديل ذلك الباعث بقوله - فلا يكون القصد من طلب العلم التردد على أبواب السلاطين ، وحب المناصب والجاه)) [٣] .

فالإخلاص لله تعالى ، هو الشرط الأول من شروط صحة العبادة عند الله تعالى ، والشرط الثاني أن يكون العمل موافقاً هدي الرسول ﷺ : ((يشترط لقبول العبادة أن تكون صحيحة ، ولا تكون صحيحة إلا بشرطين: الأول : أن تكون خالصة لله تعالى من الشرك الأكبر والأصغر،

---

(١) النباهين ، علي سالم ، من أعلام التربية العربية الإسلامية (العز بن عبد السلام وفكره التربوي) ، الرياض : مكتب التربية العربي لدول الخليج ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨ ، ج ٣ ص ٢١٦ .

(٢) النحلاوي ، عبد الرحمن ، من أعلام التربية الإسلامية (الإمام محمد الذهبي ترجمته وبعض آرائه وأساليبه التربوية) ج٤ ص ٣٣ . (مرجع سابق)

(٣) النحلاوي ، (المرجع السابق) ، ج ٤ ص٩٤ . (مرجع سابق)

والشرط الثاني : أن تكون صواباً على سنة رسول الله ﷺ)) [١] .

والسعدي أشار إلى أن الإخلاص هو أساس الدين فقال : ((الإخلاص لله أساس الدين وروح التوحيد ، والعبادة : وهو أن يقصد العبد بعمله كله وجه الله وثوابه وفضله)) [٢] .

إن باعث الإخلاص لله تعالى في أعمال الإنسان ، وأقواله كلها يربي الإنسان على ((أن تكون صلته بالله ، وتعامله مع الله ، وخشيته من الله، وحبه لله ، ورجوعه إلى منهج الله هذه هي العبادة في مفهوم الإسلام)) [٣] .

وبهذا الشمول للعبادة في الإسلام ، يتميز المنهج التربوي في الإسلام بدوام الصلة بالله سبحانه ، والتحرر من رق العبودية لما سواه .

ومتى توفر عنصر الإخلاص عند التلميذ والمعلم ، فإن ذلك مدعاة لنجاح التعليم الذي قام بقصد طلب رضى الله سبحانه ، وابتغاء فضله ومرضاته .

٣- جودة المعلم :

للمعلم مكانته المهمة من العملية التعليمية ، فهو أحد أركانها الثلاثة (المعلم ، التلميذ ، المنهج) ، والسعدي يلفت نظر المعلم إلى أهمية تلطفه

---

(١) عبد الغني ، العقيدة الصافية للفرقة الناجية ، ص ٢٥٣، ٢٥٤ (مرجع سابق)

(٢) السعدي ، القول السديد في مقاصد التوحيد ، الكاملة / العقيدة ، ص ٣٨ (مرجع سابق)

(٣) محمد قطب ، منهج التربية الإسلامية ، ج ١ ص ٣٦ . (مرجع سابق)

مع تلاميذه ، لأن ذلك أدعى إلى محبتهم إياه ، ورغبتهم بمادته العلمية ، ولهذا ((كان المعلم مأموراً بحسن الخلق مع المتعلم ، ومباشرته بالإكرام والتحنن عليه ، فإن في ذلك معونة له على مقصده ، وإكراماً لمن كان يسعى في نفع البلاد والعباد)) [(١)] .

ولأهمية جانب الرفق بالتلاميذ ، نجد أن بدر الدين بن جماعة (٦٣٩ - ٧٣٣ هـ) أكد على أهمية ذلك بأن على المعلم أن ((يرحب بالطلبة إذا لقيهم ، وعند إقبالهم عليه ، ويكرمهم إذا جلسوا إليه ، ويؤنسهم بسؤاله عن أحوالهم وأحوال من يتعلق بهم)) [(٢)] .

إن هذا التوجيه من السعدي (١٣٠٧-١٣٧٦هـ) ومن ابن جماعة (٦٣٩-٧٣٣هـ) رغم ما بينهما من البعد الزمني ، فابن جماعة من أعيان القرن السابع الهجري ، والسعدي من أعيان القرن الرابع عشر الهجري ، رغم هذا التباعد الزمني ، إلا أن التوجيه منهما واحد بمحتواه ومعناه .

ومكانة المعلم في العملية التعليمية مكانة مهمة جداً ، فالتجارب أثبتت أنه ((مهما استحدثنا في التعليم من طرق ووسائل ، ومهما أضفنا إليه من موضوعات جديدة ، أوطورنا في مناهجه ورصدنا له من مال ، وأقمنا له أفخم المباني ، وزودناه بأحدث الأجهزة والوسائل التعليمية ، والأثاث المناسب ، ومهما وضعنا من فلسفات وتصورات عن المواطن فإن كل

---

(١) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ج ٧ ص ٦٤٣ . (مرجع سابق)

(٢) ابن جماعة ، تذكرة السامع والمتكلم ، ص ٦٥ . (مرجع سابق)

ذلك لا يمكن أن يحقق نفسه ، ولا نستطيع أن نترجمه إلى مواقف موضوعية ، وعلاقات وتفاعلات ، وخصائص سلوكية إلا عن طريق المعلم)) [١] .

أهم خصائص المعلم الجيد :

يبرز السعدي صفات المعلم الجيد بأنه الذي يمتاز بما يلي :

[أ] **النية الصحيحة** ، وحسن المقصد في التعليم : فالمعلم الجيد هو ذلك المعلم الذي يعتني بإصلاح سريرته بأن يجعل عمله خالصاً لوجه الله تعالى، وفي ذلك يقول السعدي : ((ينبغي ويتأكد على المعلم استعمال الإخلاص التام في تعليمه ، وأن لا يجعل تعليمه وسيلة لمعاوضة أحد في مال ، أو جاه ، أو نفع)) [٢] .

[ب] **إهتمامه بمراعاة الفروق الفردية بين تلاميذه** : فحيث أن هناك تفاوت كبير بين التلاميذ من حيث سرعة الفهم والإدراك ، وقوة الإستيعاب ، لهذا وجب على المعلم مراعاة ذلك الجانب ، فلا يكون تعليمه خاص بفئة الأذكياء وهم قلة دون متوسطي الذكاء ، وهم الفئة الأكثر دائماً، والسعدي يركز على وجوب العناية بذلك فيقول: ((وعلى المعلم أن ينظر إلى ذهن المتعلم وقوة استعداده أو ضعفه فلا يدعه يشتغل

---

(١) عفيفي ، محمد الهادي وآخر ، قراءات في التربية المعاصرة ، القاهرة : عالم الكتب، ١٩٧٣م ، ص ٧٠ .

(٢) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ج ٤ ص ٧٦ (مرجع سابق)

بكتاب لا يناسب حاله ، فإن هذا من عدم النصح ، فإن القليل الذي يفهمه ويعقله خير من الكثير الذي هو عرضة للنسيان وعدم الفهم))[١]، ويقول : ((وينبغي للمعلم أن يصبر على التعليم ، ويبذل جهده في تفهيم كل طالب ما يتحمله ذهنه ، ولا يشغله بكثرة القراءات ، أو بما لا يحمله ذهنه)) [٢] .

[ج] **بذل النصح التام لتلميذه** ، وتوجيهه لكل ما ينفعه في الدنيا والآخرة واعتبار ذلك النصح من تمام الإيمان ، وفي أهمية ذلك يقول السعدي : ((وعلى المعلم النصح للمتعلم بكل ما يقدر عليه ، من التعليم والصبر على عدم إدراكه ، وعلى عدم أدبه ، وجفائه مع شدة حرصه ، وملاحظته لكل ما يقومه ويهذبه ويحسن أدبه))[٣]، فهذا مقام المعلم الجيد من تلميذه : تمام النصح ، ودوام الملاحظة له ، والصبر على ضعف إدراكه للعلوم ، ومتى ما كان المعلم بهذه الصفة من النصح ، فإنه سيخرج على يديه التلاميذ النابهين الحاملين لعلمه وبثه بين الناس من بعده .

[د] **حسن الطريقة في التعليم** : فالمعلم الجيد الناجح هو الذي يسلك مع تلاميذه الطريقة المناسبة في تعليمهم ، ويوضح السعدي ذلك بقوله : ((وينبغي سلوك الطريق النافع عند البحث تعلماً وتعليماً ، فإذا شرع المعلم في مسألة وضحها وأوصلها إلى أفهام المتعلمين بكل ما يقدر عليه

---

(١) السعدي ، الفتاوى السعدية ، الكاملة / الفتاوى ، ص ٤٥٠ . (مرجع سابق)

(٢) السعدي ، (المرجع السابق) ، ص٧٣.

(٣) السعدي ، الفتاوى السعدية ، الكاملة / الفتاوى ، ص ٤٥٠ (مرجع سابق)

من التعبير ، وضرب الأمثال ، والتصوير ، والتحرير ، ثم لا ينتقل منها إلى غيرها قبل تفهيمها للمتعلمين ، ولا يدع المتعلمين يخرجون من الموضوع الذي لم يتم تعليمه وتقريره إلى موضوع آخر حتى يحكموه ويفهموه ، فإن الخروج من الموضوع إلى غيره قبل الإنتهاء منه يحرم الفائدة)) [١] ، إن هذه الصفات التي ذكرها السعدي في جانب المعلم الناجح ، نابعة من واقع التجربة التي كابدها السعدي طيلة حياته حتى في زمن الطلب فإنه كان يتعلم من شيوخه ثم يجلس يعلم زملاءه ، وهكذا صاغ السعدي خلاصة تجاربه في الطريقة المثالية في التعليم والتفهيم للتلاميذ ، بهذه العبارات والتوصيات التي تجعل المعلم ناجحاً في تعليمه ، لأن ((المعلم الناجح ينبغي أن يتصف بإجادته لمادة تخصصه ، وأن يلم بطبيعتها من حيث محتواها وما تشتمل عليه من تفاصيل وفروع ، وأن يكون مستوعباً لها ، متفهماً لأصولها واعياً بتطورها ، ملماً بالجديد منها))[٢].

٤ - حرص التلميذ ورغبته في العلم :

التلميذ أهم أركان العملية التعليمية ، وقيام التعليم إنما هو لأجله ، ولذا وجب عليه أن يشمر عن ساعد الجد ، وألا يدخر وسعاً في طلب العلم وتحصيله ، وأن يتيقن بأن من جد وجد ، ومن استراح راح ، وبقدر قوة رغبته في العلم وتحصيله ، سيجني الثمرات ، ولتحصيل العلم يجب على

---

(١) السعدي ، (المرجع السابق) ، ص ٤٥٤ .

(٢) عرفات عبد العزيز سليمان ، المعلم والتربية ، ص ١١٩ . (مرجع سابق)

التلميذ التحلي بالخصائص التالية :

أ – التادب وحسن الإصغاء لأستاذه :

فالتلميذ الحريص هو الذي يحضر مع أستاذه ((متأدباً ، ويظهر غاية حاجته إلى علمه ، ويدعو له حاضراً وغائباً ، وإذا اتحفه بفائدة أو توضيح لمشكل ، فلا يظهر أنه قد عرفه قبله ، وإن كان عارفاً له ، بل يصغي إليه إصغاء المتطلب بشره إلى الفائدة))[1] ، وبمثل هذا التوجيه قال برهان الدين الزرنوجي (... – ٥٩١ هـ) فيقول : ((إعلم أن طالب العلم لا ينال العلم ، ولا ينتفع به ، إلا بتعظيم العلم وأهله ، وتعظيم الأستاذ وتوقيره))[2] .

[ب] بذل الجهد في التعلم بحسن فهمه :

فالتلميذ النابه هو الذي يستفرغ وسعه في طلب العلم والسعدي يوجه إلى ضرورة ذلك فيقول : ((إعلم أنه يتعين على طالب العلم أن يسعى بجهده لتحصيل ما يحتاجه من الفهم ، وتشتد إليه ضرورته))[3] ، فالسعدي يشترط على الطالب قوة الفهم لا كثرته ، فإذا فهم الطالب عن أستاذه ما يقول فإنه بذلك يستفيد من العلم الذي تعلمه .

---

(١) السعدي ، الفتاوى السعدية ، الكاملة / الفتاوى ، ص ٤٥١،٤٥٢ (مرجع سابق)

(٢) الزرنوجي ، برهان الإسلام ، تعليم المتعلم طريق التعليم ، تحقيق مروان قباني ، بيروت : المكتب الإسلامي ، ط ١ ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ، ص ٧٨ .

(٣) السعدي ، المختارات الجليلة من المسائل الفقهية ، الكاملة / الفقه ، ج ٢ ص ٨٩ (مرجع سابق)

[ج] حسن الترتيب والتنظيم لمواد الدراسة :

إن تنظيم المادة الدراسية مما يفيد في عملية التعليم ، بحيث أن التلميذ يبدأ بالأهم من العلوم ثم ينتقل بعده إلى المهم وهكذا ((إعلم أنه يتعين على طالب العلم أن ... مبتدئا بالاهم فالأهم قاصداً بذلك وجه الله تعالى)) [١] ، وقال السعدي : ((ثم بعد هذا يتعين البداءة بالأهم فالأهم من العلوم الشرعية ، وما يعين عليها من علوم العربية)) [٢] .

وعند كلامه على المواد الدراسية المقررة في المدارس قال : ((ويختار لها من فنون العلم الأهم فالأهم من العلوم النافعة الدينية ، والدنيوية المؤيدة للدين)) [٣] وهكذا نرى السعدي يلفت نظر التلميذ إلى وجوب الإهتمام بعلوم المقاصد أكثر من علوم الوسائل ، والتفريق بين المقاصد والوسائل إنما يُبنى على الأهداف من التعليم ، فمن الأهداف تُعرف المقاصد من الوسائل .

[د] حسن السؤال للأستاذ :

أيضاً مما يعين التلميذ على حسن التعلم من أستاذه أن يحسن سؤاله ويتلطف في ذلك حتى تدوم العلاقة الصافية بين التلميذ وأستاذه وفي ذلك يقول السعدي : ((وينبغي أيضاً للمتعلم ان يلطف بالسؤال ويرفق

(١) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج ٢ ص ٨٩ .

(٢) السعدي ، الفتاوى السعدية ، الكاملة / الفتاوى ، ص ٤٤٩ . (مرجع سابق)

(٣) السعدي ، وجوب التعاون بين المسلمين ، الكاملة / الثقافة ، ج١ ص ٢٠٠ (مرجع سابق)

بمعلمه، ولا يساله في حالة ضجر أو ملل أو غضب ، لئلا يتصور خلاف الحق مع تشوش الذهن)) (١) .

[هـ] بذل الجهد في حفظ أصول المسائل وحسن تصورها :

يؤكد السعدي على ضرورة إهتمام التلميذ بحفظ رؤوس المسائل العلمية المهمة ، وأن يترسخ ذلك الحفظ بمذاكرته وكثرة مراجعته ، فبهذا يحصل على علم غزير كما يقول السعدي : ((وكذلك ينبغي للمتعلم إذا دخل في فن من فنون العلم ، أن ينظر إلى كل باب من أبواب العلم ، فيحفظ منه الأشياء المهمة ، وبحوثه النافعة ، فيحققها ويتصورها كما ينبغي ويحرص على مآخذها ، وما هي مبنية عليه ، فإنه لا يزال على هذه الحال حتى يحصل له خير كثير ، وعلم غزير)) (٢) .

وطريقة الحفظ في التعلم من أهم طرق التعلم عند علماء المسلمين السابقين حيث ركزوا على الإهتمام بالحفظ أولاً ، فمن ذلك الإمام الشعبي (٢١هـ - ...) : ((ماكتبت على سوداء في بيضاء قط ، ولا استعدت حديثاً من إنسان مرتين)) (٣) ، والحفظ هبة من ا لله تنمو بالفهم والقدرة على الإستيعاب ، وكثرة المذاكرة للعلم .

---

(١) السعدي ، الفتاوى السعدية ، الكاملة / الفتاوى ، ص٧٥ . (مرجع سابق)

(٢) السعدي ، (المرجع السابق) ، ص٧٥ .

(٣) القرطبي ، أبو عمر يوسف بن عبد البر ، جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، بيروت : مؤسسة الكتب الثقافية ، ط ١ ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م ، ج ١ ص ٨٢ .

٥ – المنهج المناسب :

تتكامل أركان العملية التعليمية الثلاث (المعلم ، التلميذ ، المنهج) في القيام بالتعليم بنشاط وفاعلية ، فلكل مهمته المناطة به ، وللمنهج المقرر دوره الفاعل ، ومكانته المهمة في عملية التعليم ، لذلك جاءت عناية المعلم بالمنهج المقرر ، لأجل تعليم التلميذ كي تتحقق الغاية من التعليم ، والسعدي يوضح أهم الجوانب المتعلقة بالمنهج بما يلي :

أ – وجوب تقديم المقاصد على الوسائل :

فالعلوم في نظر السعدي تنقسم إلى نوعين : (علوم المقاصد ، وعلوم الوسائل) [١] ، فهو يحث الطالب على الإهتمام بعلوم المقاصد وتقديمها على علوم الوسائل فيقول : ((ثم بعد هذا يتعين البداءة بالأهم فالأهم من العلوم الشرعية ، وما يعين عليها من علوم العربية)) [٢] ، ويؤكد السعدي علىأهمية العناية بعلوم المقاصد فيقول : ((ويختار لها – يعني المدارس –من فنون العلم الأهم فالأهم من العلوم النافعة الدينية والدنيوية المؤيدة للدين وأن تكون العلوم الدينية هي الأصل والأساس الأقوم ، ويكون غيرها تبعاً لها ووسيلة إليها)) [٣] .

---

(١) السعدي ، تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن ، الكاملة / التفسير ، ج٨ ص ٤٣٦ . (مرجع سابق)

(٢) السعدي ، الفتاوى السعدية ، الكاملة / الفتاوى ، ص ٤٤٩ . (مرجع سابق)

(٣) السعدي ، وجوب التعاون بين المسلمين ، الكاملة / الثقافة ، ج١ ص ٢٠٠ (مرجع سابق)

ويؤكد ابن خلدون على وجوب العناية بعلوم المقاصد وتفريع الكلام فيها ، بخلاف علوم الوسائل (علوم الآلة) فالواجب الإقتصار فيها على ما يفيد المقاصد ، لأن ((المتعلمين اهتمامهم بالعلوم المقصودة أكثر من اهتمامهم بوسائلهافإذا قطعوا العمر في تحصيل الوسائل فمتى يظفرون بالمقاصد)) (1) . وبالنظر لواقع العملية التعليمية في عصرنا ، نجد أن علوم الوسائل حظيت بالإهتمام الأكبر من قبل المعلمين والمتعلمين ، والموجهين، بينما علوم المقاصد التي تحقق أهداف التربية والتعليم في الإسلام ، فإنها مهملة لا عناية فيها ، بل قد تصل درجة إهمالها إلى عدم احتسابها في مواد الاختبار التي على ضوئها يتم نجاح الطالب أو رسوبه ، ونظراً لهذا العكس في موازين المناهج في التعليم ، بحيث حلت علوم الوسائل محل علوم المقاصد من حيث الجهد والعناية ، نجد أن السعدي ينتقد حالة التعليم في المدارس المعاصرة له بقوله : ((فإن كثيراً من المدارس الآن التعليم فيها قاصر جداً ، لا يعتنى فيه بأخلاق التلاميذ ، ويكون تعليم الدين فيها ضعيفاً ، ويكون الغرض منها المادة ، وأن يخرج منها تلاميذ يصلحون للوظائف الدنيوية المادية البحتة ، وهذا ضرره كبير ، وسبب للضعف والإنحلال)) (2) .

ب – أهمية الحفظ أو التصور للكتاب المقرر :

يؤكد السعدي على أهمية وضرورة الحفظ للتلميذ ، وذلك بأن يحاول

---

(١) ابن خلدون ، المقدمة ، ج١ ص ٧٣٩ . (مرجع سابق)

(٢) السعدي ، وجوب التعاون بين المسلمين ، الكاملة / الثقافة ، ج١ ص ٢٠٠ . (مرجع سابق)

حفظ متن الكتاب الذي يتعلمه ، فإن لم يستطع حفظه فلا أقل من التصور العام لأبوابه وفصوله ومسائله فيقول : ((والحالة التقريبية في نظرنا هذا أن يجتهد طالب العلم في حفظ مختصرات الفن الذي يشتغل به فإن تعذر أو قصر عليه حفظه لفظاً ، فليكرره كثيراً حتى ترسخ معانيه في قلبه ، ثم تكون باقي كتب الفن كالتوضيح والتفسير لذلك الأصل الذي أدركه وعرفه)) [١]. فالسعدي يؤكد على أهمية الحفظ لمختصر من مختصرات المنهج الذي سيتعلمه ، ثم يوضح السعدي المناهج العلمية الواجب تدريسها في المدارس النظامية من أجل استصلاح التعليم فيقول ما معناه : يجب تقديم الأهم فالأهم ، ويشترط تقديم العلوم الدينية في الفقه والحديث والعقيدة ونحوها على سواها من العلوم المساعدة ، وأن تكون العلوم الأخرى تابعة للعلوم الدينية ووسيلة إليها ، وبهذا المنهج يتخرج التلاميذ صالحين لأمتهم .

ج – حسن اختيار الكتاب :

الكتاب المقرر على التلميذ على ضوئه ستتحدد حصيلة التلميذ العلمية، لهذا ركز السعدي على وجوب حسن اختيار الكتاب الملائم للتلميذ ، وأنه الذي يمتاز بالحسن والوضوح وكثرة الفائدة فيقول : ((وينبغي أن ينتقي من مصنفات الفن الذي يشتغل فيه أحسنها وأوضحها وأكثرها فائدة)) [٢] .

---

(١) السعدي ، الفتاوى السعدية ، الكاملة / الفتاوى ، ص ٢٦ . (مرجع سابق)

(٢) السعدي ، (المرجع السابق) ، ص ٤٤٩ .

فالكتاب يجب أن يكون حسناً في صياغته العلمية ويكون واضحاً في محتواه العلمي ، ويكون ذا فائدة كثيرة سواء كانت الفائدة دينية أم دنيوية، المهم تقييدها بالنفع للتلميذ .

وأشار السعدي إلى ضرورة إشتغال التلميذ بالكتاب المناسب لذهنه ، واستعداده ، فوجه المعلم إلى ضرورة مراعاة مناسبة الكتاب لذهن التلميذ فقال : ((فلا يدعه يشتغل بكتاب لا يناسب حاله ، فإن هذا من عدم النصح ، فإن القليل الذي يفهمه ويعقله خير من الكثير الذي هو عرضة لعدم الفهم والنسيان)) [1] ، فالكتاب يجب أن يخضع لمستوى التلميذ الذهني ، وأن لا تتراكم المقررات عليه وتتداخل فينسى آخرها أولها إذا كانت مختلفة .

٦ – إثارة دافعية التلاميذ للتعلم :

يولي السعدي جانب (رغبة التلميذ) في التعلم أهمية خاصة ، وهذه الرغبة في التعلم هي المعبر عنها حالياً بـ (الدافعية) ، فالطريقة الجيدة في التعليم هي التي تخضع لرغبة التلاميذ وتأهبهم للتعليم ، وقد أكد السعدي على ضرورة هذه الدافعية من أجل نجاح عملية التعليم ، وأنها إذا لم توجد لدى التلاميذ ، فالواجب إثارتها فيقول : ((وينبغي أن يرغب المتعلم بكل طريق ، وينشطه ولا يهمله بإشغاله بما يعسر على فهمه من أنواع العلم ومفرداته)) [2] ، ولأجل إثارة دافعية التلميذ تجاه التعلم ، نجد

---

(١) السعدي ، (المرجع السابق) ، ص ٤٥٠ .

(٢) السعدي ، الفتاوى السعدية ، الكاملة / الفتاوى ، ص٤٥١ . (مرجع سابق)

السعدي يلفت نظر المتعلم إلى أن مجرد الإشتغال بالعلوم النافعة يعتبر بحد ذاته مما يحبذ المتعلم على الإندفاع في سبيل التعلم ، يقول السعدي : ((إن مجرد اشتغاله بالعلوم النافعة ولو لم يحصل منها ويستفد شيئاً يذكر ، مصلحة وعبادة ، لأنه تصحبه النية الصالحة ، وإن لم يشتغل به إلا لنفع نفسه ونفع غيره ، فلا يزال ساعياً في هذا الأمر ، إذا لم يحصل له مراده أو بعضه في وقت ، حدَّث نفسه أنه سيحصله في وقت آخر إذا استمر على السعي والإجتهاد، فيقوى حينئذٍ رجاؤه وينشط في المسير طلبه))(١).

ولبيان أهمية إثارة الدافع عند التلاميذ يؤكد بدرالدين بن جماعة بأن على المعلم أن يرغب تلاميذه ((في العلم وطلبه في أكثر الأوقات بذكر ما أعد الله تعالى للعلماء من منازل الكرامات وأنهم ورثة الأنبياء ، وعلى منابر من نور يغبطهم الأنبياء والشهداء ونحو ذلك مما ورد في فضل العلم والعلماء من الآيات والآثار والأخبار والأشعار)) (٢) .

فإثارة دوافع المتعلم نحو التعلم أمر هام في العملية التعليمية وقد ثبت أن ((الإعتماد على الحوافز التي تثير نشاط المتعلم في بدء تعليمه أمر له قيمته، إذا كان قيامه بهذا النشاط الضروري يكسبه شيئاً يرغب فيه ، أو يجنبه شيئاً يكرهه)) (٣) .

---

(١) السعدي ، (المرجع السابق) ، ص ٤٦٤ .

(٢) ابن جماعة ، تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، ص٤٨ (مرجع سابق)

(٣) ريان ، فكري حسين ، التدريس أهدافه ، أسسه ، أساليبه ، تقويم نتائجه وتطبيقاته ، القاهرة : عالم الكتب ، ط ٢ ، ١٩٧١م ، ص ٧٩ .

ونظراً لعناية السعدي بالحوافز لإثارة الدافعية عند التلاميذ للتعلم نجد أنه كان يرصد الجوائز للطلاب المتقنين ، فهو ((يعمل المناظرات بين تلاميذه المحصلين لشحذ أفكارهم ، ويجعل الجعل لمن يحفظ بعض المتون ، وكل من حفظه أعطي الجعل ولا يحرم منه أحداً)) [١] .

وهكذا تتطابق أقوال السعدي النظرية بممارساته العملية في حياته التعليمية ، وهذا سر من أسرار نجاحه -رحمه الله- في تعليمه لتلاميذه وبروزهم العلمي في واقعنا المعاصر .

---

(١) الفقي ، سيرة العلامة السعدي ، ص ٢٠ (مرجع سابق)

المبحث الثالث : أساليب التعليم

المطلب الأول : من أساليب التعليم في زمن السعدي

عاصر السعدي في بلاده أسلوبين من أساليب التعليم المنتشرة في بلاد نجد ، وهما : الطريقة القديمة في التعليم ، والطريقة الحديثة في التعليم .

أولاً : الطريقة القديمة في التعليم

تنتشر في بلاد نجد طريقة التعليم المعتمدة على القراءة من الكتاب دون تعليق أو استنباط وبحث من قبل الشيخ ، وهذه الطريقة تسمى بطريقة " سم بركة " قال عنها القاضي : ((أما طريقة سم بركة فإنها على إسمها بركة مجلس ، وصاحبها لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى ، وهي الآن بطريقها للتلاشي)) (١) ، وقال عنها ايضاً : ((بخلاف سم بركة فإنها بركة مجلس كالمنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى)) (٢) ، وهذه الطريقة تقوم على قراءة كل طالب من كتاب معين على الشيخ وإذا انتهى من القراءة قال له الشيخ : (بركة) أي يكفيك ما قرأته ثم يبدأ طالب آخر من كتاب آخر، وهكذا حتى يقرأ جميع طلاب الشيخ من عدة كتب ، وتفتقد للشرح والبحث والإستنباط والمناقشة كما هي عليه الطريقة الحديثة الأخرى ، ولهذه الطريقة بعض المميزات التالية :

١- طريقة " سم بركة " تصلح للمعلم غير المتبحر في العلوم فلا يستطيع

---

(١) القاضي ، روضة الناظرين ، ج٢ ص٢٤١ . (مرجع سابق)

(٢) القاضي ، (المرجع السابق) ، ج١ ص٣٦٤ .

القيام بالبحث والنقاش مع تلاميذه ، بل إنه يكتفي بقراءة العلم للبركة فقط ، ولهذا نعتوها بقولهم : " سم بركة " .

٢- تتناسب هذه الطريقة مع الشيخ صاحب الأعمال غير المتفرغ للعلم وتعليمه ، فهو يربط نفسه بالعلم والتعليم ، ولو لم يبذل جهده في سبيل التفهيم والمناقشة والتحرير مع طلابه ، بل إنه يكتفي بأن يستمع لقراءة طلابه عليه للبركة والإتصال بكتب العلماء .

٣- هذه الطريقة تسمح باستعراض وقراءة كتب كثيرة في درس واحد وزمن واحد حسب عدد التلاميذ ، ولهذا فهي تفيد الشيخ وتلاميذه بتنوع سماع مؤلفات العلماء السابقين .

٤- تصلح هذه الطريقة للتلاميذ غير المتفرغين للعلم وطلبه كأصحاب المهن والأعمال الأخرى الذين يريدون اللحاق بركب التعليم ولكن تعيقهم أعمالهم عن ذلك ، فبهذه الطريقة يستطيعون الإلتحاق بدروس المشايخ ولو للبركة فقط .

٥- تفيد هذه الطريقة عموم التلاميذ في جودة القراءة وحسن الإلقاء ، خصوصاً إذا كان شيخهم يجيد اللغة فيصحح أخطاءهم اللغوية أثناء قراءتهم .

٦- لا يشترط في هذه الطريقة مستوى معين من التعليم ، وإنما الواجب أن يكون التلميذ حسن القراءة مستقيم اللسان والنطق .

٧- تفيد هذه الطريقة عامة الحضور من المستمعين الذين يتنقلون بأسماعهم من فن إلى فن آخر من فنون العلم ، ومن كتاب إلى آخر .

٨- الطالب صاحب الحافظة القوية هو الذي يستفيد من هذه الطريقة تعليماً نافعاً .

ثانياً الطريقة الحديثة في التعليم

هذه الطريقة تقوم على جمع الطلاب على كتاب معين ويقوم الشيخ بدور الشرح والنقاش والإستنباط والحوار مع طلابه وهذه الطريقة انتقلت إلى بلاد نجد من الحرمين الشريفين ، وقد سار عليها السعدي في تعليمه حيث اكتسبها من مشايخه الذين تعلموا في الحجاز ، ويوضحها القاضي بقوله : ((وطريقة الحجاز أحسن بكثير للطالب والمعلم يحصرهم على فنين أو ثلاثة في كل جلساته وكل فن يشترك فيه جميع الطلبة ، ولعمري إن هذه الطريقة هي طريقة التحصيل ومشى عليها بعنيزة الجد صالح القاضي والوالد عثمان القاضي ، وشيخنا عبد الرحمن بن سعدي ومن بعدهم ، فالمدرس تنحصر مراجعته لها ، ولا تتشعب والطلاب يجتمعون على المراجعة قبل حضور مدرسهم ويتناقشون ويبحثون ويعقدون بينهم جلسات للمراجعة، ويناقشون المدرس أثناء الجلسة، ويهتم هو لذلك))[١]، وفي ترجمة القاضي للشيخ محمد بن عبد العزيز المانع قال عنه: ((وكان حسن التعليم جداً ، وتدريسه على طريقة الجد - يعني الشيخ صالح بن عثمان القاضي - وشيخنا عبد الرحمن - يعني السعدي - يجمع الطلبة على فنين ويطول تقريره والبحث والنقاش)) [٢] ويمتدح القاضي هذه الطريقة بعظم فائدتها للطلاب فيقول : ((ولعمري وا لله إن هذا هو الفائدة لمن أرادها فإن الطلبة يعقدون بينهم ندوات وبحثاً ونقاشاً ويحررون

---

(١) القاضي ، روضة الناظرين ، ج١ ص٣٦٤ . (مرجع سابق)

(٢) القاضي ، (المرجع السابق) ، ج٢ ص٢٩٧ .

المسائل ويراجعونها ، ويستشكلون مسائل يطلبون من مدرسهم حلها ، ثم هو يهتم لهذين الدرسين أو الثلاثة أو الأربعة إذا كانت حلقات في فنون ويأخذ بالحسبان ما يوجهونه عليه من إشكالات قد تحيره إذا لم يستعد للمطالعة والتفكير خصوصاً إذا كانوا أكفاء ولديهم مؤهلات ويخرج الطالب ماهرا في فنون عديدة)) [١]

والسعدي من خلال تعليمه نجد أنه اتبع هذه الطريقة حيث إنه ((كان يعقد المناظرات بين طلابه المحصلين لشحذ أفكارهم ، وصقل أذهانهم ، وتدريب السنتهم ، وتعويدهم إقامة الحجة والبرهان ، وكان في بعض الأحيان يقدم المكافآت لمن يحفظ منهم المتون)) [٢] ويصفه القاضي بأنه : ((كان يطرح المسائل على الطلبة ليختبر أذهانهم ويتعمد أحياناً تغليط نفسه أمام الحلقة ليرى من هو حاضر الذهن لتقريره ممن هو شارد الذهن، ولمعرفة النجيب الفطن من ضده)) [٣] ، ومما كان يمتاز به السعدي في تعليمه أنه كان ((يتشاور مع تلاميذه في اختيار الأنفع من كتب الدراسة، ويرجح ما عليه رغبة أكثرهم ومع التساوي يكون هو الحكم)) [٤] .

وطريقة التعليم التي سلكها السعدي اكتسبها من مشايخه الذين نقلوها عن مشايخ الحجاز والأزهر حيث كانت طريقة النقاش والحوار والبحث والمناظرة هي السائدة في حلق التعليم آنذاك ، وهذه الطريقة تتميز عن

---

(١) القاضي ، روضة الناظرين ، ج٢ ص١٣٧ . (مرجع سابق)
(٢) الفقي ، سيرة السعدي ، ص١٢ . (مرجع سابق)
(٣) القاضي ، روضة الناظرين ، ج١ص٢٢٤ . (مرجع سابق)
(٤) الفقي ، سيرة السعدي ، ص٢٠ . (مرجع سابق)

غيرها بما يلي :

١- يجمع الشيخ طلابه على كتاب معين مما يوحد وجهتهم العلمية وأذهانهم وأفكارهم في فن واحد ، وهذا يجعلهم يحسنون المتابعة لشيخهم والإنتباه لشرحه ونقاشه ، بخلاف الطريقة القديمة التي يقتصر فيها كل طالب على كتاب وفن معين لا يعير قراءة الآخرين أي انتباه ، فليس بينه وبين زملاءه أي صلة علمية عدا صلة الشيخ الذي يجتمعون عليه ، والمكان الذي يتعلمون فيه وهذا يبعث روح الملل والسأم لدى الطلاب .

٢- تعتمد هذه الطريقة على القراءة والشرح والنقاش والبحث ، مما يحفز الطالب على التحضير المسبق للدرس ، وكذلك فإن الشيخ يقوم بالإعداد والتحضير استعدادا للإجابة على تساؤلات طلابه وهذا مما يعطي الدرس الحيوية والنشاط والتفاعل الفاعل بين الشيخ وتلاميذه .

٣- بهذه الطريقة يتضح الطالب المجتهد الباحث ، من الخامل الكسول ، وبهذا التمايز بين الطلاب ينشأ عنصر التنافس بين الطلاب المؤدي لزيادة البحث والإطلاع مما يثري وقت الدرس بالعلم النافع .

٤- أن البحث والمناقشة بين الشيخ وطلابه مما يرسخ المادة العلمية في أذهانهم ، وتلك ثمرة كبرى من ثمرات التعليم يعقبها ثمرة العمل به لتثبيته .

٥- تمنح هذه الطريقة للشيخ المقدرة التامة على حسن الجمع بين الأقوال المتعارضة والترجيح بينها مما يقوي ملكة النقد العلمي لدى الشيخ وطلابه .

٦- هذه الطريقة تقوي لدى الشيخ وطلابه قوة الحجة وعمق الإستدلال حيث إنها تحتاج إلى جمع الأدلة والأقوال ثم الموازنة بينها ، والخروج بعد ذلك بالنتيجة النهائية .

٧- في هذه الطريقة شحذ لذهن الطالب وتقوية لاستعداده للدرس قبل الحضور إليه ، تحسباً للنقاش والحوار مع الشيخ .

٨- تحفز هذه الطريقة الطالب على كثرة القراءة وسعة الإطلاع طلباً لمعرفة الأقوال المتعارضة للموازنة بينها ومعرفة الراجح والمرجوح منها .

ونظراً لأهمية هذه الطريقة وتميزها ، فإن السعدي رحمه الله تعالى قد سلكها في تعليمه لطلابه ، فجاءت ثمار هذه الطريقة بعد توفيق الله تعالى أن تخرج على يديه الطلاب البارزين علمياً والذين يتسنمون أعلى المراكز العلمية في بلادنا حالياً ، وقد سبق بيان ذلك في مبحث " تلاميذه " من الفصل الثاني من هذا البحث .

المطلب الثاني : أساليب التعليم عند السعدي

سلك السعدي في تعليمه لطلابه أساليب تعليمية مختلفة ، كما أنه من خلال مؤلفاته وجه إلى أهمية بعض الأساليب التعليمية ، وفيما يلي أذكر أهم ما أشار إليه السعدي من أساليب للتعليم :

١- ضرورة التأصيل العلمي عند التلميذ بحفظه للأصول ثم التفريع على ذلك الحفظ بالقراءة والإطلاع على مؤلفات ذلك الفن من أجل أن تتكون وتتقوى الملكة العلمية للطالب فقال : ((يجتهد طالب العلم في حفظ مختصر من مختصرات الفن الذي يشتغل فيه ، فإن تعذر أو تعسر

عليه حفظه لفظاً ، فليكرره كثيراً ، متدبراً لمعانيه ، حتى ترسخ معانيه في قلبه ، ثم تكون باقي كتب هذا الفن كالتفسير والتوضيح والتفريع لذلك الأصل الذي عرفه وأدركه ، فإن الإنسان إذا حفظ الأصول وصار له ملكة تامة في معرفتها هانت عليه كتب الفن كلها صغارها وكبارها ومن ضيع الأصول حرم الوصول)) [١] ، ولأهمية الحفظ عند السعدي نجد أنه يحث المعلمين على تعاهد محفوظات التلاميذ فيقول : ((وينبغي تعاهد محفوظات المتعلمين ومعلوماتهم بالإعادة والإمتحان والحث على المذاكرة والمراجعة وتكرار الدرس ، فإن التعلم بمنزلة الغرس للأشجار ، والدرس والمذاكرة والإعادة بمنزلة السقي لها ، وإزالة الأشياء الضارة عنها ، لتنمو وتزداد على الدوام)) [٢] ، وهكذا يبدي السعدي اهتمامه بالحفظ للطلاب كوسيلة من وسائل التعليم ، والتي نفتقدها كثيراً في التعليم المعاصر مما أدى لضعف مستويات التلاميذ العلمية .

٢- إثارة دافعية المتعلم نحو التعلم : وذلك بحثه عليه ، وتحبيبه له ورصد الجوائز التشجيعية لذلك فمن ((الحكمة أن ترمق المتعلم وتقوي رغبته في التعلم بكل طريق ، فإن قوة الرغبة تزيد في الحفظ والفهم ، وكلما كانت رغبة طالب العلم فيه أقوى كان محصوله أكثر وأتم)) [٣] ، وكذلك على المعلم ((أن يرغب المتعلم بكل طريق ، وينشطه ولا يمله باشغاله بما يعسر

---

(١) السعدي ، بهجة قلوب الأبرار ، الكاملة / الحديث ، ص٢٧ (مرجع سابق)

(٢) السعدي ، الفتاوى السعدية ، الكاملة / الفتاوى ، ص٤٥٤ (مرجع سابق)

(٣) السعدي ، الرياض الناضرة ، الكاملة / الثقافة ، ج١ ص٤٣١(مرجع سابق)

عليه فهمه من أنواع العلم ومفرادته)) [١] ، ومما يحبب المتعلم بالعلم ، أن المعلم ((ينشطه على الدوام ويكثر من سؤاله وامتحانه ، ويمرنه على المباحثة وتصوير المسائل)) [٢] ، وإن مما يشجع التلميذ في نظر السعدي أن يرصد المعلم الجوائز لتلاميذه النابهين لترغيبهم في العلم وزيادة تحصيله وفي ذلك يقول السعدي في جواز أخذ العوض على المغالبات : ((واختار الشيخ تقي الدين أنه لا يحتاج إلى محلل وأنه يلحق بهذه الثلاثة - السهام، الإبل ، الخيل - ما كان في معناها مما يقوي على طاعة ا لله والجهاد في سبيله والمراهنة في المسائل العلمية لأن الحكمة المبيحة لأخذ العوض في الثلاثة السابقة موجودة فيما كان في معناها وهو الراجح دليلاً)) [٣] ، وقد كان السعدي يرصد الجوائز لتلاميذه تشجيعاً لهم على الحفظ حيث إنه ((كان في بعض الأحيان يقدم المكافآت لمن يحفظ منهم المتون تشجيعاً لهم ولسواهم من زملائهم ، وكل من ثبت حفظه منهم لديه سلمه المكافأة المقررة)) [٤] ، وهكذا تتجلى في شخصية السعدي معالم التطبيق العملي لما يقول به من مبدأ نظري .

٣- أسلوب المناظرة : يعتبر أسلوب التعليم بالمناظرة من ((مميزات طرق التربية الإسلامية ، ولا ينكر أحد أثرها في شحذ الذهن ،وتقوية الحجة ،

---

(١) السعدي ، الفتاوى السعدية ، الكاملة / الفتاوى ، ص٤٥١ (مرجع سابق)
(٢) السعدي ، الفتاوى السعدية ، الكاملة / الفتاوى ، ص٧٣ (مرجع سابق)
(٣) السعدي ، الإرشاد إلى معرفة الأحكام ، الكاملة / الفقه ، ج٢ ص٥١٨ . (مرجع سابق)
(٤) الفقي ، سيرة السعدي ، ص١٢ . (مرجع سابق)

والتمرن على سرعة التعبير ، والتفوق على الأقران ، وتعويد المتناظرين الثقة بالنفس ، والقدرة على الارتجال ، ولهذه الأسباب عني بها المسلمون عناية كبيرة ، وعدوها طريقة من طرق التعليم)) [١] ، ولأهمية المناظرة كأسلوب من أساليب التعليم فإن السعدي قد ألف رسالة في المناظرات الفقهية ، بحيث يأتي بالمسائل الفقهية التي اشتهر الخلاف فيها ، فيورد أقوال كل فريق بصورة مناظرة بين المستعين با لله والمتوكل على ا لله ، ثم بين الفائدة من سلوكه أسلوب المناظرة ذلك فقال : ((لأن في جعلها على هذه الصورة - المناظرة - فوائد كثيرة منها : تيسير مأخذ القولين ووجودهما في محل واحد ، وذلك من مقربات العلم .

ومنها : التمرن على المناظرة والمباحثة ، التي هي من أكبر الوسائل لإدراك العلم وثبوته وتنوعه .

ومنها : التمرن على الإستدلال والرجوع إلى أصول المسائل ليصير للعبد ملكة تامة يحسن معها الإستدلال والمناظرة والنظر .

ومنها : أن يعود الإنسان نفسه سرعة قبول الحق إذا اتضح له صوابه وبان له رجحانه)) [٢] .

ويوضح السعدي فوائد المناظرة في مجال التعليم فيقول : ((ومما يعين على هذا المطلوب أن يفتح المعلم للمتعلمين باب المناظرة في المسائل

---

(١) الأبراشي ، التربية الإسلامية وفلاسفتها ، ص١٩١ . (مرجع سابق)

(٢) السعدي ، المناظرات الفقهية ، الكاملة / الفقه ، ج٢ ص١٩٤- ١٩٥ . (مرجع سابق)

والاحتجاج ، وأن يكون القصد واحداً ، وهو اتباع ما رجحته الأدلة ، فإنه إذا جعل هذا الأمر نصب عينيه وأعينهم ؛ تنورت الأفكار ، وعرفت المآخذ والبراهين ، واتبعت الحقائق)) [١] .

فأسلوب المناظرة مما يشجع التلاميذ على التحصيل العلمي وسرعة استحضار الأدلة ، والقدرة التامة على رد أدلة الخصوم لبطلانها أو ضعفها، أو الأخذ بها إذا تبين رجحانها .

٤- التعليم بإدامة التفكير والاعتبار والتأمل : فإن ذلك مما يقوي ذاكرة المتعلم ويزيد في فهمه لأن ((البصيرة وانطلاق الفكر ، وارتقاء النظر إنما هو بالتفكير والتأمل بمآخذ الأقوال وبراهينها)) [٢] .

كما أن إعمال الفكر في صفحة الكون المرئية ، وتلمس مواطن العبر والعظات فيها مما يزيد في علم الإنسان، وقد أمر الله بذلك في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ(١٩٠)الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ « سورة آل عمران ، آية ١٩٠ - ١٩١ » وقوله سبحانه: ﴿ إِنَّ فِي اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴾ « سورة يونس ، آية ٦ » .

قال السعدي : ((في هذه الآيات الحث والترغيب على التفكير في

(١) السعدي ، الفتاوى السعدية ، الكاملة / الفتاوى ، ص٤٥٣ (مرجع سابق)
(٢) السعدي ، المناظرات الفقهية ، الكاملة / الفقه ، ج٢ ص٢٠٨ (مرجع سابق)

مخلوقات الله والنظر فيها بعين الاعتبار ، فإن بذلك تنفسح البصيرة ، ويزداد الإيمان والعقل ، وتقوى القريحة ، وفي إهمال ذلك تهاون بما أمر الله به ، وإغلاق لزيادة الإيمان ، وجمود للذهن والقريحة)) [١] .

ولأهمية ذلك الأسلوب في التعليم يقول السعدي : ((قد أمر الله في كتابه بالتفكر والتدبر والنظر والتبصر ، وغيرها من الطرق التي تنال بها العلوم ، وأثنى على أهلها ، وأخبر أن كتابه أنزل لهذه الحكم)) [٢] .

٥- تعليل الأقوال بعد التدليل عليها ليقتنع المتعلم بأهمية وصحة ما يتعلم ، ويشير السعدي لذلك بقوله : ((ينبغي للواعظ والمعلم ونحوهما ممن يتكلم في مسائل العلم الشرعي ، أن يقرن بالحكم بيان مأخذه ووجهه، ولا يلقيه مجرداً عن الدليل والتعليل)) [٣] .

٦- ربط المسائل العلمية بالأصول والضوابط العلمية وتنزيلها على الأحداث الواقعية حتى يثبت ذلك العلم ، وإلى ذلك أشار السعدي بأن على المعلم أن يمرن الطالب ((على المباحثة وتصور المسائل ، وبيان حكمتها ومآخذها ، ومن أي الأصول الشرعية أخذت ، فإن معرفة الأصول والضوابط ، واعتبارها بالمسائل والصور من أنفع طرق التعليم ،

---

(١) السعدي ، التفسير ، الكاملة / التفسير ، ج٥ ص٤٤٤ . (مرجع سابق)

(٢) السعدي ، تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن ، الكاملة / التفسير ، ج٨ ص٤٦٩ . (مرجع سابق)

(٣) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، الكاملة / التفسير ، ج٥ ص٤٤٤ . (مرجع سابق)

وكلما ذاق طالب العلم لذة فهمه وحسن مأخذه ، ازدادت رغبته ، وقويَ فهمه)) [١] .

وكم هو بحاجة طالب اليوم لتمثل هذه الوسيلة من وسائل التعليم ، بحيث يستطيع أن ينزل علمه النظري على واقعه العملي ، وبهذا يوظف علمه في حياته اليومية ، وما العلم إلا من أجل العمل به .

٧- **أسلوب التعليم بضرب الأمثال** : وقد جاء استخدام ذلك الأسلوب كثيراً في القرآن الكريم ، بل إن ضرب الأمثال في القرآن ((إنما هي للأمور الكبار ، والمطالب العالية ، والمسائل الجليلة)) [٢] ، ومن الأمثال في القرآن قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ «سورة العنكبوت، الآية ٤١» وقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ(٢٤)تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ « سورة إبراهيم ، الآيتان ٢٤، ٢٥ » ، وقال السعدي في أهمية ضرب الأمثال كأسلوب من أساليب التعليم : ((فإن في ضرب الأمثال ، تقريباً للمعاني المعقولة ، من الأمثال المحسوسة ، ويتبين

---

(١) السعدي ، الفتاوى السعدية ، الكاملة / الفتاوى ، ص٧٣ (مرجع سابق)

(٢) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، الكاملة / التفسير ، ج٦ ص٨٩ . (مرجع سابق)

المعنى الذي أراده الله ، غاية البيان ، ويتضح غاية الوضوح ، وهذا من رحمته ، وحسن تعليمه فللّه أتم الحمد وأكمله وأعمه)) [1] ، فالتعليم بالأمثال لتقريب الأمور المعقولة المحسوسة، وذلك بأن ينتقل المعلم من المحسوس إلى المعقول حتى يسهل على المتعلمين الإدراك والفهم فهذا مايقصده علماء التربية بالإنتقال بالتعليم من المحسوس إلى المعقول .[2] ، وبين السعدي بأن ذلك الأسلوب من أساليب التعليم عمل به العلماء باعتبار أنه ((من طرق التعليم العالي ، ولهذا ضرب الله الأمثال في كتابه للأمور المهمة ، وكذلك النبي ﷺ قد ضرب الأمثال ليحصل البيان ويزول الإشكال)) [3] .

٨- **السؤال والجواب** : تعتبر وسيلة السؤال والجواب من وسائل التعليم الواردة في القرآن الكريم حيث ذكر الله تعالى سؤالات الصحابة للرسول ﷺ والإجابة عليها ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ﴾ « سورة البقرة ، آية ٢١٩ »، وقوله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ ﴾ « سورة البقرة ، آية ٢٢٢ » وقوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ ﴾ « سورة البقرة ، آية ١٨٩ » وقوله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ

---

(١) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، الكاملة / التفسير ، ج٤ ص١٣٩ . (مرجع سابق)

(٢) الإبراشي ، التربية الإسلامية ، ص ١٧٨ (مرجع سابق)

(٣) السعدي ، توضيح الكافية الشافية ، الكاملة / العقيدة ، ص٢٩٣ (مرجع سابق)

عَنِ الْيَتَامَى ﴾ « سورة البقرة ، آية ٢٢٠ »، وقوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ ﴾ « سورة المائدة ، آية ٤ »، فالسؤال بقصد التعليم يعتبر من أساليب التعليم، وقد أشار السعدي إلى أهميته بقوله : ((وأما سؤال الإسترشاد والتعليم، فهذا محمود قد أمر الله به كما قال تعالى: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ « النحل ، آية ٤٣ » ، والسؤال يكون من جانب المعلم لتلميذه لاختباره ((وينبغي للمعلم أن يصبر على التعليم، ويبذل جهده في تفهيم كل طالب... ويكثر من سؤاله وامتحانه))[١] ، ويكون السؤال من جانب التلميذ بقصد التعلم ولكن لا بد من التلطف بسؤال معلمه ، ولا يسأله في حالة ضجر أو ملل أو غضب لئلا يتصور خلاف الحق مع تشوش الذهن))[٢] .

فالتعليم بالسؤال لا بد وأن يكون :

[أ] السؤال من التلميذ لمعلمه بلطف ووقار وهدوء .

[ب] أن يتحين التلميذ الوقت المناسب لسؤال معلمه .

[ج] أن السؤال يمتنع في الأوقات التي يشعر فيها المعلم بالملل أو الغضب من التعليم .

٩- **أسلوب التعليم العقلي** وذلك بأن يقوم المعلم بتعليم التلاميذ ما يتناسب مع عقولهم ، فإن ((تذكير الناس بما هو أقرب إلى عقولهم

---

(١) السعدي ، الفتاوى السعدية ، الكاملة / الفتاوى ، ص٧٣ (مرجع سابق)

(٢) السعدي ، (المرجع السابق) ، ص٧٥ .

وانسب لأحوالهم وأدخل في مداركهم وأنفع لهم من غيره أولى من التذكيرات بطرق أخرى وإن كانت حقاً ، لكن الحق يتفاوت ، والمذكر والمعلم إذا سلك هذا الطريق واجتهد في إيصال العلم والخير إلى الناس بالوسائل التي يفهمونها ، ولا ينفرون منها أو تكون أقرب لإقامة الحجة عليهم نفع وانتفع)) [(١)] ، وبهذا يمكن أن يقال بأن على المعلم عند تعليمه لتلاميذه مراعاة ما يلي :

[أ] أن يراعي الأقرب لعقول المتعلمين فيستخدمه في تعليمه .

[ب] أن يراعي الأنسب لحالة المتعلمين .

[ج] أن يهتم بإيراد العلوم والمعارف التي تدخل مدارك التلاميذ وأفهامهم .

[د] أن يكون المعلم على دراية تامة بأن أساليب التعليم تختلف باختلاف الأشخاص المتعلمين وباختلاف أحوال التعليم وباختلاف موضوعات التعليم .

١٠- عدم الإثقال على الطلاب بكثرة العلوم : فالمعلم يبدأ مع الطلاب بفن معين ، أو كتاب معين ، ولا ينتقل منه لآخر إلا بعد أن يتقنه الطلاب ((وعلى المعلم أن ينظر إلى ذهن المتعلم ، وقوة استعداده أو ضعفه فلايدعه يشتغل بكتاب لا يناسب حاله ، فإن هذا من عدم النصح ، فإن القليل الذي يفهمه ويعقله خير من الكثير الذي هو عرضة لعدم الفهم

---

(١) السعدي ، تيسير اللطيف المنان خلاصة تفسير القرآن ، الكاملة / التفسير ، ج٨ ص٣٣٨ . (مرجع سابق)

والنسيان)) [١] فهذا الأسلوب من أساليب التعليم يؤكد عليه السعدي هنا ، وقد عمل بمقتضاه مع تلاميذه حيث إنه ((كان يتشاور مع تلاميذه في اختيار الأنفع من كتب الدراسة)) [٢] ، وقال السعدي محذراً من الإكثار والتنويع في العلوم على التلاميذ : ((ومن الحكمة أن لا تلقي على المتعلم العلوم المتنوعة التي لا يتحملها ذهنه أو يُضيع بعضها بعضاً ، واتفق أهل المعرفة بطرق التعليم أن هذا ضار ومفوت للعلم وأن الطريق الأقرب أن يجعل للمتعلم من الدروس ما يسهل عليه حفظها وفهمها وعقلها والتفكر التام فيها)) [٣] ، فتحديد كتاب معين في فن معين وجمع فكر المتعلم عليه يعتبر ذلك من أساليب التعليم النافعة التي تجعل التلميذ لا ينتقل من الكتاب حتى يتقنه ، وبالنظر لواقع تعليمنا المعاصر ندرك مقدار الخلط الكبير في الفنون العلمية في سائر مراحل التعليم العام والجامعي والعالي ، ولهذا كانت الثمرة التي يحصل عليها التلميذ ضيئلة بل ضعيفة جداً فقصارى جهد الطالب هو أن يحفظ من الملخصات ما يمنحه النجاح في اختبار نهاية العام ، وأما قضية التحصيل العلمي الذي يكتنزه الطالب في ذاكرته فهذا قليل جداً إن لم يكن معدوماً بالكلية فا لله المستعان .

---

(١) السعدي ، الفتاوى السعدية ، الكاملة / الفتاوى ، ص٤٥٠ (مرجع سابق)

(٢) السعدي ، الرياض الناضرة - المقدمة - الكاملة / الثقافة ، ج١ ص٣٦٧ .
(مرجع سابق)

(٣) السعدي ، الرياض الناضرة ، الكاملة / الثقافة ، ج١ ص٤٣٠ (مرجع سابق)

المبحث الرابع : مقومات شخصية المعلم

المعلم هو ذلك العنصر المهم من عناصر العملية التعليمية التي تقوم على ثلاثة عناصر هي :

١- المعلم ٢- التلميذ ٣- المنهج

فكل عنصر من هذه العناصر الثلاث يكمل الاخر لتعطي في الأخير حركة تعليمية ناجحة .

والمعلم يقوم بدور المبلغ للإرث النبوي الشريف كما قال رسول ا لله ﷺ: ((**نضر ا لله امرءاً سمع منا شيئاً فبلغه كما سمعه ، فرب مبلغ أوعى من سامع**)) رواه الترمذي [١] ، فالمعلم يقوم بدور التنمية والتزكية للثروة البشرية في المجتمع، وبقدر ما تتحقق فيه ملامح المعلم الناجح تتحقق به الثروة العلمية الصافية للتلاميذ فـ (وظيفة التعليم أسمى وأعلى من أن تكون وظيفة رسمية ، أو مصدراً لكسب الرزق ، إنها إعداد للأجيال ، وبناء للأمة) [٢] .

ولقد أدرك العلامة السعدي رحمه ا لله تعالى قيمة المعلم ، وأنه عامل أساسي من عوامل نجاح العملية التعليمية ، فهو أحد عناصر التعليم المهمة

---

(١) الترمذي ، سنن الترمذي ، ج٥ ص٣٣ . (مرجع سابق)

(٢) الدويش ، محمد عبد ا لله ، المدرس ومهارات التوجيه ، الرياض : دار الوطن ، ط ٢ ، ١٤١٦هـ) ص١٣ .

فالتعليم لا يتم بدون معلم ، وإذا لم يتوفر المعلم الصالح في دينه وعلمه ، فإن عناصر التعليم الأخرى ستفقد فعاليتها ، لهذا ركز السعدي على ضرورة ((اختيار الأكفاء من المعلمين ، والأساتذة الصالحين ، الذين يتعلم التلاميذ من أخلاقهم الفاضلة ، قبل ما يتلقونه من معلوماتهم العالية)) [١] .

وتتجلى أهمية اختيار المعلمين الصالحين لأن ((أهل العلم بهم يعرف الحق من الباطل ، والحلال من الحرام ، فهم الوسائل بين ا لله وبين عباده ، ولهذا استشهد ا لله بهم على التوحيد في قوله : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ « سورة آل عمران ، آية ١٨ » ، واستشهد بهم على النبوة فقال : ﴿ أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ ءَايَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ «سورة الشعراء ، آية ١٩٧»، واستشهد بهم على القرآن فقال : ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ « سورة العنكبوت ، آية ٤٩ » .

فصلاح التعليم مرهون بصلاح المعلمين ، وحسن اختيارهم وإلى ضرورة حسن اختيار المعلم يقول ابن جماعة « ٦٣٩ - ٧٣٣ » : ((وينبغي للطالب أن يقدم النظر ويستخير ا لله فيمن يأخذ العلم عنه ، ويكتسب حسن الأخلاق والآداب منه ، وليكن إن أمكن ممن كملت

---

(١) السعدي ، وجوب التعاون بين المسلمين ، الكاملة / الثقافة ، ج١ ص٢٠٠ .
(مرجع سابق)

أهليته وتحققت شفقته ، وظهرت مروءته ، وعرفت عفته ، واشتهرت صيانته ، وكان أحسن تعليماً ، وأجود تفهيماً)) [١] ، وفيما يلي بيان لأهم مقومات شخصية المعلم كما يراها السعدي :

المطلب الأول : المقومات السلوكية

المعلم يقوم بدور الموجه للطلاب ، والمربي لهم بصغار العلم قبل كباره فالمعلم قدوتهم الأولى ، ولهذا حرص السعدي على أن يكون المعلم قدوة عليا في الأخلاق والسلوك لتلاميذه ، وإن مما ذكره السعدي من مقومات سلوكية يجب أن يتحلى بها المعلم مايلي :

١- وجوب الإخلاص لله تعالى في طلب العلم وتعليمه : فالإخلاص لله هو الشرط الأول لصحة العبادة كما قال تعالى : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ « سورة الكهف ، آية ١١٠ » ، والعلم عبادة لله تعالى ، لهذا اعتبر السعدي ذلك الشرط يجب على المعلم أن يتحلى به وجوباً عينياً فقال : ((يتعين على أهل العلم من المتعلمين والمعلمين أن يجعلوا أساس أمرهم الذي يبنون عليه حركاتهم وسكناتهم الإخلاص الكامل والتقرب إلى الله تعالى بهذه العبادة التي هي من أجل العبادات وأكملها وأنفعها)) [٢] ، وقال أيضاً : ((يتعين على

---

(١) ابن جماعة ، تذكرة السامع والمتكلم ، ص٥٨ . (مرجع سابق)

(٢) السعدي ، الفتاوى السعدية ، الكاملة / الفتاوى ، ص٤٤٩ (مرجع سابق)

المعلم والداعي إلى الله استعمال الإخلاص التام في تعلمه ودعوته)) [١] .

وإلى أهمية الإخلاص لله تعالى في طلب العلم وتعليمه أشار الإمام ابن عبد البر القرطبي « ٣٦٨-٤٦٣هـ » فعقد باباً في ((ذم الفاجر من العلماء ، وذم طلب العلم للمباهاة والدنيا)) [٢] ، وطلب العلم للمباهاة مما ينافي الإخلاص أشد المنافاة ، وأشار السبكي « ٧٢٧-٧٧١هـ » إلى ضرورة الإخلاص في طلب العلم وتعليمه فقال على العلماء : ((ألا يقصدوا بالعلم الرياء والمباهاة والسمعة ، ولا جعله سبيلاً إلى الدنيا))[٣].

ولا شك أن هذا المقوم المهم من مقومات شخصية المعلم بسببه تصلح وتزكو عبادة المعلم التعليمية ، وبفقده تذهب بركة علمه وفائدته ، فالمخلص في تعليمه يصبح متحرراً من كافة القيود البشرية ينعم بحرية الإيمان با لله فلا يخش أحداً إلا ا لله وبهذا الإخلاص تتحد وجهته العلمية والعملية في حياته طلباً لرضا ربه سبحانه ، فتطمئن نفسه ، وروحه مع ا لله وحده .

وكم هو تعليمنا المعاصر بحاجة ماسة لتمثل هذه المبادئ الإسلامية العالية في أشخاص المعلمين والمتعلمين .

٢- بذل النصح التام لتلاميذه :

فالمعلم عليه القيام ((بالنصح للمتعلم بكل ما يقدر عليه من التعليم

---

(١) السعدي ، تيسير اللطيف المنان خلاصة تفسير القرآن ، الكاملة / التفسير ، ج٨ ص٤١٦ . (مرجع سابق)

(٢) ابن عبد البر ، جامع بيان العلم وفضله ، ص٢٠٢ (مرجع سابق)

(٣) النحلاوي ، الإصلاح التربوي عند السبكي ، ص٥٥ (مرجع سابق)

والصبر على عدم إدراكه وعلى عدم أدبه ، وجفائه مع شدة حرصه وملاحظته لكل ما يقومه ويهذبه ويحسن أدبه))[١] ، فالمعلم الجيد الناصح لتلاميذه هو الذي يهيء لهم كافة الفرص المواتية للتعلم ، مما يتعلق بذات المعلم من البذل والصبر والحرص، وما يتعلق بذات المتعلم من تحمل جفائه، وترغيبه في العلم، وتيسير مآخذ العلم عليه، وبهذه الكفاءة من النصح من المعلم يستفيد التلميذ ولذلك كان ((المعلم مأموراً بحسن الخلق مع المتعلم، ومباشرته بالإكرام، والتحنن عليه، فإن في ذلك، معونة له على مقصده، وإكراماً لمن كان يسعى في نفع العباد والبلاد))[٢]، وهو التلميذ.

٣- العمل بمقتضى العلم :

فواجب المعلم أن يتمثل بعلمه ، ويعمل بمقتضاه حتى يدعو تلاميذه وغيرهم بفعله قبل قوله فيكون من ((العلماء العاملين المعلمين الذين يربون الناس بأحسن تربية ويسلكون معهم مسلك الأنبياء المشفقين))[٣]، فـ ((من أعظم ما يتعين على أهل العلم الإتصاف بما يدعو إليه العلم من الأخلاق والأعمال والتعليم))[٤] ، وللأهمية الشرعية لقيام المعلم بتمثل علمه في حياته ، فإن السعدي جعل الإمامة في الدين خاصة بالعلماء العاملين فقال : ((فإن العلم يرفع الله به صاحبه فوق العباد درجات ،

---

(١) السعدي ، الفتاوى السعدية ، الكاملة / الفتاوى ، ص٤٥٠ (مرجع سابق)

(٢) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، الكاملة / التفسير ، ج٧ص٦٤٣ . (مرجع سابق)

(٣) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج٢ ص٢٩٤ .

(٤) السعدي ، الفتاوى السعدية ، الكاملة / الفتاوى ، ص٤٥٣ (مرجع سابق)

خصوصاً العالم العامل المعلم ، فإنه يجعله الله إماماً للناس بحسب حاله ، ترمق أفعاله ، وتقتفي آثاره ، ويستضاء بنوره ، ويمشى بعلمه في ظلمة ديجوره)) [١] .

٤- ضرورة الشجاعة العلمية للمعلم :

يركز السعدي على وجوب بذل المعلم لعلمه للناس ولو خالف مراداتهم أو أنكر عليهم عاداتهم ، ((فإن الواجب على المعلم أن يكون همه الإجتهاد في العلم والتعليم ، ويعلم أن الله قد استحفظه بما أودعه من العلم ، واستشهده عليه وأن يكون خائفاً من ربه ولا يمنعه خوف الناس وخشيتهم من القيام بما هو لازم له ، ولا يؤثر الدنيا على الدين)) [٢] ، وهذه الشجاعة العلمية للمعلم تربي في نفوس تلاميذه ذلك المبدأ العظيم من تقديم رضا الله وتعليم العلم ونشره على كافة رغبات الناس وأراءهم.

٥- احتساب ثواب التعليم عند الله تعالى :

فالمعلم الذي ينتظر الأجر من الله على تعليمه سيدفعه ذلك للجد في التعليم ونشر علمه ، ويشير السعدي إلى أهمية استشعار ذلك الأمر كمقوم من مقومات شخصية المعلم الناجح فيقول : ((فالمعلم مأجور على نفس تعليمه ، سواء أفهم المتعلم أو لم يفهم ، فإذا فهم ما علمه

---

(١) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، الكاملة / التفسير ، ج٢ ص٤٢٧ . (مرجع سابق)

(٢) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، الكاملة / التفسير ، ج٢ ص٢٩٥ . (مرجع سابق)

وانتفع به بنفسه ، ونفع غيره ، كان أجراً جارياً للمعلم مادام ذلك النفع متسلسلاً متصلاً ، وهذه تجارة بمثلها يتنافس المتنافسون ، فعلى المعلم أن يسعى سعياً شديداً في إيجاد هذه التجارة وتنميتها ، فهي من عمله ، وآثار علمه)) [١] .

إن هذا التوجيه من السعدي رحمه الله ، يدرك قيمته وأهميته الإنسان إذا رأى ما لتلاميذ السعدي المعاصرين من دروس علمية قائمة حتى لحظة كتابة هذا البحث ، فتعليمهم من العمل الصالح الذي ثوابه يصل لشيخهم السعدي رحمه الله ، وبمثل هذا الربط العملي للتوجيهات العلمية تقوم العملية التعليمية وتؤتي ثمارها في حياة الناس .

٦- أهمية التواضع للحق والرجوع عن الخطأ :

بعض المعلمين إذا أخطأ فإنه يصعب عليه تخطئة نفسه ، والرجوع إلى الحق الصواب ، ولكن المعلم الرباني هو الذي يرجع عن خطأه ، ولهذا وجه السعدي المعلم بأن عليه ((إذا أخطأ أن يرجع إلى الحق ، ولا يمنعه قول قاله ثم رأى الصواب في خلافه من مراجعة الحق والرجوع إليه فإن هذا علامة الإنصاف والتواضع للحق والرجوع إليه فإن الراسخين في العلم ((من صفاتهم التي وصفهم الله بها أنهم يدورون مع الحق أينما كان ، ويطلبون الحقائق حيثما كانت)) [٢] .

وكم هي عزيزة تلك الخصيصة عند المعلمين في العصر الحاضر ، وما أقل

---

(١) السعدي ، الفتاوى السعدية ، الكاملة / الفتاوى ، ص٤٥٠(مرجع سابق)

(٢) السعدي ، المواهب الربانية ، الكاملة / الثقافة ، ج١ ص١١ (مرجع سابق)

من يُعرَّف بالحق فيرجع إليه بتواضع ولين جانب .

٧- أن يسعى المعلم في جمع كلمة أهل العلم :

ويحذر من الشتات والفرقة ، وهذا مما تقتضيه توجيهات دين الإسلام وآدابه ، ولأهمية ذلك في شخصية المعلم أفاد السعدي بأن ((من أهم ما يتعين على أهل العلم معلمين أو متعلمين ، السعي في جمع كلمتهم وتأليف القلوب على ذلك وحسم أسباب الشر والعداوة والبغضاء بينهم)) [1] ، ولهذا المقوم فوائد من أهمها :

[أ] تحقيق عبودية الله بالتعاون على البر والتقوى والإجتماع على ذلك قال تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ « سورة المائدة ، آية ٢ » .

[ب] هذا السعي والإجتماع بين العلماء دليل إخلاصهم لله في علمهم وتعليمهم ، فالإخلاص يقتضي التعاون والإجتماع على الخير كما أن التباهي والتفاخر يقتضي التباغض والتنازع بين أهل العلم .

[ج] كل ما اتفق العلماء بينهم وتوحدت نظرتهم اتسعت دائرة التعليم واصبح التلاميذ يتنقلون من عالم إلى آخر ، دون أي نزاع أو فرقة أو تعصب .

٨- البعد عن المعاصي والمنكرات :

فالمعلمين قدوة المتعلمين فالواجب على المعلمين ((القيام بالواجبات

---

(١) السعدي ، الفتاوى السعدية ، الكاملة / الفتاوى ، ص٤٥٥ (مرجع سابق)

الظاهرة والباطنة ، وترك المحرمات لما تميزوا به من العلم والمعارف التي لم تحصل لغيرهم ، ولأنهم قدوة الناس ، والناس مجبولون على الإقتداء بعلمائهم شاؤوا أم أبوا في كثير من أمورهم ، ولأنهم يتطرق إليهم من الإعتراض والقوادح عندما يتركون ما يدعو إليه العلم أعظم مما يتطرق إلى غيرهم)) [١] وبنحو توجيه السعدي هذا ، يقول ابن تيمية : ((ولهذا جبل الله قلوب الأمة على أنها تستعظم جبن الجندي وفشله ، وتركه للجهاد ومعاونته للعدو أكثر مما تستعظمه من غيره ، وتستعظم إظهار العالم الفسوق ، والبدع ، أكثر مما تستعظم ذلك من غيره)) [٢] .

٩- أهمية التفرغ العلمي للمعلم :

يوجه السعدي إلى أن العالم والمتعلم يجب أن يكون العلم والتعلم وظيفة حياتهم ، ولهذا فيجب عليهم الإقتصاد والقناعة في حياتهم المعيشية ، فيقول : ((واعلم أن القناعة باليسير والإقتصاد في أمر المعيشة مطلوب من كل أحد ، لاسيما المشتغلون بالعلم ، فإنه كالمتعين عليهم لأن العلم وظيفة العمر كله أو معظمه ، فمتى زاحمته الأشغال الدنيوية والضروريات حصل النقص بحسب ذلك)) [٣] ، فتفرغ المعلم للعلم مما يزيده علماً وفهماً .

---

(١) السعدي ، (المرجع السابق) ، ص٤٥٣-٤٥٤ .

(٢) ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، ج٢٨ ص١٨٨-١٨٩ . (مرجع سابق)

(٣) السعدي ، الفتاوى السعدية ، الكاملة / الفتاوى ، ص٤٥٥ (مرجع سابق)

المطلب الثاني : المقومات المهنية

بعد بيان مقومات المعلم السلوكية في نظر السعدي ، يذكر الباحث في هذا المطلب أهم مقومات المعلم المهنية ، والتي تتعلق بطبيعة مهنته كمعلم، وهي كما يأتي :

١- ترغيب التلاميذ بالتعلم :

فالمعلم الجيد هو الذي يجيد جذب تلاميذه إلى التعلم ، وإثارة دافعيتهم تجاهه ، ولأهمية ذلك أرشد السعدي المعلم إلى أهمية ذلك بقوله ((وينبغي أن يرغب المتعلم بكل طريق ، وينشطه ولا يمله بإشغاله بما يعسر على فهمه من أنواع العلم ومفرداته)) [(١)] ، وأشار إلى أهمية ذلك " حاجي خليفة ١٠١٧-١٠٦٧هـ " بقوله : ((إن على المعلم ... وأن يحث الصغار على التعليم ولا سيما الحفظ)) [(٢)] ، وترغيب التلاميذ وتشجيعهم على التعليم خصوصاً في بداية تعليمهم يعتبر أمراً مهماً فـ ((الإعتماد على الحوافز التي تثير نشاط المتعلم في بدء تعلمه أمر له قيمته، إذا كان قيامه بهذا النشاط الضروري يكسبه شيئاً يرغب فيه ، أو يجنبه شيئاً يكرهه)) [(٣)] .

---

(١) السعدي ، الفتاوى السعدية ، الكاملة / الفتاوى ، ص٤٥١ (مرجع سابق)

(٢) عماد الدين خليل ، حاجي خليفة ، من أعلام التربية العربية والإسلامية ، ج٤ ص١٨٤ . (مرجع سابق)

(٣) ريان ، فكري حسن ، التدريس ، أهدافه ، أسسه ، أساليبه ، تقويم نتائجه وتطبيقاته ، القاهرة : دار عالم الكتب ، ط ٢ ، ١٩٧١ م ، ص ٧٩ .

٢- العناية بالكتاب المقرر :

فعلى المعلم أن يولي الكتاب المقرر عناية خاصة ، وذلك بأن يحسن إختيار الكتاب الذي سيقرره على تلاميذه فـ ((ينتقي من مصنفات الفن الذي يشتغل فيه أحسنها وأوضحها ، وأكثرها فائدة))[(١)] .

فاختيار الكتاب المناسب للتلاميذ من حيث وضوح عباراته وشمول فائدته ، وحسن تبويبه ، إن اختيار ذلك الكتاب مما يعود بالنفع على التلميذ .

ولقد كان السعدي يسلك مع تلاميذه مبدأ الإستشارة في تقرير الكتاب عليهم حيث إنه ((كان يتشاور مع تلاميذه في اختيار الأنفع من كتب الدراسة ، ويرجح ما عليه رغبة أكثرهم ومع التساوي يكون هو الحكم))[(٢)] .

ويمكن إدراك أهمية هذه الشورى في اختيار الأنسب من كتب التعليم إذا علمنا أن آراء الأكثرية من الطلاب ستشير إلى ما تعتقد أنه الأفضل والأحسن ، فيقبل الطلاب على التعليم من ذلك المقرر الذي اختاروه لأنفسهم ، يقبلون بنفوس منشرحة .

٣- ترتيب الفنون العلمية حسب أهميتها :

ينبغي على المعلم أن يبدأ تعليمه لطلابه ((بالأهم فالأهم من العلوم

---

(١) السعدي ، الفتاوى السعدية ، الكاملة / الفتاوى ، ص٤٤٩ (مرجع سابق)

(٢) الفقي ، سيرة السعدي ، ص٢٠ . (مرجع سابق)

الشرعية وما يعين عليها من علوم العربية)) [١] .

وإلى ذلك أشار الغزالي بقوله في الوظيفة السادسة من وظائف المعلم والمتعلم فقال : ((أن لا يخوض في فن من فنون العلم دفعة بل يراعي الترتيب ويبتدئ بالأهم ، فإن العمر إذا كان لايتسع لجميع العلوم غالباً فالحزم أن يؤخذ من كل شيء أحسنه)) [٢] .

فالترتيب للفنون العلمية من حيث أهميتها للتلميذ مما يجب على المعلم العناية به .

٤- مراعاة الفروق الفردية بين التلاميذ :

يجب على المعلم أن يتحلى بالقدرة التامة على المواءمة بين القدرات العقلية لتلاميذه وما يلقيه عليهم من معلومات ((فينظر إلى ذهن المتعلم ، وقوة استعداده أو ضعفه فلا يدعه يشتغل بكتاب لا يناسب حاله ، فإن هذا من عدم النصح)) [٣] ، وقال السعدي في أهمية مراعاة ذلك : ((وعلى هذا فمن أراد التعليم أن يراعي أذهان الطلبة ويعطيهم من الدروس ما يتيسر عليهم فهمه ، ويربيهم بصغار العلم قبل كباره ، ولا يحمل اذهانهم ما لا يتحملون)) [٤] ، فالطلاب تختلف مداركهم وأفهامهم واستعداداتهم قوةً وضعفاً لهذا كان الأجدر بالمعلم البصير أن

---

(١) السعدي ، الفتاوى السعدية ، الكاملة / الفتاوى ، ص٤٤٩(مرجع سابق)

(٢) الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ج١ ص٥٢ . (مرجع سابق)

(٣) السعدي ، الفتاوى السعدية ، الكاملة / الفتاوى ، ص٤٥٠(مرجع سابق)

(٤) السعدي ، الرياض الناضرة ، الكاملة / الثقافة ، ج١ ص٥٠٠ (مرجع سابق)

يولي هذا التباين بين تلاميذه جل اهتمامه فـ ((يبذل جهده في تفهيم كل طالب ما يتحمله ذهنه))[١]، وإلى ضرورة مراعاة تلك الفروق بين التلاميذ أشار الغزالي بقوله في الوظيفة السادسة من وظائف المعلم : ((أن يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه فلا يلقي إليه مالا يبلغه عقله فينفره أو يخبط عليه عقله))[٢].

٥- البسط والتوضيح في التعليم :

فمن جودة المعلم إلمامه بمادته العلمية ، واستخدام كافة الوسائل المساعدة في سبيل بسط المادة وتوضيحها لطلابه ، ولهذا وجه السعدي المعلم بأن عليه : ((أن يلقي عليه من التوضيح والتقرير لدرسه بقدر ما يتسع فهمه لإدراكه))[٣] وقال في سبيل التعليم : ((وكذلك تعليم الجهال وإلقاء العلوم ينبغي مراعاة الأمور التي يحتاجونها ، وأن تشرح لهم شرحاً يسهل عليهم فهمه))[٤].

٦- وجوب عناية المعلم بمحفوظات التلاميذ :

فالمعلم يجب أن يشعر بمسؤوليته تجاه تلاميذه ، فيعتني بتعليهم وتفهيمهم، وتكرار المراجعة معهم لما حفظوه حتى يترسخ في عقولهم ، ولأهمية ذلك أشار السعدي بقوله : ((وينبغي تعاهد محفوظات المتعلمين

---

(١) السعدي ، الفتاوى السعدية ، الكاملة / الفتاوى ، ص٧٣ (مرجع سابق)
(٢) الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ج١ ص ٥٧ .
(٣) السعدي ، الفتاوى السعدية ، الكاملة / الفتاوى ، ص٤٥٠ (مرجع سابق)
(٤) السعدي ، الرياض الناضرة ، الكاملة / الثقافة ، ج١ ص٥٠٠ (مرجع سابق)

ومعلوماتهم بالإعادة والإمتحان ، والحث على المذاكرة والمراجعة وتكرار الدرس)) [١] وكلما زادت عناية المعلم بجوانب الحفظ والمذاكرة والإختبار والمراجعة لمعلومات تلاميذه ، كلما قويت صلتهم ورابطتهم بمعلمهم ومادة تعليمه ، مما يعود على التلاميذ بالخير في التحصيل العلمي .

٧- ضرورة تكامل الجوانب العلمية لدى المعلم :

ينبغي للمعلم أن يسعى جاهداً للإلمام بمواد تخصصه ، بأن يستوعب تفاصيلها وفروعها ، وأن يكمل جوانب شخصيته العلمية بتعلم الفنون العلمية الأخرى التي لم يتمهر فيها ، كما فعل موسى عليه السلام حينما خرج في طلب العلم اللدني على يد الخضر -رحمه الله- ، وفي أهمية ذلك يقول السعدي : ((تعلم العالم الفاضل للعلم الذي لم يتمهر فيه ممن هو ماهر فيه ، وإن كان دونه في العلم درجات ، فإن موسى من أكابر أولي العزم من الرسل الذين منحهم الله وأعطاهم من العلوم ما لم يعط سواهم ، ولكن في هذا العلم الخاص كان عند الخضر ما ليس عنده ، فلهذا اشتد حرصه على التعلم منه)) [٢] .

وبتكامل الجوانب العلمية في شخصية المعلم يصبح في عداد العلماء الربانيين الذين يتقنون الفنون العلمية ، ويبذلونها لتلاميذهم خصوصاً

---

(١) السعدي ، الفتاوى السعدية ، الكاملة / الفتاوى ، ص٤٥٤ (مرجع سابق)

(٢) السعدي ، تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن ، الكاملة / التفسير ، ج٨ ص٣٩٤ . (مرجع سابق)

بالتدريس ، وللمسلمين عموماً بالتأليف وهذا ((من فضل الله على الأمة أن منّ عليهم بهؤلاء العلماء الربانيين المربين لهم بنوعين من أنواع التربية العالية ، أحدهما التربية العلمية ، يربونهم بصغار العلم قبل كباره ، وبإيصال معاني الكتاب والسنة إلى أذهانهم وعقولهم بالتعليم الشفاهي ، وبتصنيف كتب العلم النافع المتنوعة التي لا يقدر العباد أن يصفوا ما اشتملت عليه من العلوم والفوائد)) [(١)] .

٨- توجيه التلاميذ وتعريفهم بكيفية السؤال للمعلم :

من الآداب المهنية التي ينبغي أن تتحلى بها شخصية المعلم أن يوجه عناية التلاميذ لكيفية السؤال ، وابتداءه ، وتحديد القضايا التي ينبغي لهم أن يعرضوا عنها فلا يسألوا عنها ((فإن المعلم إذا رأى من المصلحة أن يخبر المتعلم أن يترك الإبتداء في السؤال عن بعض الأشياء حتى يكون المعلم هو الذي يوقفه عليها، فإن المصلحة تتبع، كما إذا كان فهمه - التلميذ - قاصراً أونهاه عن التدقيق الشديد أو الأسئلة التي لا تتعلق بالموضوع))[(٢)].

فالمعلم الناجح ينبغي أن يوجه تلاميذه لآداب السؤال ، سواء في وقت الإبتداء به ، أو في أسلوب السؤال ، أو في نوع السؤال ، وهذا مما يعود نفعه علمياً وتربوياً على نفس التلميذ ، ومما يتعلق بهذا الجانب ان يعتني

---

(١) السعدي ، توضيح الكافية الشافية ، الكاملة / العقيدة ، ص٤٠٩ (مرجع سابق)

(٢) السعدي ، تيسير اللطيف المنان خلاصة تفسير القرآن ، الكاملة / التفسير ، ج٨ ص٣٩٥ . (مرجع سابق)

المعلم بفهم السؤال الموجه إليه حتى يستطيع الإجابة على كافة مرادات السائل وفي ذلك يقول السعدي : ((وكذلك المسئول ينبغي له أن يستملي سؤال السائل ، ويعرف المقصود منه قبل الجواب ، فإن ذلك سبب لإصابة الصواب)) [١] .

---

(١) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، الكاملة / التفسير ، ج٥ ص١٩٤ . (مرجع سابق)

المبحث الخامس : آداب المتعلم

تمهيد يعتبر التلميذ إحدى الدعائم الأساسية في العملية التعليمية ، بل إنه أهم تلك الدعائم الثلاث ((التلميذ ، المعلم ، المنهج)) فإن العملية التعليمية لم تقم أساساً إلا من أجل ذلك التلميذ المتعلم من أجل تعليمه والعناية به وتربيته ، ونجاح العملية التعليمية مرهون بمدى استفادة التلميذ من تلك العملية .

ونظراً لمكانة التلميذ في العملية التعليمية ، فإن العلامة السعدي رحمه الله تعالى أولى جانب التلميذ عناية خاصة ، فجاءت توجيهاته من أجل الأخذ بيد ذلك التلميذ للترقي به في مدارج العلم والتعليم ، ولعظم مكانة المتعلم عند السعدي نجده يعتبر المتعلم من ضمن السائل الذي لا ينهر ، ففي قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾ « سورة الضحى، آية ١٠ » يقول السعدي : ((ويدخل في هذا السائل للمال ، والسائل للعلم ، ولهذا كان المعلم مأموراً بحسن الخلق مع المتعلم ، ومباشرته بالإكرام والتحنن عليه فإن في ذلك معونة له على مقصده ، وإكراماً لمن كان يسعى في نفع العباد والبلاد)) (١) .

وفيما يلي بيان بأهم الآداب التي يجب أن يتحلى بها المتعلم (التلميذ) وذلك من خلال المطالب التالية :

---

(١) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، الكاملة / التفسير ، ج٧ ص٦٤٣ . (مرجع سابق) .

المطلب الأول : الآداب الأخلاقية

١- الإخلاص لله تعالى في طلب العلم :

في جواب السعدي عن الاداب التي ينبغي للعالم والمتعلم التخلق بها ، أجاب بأن : ((أصل الأدب لكل منهما الإخلاص لله ، وطلب مرضاته ، وقصد إحياء الدين والإقتداء بسيد المرسلين فيقصد وجه الله تعالى من تعلمه وتعليمه ، وتفهمه وتفهيمه ، وفي مطالعته ومدارسته ومراجعته ، وأن يزيل عن نفسه وغيره موت الجهل وظلمته ، وينير قلبه ويحييه بالعلم النافع))[1] .

وحث السعدي على وجوب الإخلاص لله في طلب العلم فقال : ((يتعين على أهل العلم من المتعلمين والمعلمين أن يجعلوا أساس أمرهم الذي ينبون عليه حركاتهم وسكناتهم الإخلاص الكامل ، والتقرب إلى الله تعالى بهذه العبادة))[2] ، وحذر طلاب العلم من الوقوع فيما ينافي الإخلاص لله في الطلب فقال :((ثم الحذر الحذر من طلب العلم للأغراض الفاسدة والمقاصد السيئة ، من المباهاة ، والمماراة ، والرياء ، والسمعة ، وأن يجعله وسيلة للأمور الدنيوية والرياسة))[3] فالتلميذ الذي طلب العلم بإخلاص لله تعالى ، وتجرد من كافة الأغراض المفسدة لإخلاصه ، هو ذلك التلميذ الذي نعته الرسول ﷺ بقوله : « **يحمل هذا**

---

(١) السعدي ، الفتاوى السعدية ، الكاملة / الفتاوى ، ص٧٣ (مرجع سابق)

(٢) السعدي ، (المرجع السابق) ، ص٤٤٩ .

(٣) السعدي ، (المرجع السابق) ، ص٤٥٣ .

العلم من كل خلف عدوله ، ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين » رواه البيهقي [١] وبتجرد التلميذ في طلبه للعلم من حضوض النفس ، يصبح تحصيله العلم بقصد وجه ا لله تعالى فيعمل بمقتضاه في حياته ، فيتلازم قوله بعمله .

٢- لزوم دعاء ا لله للهداية للصواب :

فالواجب على المتعلم أن يطلب من ا لله أن يهديه للحق خصوصاً إذا تشابهت عليه أوجه الصواب مع الخطأ ولم يستطع التفريق بينهما فإن ((الناظر في العلم عند الحاجة إلى التكلم فيه إذا لم يترجح عنده أحد القولين، فإنه يستهدي ربه ، ويسأله أن يهديه الصواب من القولين ، بعد أن يقصد بقلبه الحق ، ويبحث عنه ، فإن ا لله لا يخيب من هذه حاله))[٢]، ولا شك أن التزام التلميذ بهذه الآداب يقوي صلته با لله عز وجل مما يحدث في قلبه عنصر المراقبة التامة لله والخوف منه ، والعمل لأجل مرضاته ، وبهذا تتحقق غاية التربية الإسلامية في ذلك التلميذ .

٣- أهمية الإحسان لله ولعباده :

بأن يبذل التلميذ قصارى جهده في إحسان عبادته لربه فيعبده كأنه يراه فإن لم يكن يرى ا لله فإن ا لله يرى عبده ، كما يحسن في علاقته مع إخوانه المسلمين ببذل المعروف لهم لأن ((الإحسان في عبادة ا لله ،

---

(١) التبريزي ، مشكاة المصابيح ، ج١ ص١١٥ ح ٢٤٨ . (مرجع سابق)

(٢) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، الكاملة / التفسير ، ج٦ ص٣٧ . (مرجع سابق)

والإحسان إلى العباد سبب ينال به العلم ، وتنال به خيرات الدنيا والآخرة)) [١] .

٤- البعد عن الكبر ولزوم التواضع :

فالتلميذ يجب أن يتواضع في طلبه للعلم ، وأن يبتعد عن الكبر على الحق والناس فإن ((من يتكبرون على عباد الله ، وعلى الحق ، وعلى من جاء به ، فمن كان بهذه الصفة ، حرمه الله خيراً كثيراً ، وخذله ، ولم يفقه من آيات الله ما ينتفع به)) [٢] ، وهذا الأدب مما يجب تأصيله في نفوس التلاميذ في مدارسنا حيث أن كثيراً منهم يصفهم السعدي بقوله : ((فإن التلميذ إذا خرج منها – يعني المدارس – لم يمهر في العلوم الدينية ، ولا تخلق بالأخلاق الشرعية ورأى نفسه أنه يعرف ما لا يعرفه غيره احتقر الدين وأهله)) [٣] ، وكم نرى في مدارسنا وجامعاتنا من هم بهذه الصفة من الكبر واحتقار العلوم الشرعية ومن يعلمها ، والسبب في ذلك ضعف التأصيل الشرعي لهم في تعليمهم إضافة إلى عوامل الهدم لعقيدتهم الصحيحة الداخلية والخارجية .

---

(١) السعدي فوائد مستنبطة من قصة يوسف ، الكاملة / الثقافة ، ج١ ص١٣٨ . (مرجع سابق)

(٢) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، الكاملة / التفسير ، ج٣ ص٩٠ . (مرجع سابق)

(٣) السعدي ، سؤال وجواب في أهم المهمات ، الكاملة / العقيدة ، ص٧٦ . (مرجع سابق)

٥- القيام بأداء الواجبات الشرعية والبعد عن المحرمات

فأهل العلم من المعلمين والمتعلمين هم ((أولى الناس بالقيام بالواجبات الظاهرة والباطنة ، وترك المحرمات)) [(١)] .

٦- النصح للناس وبث العلم بينهم

وذلك أن التلميذ يجب أن يلتزم بـ ((النصح وبث العلوم النافعة بحسب الإمكان حتى لو تعلم الإنسان مسألة واحدة ، ثم بثها كان من بركة علمه ، ولأن ثمرات العلم أن يأخذه الناس عنك ، فمن شح بعلمه ، مات علمه بموته ، وربما نسيه وهو حي)) [(٢)] وهذا الأدب مصدره قوله ﷺ : « **إنما الدين النصيحة ، قيل : لمن ؟ قال : لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم** » رواه أحمد [(٣)] .

ويؤكد السعدي على ضرورة نشر العلم وبثه بين الناس فيقول : ((إن من تعلم علماً فعليه نشره وبثه في العباد ، ونصيحتهم فيه فإن انتشار العلم عن العالم من بركته وأجره الذي ينمي)) [(٤)] .

٧- دفع المذمة عن علماء الأمة :

يرشد السعدي التلميذ الناصح المخلص في تعليمه ، أن يكون محباً لعلمائه ومعلميه معترفاً بفضل علمهم عليه ، وأن يدفع عنهم ما يثار

---

(١) السعدي ، الفتاوى السعدية ، الكاملة / الفتاوى ، ص٤٥٣ (مرجع سابق)

(٢) السعدي ، الفتاوى السعدية ، الكاملة / الفتاوى ، ص٤٥٥ (مرجع سابق)

(٣) الإمام أحمد ، المسند ، ج٤ ، ص ١٠٢ . (مرجع سابق)

(٤) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، الكاملة / التفسير ، ج٣ ص ٣١٤ . (مرجع سابق)

حولهم من شبهات مضللة بقصد نزع ثقتهم من صدور عامة الناس فإنه ((من أعظم المحرمات وأشنع المفاسد إشاعة عثراتهم ، والقدح فيهم وفي غلطاتهم ، وأقبح من هذا وأقبح إهدار محاسنهم عند وجود شيء من ذلك)) [(١)] .

فأدب التلميذ مع علمائه يقتضي منه ((الذب عن أعراض أهل العلم والدين ، ولا ريب أن هذا من أفضل القربات)) [(٢)] وكم نحن طلاب اليوم بحاجة للإلتزام بهذا الأدب العالي في حسن احترام العلماء والذب عن أعراضهم ، وحفظ مكانتهم وتقدير علمهم ، حتى يكون لتوجيههم وعلمهم الأثر المعظم في نفوس الناس .

٨- الحذر من التعصب للأقوال والأشخاص :

وهذا لأجل تحرير ولاء الطالب لله تعالى وللحق ، لهذا وجب أن يبتعد عن زخم التعصب المقيت لأقوال أو قائلين دون النظر في الحق مع من يكون ، ولأهمية ذلك الأدب وجه السعدي التلاميذ بالحذر التام " من التعصب للأقوال والقائلين " ويشرح السعدي صفة ذلك التعصب ((بأن يجعل القصد من المناظرة والمباحثة نصر القول الذي قاله ، أو قاله من يعظمه)) ثم يبين السعدي أهم الأضرار الناتجة من ذلك التعصب الأعمى فيقول : ((فإن التعصب مُذْهِبٌ للإخلاص ، مُزيل لبهجة العلم ، مُعم للحقائق ، فاتح باب الحقد والخصام الضار)) [(٣)] .

---

(١) السعدي ، الرياض الناضرة ، الكاملة / الثقافة ، ج١ ص٤٣٦ (مرجع سابق)

(٢) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج١ ص ٤٣٦ .

(٣) السعدي ، الفتاوى السعدية ، الكاملة / الفتاوى ، ص٤٥٣ (مرجع سابق)

٩- معرفة حق المعلمين والدعاء لهم :

فللمعلم على تلميذه حق التعليم لهذا وجب على التلميذ ((أن يحسن الأدب مع معلمه ، ويحمد الله إذ يسر له مَن يعلمه مِن جهله ، ويحيه من موته ، ويوقظه من سنته)) [١] .

كما أن على التلاميذ أن يشكروا الله ((حيث قيض لهم من يعلمهم ما يحتاجونه في أمور دنياهم ودينهم ، ويصبر على مشقة ذلك ، ولهذا وجب عليهم أن يكافئوا المعلمين بالقيام بحقوقهم ومحبتهم واحترامهم وكثرة الدعاء لهم)) [٢].

والأصل في هذا الأدب من لزوم الدعاء لهم ما جاء في الحديث : أن المهاجرين قالوا : يا رسول الله ذهبت الأنصار بالأجر كله ، قال: « **لا ، ما دعوتم الله لهم وأثنيتم عليهم** » رواه أبوداود [٣] .

ومما يجب على التلميذ أن يتحلى به مع معلمه في مقام السؤال : ((أن يلطف بالسؤال ، ويرفق بمعلمه ، ولا يسأله في حالة ضجر أو ملل أو غضب ، لئلا يتصور خلاف الحق مع تشوش الذهن)) [٤] .

١٠- علاقة التلميذ بزميله تقوم على التعاون في سبيل الخير :

فالتلميذ مع زميله يتعاونان من أجل تحصيل العلم ونشره بين الناس ،

---

(١) السعدي ، (المرجع السابق) ، ص٧٤ .

(٢) السعدي ، الرياض الناضرة ، الكاملة / الثقافة ، ج١ ص٤٠٧ (مرجع سابق)

(٣) أبو داود ، سنن أبي داود ، ج٤ ص٢٥٦ ح٤٨١٢ . (مرجع سابق)

(٤) السعدي ، الفتاوى السعدية ، الكاملة / الفتاوى ، ص٧٥ (مرجع سابق)

والسعدي يشير إلى أهم معالم الترابط بين المتعلمين بأن ((الصحبة في طلب العلم تجمع حقوقاً كثيرة ، لأن لهم - يعني أقرانه من المتعلمين - حق الأخوة والصحبة وحقوق الإحترام لما قاموا به من الإشتغال بما ينفعهم وينفع الناس ، وحق الإنتماء إلى معلمهم وأنهم بمنزلة أولاده حقاً لنفع بعضهم بعضاً ولهذا ينبغي أن لا يدع ممكناً من نفع من يقدر على نفعه منه بتعليمه ما يجهل)) [(١)].

وبهذا التوجيه لطالب العلم مع أقرانه من طلاب العلم ، نجد أن السعدي قد تمثل ذلك في حياته واقعاً عملياً حيث إنه : ((لما رآى زملاؤه في الدراسة تفوقه عليهم ونبوغه تتلمذوا عليه وصاروا يأخذون عنه العلم وهو في سن البلوغ ، فصار في هذا الشباب المبكر متعلماً ومعلماً)) [(٢)] .

١١- أهمية الصبر على التعلم :

فالبصبر على طلب العلم يترقى الطالب في درجات العلم ، وأما من ((ليس له قوة الصبر على صحبة العالم والعلم ، وحسن الثبات على ذلك، فإنه ليس بأهل لتلقي العلم ، فمن لا صبر له لا يدرك العلم ، ومن استعمل الصبر ولازمه أدرك به كل أمر سعى فيه)) [(٣)] .

والتلميذ من أحوج الناس إلى ملازمة الصبر في طلبه للعلم حتى يحظى بمراده من العلوم النافعة .

---

(١) السعدي ، الفتاوى السعدية ، الكاملة / الفتاوى ، ص٤٥٤(مرجع سابق)

(٢) البسام ، علماء نجد ، ج٢ ص٤٢٣ . (مرجع سابق)

(٣) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، الكاملة / الفتاوى ، ج٥ ص٦٨ . (مرجع سابق)

المطلب الثاني : الأداب التعليمية

لكي تتحقق للتلميذ الفائدة العلمية من وراء طلبه للعلم فإنه لابد وأن يتحلى ببعض الآداب وهي :

١- الإستعانة على حفظ العلم ببذل الجهد في طلبه :

فالتلميذ يجب أن يبذل جهده في طلب العلم وتحصيله ، وإلى ذلك أشار السعدي بقوله : ((يتعين على طالب العلم أن يسعى بجهده لتحصيل ما يحتاجه من الفهم وتشتد إليه ضرورته ، مبتدءاً بالأهم فالأهم)) [١] .

ويوجه السعدي التلميذ إلى أن صورة بذل الجهد في طلب العلم تتحقق ((في حفظ مختصرات الفن الذي يشتغل به ، فإن تعذر أو قصر عليه حفظه لفظاً ، فيكرره كثيراً حتى ترسخ معانيه في الأصل الذي أدركه وعرفه)) [٢] .

ويعلل السعدي وجهة نظره تلك في العناية بالحفظ بقوله : ((لأن طالب العلم إذا حفظ الأصول ، وصار له ملكة تامة في معرفتها هانت عليه كتب الفن كلها الصغار والكبار ، ومن ضيع الأصول حرم الوصول)) [٣] .

وإلى أهمية العناية بالحفظ أشار الزرنوجي بقوله : ((ليس شيء أزيد للحفظ من قرآءة القرآن نظراً)) [٤] . ((والحفظ عملية ملازمة للتعلم ،

---

(١) السعدي ، المختارات الجلية ، الكاملة / الفقه ، ج٢ ص٨٩ (مرجع سابق)
(٢) السعدي ، الفتاوى السعدية ، الكاملة / الفتاوى ، ص٢٦ (مرجع سابق)
(٣) السعدي ، (المرجع السابق) ، ص٢٧ .
(٤) الزرنوجي ، تعليم المتعلم ، ص١٣٠ . (مرجع سابق)

فما نتعلمه يجب أن نحفظه ، وعلى قدر احتفاظنا به على قدر ما تحقق هذه العملية أغراضها)) [١] .

فأسلوب الحفظ في مجال التعليم ، أسلوب اسلامي وجه إليه الرسول ﷺ في حفظ القرآن الكريم فقال ﷺ : « **إنما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المعقلة ، إن عاهد عليها أمسكها ، وإن أطلقها ذهبت** » رواه البخاري ومسلم ، واللفظ للبخاري [٢] .

فأسلوب الحفظ في التعليم يعتبر أحد أساليب التعليم عند المسلمين ، وبه تحقق للعلماء السابقين واللاحقين ذلك التبحر في العلوم الشرعية : ((فهل من عودة إلى أصالة الطلب في دراسة المختصرات المعتمدة ، لا على المذكرات ، وفي حفظها لا الإعتماد على الفهم فحسب ، حتى ضاع الطلاب فلا حفظ ولا فهم)) [٣] .

٢-إدراك قيمة العلم :

إن من الدواعي التي تحث التلميذ على طلب العلم إدراكه لقيمة العلم ومكانته ، وأنه سبب لنفع صاحبه في الحياة وبعد الممات فـ ((إذا انقطعت الأعمال بالموت ، وطويت صحيفة العبد فأهل العلم حسناتهم

---

(١) محمود ، إبراهيم ، التعلم ، القاهرة : دار المعارف ، ١٩٧٩ م ص ١٠٧ .

(٢) البخاري ، صحيح البخاري بحاشية السندي ، كتاب فضائل القرآن ، ج٤ ص٢٣٣ . (مرجع سابق)

(٣) بكر بن عبد الله أبو زيد ، حلية طالب العلم (الإحساء ، دار ابن الجوزي ، الثانية، د . ت) ص٢٩ ، ٣٠ .

تتزايد كلما انتُفِعَ بإرشادهم ، واهتُدي بأقوالهم وأفعالهم)) [١] .

فإذا أدرك طالب العلم هذه الحقيقة في جانب العلم ، فإن نفسه تقبل على طلب العلم وتحصيله ، ويستسهل في ذلك كل عسير .

٣- ترتيب العلوم حسب أهميتها :

مما ينبغي لطالب العلم أن يتحلى به ، ويهتم به عند البدء بطلب العلم أن : ((يسعى بجهده لتحصيل ما يحتاجه من العلم ، وتشتد إليه ضرورته، مبتدءاً بالأهم فالأهم)) [٢] .

ويقصد السعدي بذلك تقديم علوم الشريعة على سواها : ((يتعين البداءة بالأهم فالأهم من العلوم الشرعية ، وما يعين عليها من علوم العربية)) [٣] .

فالسعدي يوجه التلميذ إلى وجوب مراعاة تقديم علوم المقاصد وهي : ((العلوم المصلحة للأديان)) [٤] ، على علوم الوسائل وهي : ((ما أعان عليها - المقاصد - من علوم العربية بأنواعها ، ومن علوم الكون التي ثمرتها معرفة الله ومعرفة وحدانيته وكماله)) [٥] .

ووجه ابن خلدون إلى ضرورة مراعاة هذا التوجيه بقوله : ((فأما العلوم التي هي مقاصد فلا حرج في توسعة الكلام فيها وتفريع المسائل ...

---

(١) السعدي ، الفتاوى السعدية ، الكاملة / الفتاوى ، ص٧٣ (مرجع سابق)
(٢) السعدي ، المختارات الجلية ، الكاملة / الفقه ، ج٢ ص٨٩ (مرجع سابق)
(٣) السعدي ، الفتاوى السعدية ، الكاملة / الفتاوى ، ص٤٤٩ (مرجع سابق)
(٤) السعدي ، الرياض الناضرة ، الكاملة / الثقافة ، ج١ ص٣٤٢ (مرجع سابق)
(٥) السعدي ، (المرجع السابق) ، ج١ ص٣٤٢ .

وأما العلوم التي هي آلة لغيرها مثل العربية والمنطق وأمثالها فلا ينبغي أن ينظر فيها إلا من حيث هي آلة لذلك الغير فقط)) [١] .

وعلل ابن خلدون أهمية تقديم علوم المقاصد والتبحر فيها على علوم الوسائل بقوله : ((لأن المتعلمين اهتمامهم بالعلوم المقصودة أكثر من اهتمامهم بوسائلها ، فإذا قطعوا العمر في تحصيل الوسائل فمتى يظفرون بالمقاصد)) [٢].

فالترتيب بين العلوم حسب أهميتها العلمية أمر لازم لطالب العلم حتى تقوم ملكته العلمية على أساس من العلم الشرعي الثابت .

٤- العناية التامة بالمناظرات العلمية :

فإنه مما يجب على التلميذ العناية به : أن يمارس أسلوب المناظرات العلمية مع أقرانه في المسائل العلمية ، فإن المناظرات تقوي ملكة الطالب العلمية ، وقد أشار السعدي إلى أهمية المناظرة بقوله : ((يفتح المعلم للمتعلمين باب المناظرة في المسائل والإحتجاج ، وأن يكون القصد واحداً، وهو إتباع مارجحته الأدلة ، فإنه إذا جعل هذا الأمر نصب عينيه وأعينهم ، تنورت الأفكار ، وعرفت المآخذ والبراهين ، واتُبعت الحقائق ، وكان القصد الأصلي معرفة الحق)) [٣] فالسعدي أكد على أهمية عقد أسلوب المناظرة العلمية بين التلاميذ وكان بنفسه يفعل ذلك مع تلاميذه فـ ((إنه كان يعقد المناظرات بين طلابه المحصلين ، لشحذ أفكارهم ،

(١) ابن خلدون ، المقدمة ، ج١ ص٧٣٩ . (مرجع سابق)
(٢) ابن خلدون ، القدمة ، ج١ ص٧٣٩ . (مرجع سابق)
(٣) السعدي ، الفتاوى السعدية ، الكاملة / الفتاوى ، ص٤٥٣ (مرجع سابق)

وصقل أذهانهم ، وتدريب ألسنتهم ، وتعويدهم على إقامة الحجة والبرهان)) [١] ، فعناية السعدي بأسلوب المناظرة في التعليم نابعة من معرفته التامة بثمرات ذلك الأسلوب ، وهي :

[أ] تنوير الأفكار .

[ب] معرفة مآخذ المسائل وبراهينها .

[ج] اتضاح الحقائق والأخذ بها .

ويبين الزرنوجي ما ينبغي أن تقوم عليه المناظرة فيقول : ((فإن المناظرة والمذاكرة مشاورة ، والمشاورة إنما تكون لاستخراج الصواب ، وذلك إنما يحصل بالتأمل والتأني والإنصاف ، ولا يحصل بالغضب والشغب)) [٢]، فالمناظرة بحث عن الحقيقة ، وليست انتصاراً لقول أو قائل تعصباً ، فلأهمية المناظرة وجه السعدي التلميذ إلى ضرورة العناية بها ، وأن تنعقد بين الأقران بغرض التعليم والتفهيم لهم وصقل أذهانهم .

٥- أهمية الرحلة في طلب العلم :

الرحلة في طلب العلم سنة ماضية وشريعة باقية ، فا لله عز وجل قص علينا في القرآن رحلة موسى عليه السلام إلى الخضر عليه السلام بقصد طلب العلم على يديه فقال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴾ « سورة الكهف ، آية ٦٠ » ، وعقد البخاري باباً في : ((ما يستحب للعالم إذا سئل أي الناس أعلم

---

(١) الفقي ، سيرة السعدي ، ص١٢ . (مرجع سابق)
القاضي ، روضة الناظرين ، ج١ ص٢٢٥ . (مرجع سابق)
(٢) الزرنوجي ، تعليم المتعلم ، ص١٠٣ . (مرجع سابق)

فيكل العلم إلى الله)) [١] ، وذكر فيه قصة رحلة موسى لطلب العلم على يد الخضر عليهما السلام ، كما ذكر البخاري قصة رحلة أبي ذر الغفاري رضي الله عنه إلى مكة للتعرف على دين الإسلام تحت باب " قصة زمزم " [٢] ، وساق القصة بكمالها ، والإمام أحمد ذكر في مسنده قصة رحلة أبي أيوب الأنصاري إلى عقبة بن عامر بمصر ليأخذ عنه حديث : « **من ستر على مؤمن في الدنيا ستره الله يوم القيامة** » [٣] .

والسعدي يؤكد على أهمية الرحلة في طلب العلم ، فيقول في معرض كلامه عن فوائد رحلة موسى إلى الخضر ولقاءه به : ((فمنها فضيلة العلم، والرحلة في طلبه ، وأنه أهم الأمور ، فإن موسى عليه السلام رحل مسافة طويلة ، ولقي النصب في طلبه ، وترك القعود عند بني إسرائيل لتعليمهم وإرشادهم ، واختار السفر لزيادة العلم على ذلك)) [٤] .

فالتلميذ ينبغي له القيام بالرحلة من أجل طلب العلم اقتداءً بسلف الأمة من الصحابة والتابعين ، والأصل في هذا الأدب لطالب العلم قوله تعالى : ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ « سورة التوبة ، آية ١٢٢ » .

٦- تكوين الملكة العلمية بالتدرج في التعليم :

فالتلميذ ينبغي له أن يأخذ بفنون العلم حسب أهميتها ((مبتدءاً

---

(١) البخاري ، صحيح البخاري بحاشية السندي ، ج١ ص٣٥ (مرجع سابق)
(٢) البخاري ، (المرجع السابق) ، ج٢ ص٢٦٧ .
(٣) أحمد ، المسند ، ج٤ ص١٥٣ (مرجع سابق)
(٤) السعدي ، التفسير ، الكاملة / التفسير ، ج٥ ص ٦٣ (مرجع سابق)

بالأهم فالأهم ، قاصداً بذلك وجه الله)) [١] ، وأن يتدرج في طلبه للعلم فـ ((لا ينتقل من نوع من أنواع المسائل إلى نوع آخر حتى يتصور ويحقق السابق ، فإنه درك للسابق ، وبه يتوفر الفهم على اللاحق)) .

فالملكة العلمية للتلميذ إنما تنشأ شيئاً فشيئاً بترتيب العلوم بعضها يقوم على بعض حتى تتكامل هذه الملكة العلمية وهذه الملكة العلمية أشار إليها ابن خلدون بقوله : ((ولا ينبغي للمعلم أن يزيد متعلمه على فهم كتابه الذي أكب على التعليم منه بحسب طاقته ، وعلى نسبة قبوله للتعليم مبتدئاً كان أو منتهياً ، ولا يخلط مسائل الكتاب بغيرها حتى يعيه من أوله إلى آخره ويُحصل أغراضه ، ويستولي منه على ملكة بها ينفذ في غيره))[٢] .

فعدم التدرج في التعليم يعني الخلط بين المسائل أو الفنون العلمية وفي هذا ضرر على المتعلم يوضحه بقوله : ((فأما إذا أدخل المسائل والأنواع بعضها ببعض قبل فهم المتعلم - ((أي تكون الملكة العلمية عند المتعلم)) - فإنه سبب لإضاعة الأول ، وعدم فهم اللاحق ، ثم تتزاحم المسائل التي لم يحققها على ذهنه فيملها ، ويضيق عطنه عن العود إليها)) [٣] .

ويوضح السعدي الطريقة المناسبة لحصول هذه الملكة العلمية عند التلميذ فيقول : ((ينبغي للمتعلم إذا دخل في فن من فنون العلم ، أن ينظر إلى كل باب من أبواب العلم فيحفظ منه الأشياء المهمة ، وبحوثه

---

(١) السعدي ، المختارات الجلية ، الكاملة / الفقه ، ج٢ ص٨٩ (مرجع سابق)
(٢) ابن خلدون ، المقدمة ، ج١ ص٧٣٥ . (مرجع سابق)
(٣) السعدي ، الفتاوى السعدية ، الكاملة / الفتاوى ، ص٤٥٠ (مرجع سابق)

النافعة ، فيحققها ويتصورها كما ينبغي ، ويحرص على مآخذها ، وما هي مبنية عليه)) [١] .

فالخلاصة في مكونات الملكة العلمية للتلميذ بما يلي :

[أ] البدء بعلوم المقاصد قبل الوسائل حسب الأهمية العلمية .

[ب] التدرج في فصول ومسائل الفن الواحد ، فلا يبدأ بالجديد حتى يتقن السابق .

[ج] محاولة الحفظ للمسائل ، أو الإستظهار لها حتى يبني عليه ما بعدها.

[د] السير وفق قواعد لفهم المسائل يُقاس عليها غيرها .

[هـ] استكمال أبواب وفصول الفن المعين ، حسب الكتاب المقرر ليكون قاعدة لما بعده من كتب في ذلك الفن .

٧- نشاط التلميذ وفاعليته مقترن بفهمه :

فالتلميذ يزداد نشاطه في سبيل التعلم بمجرد فهمه للمسائل العلمية ، فإنه : ((كلما ذاق طالب العلم لذة فهمه ، وحسن مأخذه ، إزدادت رغبته ، وقوي فهمه)) [٢] .

ولذلك كان مما يجب أن يتحلى به التلميذ من أدب تعليمي : أن يحرص على تفهم المسائل ، وتحقيقها لكي يقبل على التعليم بنشاط وجدية تامة ، وهذا الفهم لا بد وأن يقوم به معلم ناجح يسعى لجذب تلاميذه للمادة الدراسية بحرصه التام على تفهيمهم .

---

(١) السعدي ، الفتاوى السعدية ، الكاملة / الفتاوى ، ص٧٥ (مرجع سابق)

(٢) السعدي ، الفتاوى السعدي ، الكاملة / الفتاوى ، ص٧٣ (مرجع سابق)

توصيات الدراسة

بعد نهاية هذه الدراسة يوجز الباحث التوصيات التالية :

١- يوصي الباحث بضرورة العناية بمؤلفات العلامة السعدي والإستفادة منها وذلك بتضمين بعض محتويات مؤلفاته في مناهجنا الدراسية .

٢- يوصي الباحث وزارة المعارف ورئاسة تعليم البنات بضرورة تزويد المكتبات المدرسية بمؤلفات السعدي لما تمتاز به من سهولة في الأسلوب ووضوح في العبارة وسلامة في العقيدة .

٣- يرى الباحث أن على دور الرعاية الصحية والنفسية ضرورة العناية بكتاب [الوسائل المفيدة للحياة السعيدة] للعلاّمة السعدي ، والأخذ بما جاء فيه من توصيات نفسية صحية عالية ووضعها على هيئة منشورات ومطويات يتم تزويد رواد تلك المصحات بها .

٤- يوصي الباحث أئمة المساجد وخطباء الجوامع بالأخذ عن مؤلفات السعدي فهي تناسب معظم طبقات المجتمع وفيها النفع والخير العظيم

٥- توجيه انتباه المعلمين إلى دراسة الأساليب والطرق التربوية والتعليمية التي استخدمها السعدي في تعليمه لتلاميذه حيث أثبت الواقع المعاصر مدى فاعليتها ، وتأثيرها الإيجابي المتمثل في نوعية ومستوى تلاميذ السعدي الأفذاذ ومنهم على سبيل المثال : المشائخ : محمد بن صالح العثيمين ، وعبد العزيز بن محمد السلمان ، وعبد الله بن عبد الرحمن

البسام ، وعبد الله بن عبدالعزيز العقيل ، ومحمد بن سليمان البسام ، وغيرهم كثير .

٦- دعوة دور النشر إلى ضرورة العناية بمؤلفات العلامة السعدي والقيام بطبعها ونشرها على هيئة كتيبات ورسائل صغيرة الحجم ، ورخيصة الثمن لتسهيل انتشارها بين طبقات المجتمع ليعم نفعها الجميع .

٧- أقترح تدريس بعض مؤلفات السعدي في مدارسنا ، فمثلاً

كتاب القول السديد في مقاصد التوحيد للمرحلة المتوسطة .

كتاب التوضيح والبيان لشجرة الإيمان للمرحلة الثانوية .

كتاب الدرة البهية شرح القصيدة التائية في حل المشكلة القدرية للمرحلة الجامعية .

٨- العناية بأفكار السعدي التربوية والعمل بمقتضاها ، وقد أوردت بعض هذه الأفكار في المبحث الخامس من الفصل الرابع من هذه الدراسة .

٩- الوصية لنفسي أولاً ثم لكل من يقع نظره على هذه الدراسة ثانياً بضرورة الدعاء في ظهر الغيب للعلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي – رحمه الله رحمة واسعة – فلقد كانت له اليد الطولى في نشر العلم الشرعي في بلادنا من خلال مؤلفاته القيمة ، وتلاميذه الأبرار ، فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

قائمة المراجع

المصادر :

القرآن الكريم .

١- البخاري ، أبو عبدا لله محمد بن إسماعيل ، صحيح البخاري بحاشية السندي ، بيروت : دار المعرفة ، د . ت .

٢- البخاري ، محمد بن إسماعيل ، صحيح الأدب المفرد ، بتحقيق محمد ابن ناصر الدين الألباني الجبيل : دار الصديق ، ط٢ ، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م

٣- مسلم ، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، صحيح مسلم بشرح النووي ، بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ط١ ، ١٣٤٧هـ/١٩٢٩م .

٤- أبو داود ، سليمان بن الأشعث السجستاني ، سنن أبي داود ، القاهرة : دار الحديث ، د . ت .

٥- الحاكم ، أبو عبد ا لله محمد بن عبد ا لله الحاكم النيسابوري ، المستدرك على الصحيحين ، بتحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤١١هـ/١٩٩٠م .

٦- البغوي ، الحسين بن مسعود ، شرح السنة ، تحقيق شعيب الأرناؤوط وزهير الشاويش، بيروت: المكتب الإسلامي ، ط١ ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

٧- الترمذي ، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة ، سنن الترمذي ، تحقيق كمال يوسف الحوت ، بيروت : دار الاكتب العلمية ، د . ت .

٨- ابن أبي شيبة ، أبو بكر عبدا لله بن محمد ، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار ، تحقيق محمد عبد السلام شاهين ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م .

٩- الطبراني ، أبو القاسم سليمان بن أحمد ، المعجم الأوسط ، تحقيق طارق بن عوض ا لله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني ، القاهرة: دار الحرمين ، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م

١٠- المباركفوري، صفي الرحمن، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف ، المدينة المنورة : المكتبة السلفية ، ١٩٦٧م .

أ

١- الأبراشي ، محمد عطية ، التربية الإسلامية وفلاسفتها ، دار الفكر العربي ، القاهرة : د . ت .

٢- ابن الأثير ، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ، النهاية في غريب الحديث والأثر ، تحقيق محمود بن محمد الطناحي ، وطاهر أحمد الزواوي ، المكتبة الإسلامية ، ط١ ، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م .

٣- أحمد ، هاشم علي ، التربية الذاتية ، مكة المكرمة : دار الأهدل ، ط١ ، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م .

٤-ابن إدريس ، علي ، عبد ا لله بن أبي زيد القيرواني - من أعلام التربية العربية الإسلامية - الرياض : مكتب التربية العربي لدول الخليج ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م .

٥- أرسطو ، علم الأخلاق ، ترجمة أحمد لطفي السيد ، القاهرة : دار الكتب المصرية ، ١٩٢٤م .

ب

١- الباني ، عبد الرحمن ، مدخل إلى علم التربية في ضوء الإسلام ، بيروت : المكتب الإسلامي ط٢ ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٣ .

٢- البراك ، فهد ، وفهد البدراني ، علماؤنا ، الرياض : مكتب المهندس، ط١ ، ١٤٠١هـ .

٣- البسام ، عبد الله بن عبد الرحمن ، علماء نجد خلال ستة قرون ، مكة المكرمة : مكتبة النهضة ، ط١ ، ١٣٩٨هـ .

٤- بلقيس ، أحمد ، وتوفيق مرعي ، الميسر في علم النفس التربوي ، عمان ، الأردن : دار الفرقان ، ط١ ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

٥- البيهقي ، أحمد بن الحسين ، مناقب الشافعي ، تحقيق أحمد صقر ، بيروت : دار التراث ، د . ت .

ت

١- التازي ، الهادي ، أحمد بن أبي جمعة المغراوي - من رجالات التربية في ديار المغرب - من أعلام التربية العربية الإسلامية ، الرياض : مكتب التربية العربي لدول الخليج ، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م .

التبريزي ، محمد بن الخطيب ، مشكاة المصابيح ، تحقيق وتعليق محمد اللحام ، بيروت : دار الفكر ، ط١ ، ١٤١١هـ/١٩٩١م .

٣- التوم ، بشير حاج ، تدريس القيم الخلقية ، مكة المكرمة : مركز

البحوث التربوية والنفسية ، ١٤٠٣هـ .
٤- ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني ، مجموع فتاوى ابن تيمية ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد ، مكة المكرمة : مطابع الحكومة ١٣٨٩هـ .

ج

١- جابر ، جابر عبد الحميد ، وأحمد خيري كاظم ، مناهج البحث في التربية وعلم النفس ، القاهرة : دار النهضة العربية ، ١٩٧٨م .
٢- الجرجاني ، علي بن محمد ، التعريفات ، بيروت : دار الكتب العلمية، ط١ ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .
٣- ابن جماعة ، بدر الدين محمد بن إبراهيم ، تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم ، تحقيق محمد هاشم الندوي ، حيدر آباد : جمعية دار المعارف ، ١٣٥٣هـ .
٤- الجمالي ، فاضل ، الفلسفة التربوية في القرآن ، تونس : الدار التونسية للنشر ، د . ت .
٥- الجندي ، أنور ، إطار إسلامي للفكر المعاصر (بيروت ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٠هـ ، ١٩٨٠م) .
٦- ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد . مناقب أمير المؤ منين عمر بن الخطاب . تحقيق زينب القارط (بيروت ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، د.ت.) .

ح

١- الحلبي ، أحمد بن يوسف ، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ، بتحقيق محمد باسل ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م .

٢- الحمد ، أحمد بن ناصر ، العقيدة نبع التربية ، مكة المكرمة : دار التراث ، ط١ ، ١٤٠٩هـ

٣- ابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ، الإحكام في أصول الأحكام ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

خ

١- الخطيب ، عمر عودة ،لمحات في الثقافة الإسلامية ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ط١٢ ، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م .

٢- ابن خلدون ، عبد الرحمن ، مقدمة ابن خلدون ، تحقيق خليل شحادة وسهيل زكار ، بيروت : دار الفكر ، ط٢ ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

٣- خليل ، عماد الدين ، حاجي خليفة - من أعلام التربية العربية الإسلامية - الرياض : مكتب التربية العربي لدول الخليج ، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م .

د

١- دويش ، محمد عبد الله . المدرس ومهارات التوجيه ، الرياض : دار الوطن ، ط ٢ ، ١٤١٦هـ .

٢- ديورانت ، ول ، قصة الحضارة ، ترجمة زكي نجيب محمود ،

القاهرة: لجنة التأليف والترجمة ، ١٩٤٩م .
٣- الديوه جي ، سعيد ، ابن مسكويه ، من أعلام التربية العربية الإسلامية ، الرياض : مكتب التربية العربي لدول الخليج ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م .

ذ

١- الذهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان ، سير أعلام النبلاء ، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون دار الرسالة ، ط ٢ ، ١٤٠٢هـ .
٢- الذهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان ، كتاب الكبائر ، بيروت : دار الكتب الشعبية ، د .ت

ر

١- راجح ، أحمد عزت ، أصول علم النفس ، الإسكندرية : المكتب المصري للطباعة ، ط٩ ، ١٩٧٣م .
٢- رضا ، محمد رشيد ، شبهات النصارى وحجج الإسلام ، القاهرة : مطبعة المنار ، ١٣٢٢هـ .
٣- رونيه ، أوبير ، التربية العامة ، ترجمة عبد الله عبد الدائم ، بيروت : دار العلم للملايين ، ط ٦ ، ١٩٨٣م .
٤- ريان ، فكري حسين ، التدريس أهدافه ، أسسه ، أساليبه ، تقويم نتائجه وتطبيقاته ، القاهرة : عالم الكتب ، ط٢ ، ١٩٧١م .
٥- الريحاني ، أمين ، تاريخ نجد الحديث وملحقاته ، تحقيق السبرت الريحاني ، بيروت : دار الريحاني للطباعة والنشر ، ط ٢ ، ١٩٥٤م .

ز

١- زرزور ، عدنان ، بصائر في الثقافة والحضارة ، بيروت : المكتب الإسلامي ، ط ٢ ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

٢- زرزور ، عدنان ، التوجه الإسلامي للعلوم والمعارف مفهومه وأهدافه، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .

٣- الزرنوجي ، برهان الإسلام ، تعليم المتعلم طريق التعليم ، تحقيق مروان قباني، بيروت : المكتب الإسلامي ، ط ١ ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.

٤- الزركلي ، خير الدين ، الأعلام ، بيروت : دار العلم للملايين ، ط ٧ ، ١٩٨٦م .

٥- الزنتاني ، عبد الحميد الصيد ، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، ليبيا ، ط ١ ، ١٩٨٥م .

٦- الزهراني ، علي بن بخيت ، الإنحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين وآثارهما في حياة الأمة ، تقديم محمد قطب ، مكة المكرمة ، دار الرسالة ، د . ت .

٧- أبو زيد ، بكر بن عبد الله ، حلية طالب العلم ، الأحساء : دار ابن الجوزي ، ط ٢ ، د . ت .

٨- زيدان ، محمد مصطفى ، ونبيل السمالوطي ، علم النفس التربوي ، جدة : دار الشروق ، ط ٣ ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م .

س

١- السبيت ، عبد الرحمن سبيت ، رجال وذكريات مع عبد العزيز ،

الرياض : مطابع الحرس الوطني ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م .
٢- السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، المجموعة الكاملة ، التفسير ، عنيزة : مركز صالح بن صالح الثقافي ، ط ٢ ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .
٣- السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر ، القواعد الحسان لتفسير القرآن ، المجموعة الكاملة ، التفسير ، عنيزة : مركز صالح بن صالح الثقافي ، ط ٢، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .
٤- السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر ، تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن ، المجموعة الكاملة ، التفسير ، عنيزة : مركز صالح بن صالح الثقافي ، ط ٢ ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .
٥- السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر ، المواهب الربانية من الآيات القرآنية ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .
٦- السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر ، ، بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار ، المجموعة الكاملة ، الحديث ، عنيزة : مركز صالح بن صالح الثقافي ، ط ٢ ، ١٤١٢م .
٧- السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر ، القول السديد في مقاصد التوحيد، المجموعة الكاملة ، العقيدة ، عنيزة : مركز صالح بن صالح الثقافي ، الطبعة الثانية ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .
٨- السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر ، سؤال وجواب في أهم المهمات ، المجموعة الكاملة ، العقيدة ، عنيزة : مركز صالح بن صالح الثقافي ، ط ٢،

١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .

٩- السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر ، التوضيح والبيان لشجرة الإيمان ، المجموعة الكاملة ، العقيدة ، عنيزة : مركز صالح بن صالح الثقافي ، ط ٢، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .

١٠- السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر ، الدرة البهية شرح القصيدة التائية في حل المشكلة القدرية ، المجموعة الكاملة ، العقيدة ، عنيزة : مركز صالح بن صالح الثقافي ، ط ٢ ، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م .

١١- السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر ، الحق الواضح المبين في شرح توحيد المرسلين من الكافية الشافية ، المجموعة الكاملة ، العقيدة ، عنيزة، مركز صالح بن صالح الثقافي ، ط ٢ ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .

١٢- السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر ، توضيح الكافية الشافية ، المجموعة الكاملة ، العقيدة ، عنيزة : مركز صالح بن صالح الثقافي ، ط ٢، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .

١٣- السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر ، منهج السالكين وتوضيح الفقه في الدين ، المجموعة الكاملة ، الفقه ، عنيزة : مركز صالح بن صالح الثقافي، ط ٢ ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .

١٤- السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر ، المختارات الجلية من المسائل الفقهية ، المجموعة الكاملة الفقه ، عنيزة : مركز صالح بن صالح الثقافي، ط ٢ ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .

١٥- السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر ، الإرشاد إلى معرفة الأحكام ،

المجموعة الكاملة ، الفقه عنيزة : مركز صالح بن صالح الثقافي ، ط ٢ ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .
١٦- السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر ، الفتاوى السعدية ، المجموعة الكاملة ، الفقه ، عنيزة : مركز صالح بن صالح الثقافي ، ط ٢ ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .
١٧- السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر ، القواعد والأصول الجامعة والفروق والتقاسيم البديعة النافعة ، المجموعة الكاملة ، الفقه ، عنيزة : مركز صالح بن صالح الثقافي ، ط ٢ ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .
١٨- السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر ، رسالة لطيفة جامعة في أصول الفقه المهمة ، المجموعة الكاملة ، الفقه ، عنيزة : مركز صالح بن صالح الثقافي ، ط ٢ ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .
١٩- السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر ، الخطب المنبرية على المناسبات ، المجموعة الكاملة ، الخطب ، عنيزة : مركز صالح بن صالح الثقافي ، ط ٢، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .
٢٠- السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر ، الفواكه الشهية في الخطب المنبرية، المجموعة الكاملة ، الخطب ، عنيزة : مركز صالح بن صالح الثقافي، ط ٢ ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .
٢١- السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر ، مجموع خطب الشيخ عبدالرحمن ابن ناصر السعدي في المواضيع النافعة ، المجموعة الكاملة ، الخطب ، عنيزة: مركز صالح بن صالح الثقافي ، ط ٢ ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .

٢٢- السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر ، الرياض الناضرة والحدائق الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة ، المجموعة الكاملة ، الثقافة ، عنيزة : مركز صالح بن صالح الثقافي ، ط ٢ ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .
٢٣- السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر ، الدرة المختصرة في محاسن الإسلام ، المجموعة الكاملة الثقافة ، عنيزة : مركز صالح بن صالح الثقافي، ط ٢ ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .
٢٤- السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر ، إنتصار الحق : محاورة دينية اجتماعية ، المجموعة الكاملة ، الثقافة ، عنيزة : مركز صالح بن صالح الثقافي ، ط ٢ ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .
٢٥- السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر ، الوسائل المفيدة للحياة السعيدة ، المجموعة الكاملة ، الثقافة ، عنيزة: مركز صالح بن صالح الثقافي، ط ٢، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .
٢٦- السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر ، طريق الوصول إلى العلم المأمول بمعرفة القواعد والضوابط والأصول ، المجموعة الكاملة ، الثقافة ، عنيزة : مركز صالح بن صالح الثقافي ، ط ٢ ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .
٢٧- السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر ، الأدلة القواطع والبراهين في إبطال الملحدين ، المجموعة الكاملة ، الثقافة ، عنيزة : مركز صالح بن صالح الثقافي ، ط ٢ ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .
٢٨- السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر ، تنزيه الدين وحملته ورجاله مما افتراه القصيمي في " أغلاله " ، المجموعة الكاملة ، الثقافة ، عنيزة : مركز

صالح بن صالح الثقافي ، ط ٢ ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .

٢٩- السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر ، الجهاد في سبيل الله ، المجموعة الكاملة ، الثقافة ، عنيزة : مركز صالح بن صالح الثقافي ، ط ٢ ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .

٣٠- السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر ، وجوب التعاون بين المسلمين ، المجموعة الكاملة، الثقافة، عنيزة: مركز صالح بن صالح الثقافي ، ط ٢، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .

٣١- السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر ، فوائد مستنبطة من سورة يوسف، المجموعة الكاملة ، الثقافة ، عنيزة : مركز صالح بن صالح الثقافي، ط ٢ ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .

٣٢- السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر ، الدين الصحيح يحل جميع المشاكل ، المجموعة الكاملة ، الثقافة ، عنيزة : مركز صالح بن صالح الثقافي ، ط ٢ ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .

٣٣- السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر ، الدلائل القرآنية في أن العلوم والأعمال النافعة العصرية داخلة في الدين الإسلامي ، المجموعة الكاملة ، الثقافة ، عنيزة : مركز صالح بن صالح الثقافي ، ط ٢ ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .

٣٤- السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر ، التعليق وكشف النقاب على نظم قواعد الإعرب ، تحقيق محمد بن سليمان البسام ، القاهرة : مطابع ابن تيمية ، ط ١ ، ١٤١٢هـ .

٣٥- سلطان ، محمود السيد ، مسيرة الفكر التربوي عبر التاريخ ، القاهرة : دار المعارف ، د . ت .

٣٦- سليمان ، عرفات عبد العزيز ، المعلم والتربية ، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ط ٢ ، ١٩٨٢م .

٣٧- السويداء ، عبد الرحمن ، نجد في الأمس القريب ، الرياض : دار العلوم ، ط ١ ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

٣٨- سيموندز ، برسيفال ، الدروس التي تتعلمها التربية من علم النفس، ترجمة عبد الرحمن صالح عبد الله ، مراجعة أحمد حسن عبد الرحيم ، بيروت : دار الفكر ، ط ٢ ، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م .

ش

١- الشرباصي ، أحمد ، أمير البيان شكيب أرسلان ، القاهرة : معهد الدراسات العربية بجامعة الدول العربية ، ط ١ ، ١٣٨٢هـ .

٢- شربل ، موريس ، موسوعة علماء التربية وعلماء النفس ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٤١١هـ / ١٩٩١م .

٣- شلبي ، أحمد محمد ، موسوعة النظم والحضارة الإسلامية (قسم الفكر الإسلامي) ، القاهرة : مكتبة النهضة ، ط ٦ ، ١٩٧٨م .

٤- شلبي ، أحمد محمد ، موسوعة النظم والحضارة الإسلامية (قسم الفكر التربوي) ، القاهرة : مكتبة النهضة ، ط ٦ ، ١٩٧٨م .

٥- الشيباني ، عمر محمد التومي ، فلسفة التربية الإسلامية ، ليبيا، ط ١، ١٩٨٥م .

٦- ابن أبي شيبة ، أبو بكر عبد الله بن محمد ، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار ، تحقيق محمد عبد السلام شاهين ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م .
٧-الشيخ ، رأفت غنيم ، في تاريخ العرب الحديث ، القاهرة : دار الثقافة، ١٣٩٨م / ١٩٧٧م .
٨- آل الشيخ ، عبد الرحمن عبد اللطيف ، مشاهير علماء نجد ، الرياض: دار اليمامة ، ط ١ ١٣٩٢هـ .

ط

١- الطيار ، عبد الله بن محمد ، صفحات من حياة علامة القصيم السعدي ، الدمام : دار ابن الجوزي ، ط ١ ، ١٤٠٦هـ / ١٩٩٢م .

ع

١- عامر ، أحمد محمد ، أصول علم النفس العام في ضوء الإسلام ، جدة، دار الشروق ، ط١ ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م .
٢- العامري ، أبو الحسن محمد بن أبي ذر ، الإعلام بمناقب الإسلام ، تحقيق أحمد عبد الحميد غراب ، القاهرة ، دار الكتاب العربي، ١٩٦٧م .
٣- العباد ، عبد الرزاق بن عبد المحسن ، الشيخ عبد الرحمن السعدي وجهوده في توضيح العقيدة ، الرياض : مكتبة الرشد ، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م .
٤- عبد الباقي ، محمد فؤاد ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، بيروت : دار الفكر ، ط٤ ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م .

٥- عبد الغني، سيد سعيد السيد، العقيدة الصافية للفرقة الناجية ، ط ١، ١٤١٣هـ / ١٩٩٦م .
٦- عبد الله ، عبد الرحمن صالح ، وحلمي فودة ، المرشد في كتابة البحوث التربوية ، مكة المكرمة : مكتبة المنار ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .
٧- عبد النور ، فرنسيس ، التربية والمناهج ، القاهرة : دار النهضة ، د . ت .
٨- العبود ، صالح بن عبد الله ، عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها على العالم الإسلامي ، بيروت : دار إحياء التراث الإسلامي ، ط ١ ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .
٩- عبود، عبد الغني ، في التربية الإسلامية ، القاهرة : دار الفكر العربي، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م .
١٠- عبيدات ، ذوقان وآخرون ، البحث العلمي مفهومه وأدواته ، وأساليبه ، عمان ، الأردن دار مجدلاوي ، ١٩٨٣م .
١١- العثيمين، عبد الله بن صالح، تاريخ المملكة العربية السعودية، ط٦، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م .
١٢- العثيمين ، محمد بن صالح ، التعليقات على كشف الشبهات ، بيروت : دار المعالي ، ط١ ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م .
١٣- العدناني ، محمد ، معجم الأخطاء الشائعة ، بيروت : مكتبة لبنان ، ط ٢ ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م .
١٤- العدوي ، إبراهيم أحمد ، التعليم الإسلامي في الماضي وميراثه في

الحاضر – سلسلة بحوث المؤتمر العالمي الأول للتعليم الإسلامي ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م – مكة المكرمة : المركز العالمي للتعليم الإسلامي ، ط ١ ، ١٤٠٣هـ / ١٩٩٢م .
١٥- العريني ، عبد الرحمن علي ، الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وبعض الجوانب التربوية والتعليمية في حياته – من أعلام التربية العربية الإسلامية – الرياض : مكتب التربية العربي لدول الخليج ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م .
١٦- عسة ، أحمد ، معجزة فوق الرمال ، بيروت : المطابع الأهلية اللبنانية ، ط ١ ، ١٣٨٦هـ ١٩٦٦م .
١٧- عطار ، ليلى عبد الرشيد ، الجانب التطبيقي في التربية الإسلامية ، جدة : دار تهامة ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .
١٨- عفيفي ، محمد الهادي وسعد مرسي ، قراءات في التربية المعاصرة ، القاهرة : عالم الكتب ١٩٧٣م .
١٩- العمري ، شوكت ، تطوير التعليم المازي في الأردن في ضوء مبدأ تكافؤ الفرص التعليمية دراسة مستقبلية ، رسالة دكتوراه ، القاهرة ، ١٩٩٠م .
٢٠- العمري ، صالح بن سليمان ، علماء آل سليم وتلاميذتهم وعلماء القصيم ، الرياض : مطابع الإشعاع ، ط ١ ، ١٤٠٥م .
٢١- العمري ، نادية شريف ، أضواء على الثقافة الإسلامية ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ط٥ ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م .
٢٢- أبو العينين ، مصطفى خليل ، المضامين التربوية في فكر أبي حيان

التوحيدي ، من أعلام التربية العربية الإسلامية ، الرياض : مكتب التربية العربي لدول الخليج ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م

غ

١- الغزالي ، أبو حامد محمد بن محمد ، إحياء علوم الدين ، بيروت : دار الندوة ، الجديدة ، د ت .

ف

١- الفارس، إبراهيم ، أشهر أئمة الدعوة ، الرياض : دار الوطن ، ط ١، ١٤١٢هـ .

٢- الفقي ، محمد حامد ، سيرة العلامة عبد الرحمن السعدي ، القاهرة : مطبعة السنة المحمدية د . ت .

٣- الفيروز آبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط ، بيروت : مؤسسة الرسالة ط٢ ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .

٤- فيكنس ، فليبيب هـ ، فلسفة التربية ، ترجمة وتقديم محمد لبيب النجيحي ، القاهرة : دار النهضة العربية ، ١٩٨٢م .

٥- الفيومي ، أحمد محمد ، المصباح المنير ، بيروت : مكتبة لبنان ، ١٩٨٧م .

ق

١- القاضي ، محمد بن عثمان ، روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث ، السنين ، القاهرة ، مطبعة مصطفى الحلبي ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

٢- القحطاني ، محمد سعيد ، مسائل هامة في توحيد العبادة ، الرياض : دار الوطن ، ط ١ ، ١٤١٥هـ / ١٩٨٣م .
٣- القرطبي ، أبو عمر يوسف بن عبد البر ، جامع بيان العلم وفضله ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، بيروت : مؤسسة الكتب الثقافية ، ط ١ ، ١٤١٥هـ / ١٩٨٣م .
٤- القرطبي ، محمد أحمد ، الجامع لأحكام القرآن ، بيروت : دار إحياء التراث ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .
٥- قطب، محمد، منهج التربية الإسلامية ، بيروت : دار الشروق ، ط٥، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .
٦- قطب ، سيد ، في ظلال القرآن ، جدة : دار العلم ، د . ت .
٧- ابن قيم الجوزية ، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر ، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ، الرياض : دار نجد ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .
٨- ابن قيم الجوزية ، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر ، الفوائد ، تحقيق أحمد راتب عرموش ، بيروت : دار النفائس ، ط ١ ، ١٣٩٩هـ .
٩- ابن قيم الجوزية ، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ، تحفة المودود في أحكام المولود ، تحقيق محمد بشير عيون ، دمشق : دار البيان ، ط ٢ ، ١٤٠٧هـ .
١٠- ابن قيم الجوزية ، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ، إعلام الموقعين عن رب العالمين .

ك

١- ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل الدمشقي ، تفسير القرآن العظيم ، بيروت : مؤسسة الريان ط ٢ ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م .
٢- كحالة ، زهير محمد شريف ، القرآن الكريم رؤية تربوية ، تدقيق محمود خضر الكيلاني ، عمان ، الأردن : دار الفكر ، ط ١ ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .
٣- الكيلاني ، ماجد عرسان ، أهداف التربية الإسلامية ، المدينة المنورة: دار التراث ، ط ٢ ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .
٤- الكيلاني ، ماجد عرسان ، الخطر الصهيوني على العالم الإسلامي ، جدة : الدار السعودية للنشر ، ط ٣ ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م .

ل

١- لوبون ، غوستاف ، السنن النفسية لتطور الأمم ، ترجمة عادل زعيتر، القاهرة : مطبعة مصطفى عيسى البابي الحلبي ، د . ت .

م

١- المبارك ، محمد ، بين الثقافتين الغربية والإسلامية ، بيروت : دار الفكر ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .
٢- المباركفوري ، صفي الرحمن ، الرحيق المختوم ، مكة المكرمة ، المكتبة الفيصلية ، ط ٣ ، ١٤١١هـ / ١٩٩١م .
٣- مرسي ، محمد منير ، التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية ، القاهرة : عالم الكتب ، ط ٢ ، ١٤١١هـ / ١٩٩١م .

٤- مرسي ، محمد منير ، أصول التربية الثقافية والفلسفية ، القاهرة : عالم الكتب ، د . ت .

٥- المودودي ، أبو الأعلى ، الأسس الأخلاقية للحركة الإسلامية ، جدة: الدار السعودية للنشر ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

٦- ابن منظور ، محمد ابن مكرم المصري الإفريقي ، لسان العرب ، بيروت : دار صادر ، د . ت .

٧- الميداني ، عبد الرحمن بن حسن حبنكة ، تدبر سورة الفرقان في ضوء وحدة الموضوع ، دمشق : دار القلم ، ط ١ ، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م .

٨- الميداني ، عبد الرحمن بن حسن حبنكة ، بصائر للمسلم المعاصر ، دمشق : دار القلم ، ط٢ ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .

ن

١- النباهين ، علي سالم ، العز بن عبد السلام ، من أعلام التربية العربية الإسلامية ، الرياض : مكتب التربية العربي لدول الخليج ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م .

٢- النحلاوي ، عبد الرحمن ، أصول التربية الإسلامية وأساليبها ، دمشق: دار الفكر ، ط ٢ ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

٣- النحلاوي ، عبد الرحمن ، الإمام محمد الذهبي ، ترجمته وبعض آرائه وأساليبه التربوية ، من أعلام التربية العربية الإسلامية ، الرياض : مكتب التربية العربي لدول الخليج ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م .

٤- النحلاوي ، عبد الرحمن وآخرون ، التربية وطرق التدريس ، ١٣٨٩هـ .

٥- النحلاوي ، عبد الرحمن ، الإصلاح التربوي والاجتماعي والسياسي من خلال المبادئ والاتجاهات التربوية عند السبكي ، بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٤١٠هـ .
٦- النجدي ، عثمان بن بشر ، عنوان المجد في تاريخ نجد ، الرياض : مكتبة الرياض الحديثة ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

هـ

١- هذلول ، سعود ، تاريخ ملوك آل سعود ، تحقيق محمد العبودي ، الرياض : مطابع الرياض ط ١ ، ١٣٨٠هـ / ١٩٦١م .

و

١- وهبة ، حافظ ، خمسون عاماً في جزيرة العرب ، القاهرة : مطبعة مصطفى الحلبي ، ط ١ ، ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م .

ي

١- يالجن ، مقداد ، جوانب التربية الإسلامية الأساسية ، ط ١ ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .
٢- يالجن ، مقداد ، توجيه المعلم إلى معالم طرق تعليم العلوم الإسلامية ووسائلها ، الرياض : عالم الكتب ، ط ١ ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م .
٣- يالجن ، مقداد ، ويوسف القاضي ، علم النفس التربوي في الإسلام ، الرياض : دار المريخ ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .

الدوريات

١- الرفاعي ، عبد العزيز بن أحمد ، عناية الملك عبد العزيز بنشر الكتب، الرياض ، مجلة الدارة ، عدد ٤ ، ١٤٠٦هـ .

٢- رسالة الكلية المتوسطة للمعلمين بمكة المكرمة ، العدد ٢ ، ١٤١٠هـ.

٣- الصيني ، عثمان بن محمد وآخرون ، خمسون عاماً على تأسيس دار التوحيد ، الرياض ، مجلة الدارة ، عدد ٣ ، ١٤١٦هـ .

٤- العدوي ، عبد الرحمن ، مجلة الجامعة الإسلامية ، عدد ٤ ، ١٣٩٩هـ.

٥- القاضي ، صالح ، المجلة العربية ، عدد ٩٥ ، ١٤٠٥هـ .

٦- المجلة العربية ، عدد ٢٥ ، عام ١٣٧٣هـ .

٧- نور الدين ، محمد صفوت ، الأسرة والمسجد ، القاهرة ، مجلة التوحيد ، عدد ٥ ، ١٤١٧هـ .

المحتويات

الـمـوضــوع	الصفحة
المقدمة	٥
الفصل الأول : المدخل إلى الدراسة	١٣
موضوع الدراسة	١٥
أهمية الدراسة	١٨
تساؤلات الدراسة	٢١
مصطلحات الدراسة	٢٢
الدراسات السابقة	٢٥
الفصل الثاني : الأطر المؤثرة في فكر السعدي	٢٩
المبحث الأول : الإطار الثقافي	٣١
بيئته الأسرية	٤٧
مشايخه	٤٩
بيئته الإجتماعية	٥٠
مؤلفات ابن تيمية وابن القيم	٥٥
المبحث الثاني : الإطار السياسي	٥٩

المبحث الثالث : الإطار الإجتماعي ٦٩
المبحث الرابع : الإطار الإقتصادي ٧١
الفصل الثالث : حياته الشخصية والعلمية ٧٥
المبحث الأول : حياته الشخصية :
اسمه ونسبه ٧٩
مولده ونشأته ٨٠
صفاته الخلقية والخُلقية ٨١
عبادته وعلمه ٨٢
مرضه و وفاته ٨٨
رثاؤه ٩١
المبحث الثاني : عقيدته ومذهبه :
أولاً : عقيدته ٩٧
ثانياً : مذهبه ١٠٤
المبحث الثالث : شيوخه وتلاميذه :
أولاً : شيوخه ١١١
ثانياً : تلاميذه ١٢٨
المبحث الرابع : جهوده العلمية ومشاركاته الاجتماعية : ١٦٩
المطلب الأول : التعليم ١٧٠
المطلب الثاني : الإمامة والخطابة والإفتاء ١٨١

المطلب الثالث : التأليف ١٨٤
المطلب الرابع : المشاركات الاجتماعية ١٩٦
الفصل الرابع : التربية عند السعدي ١٩٩
المبحث الأول : أسس التربية ٢١١
الأول : الأساس الفكري ٢١١
الثاني : الأساس الخلقي ٢١٥
الثالث : الأساس الاعتقادي ٢٢٢
الرابع : الأساس النفسي ٢٤٠
الخامس : الأساس الاجتماعي ٢٦٣
المبحث الثاني : أهداف التربية ٢٧٥
أولاً : الأهداف الإيمانية ٢٧٨
ثانياً : الأهداف العقلية ٢٨٠
ثالثاً : الأهداف السلوكية ٢٨٣
رابعاً : الأهداف الجهادية ٢٩١
خامساً : الأهداف الاجتماعية ٢٩٥
المبحث الثالث : ميادين التربية ٣٠٧
أولاً : الميدان الإيماني ٣٠٩
ثانياً : الميدان الأخلاقي ٣٢٢
ثالثاً : الميدان الصحي ٣٣٠
رابعاً : الميدان السياسي ٣٤٣

خامساً : الميدان الاجتماعي ٣٤٨
سادساً : الميدان الاقتصادي ٣٦٦
المبحث الرابع : أساليب التربية ٣٧٣
أولاً : التربية بالقدوة ٣٧٤
ثانياً : التربية بالترغيب والترهيب ٣٧٧
ثالثاً : التربية بالممارسة العملية ٣٨٣
رابعاً : التربية بالقصة ٣٨٥
خامساً : التربية بالحكمة ٣٨٦
المبحث الخامس : بعض المبادئ التربوية عند ابن السعدي ٣٩١
المبدأ الأول: وجوب مزج المبادئ النظرية بالممارسات العملية ٣٩١
المبدأ الثاني : أهمية التدرج في التربية والتعليم ٣٩٨
المبدأ الثالث : الدعوة إلى أسلمة العلوم ٤٠١
المبدأ الرابع : إلزامية التعليم ٤٠٤
المبدأ الخامس : توجيه المعلم إلى أهمية (لا أدري) ٤٠٧
المبدأ السادس : الربط بين المخترعات الحديثة والغاية من التربية الإسلامية ٤١١
المبدأ السابع : محبة العلماء وتوقيرهم ٤١٤
المبدأ الثامن : ضرورة مراعاة الفروق الفردية بين المسلمين ٤١٧
المبدأ التاسع : نقده للحضارة الغربية المادية ٤١٩
الفصل الخامس : العلم والتعليم عند السعدي ٤٢٣
المبحث الأول : العلم عند السعدي ٤٢٥

أولاً : مفهوم العلم وأهميته ٤٢٥
ثانياً : تعريف العلم ٤٢٧
ثالثاً : أنواع العلوم ٤٣٢
رابعاً : المعرفة بين الفطرة والاكتساب ٤٣٤
المبحث الثاني : التعليم عند السعدي ٤٣٧
المطلب الأول : تعريف التعليم وأهميته عند السعدي ٤٣٧
المطلب الثاني : أهداف التعليم ٤٤٠
المطلب الثالث : أنواع التعليم الشعبي عند السعدي ٤٤٨
المطلب الرابع : أهم عناصر التعليم عند السعدي ٤٥٢
المبحث الثالث : أساليب التعليم ٤٧١
المطلب الأول : من أساليب التعليم في زمن السعدي ٤٧١
المطلب الثاني : أساليب التعليم عند السعدي ٤٧٦
المبحث الرابع : مقومات شخصية المعلم ٤٨٧
المطلب الأول : المقومات السلوكية ٤٨٩
المطلب الثاني : المقومات المهنية ٤٩٦
المبحث الخامس : آداب المتعلم ٥٠٣
المطلب الأول : الآداب الأخلاقية ٥٠٤
المطلب الثاني : الآداب التعليمية ٥١١
التوصيات ٥١٩
قائمة المراجع ٥٢١
المحتويات ٥٤٣